

مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بمكة المكرمة

مجلة

مجمع اللغة العربية

على الشبكة العالمية

السنة الخامسة

العدد الثالث عشر، رجب ١٤٣٨هـ– مارس/ إبريل (آذار/ نيسان) ٢٠١٧م

مجلة علميّة، محكَّمة، تُعنى بنشر البحوث والدّراسات في اللّغةِ العربية، ونشرِ قرارات المجمع وآرائه وتنبيهاته ومقالاته وأخباره.

(تصدرُ مرةً كلَّ أربعة أشهر)

أهداف المجلة

- تهدف المجلة إلى نشرِ البحث العلميّ في علوم اللغة العربية كافةً، ونشرِ قرارات المجمع وتنبيهاته ومقالاتِه اللّغوية، كما تهدف إلى جمع ومتابعة قرارات المجامع السابقة، وتوصيات مؤتمراتها وندَواتها العلمية.. والمفضَّل للنشر لديها من البحوث هو:
  - الدّراسات التي تخدم اللّغة العربية تيسيرًا، وتقريبًا، وترغيبًا، وتصفية.
  - البحوث والمقالات المعنيّة بدراسة الألفاظ، والأساليب، واللهجات، والمصطلحات: تأصيلاً، وتصحيحًا، وتعريبًا، وترجمةً، وشرحًا.
  - النصوص التراثية المحققة.

منهاج النشر في المجلة:

١- أن يتّسمَ البحث بالأصالة والجِدّة، والمنهجية السليمة، ويُراعَى فيه قواعدُ السلامة اللغوية.

٢- أن يكون منسقًا وفقَ ضوابط النشر المعتمدة في المجمع.

٣- أن لا يكون مستلّا من بحث سابق، أو منشورًا في جهة أخرى، أو مقدَّمًا لها.

٤- أن يكون البحث مكتوبًا بالعربيّ التقليديّ «Traditional Arabic» (بنط ١٦ للمتن، و١٣ للحاشية).

٥- أن لا يجاوزَ البحث على مقاس (A4) عشرة آلاف (١٠٠٠٠) كلمة، أو أربعين (٤٠) صفحة؛ ولا يجاوزَ المقال أربعة آلاف (٤٠٠٠) كلمة، أو خمس عشرة (١٥) صفحة.

٦- أن يكون البحث مشفوعًا بموجز للسيرة الذاتية للباحث، مع ملخَّص ثنائيّ اللغة (عربي وإنجليزي).

٧- تخضعُ البحوث الواردة للتحكيم العلميّ، وقبولُها مرهونٌ بعمل التعديلات المقترَحة.

٨- كلُّ رأي مقرونٍ بالدّليل أو النظر يسعُ المجلّةَ قبولُه، وما كان دون ذلك فمسؤوليته على قائله أو ناقله.

ترسل البحوث باسم رئيس التحرير على عنوان المجمع، أو بريده الشبكي:

المملكة العربية السعودية - ص ب: ٦٥٥٩، مكة: ٢١٩٥٥.

هاتف وفاكس: ١٢٥٤٠٢٩٩٩ (+٩٦٦) — جوال: ٥٥٤٠٢١٩٩٩ (+٩٦٦).

E.M :m-a-arabia@hotmail.com WEB :www.m-a-arabia.com

رقم الإيداع ١٤٣٤/٧٢٢٢-تاريخ١٩/٧/١٤٣٤هـ-ردمك ١٦٥٨-٦٥٣٠.

مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

ثمن المجلة: في المملكة العربية السعودية والبلاد العربية (٢٥) ريالًا. وفي البلدان الأخرى: (٦) دولارات.

الاشتراكات السنوية للأعداد الثلاثة: للأفراد: (١٥٠) ريالًا في الداخل، أو (٥٠) دولارًا في الخارج.
للهيئات والمؤسسات والدوائر الحكومية: (٤٠٠) ريال في الداخل، أو (١٠٠) دولار في الخارج.

تُرسَل الاشتراكات بشيك بنكي باسم: **مجلة مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية**.

أو على رقم حساب المجمع: SA12 8000 0443 6080 1049 10 12.

الهيئة الاستشارية

محتويات العدد

القسم الرابع: الملحقات

فاتحة العدد

بسم الله، اللهمَّ بكَ نتأيَّدُ، وعليكَ نتوكلُ.

اللهمَّ صلِّ على نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وصحبِه.

تَستقبلُ المجلّة عامَها الخامسَ بعددِها الثالثَ عشرَ، وهي قائمةٌ على أصولِها، وقد أخذتْ حظَّها من الشُّهرةِ والحُظوةِ والقَبولِ، وأقبلَ عليها الدّارسون، مِن داخلِ المملكةِ وخارجِها.

ولعلَّ مِما يميّزُها أمورًا، منها:

- إشراقُ محيَّاها بقراراتِ المجمعِ (التي يَعكِفُ عليها أعضاءُ المجمَعِ).
- الجمعُ بين البحوثِ والمقالاتِ العلميةِ المحكَّمةِ.
- ما تَشتمِلُ عليه مِن أنباءِ المجمعِ التي تُسعدُ المحبَّ، وتنبِّهُ الغافلَ، وتلُفُّ حبالَ العهدِ في جِيدِ كلِّ مؤتمَنٍ على أداءِ رسالتِه.
- ما يَفوحُ به مِسكُ خِتامِها مِن قصيدٍ، يَرُدُّ القارئَ إلى الوَصِيدِ، أي: يَردّه من العجُز إلى الصَّدْرِ، بما تَحمِلُه تلك الأشعارُ مِن كلامٍ في فضلِ العربيةِ وأهلِها، وبيانِ منزلتِها.

وإنَّنا لَندْعُو الباحثين - وقد دَعوْناهم من قبلُ، ولا نَسأمُ مِن دُعائِهم-إلى أنْ يَجْنَحوا إلى الإيجازِ، والقصدِ في الكلامِ، وإلى التَّجديدِ في الموضوعِ، والعَرْضِ، والنَّقدِ، وأنْ يُعْنَوا بترتيبِ بحوثِهم وتقسيمِها،

وأنْ يَتَحَرَّوا الدِّقةَ في الضبطِ. وإنَّ هيئةَ التحريرِ بالمجلةِ ستَطوِي كلَّ بحثٍ أو مقالٍ يَنأى عن شرطِها غداةَ ورودِه.

ولقد يَسَّرَت الوسائلُ الجديدةُ طُرقَ البحثِ تَسهيلًا لو لَقِيَه المتقدِّمون مِن ذَوِي الهِمَمِ العاليةِ لمَلأُوا الدُّنيا تَصانيفَ.

فلا عُذْرَ لِأحدٍ اليَومَ في توثيقِ مسألةٍ، أوْ نقلِ نصٍّ بعزوِه.

اللَّهمَّ مَن قدَّم لِلُغةِ كتابِك مِن خيرٍ، فارفعْ ذِكرَه، وافتحْ له أبوابًا من الخيرِ والفضلِ، واجعلْه ممّن تَختصُّه برحمتِك، اللَّهمَّ بَلِّغْنا آمالَنا التي تُرضِيكَ. آمين، ربَّ العالمين.

رئيس المجمع وتحرير المجلة

أ.د. عبدالعزيز بن علي الحربي

القسم الأول:

القرارات والتنبيهات

القرار الثاني عشر للمجمع

تسميةُ الـ«مترو» بـ«قطار الأنفاق»، والـ«ترام بـ«قطار الشوارع»[1].

الحمد لله رب العالمين، والصَّلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله الطيبين، وصحابته أجمعين.. وبعد:

فإن مِمَّا رسَمَه المَجمعُ لِنفسِه غداةَ إنشائِه لِتحقيقِ رسالتِه العملَ على التَّعريبِ والتَّرجمةِ، وقد ورَدَ إلى المَجمَعِ نِداءاتٌ عَجْلَى تَدْعُوه إلى الفَصلِ في موضوعِ تعريبِ كَلمتَيْ «مِترو»، و«تِرام»؛ مُواكبةً للمشروعِ العالَميِّ للقطارِ المُسَمَّى «مِترو الرِّياضِ»، وكذلك «مِترو جُدَّةَ». وقد أُحِيلَ الموضوعُ إلى لَجنةِ التَّرجمةِ، ثم إلى المَجلِسِ العِلْميِّ، ثُم إلى سائرِ أعضاءِ المَجمعِ، ثُم إلى غيرِهم مِنَ المُختصِّينَ.

ورأى جُمهورُ المُشارِكِينَ في القَرارِ مِنَ المُختصِّين إطلاقَ مُصطلَحَي «قِطارِ الأَنْفاقِ» على المِترو، و«قِطارِ الشَّوارعِ» على التِّرامِ.

ومِن ثَمَّ؛ فقدْ قَرَّرَ المَجمعُ -بِناءً على رأيِ جُمهورِ أعضائِه، وبَعْدَ العَرضِ على المَجْلِسِ العِلْمِيِّ-، ما يَلي:

---

(١) لمطالعة حيثيّات القرار، يُرجى زيارة الرابط:

http://www.m-a-arabia.com/site/19081.html

١ - تسـميةُ المِـترو بـ«قِطـارِ الأَنْفـاقِ»، وتَسـميةُ التِّـرامِ بـ«قِطـارِ الشَّوارِعِ».

٢ - راعـى المَجمَـعُ في ذلـك سُـهولةَ اللَّفظَـيْنِ، ومُطابَقَتَهمـا لِلمَعْنَـى مُطابَقةً تامَّةً، وجَرْيَهما على الأَلْسِنَةِ في بَعْضِ البُلْدانِ.

٣- يُوصِـي المَجْمَـعُ المَعنيِّـينَ مِـن أهـلِ الثَّقافـةِ والإِعـلامِ والـرَّأيِ باعْتِمادِ هذَيْن المُصطَلَحَيْن، ونَشْرِهما؛ خِدْمَةً للعَرَبِيَّةِ، وحِفاظًا عليْها.

واللهُ المُوَفِّقُ، والهادي إلى سَواءِ السَّبِيلِ.



التنبيه الثامن عشر للمجمع

الضبطُ الصحيحُ لراءِ (معرِض)

الخَطَأُ: مَعْرَض (بفتح الراء).

الصوابُ: مَعْرِض (بكسر الراء).

يُنبِّهُ المَجمعُ على خطأ في أحدِ الألفاظِ الشائعةِ، وهو لفظُ «مَعْرَض» في نحوِ: «معرَض الكتاب»، و«المعرَض الدائم»، كما هو موضح في صدر الكلام.

والتعليل الصرفيُّ لذلك: أن لفظَ «معرِض» – هنا – اسمُ مكانٍ؛ والقاعدةُ في اسم المكان أنّه يكون على وزن «مَفْعِل» إذا كان فعلُه صحيحَ الآخر، وعينُ المضارع مكسورةٌ، نحو: «مجْلِس»، و«مَنْزِل»، و«مَعْرِض».

ولا يجوز فتحُ العين في ذلك وأمثاله.

والمجمعُ ينبّهُ على هذا انطلاقًا من حرصِه على تصحيحِ المنطقِ، وحمايةً للعربيةِ.. واللهُ الموفِّقُ والهادي إلى سواءِ السبيلِ.



القسم الثاني:



النظم بين نحو القواعد ونحو المباني

د. عبدالنبي هماني

- من المملكة المغربية، أستاذ باحث في اللغويات وتحليل الخطاب، في فاس.
- حاصل على الدكتوراه، من كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ظهر المهراز، فاس- المملكة المغربية.
- له بحوث ودراسات في اللغويات وتحليل الخطاب.

ملخص:

الرصيد المعياري فاعل في تشكل الخطاب، وفي صياغة بنية نظمية على أساس التواصل والمزية المقصودة، من خلال احترام الحدود المعيارية درءًا للانحراف عن الصواب، ورغبة في جمالية تعبيرية. فأساس التباين النظمي المقتضى المعياري الذي يفيد في إبداع الصياغة، وفي تحقيق التخاطب المنشود، وقد عُدّ النظم ملتقى النحو والبلاغة، والشريك الاصطلاحي لفن العبارة ومعاني النحو، والتحليل الشكلي لإمكانات التعبير وصوره المختلفة، وصيغة التناسب بين الصور التعبيرية وسبل تحقيق المعنى، وحصر الخصائص الفنية أو الأدبية في الكلام، كما اعتبر معادلا لنظرية تعلق الكلمة بما يجاورها من الكلمات، فلم يكن التفريق بين النحو والبلاغة مقصودا، بل كان النظم يشمل الكل؛ تأليف الجملة وسرّ تركيبها، ثمّ بيان حسنها أو قبحها، ولا شكّ أنّ هذا الأمر مشترك بين علم النحو والبلاغة لدوره في الكشف النظمي، وفي جوهر بلاغة الصور الأسلوبية.

وقد ارتبط النظم بثنائية المعيار والمعنى والترابط العلمي والمنطقي وفق الأصول، ووفق نظرية النظم التاريخية التي أخضعت جمالية الصورة، ومزية العبارة، وغير ذلك ممّا له صلة بعلمي المعاني والبيان لسيطرة علم النحو، ممّا دفع بعض الدّارسين الذين جمعوا بين الدرس اللغوي القديم، ومعطيات الدرس اللغوي الحديث إلى اعتبار علم المعاني قمة الدراسة النحوية، وإلى ضرورة إرجاع هذا العلم إلى رحاب الدرس النحوي؛ منبعه

الأصلي، ليغدو الدرسَ المعياري الحقيقي الجامع بين النحوي والبلاغي، وبين الوضعين الطبيعي/ نحو القواعد، والجمالي/ نحو المعاني.

Abstract:

Standard Balance active in the formation of the speech, and the drafting of systemic structure on the basis of communication and unintended advantage, through respect for standard ward boundaries for the deviation from the truth, and the desire for aesthetic expression. The foundation of the contrast systemic standard requirement that benefits in creativity drafting, and in achieving the desired communication, has been counting systems Forum grammar, rhetoric, and partner idiomatic art words and meanings of the way, and analysis pro forma for the potential expression of various forms, and the formula of proportionality between the images expressive and ways to achieve the meaning, and limit the technical characteristics or Literary speak, was also considered equivalent to the theory attached to the floor including environs of words, did not differentiate between grammar, rhetoric intentional, but it was the systems includes all; authored Wholesale mystery installed, then a statement for her good looks or ugliness, no doubt that this is a joint matter between the science of grammar, rhetoric for his role in the detection of systemic and, in essence stylistic eloquence images.

Systems has been associated with the duality of the standard and the meaning of scientific and coherence in accordance with the assets, according to historical systems that subjected the aesthetic image,

and the advantage of the gateway theory, and so on, which was linked to my knowledge the meanings and the statement of the control of science as such, leading some scholars who combined the old language lesson, and data Lesson Language talk to consider semantics summit grammatical study, and the need to return to the fold this science lesson grammar; the original its source, to become a truly inclusive standard lesson of grammar and rhetoric, and between the natural modes/ about rules, and aesthetic/ about meanings.

مقدمة

تجلت فكرة الترابط بين نحو القواعد ونحو المعاني/ علم المعاني، عند عدد من علماء العربية، وعُدّت خطوة مهمة من خطوات الدرس النحوي، واتساعا ملحوظا في درس العربية، ومن تجليات هذه الفكرة أثرُ النحاة في البحث البلاغي، وتقفي أمر الامتزاج بين ما هو نحوي وما هو بلاغي كما هو موسوم في الكتاب لسيبويه (**ت١٨٠هـ**) قبل تداول مصطلح علم المعاني، وطرح قواعد العربية على يد ابن جني(**ت٣٩٢هـ**) في (**الخصائص**) طرحا شجاعا، مرتميا في أحضان التدقيق العلمي، والإقناع المنطقي بسر العدول وصحة التعليل، ثمّ نظرية النظم التي أقامها الجرجاني (**ت٤٧١هـ**) في (**دلائل الإعجاز**) على المعاني النحوية، على أساس أنّ جمالية الأسلوب تتجاوز قواعد العربية الثابتة التي تخص نحو القواعد إلى ما هو مرتبط بالجمال والمزيّة، ولن تتحقق هذه المزية إلا حين التعامل مع الصور الأسلوبية كأبنية فنية، تضع أمام المتلقي العربي رصيدا أسلوبيا واسعا لانتقاء الصيغ التعبيرية التي ستشكل أسلوبه المطابق لمعانيه وأفكاره تطابقا مقبولا، ويؤكد هذا الانتقاء قدرة على الاهتداء إلى الصور الأسلوبية والفروق الدقيقة الموجودة بينها، الشيء الذي يحيلها إلى أنساق متميّزة من خلال النظم/ التأليف بين الكلمات، أو بالأحرى إلى إمكانات أسلوبية عديدة.

هكذا نريد أن يكون النحو والدلالة في معادلة علمية إيجابية ومتساوية، وأن يتخطى علماء العربية/ النحاة الحقيقيون بذلك دائرة الصواب والخطأ إلى مجال المزيّة والجمال، فتتسع الصور الأسلوبية، ويتسع النحو فيعطي ما يمكن أن يسمّى جمالية النحو الذي سيضمّ كل ما يراعى في النظم من عناصر فنية. فقواعد النحو جزء من الصورة الأسلوبية المنظومة، ويمكن أن يساهم إلى جانب قراءة فنية موازية لما تبقى من أجزاء النظم الأسلوبي؛ من قواعد معجمية وصوتية وتركيبية في إرساء مقاربة نقدية جديدة قادرة على الإحياء الجمالي لمعادلة النص والقاعدة، وإعادة المكانة لمعاني النحو/ علم المعاني، لتحقيق الوصلة الطبيعية بين مستوى القاعدة/ رصد الأداء وتمثل الضوابط، ومستوى المعاني/ رصد التركيب وتمثل العلاقة بين المعنى والمبنى، وأقصد الترابط الجمالي بين البناء والدلالة.

الدرس النحوي بين اللفظية والجمالية:

١. نحو القواعد ونحو المعاني:

لم يمنع تمكن علماء العربية والنحو من رصيد العربية النحوي أن يتجاوزوا عتبة التقعيد حفاظا على المقدّس الديني واللغوي في السطور والصدور، نحو أفق جديد من البحث اللغوي الأسلوبي يتوخى في الأساس الجمع بين مبحثي دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وقد حققوا نقلة بالدرس النحوي على وجه الخصوص، من وضع القواعد النحوية الثابتة والصارمة في وجه المخطئين في حق الفصاحة والبيان وسلامة التعبير العربي، إلى وضع التجاوز لإبراز إمكانات النحو الجمالية، ودور القاعدة النحوية في صياغة الأسلوب والدلالة معًا، ونظم الصيغ التعبيرية القائمة على المعاني النحوية والقيم الأسلوبية، وفي الإشعار بدور النحو في الاستعمال اللغوي، وحين حصر بعض النحاة النحو في أواخر الكلمات والتعرف على أحكامها، (**ضيقوا من حدوده الواسعة، وسلكوا به طريقا منحرفة، إلى غاية قاصرة، وضيعوا كثيرا من أحكام نظم الكلام وأسرار تأليف العبارة**)[1]. فالانتقال من طور القاعدة إلى طور الاستعمال قادر على تمكين الدرس النحوي من الكشف عن أسرار جمالية اللسان العربي، والوقوف على ملامح بيانه وفصاحته، ومكامن

(١) إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص ٣-٢.

حسن الصورة والتعبير، في علاقة الكل بطبيعة المتلقي، وخصوصية المقام ومقتضى الأحوال، وبمباحث جديدة فُصلت عن صيرورة الأبواب النحوية لتدخلَ عوالم اصطلاح جديد هو علم البلاغة، وضعه في البدء علماء النحو أنفسهم، وأرسى معالمه وأبوابه علماء البلاغة المتشبّعون بقواعد النحو العربي، وقد كان الفصل بين الاصطلاحين وبين الفريقين من العلماء فصلا شكليا في نظري، وخطأ تاريخيا أبقى الدرس النحوي في مستوى القاعدة، وسجين نظرية العامل التي اختزلته في التغير الحركي الشكلي، وانحرفت به على يد العديد من النحاة نحو مسار الأبواب والتقسيمات الشكلية، وأهملت دوره الأساسي والمؤثر إلى جانب المستويات اللسانية الأخرى، (**فالنحاة حين قصروا النحو على البحث في أواخر الكلم قد أخطأوا إلى العربية من وجهين: الأول: إنهم حين حددوا النحو وضيقوا بحثه، حرموا أنفسهم وحرمونا إذِ اتبعناهم من الاطلاع على كثير من أسرار العربية... الثاني: إنهم رسموا للنحو طريقا لفظية**)(١).

لقد كان النظام النحوي أساسيا في (**العلاقات بين الملفوظات التي نترجمها من خلال الوصف الإعرابي إلى أبواب نحوية**)(٢)، كما كان

(١) إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص ٧-٨.

(٢) عبد النبي هماني، نظرية الإعراب بين فاعلية العامل وتضافر القرائن، ص٣٥.

الربط بين الدرس اللغوي/ النحوي، ونظرية العامل التي أحكمها أغلب نحاة العربية المتقدمين في خضم الصراع الأبدي بين ما هو طبيعي لغوي وما هو فلسفي عاملي، عنصرا أساسيا في إهمال كل اجتهاد نحوي جمالي ضمن مشروع علمي يتوخى استغلال قدرات الدرس النحوي الجمالية، بإرجاع اجتهادات بعض علماء العربية ونحاتها، ممن صنفوا على حساب البحث البلاغي، وجهودهم النحوية/ البلاغية، التي اهتمت برصد دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، إلى حظيرة الدرس النحوي العربي، فهؤلاء العلماء هم أهل المعاني الذين استطاعوا استغلال نحو القواعد، لأجل حصر الظواهر الأسلوبية حيث القيم الفنية ومعالم المزية والجمال/ نحو المعاني، **(وهم النحاة الحقيقيون فيما أزعم، وهم الذين دفعوا بالدرس النحوي إلى الأمام، وقدموا للدارسين فيه نتائج طيبة خليقة بأن يستفاد منها)**[1].

علم المعاني مبحث بلاغي، وهو الوليد الشرعي للدرس النحوي في مستواه الجمالي الذي خاضه علماء العربية المتميّزون، والذي نما وترعرع في أحضان الدراسات الأسلوبية التي تجاوزت البحوث النحوية المرتبطة بمعاني الصيغ التعبيرية، والوقوف عند مكوناتها، في إطار المطابقة الحتمية والبسيطة بين الصور الأسلوبية وقواعد النحو التي تحكمها، ضمانا لاستمرارها بالأسلوب المحفوظ في حياة أجيال من

(١) مهدي المخزومي، في النحو العربي، نقد وتوجيه، ص٢٩.

العلماء الذين ربطوا بين صحة المعاني الإعرابية وصحة العوامل، وكان تناول الظواهر الأسلوبية مبثوثا في مؤلفاتهم النحوية، دون وعي بضرورة الفصل بين النحوي والبلاغي، وبذلوا جهودا تاريخية في الوقوف عند الاستخدامات اللغوية المتميّزة، وكان لهذا التوجه دور كبير في توجيه مسار وتثبيت منهج جديد في الدراسة الوظيفية الجمالية لمعطيات الدرس النحوي، ودوره في أوضاع التعلق بين الألفاظ، والكشف بنمط جديد عن أسرار الأسلوب ودقائقه، وكل **(من يتتبع نشوء الاهتمام بالقضايا البلاغية وما تحويه من ألوان البيان والبديع عند النحاة السابقين من عهد الخليل، ويجمع الملاحظات المتفرقة التي يصادفها في كتبهم من أمثال سيبويه والفراء والمبرد، لا شك أنه سوف يجد أشياء كثيرة ممتعة وشائقة، تدخل في تاريخ البلاغة العربية)**[1].

٢. علماء العربية ونحو المعاني:

كان الخليل(١٧٥هـ) سباقا إلى الكشف الأسلوبي لمختلف الاستخدامات اللغوية، والوقوف على معاني الصيغ التعبيرية ومكوناتها، والتدرج نحو خصوصية الأسلوبية العربية، ورصد بعض قيمها الفنية وأسرارها الجمالية، ممّا عدّ نتفا بسيطة ممهدة لدرس جمالي، يرتقي بالحدود النحوية نحو الاستغلال الوظيفي المتميّز الذي يجعل الدرس

---

(١) عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص٢٣١.

النحوي عنصرا مشاركا في قراءة الخطاب، قراءة منهجية تراعي الأصول والثوابت، وتستلهم معطيات الدرس اللغوي الحديث؛ قراءة تراهن على وضع الرصيد النحوي على محك الاختبار والتجريب، بين نحو القواعد ونحو المعاني. ونحو المعاني تحليل لغوي يقوم على قواعد النحاة ويهدف إلى دقة الفهم وعمق الاستيعاب، وفي الأمر تجاوز للقاعدة النحوية وترديدها، وترك لحصر الأمر في الحركات/ الأصوات، التي تتوالى على مؤخرة الكلمات، (**ذلك أنّ العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلّهم، وليس هو ممّا يُستنبط بالفِكَر، ويستعان عليه بالرويّة**)[1]؛ ولذلك دعا درويش الجندي (**دعوة صارخة إلى دراسة النحو على منهاج جديد، يقوم على الحس والذوق وحسن التخيّر**)[2].

وقد اعتمد سيبويه (١٨٠هـ) على رصيد الخليل في هذا المجال، وعلى أسلوبه الذي لا يفارق المعنى، وأضاف لذلك قيما فنية من خلال تناوله للصيغ التعبيرية تناولا جماليا، أبرز معالمه في مؤلفه (**الكتاب**) الذي ضمّ بين دفتيه إرهاصات علوم البلاغة، فنهج بذلك أسلوبا جديدا في تحليل الظاهرة الأسلوبية، يجمع بين نحو القواعد، والجهد الذاتي في بسط الجانب الجمالي، بما هو معهود في قراءات سيبويه التي جعلته قارئا عربيا متميزا وجامعا بين النحو والأدب، متمرّنا على تذوق

(١) الجرجاني(ت٤٧١هـ)، دلائل الإعجاز، ص٣٩٥.

(٢) درويش الجندي، نظرية عبد القاهر في النظم، ص١٢٢.

الظواهر الأسلوبية بما يخدم الدرس النحوي ومسيرته في حقل المعاني، البعيد عن الارتباط جملة وتفصيلا بنظرية العوامل، والقريب من النهج التذوقي ومن خصوصية الدرس البلاغي دون إدراك سابق للفواصل الموجودة بين الدرسين، فالمولود الجديد نما في أحضان (**الكتاب**) قبل أن يقصد بالمعاني والبيان والبديع علوم بلاغة، ذلك أنّ (**سيبويه تخطى في كثير من المسائل صحة العبارة، وترتيب أجزائها وموقعها الإعرابي إلى هذه الأغراض البلاغية التي يقتضيها الحال فهو كثيرا ما يرمي بتعليلاته وتفسيراته إلى هذه المعاني**)[(١)].

فسيبويه كان سباقا لإرساء النظرية النظمية من خلال التنظير لأسس التعبير اللغوي العربي، والتناول المعمّق لمختلف الصيغ التعبيرية أثناء الوقوف على ضوابطها النحوية. وقد عُدّ سيبويه من الرواد الذين اعتنوا بأوضاع الإسناد/ الوضع النظمي، في الأوضاع اللفظية التي تشكل التراكيب على اختلاف صيغها النظمية، وهو من الأوائل الذين ألقوا البذرة لميلاد نظرية النظم، وأثّروا في البحث النظمي الذي أنار السبيل أمام الجرجاني وغيره من علماء المعاني لتطوير هذه النظرية، وإرساء علوم البلاغة العربية خاصة علم المعاني، (**ممّا اعتبره النحاة – وما**

---

(١) عبد العزيز عبده أبو عبد الله، المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل، ١/ ٣٢٦.

أصابوا - خارج مجال اهتمامهم)[1]. فكان هذا البحث حجر الزاوية للبحوث الموالية التي اعتنت بالنظم وأشكال الإعراب في سبيل الوقوف على آليات القبض على المعاني، وتنمية الذوق الفني، والحس اللغوي الوظيفي بمختلف مكونات التركيب العربي، الذي أثمر جهودا في غمار البحث عن المعاني المترتب عن الخوض في غمار الظاهرة النظمية/ اللغوية، التي أرست رصيدا نحويا وصرفيا وبلاغيا، لازال أساسيا في الصور الأسلوبية المستخدمة، كالتقديم والتأخير والإظهار والإضمار والتعريف والتنكير، فالمعاني هي الأصل، و(**اللفظ تبع للمعنى في النظم، وأنّ الكلم تترتب في النطق بسبب ترتّب معانيها في النفس)**[2]. كما أنّ معنى اللفظة لا يتحدد تحديدا دقيقا، ولا يدل على شيء واضح، وهي منفردة مستقلة عن غيرها من الألفاظ، وغير موجودة في سياق، فينبغي الأخذ (**في الحسبان أشياء أخرى مهمة كالموقعية، والارتباط الداخلي بين الوحدات المكونة للجملة أو العبارة، وما إلى ذلك من مسائل لها علاقة بنظم الكلام وتأليفه)**[3].

---

(١) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص١٨.

(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٥٥-٥٦. فـ(النظم هو تعليق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض) وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، ص٥٦.

(٣) كمال محمد بشر، دراسات في علم اللغة، ص١٣. فـ(الكلمة الحقيقية هي الكلمة في السياق) كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، ص٤٨. ذلك =

لم تتوقف أعمال سيبويه عند العلامات الإعرابية، بل تجاوزتها إلى الاهتمام باللفظة في ترابطها الفاعل والمنفعل بغيرها من الألفاظ المنظومة وفق ضوابط نحوية وصرفية، وضمن صيغ تركيبية في إطار نظم الجمل المشكلة للنص، فتجاوزَ بذلك الدرسان النحوي والصرفي الحدود النحوية/ نحو القواعد، الذي يتوخى معالجة الخطأ والصواب في التركيب العربي، إلى الأمور الوظيفية في اللغة/ المستوى الجمالي في الصيغ التعبيرية التي تشكل النظم العربي، ذلك أنّ سيبويه لم يكن يفرق بين النحو والبلاغة، والنحو عنده (**يشمل أيضا تأليف الجملة ونظمها، وسر تركيبها، وبيان ما فيها من حسن أو قبح، ولا شك أن هذا لا يشمل علم النحو فحسب، وإنما يشمل أيضا البلاغة كما نعرفها اليوم**)[1].

وكانت هذه المحاولات التحليلية الواعية بقيم الدرس النحوي الجمالية في حاجة إلى دراسات مستفيضة تمكّن من الإحاطة بجمالية هذا الدرس، التي ظلت حيّة على مستوى الجهود التي بذلها بعض علماء العربية والنحو الذين عُدّوا النحاة الحقيقيين، وخاضوا في المجاز قبل أن يُعرف كمصطلح بلاغي له حدوده المعرفية والمنهجية، كما بذلها بعض

=

أنّ (السياق وحده هو الذي يستطيع أن يبيّن لنا ما إذا كانت الكلمة (قريب) مثلا تعني قرابة الرحم أو القرب في المسافة) ستيفن أولمان، دور الكلمة في اللغة، ص٥٩.

(١) عبد القادر حسين، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص١٢٩.

علماء التفسير الذين اشتغلوا في دلائل الإعجاز اللغوي والقرآني، وأسرار البلاغة، وهكذا أصبح الدرس النحوي على يد سيبويه وعلى يد هؤلاء درسا راقيا، ينبغي العودة إليه لدوره في الكشف عن المسار الحقيقي المعرفي والمنهجي لهذا الدرس، وفاعلية ذلك في تصويب أدواره نحو كشف جمالي ودلالي للتركيب اللغوي العربي، فسيبويه يدرك أنّ اللغة حيّة، ويؤمن بالترابط الشرعي بينها وبين الحدث التعبيري، ولكلامه (**دلالات أسلوبية، فمع أنّه لا يبين فرقا معنويا بين العبارة المستعملة والتمثيل النحوي، فإنّ مجرد النص على أنّ هذا التمثيل لا يتكلم به، أو يقبح في الكلام، يعني الشعور بأنّ الفعل اللغوي في نشاطه الإبداعي، يمكن أن يتجاوز الحدود الأكثر منطقية، والتي يدل عليها النحو بالتمثيل**)[١].

شكل طول التمحيص سببا في الرقي بالدرس النحوي نحو مباحث وأسرار لغوية مهمة، اختزلت في الترابط المنطقي بين العلامات الإعرابية والعلل/ الأسباب، التي تحكمها في الكلام العربي، وأنتج هذا الاجتهاد العلمي عُدّة من القواعد التي لا حدود لها، والتي تطّرد في الاستخدامات اللغوية، وينبغي احترامها بالرجوع إليها والاحتجاج بها، وتجلت هذه القواعد فيما اصطلح عليه بعلل النحو/ علل الإعراب، التي تخص أسرار التغيرات الحركية في مؤخرة الكلمة، لينتقل بعد ذلك

---

(١) السيد فضل، جماليات اللغة بين القاعدة والاستعمال، ص٢٩-٣٠.

الدرس النحوي إلى طور البحث في جمالية الصيغ النظمية التي تحكمها قواعد الإسناد، ويمكن الإشارة في هذا الصدد إلى كتاب (**مجاز القرآن**) لأبي عبيدة معمر بن المثنى(**ت٢١٠هـ**) الذي (**سمّى بحثه المجاز، أي طريق التعبير، وتناول غير الإعراب من قوانين العبارة العربية**)[١]، وحاول أن يضع جملة من قواعد ربط الكلام وتأليف الجمل من خلال تفحص عدد من الظواهر الأسلوبية كظاهرة الحذف والذكر والتقديم والتأخير وغيرها من الظواهر اللغوية، فكان بحثه فتحا جديدا في تاريخ الدرس النحوي، و(**بابا من النحو جديرا أن يفتح، وخطوة في درس العربية حرية أن تتبع**)[٢].

وتسمية البحث بالمجاز دفع بعض العلماء إلى عدّه مؤلفا بلاغيا في الوقت الذي لم تكن فيه التسمية من مصطلحات البلاغة العربية، ولم يكن يقصد بها إلا طرق التعبير وما تتطلبه من أحكام نحوية، ونظمية، وللأسف لم يهتم النحاة بما يميّز أسلوب بحثه، ولم يتوجّهوا (**إلى شيء مما كشف عنه أبو عبيدة في كتابه (مجاز القرآن)، وأهمل الكتاب ونسي. ووقع بعض الباحثين في أيامنا على اسمه فظنوه كتابا في البلاغة. وما كانت كلمة المجاز إلى ذلك العهد قد خصصت بمعناها الاصطلاحي**

---

(١) إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص١٢.

(٢) إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص١١.

في البلاغة وما كان استعمال أبي عبيدة لها إلا مناظرة لكلمة النحو)[1].

وقد كان ابن جني (**ت٣٩٢هـ**) من الأوائل الذين أرسوا بعمق خصائص العربية في مؤلفه المتميّز (**الخصائص**)، وذلك من خلال نظرته الشمولية في تناول مستويات اللغة، وتفاعلها الآلي والجمالي، بتداخل ما هو نحوي فيما هو نظمي، وما هو معجمي فيما هو بياني، وما هو بنيوي/ صرفي ونحوي، فيما هو صوتي، باستغلال الدرسين النحوي والبلاغي، ومعطيات فقه اللغة وأصولها استغلالا وظيفيا وجماليا، يولي أهمية للمعاني الوظيفية، وخصائص العربية، اعتمادا على دربة وفطنة العالم اللغوي الذكي، والحس اللغوي الفائق والقادر على كشف أسرار التعبير، وعلى ما تراكم من موروث لغوي على يد النحاة وعلماء العربية، ولم يكن الهدف الاستمرارية في التتبع الآلي لحدود وقواعد اللغة، والعمل على التصنيف والتبويب، وإنما رصد المعاني الوظيفية لكل وضع نظمي، ذلك أنّ كتاب (**الخصائص**) (**مبني على إثارة معادن المعاني، وتقرير حال الأوضاع**)[2]. فالكتاب ليس في إقرار الأحكام النحوية، والتعرف على الوجوه الإعرابية، ولكنه بحث في المعاني الوظيفية، وكشف (**عن معادنها ونهج كل طريق يوصل إليها)**[3].

---

(١) إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص١١-١٢.

(٢) ابن جني(ت٣٩٢هـ)، الخصائص، ١/ ٣٢.

(٣) منيرة بنت سليمان العلولا، الإعراب وأثره في ضبط المعنى، ص١٢٦.

هكذا نبه ابن جني إلى مسألة الترابط بين المعاني والأوضاع اللفظية التي تحكمها أوضاع التعلق، وعدَّ جملة من الاستخدامات اللغوية كالقصد إلى المضارع من خلال استعمال الماضي، أو إرادة الماضي من خلال استخدام المضارع، استخدامات جمالية قائمة على استغلال ظواهر الإسناد، استغلالا جماليا مستمدا من الأسرار البلاغية والفوائد البديعة التي مهّد إليها سيبويه في تناوله للأساليب العربية تناولا وظيفيا وجماليا، وفتح هذا الاستغلال الوظيفي والجمالي بابا جديدا من أبواب الدرس البلاغي خاصة علم المعاني، وقد أعجب ابن جني بهذا الاستغلال الذي استحسنه، وزاد الفكرة تعميقا من خلال الربط بين الأفكار والإجراء، وتحليل المعطيات تحليلا كاشفا عن أسرار التعبير العربي.

الجرجاني والأفق الجمالي للدرس النحوي

١. التداخل النحوي والنظمي:

يعدّ الرصيد النحوي أحد مكونات اللغة القادرة على صياغة نظم قائم على أسس القصد والمزية، من خلال احترام الأصول/ نحو القواعد، درءا للخطأ والانحراف عن التوجيه الصائب، وتحقيقا لنقلة متميّزة نحو جمالية تعبيرية، ومن خلال استغلال هذه الأصول استغلالا خاصا، تبرز على أساسه المقدرة اللغوية الذاتية في إقامة صيغ لغوية/ نظمية، قادرة على الفهم والإفهام، وعلى التأثير بأسلوب جمالي. فأساس الاختلافات النظمية/ التركيبية، المقتضيات النحوية التي تجعل هذه الصياغة أجمل من تلك، وأفيد في تحقيق التواصل المؤثر والمنشود، وعُدّت نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني (ت٤٧١هـ) **(وما يتصل به من بناء وترتيب وتعليق من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية قيمة في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق أو التركيب)**[١]. فهي النظرية العربية لفن العبارة، ولعلم المعاني الذي تترابط بواسطته الألفاظ، وتتوالى التراكيب المحدثة للإبلاغ والتواصل المقصود، وهي

---

(١) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص١٨. يقول سمير شريف استيتية عن نظرية اللسانيات النظامية ونظرية النظم: (لا تختلف رؤية أصحاب هذه النظرية للنظم، في شيء ذي بال، عما هو عليه مفهوم النظم عند الجرجاني) اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج، ص٢٠١.

النظرية التي استوعبت دور أحكام الإسناد في الاستخدامات اللغوية، وأدوارها الهامة في صياغة صور أسلوبية عديدة يقوم الإنسان بإنتاجها اعتمادا على قطبي الانتقاء والتأليف، وحسب متطلبات المقام. والصورُ الأسلوبية قائمة على أوضاع الإسناد التي تنتجها أحكام التعلق، أثناء توالي الألفاظ وعلاقات التجاور التي تنظم الصيغ التعبيرية المختلفة، والمراعية لمقتضى المعنى المرصود، وأحوال المقام المطلوب، فالقصد من هذا النظم (**علم المعاني- أي معاني النحو- فهذه المعاني هي التي يترابط بها الكلام، ويتعلق بعضه ببعض تعلقا خاصا يحدث الأثر البلاغي المطلوب في رأي عبد القاهر**)(١).

ونظرية النظم ذات أثر كبير في الدرس اللغوي العربي، أبانت عن تفاعل مكوناته البنيوية والمعنوية، وبنياته النظمية والنحوية، وهي أقرب إلى النظرية التفاعلية بين المستويات اللسانية المشكلة للصور الأسلوبية العربية، فقد رسم الجرجاني (**طريقا جديدا للبحث النحوي، تجاوز**

---

(١) عفت الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم، ص١٧، فـ(الجرجاني تجاوز مرحلة النظر في أحكام النحو باعتبارها قوانين مجردة إلى مرحلة النظر في هذه الأحكام باعتبارها أدوات لتحليل النص الأدبي وفهم الأسلوب، ومع ذلك فهو لم يرفض المصطلحات والمفاهيم النقدية، بل عدّها جميعا أدوات ووسائل لتحليل الكلام، وفهمه بصورة أفضل وأعمق). سمير شريف استيتية، منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص، ص٢١-٢٢.

أواخر الكلم وعلامات الإعراب، وبيّن أنّ للكلام نظما، وأنّ رعاية هذا النظم واتباع قوانينه هي السبيل إلى الإبانة والإفهام)[1].

فقد ثبت تنظيرا وممارسة الترابط العلمي بين النظم والمعاني النحوية، وبين الموروث الفكري والرصيد النحوي، وهو الأساس الذي قامت عليه آلية التعلق عند علماء العربية، وأرست معالمه نظرية الجرجاني النظمية التي أرسى أسسها علماء اللغة والنحو يتقدّمهم سيبويه في مؤلفه (**الكتاب**)، حيث الاعتماد أوّلا وأخيرا على دور الرصيد النحوي في توجيه الموروث البلاغي/ المعنوي والبياني، وهو ذو أثر في تأليف الصيغ النظمية ذات المزية الفنية، والجمالية التعبيرية، **(فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا، وخطؤه إن كان خطأ، إلى النظم، ويدخل تحت هذا الاسم، إلّا وهو معنى من معاني النحو)**[2]. فالقاعدة النحوية أساس في الأوضاع النظمية، وجوهر الصيغ المعنوية والبيانية/ الجمالية، وكل إخلال بالأوضاع النحوية يعد إسقاطا لأوضاع التعلق، وإفسادا لكل الأوضاع اللغوية القائمة على حسن ضبط علاقات الإسناد، ذلك أنّ أحكام إسناد الفعل إلى الاسم، وأوضاع النحو بين

---

(١) إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، ص١٦.

(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٨٢-٨٣. سيلاحظ قارئ (دلائل الإعجاز) (أن الجرجاني يراعي النحو في كل أفكاره...، منتخبا إياه على غيره من العلوم لتأكيد آرائه) عبد النبي هماني، جمالية تحليل الخطاب، ص٤٣.

أجزاء القول محكمة بقوة القواعد النحوية، وينبغي مراعاتها عند التفكيك لكل وضع نظمي، ولكل بنية دلالية لا تنفك عن أوضاع المعنى/ المضمون، إلى جانب أوضاع الجمال/ الشكل، وهي أوضاع المزيّة والفضل التي تودّ إرساءها صيغ النظم القائمة حتما على قواعد الإسناد، والذين يحطون من قيمة هذا التعلق إنّما يغالطون جوهر الوضع النظمي للصور الأسلوبية، ف(**لا بدّ من مسند ومسند إليه، وهما ركنا الجملة الأساسيان،.. فالنظم عند عبد القاهر ليس سوى حكم من النحو نتوخاه**)[1].

تغدو الضوابط والأصول النحوية منبعا للإضاءة الأسلوبية المتميزة، والظواهر الجمالية للأوضاع اللغوية التي ستصبح أفقا رحبا من الدلالة المتميّزة، وسيحيل هذا الاستنطاق الدرس النحوي درسا راقيا يدفع إلى الاستغلال الوظيفي لقواعد اللغة العربية، وإلى الاستخدام الجمالي القادر على إفراز الظواهر الأسلوبية المتميّزة، وعناصر اللغة المتفاعلة والقادرة على استغلال كيمياء كل خلطة لسانية لأجل كل أفق تعبيري مشبع بالجمالية، فاعل وقادر على التأثير في الأذواق التي مجّت الصورة الأسلوبية المتداولة نحو فضاء رحب من الصيغ التعبيرية الخاصة،

---

(١) حاتم صالح الضامن، نظرية النظم: تاريخ وتطور، ص٤٩. وانظر قواعد التعلق عند أحمد مختار عمر، علم الدلالة، ص٧٥.

فإدراك المعنى الفني مرتبط بإدراك عناصر الجودة الفنية في التعبير، كما أنّ دلالة هذا التعبير رهينة بأحكام التعلق بين الأوضاع اللفظية التي تقدم ما يسميه الجرجاني معنى المعنى، وهو بذلك يخضع كل نشاط لغوي لمنطق هذه الأحكام، ففي قوله تعالى: ﴿وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا﴾[1]، شيء **(آخر من جنس النظم، وهو تعريف (الرأس) بالألف واللام، وإفادة معنى الإضافة من غير إضافة، وهو أحدُ ما أوجبَ المزيّة)**[2].

لا يخفى أثر الدرس النحوي في أقسام الدرس البلاغي العربي، وبخاصة علم المعاني الذي كان ثمرة ناضجة من ثمار جهود علماء العربية، وبخاصة النحاة في المراحل الأولى لإرساء نحو القواعد، والبحث عن سبل التناسب بين النحوي والقرآني/ المقدّس، وبينه والفني/ الشعري، المتداول. وقد ترعرع هذا العلم في رحاب الدراسات النحوية التي تخطت الأمر إلى الكشف عن الأوضاع النظمية المختلفة، وإلى الملامح الجمالية القائمة عليها. هكذا يغدو النحو حاسما في حصر الدلالة العميقة والمنشودة، وسبل إبلاغها الجمالية، ووسيلةً من وسائل الرقي إلى سلم الكشف عن أدوات التصوير، والانتقال من الواقعي إلى المتخيل، وأساسا من أسس الجودة التعبيرية والبلاغية،

---

(١) القرآن الكريم، رواية الإمام ورش، (القاهرة: دار المصحف، (د. ت))، سورة مريم، الآية ٣.

(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص١٠٢.

وملمحا من ملامح البراعة القادرة على الإغراء، وعلى التسابق لامتلاك هذه الناصية المؤثرة في كل صياغة لغوية قادرة على دفع المتلقي نحو آفاق المعاني والخيال وصناعة الصورة الفنية، ويمكن الاستدلال على ذلك بمحاولة الجرجاني توضيح وتحليل جملة من قواعد الإسناد، ودورها في تشكل جمالية عدد من الصيغ النظمية التي يتألف منها قول المتنبي(**ت٣٥٤هـ**):

غَصبَ الدَّهرَ والملوكَ عليْها فبنَاها في وجنَة الدَّهر خَالا[١]

فـ(**موضع الأعجوبة في أنْ أخرج الكلامَ مُخرجه الذي ترى، وأنْ أتى (بالخال) منصوبا على الحال من قوله (فبناها)**)[٢]. فالقيم الفنية غير مرتبطة بقصد المتكلم ونيّته، وإنما بالصيغ النظمية والاستخدامات اللغوية القائمة أساسا على مختلف أشكال التعلق، ذلك أنّ المعاني النحوية ذات دور في قيم النظم، ورسم ملامحه الجمالية، وتوليد دلالات عميقة بآليات يمتزج فيها كيمياء مستويات اللسان، وأثر القاعدة

---

(١) العكبري(٦١٦هـ)، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي(ت٣٥٤هـ)، ٣/ ١٤٥.

(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص١٠٣. فالجرجاني يقصد التعلق أو الرصف غير العادي، وهو الرصف الخاص الذي ينسجم والقصد إلى المباحث البلاغية غير (جافة قائمة على الحدود والتعريفات، بل كانت بلاغية تطبيقية، فالاستعارة، والكناية، والتمثيل، وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم) محمد عزام، من دلائل الإعجاز في علم المعاني، ص٢٤.

النحوية والصرفية بضوابط الفن والجمال. فالترابط قويّ بين بنية نظمية خاصة وما تحكمها من أواصر التعلق النحوي، ومسألة إبطال أو صحة الصورة الشعرية المراد تخيلها، فهو النظم الذي يعدّ فيه (**حال المنظوم بعضه من بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضمّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتفق**)[1]، فالملاحة في قول بعض الأعراب:

اللّيـــــلُ داجٍ كَنَفَـــا جِلبابِـــــه   والبـــينُ محجـــورٌ علـــى غُرابِـــه

(**أنْ جعل (الليل) مبتدأ، وجعل (داج) خبرا له وفعلا لما بعده وهو (الكَنَفَان)، وأضاف (الجلباب) إلى ضمير (الليل)، ولأن جعل كذلك (البينَ) مبتدأ، وأجرى محجورًا خبرًا عنه، وأن أخرج اللفظ على (مفعول)**)[2]. يشبه ذلك قول ابن المعتز (ت**٢٩٦هـ**):

يَـــــا مِسْكَـــــــةَ العَطَّـــــــارِ   وَخَـــــالَ وَجْـــــهِ النهَـــــارِ[3]

فـ«**الملاحة في الإضافة بعد الإضافة، لا في استعارة لفظة (الخال)**»[4].

---

(١) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص٤٩.

(٢) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص١٠٢-١٠٣. فالعلاقة بين النحو والبيان وطيدة، ذلك أنّ علم النحو (في علم البيان من المنظوم والمنثور بمنزلة أبجد في تعليم الخط، وهو أول ما ينبغي إتقان معرفته لكل أحد ينطق باللسان العربي) ابن الأثير (ت٦٣٧هـ)، المثل السائر، ١/ ٤١.

(٣) ابن المعتز (ت٢٩٦هـ)، ديوان أشعار الأمير أبي العباس، ١/ ١٨٠.

(٤) الجرجاني، دلائل الإعجاز، ص١٠٣.

لقد أصبحت النظرة الضيقة للقاعدة النحوية ولأثرها في الفعل النظمي متجاوزة، ولم تعد المعاني النحوية محصورة في مستوى التقعيد الذي يضمن للنظم سلامة النحو واللغة، ولم يعد الإعراب آلية لضبط هذه السلامة من خلال الحرص على الترابط المنطقي والعلمي بين العلامات الإعرابية والعوامل النحوية، وفق أصول نظرية العامل المشهورة والفاعلة في قواعد النحو العربي، بل أصبحت الرؤية أعمق وأرحب، وأصبح العامل النحوي وآلياته الإعرابية أدوات فعّالة في رسم الملمح الجمالي والفني للصور الأسلوبية على اختلافها، وقادرة على استفزاز القارئ المتميّز لسبر أغوار هذا الملمح، ورصد الأبعاد الدلالية العميقة، والجوانب الجمالية لمختلف الاستخدامات اللغوية، فأساسُ النظم المعاني النحوية، ومناطُ القيم الفنية القدرة على التشغيل الوظيفي للأساس النحوي، وعلى تقديم صيغ تعبيرية يختلف مستواها الجمالي باختلاف صورها النظمية، ومعانيها النحوية المتخيّرة، فينبغي **(أن نكون على بصيرة بتفرقة عبد القاهر الضمنية بين) أصول النحو (التي هي قوانين التركيب التي يحصرها في مدخل دلائل الإعجاز)، و(علم النحو (الذي يحاول عبد القاهر أن يرسي قواعده)**[1].

لقد انتفع النحو بنظرية النظم وبجهود طبقة خاصة من علماء

---

(١) نصر أبو زيد، مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني، ص١٥.

العربية، واجتهادات النحاة الحقيقيين، وظلت شامخة عند تجاوزها للحدود النحوية، إلى أفق الاجتهاد والتنقيب عن دلائل الإعجاز، وهو في الواقع تنقيب عن مواطن الجمال، وعن مواقع تميّز الصور الأسلوبية عن غيرها من الاستخدامات اللغوية بفضل البنيات النظمية القائمة على الاستغلال الوظيفي والجمالي للنحو في علاقته بالدلالة العميقة المراد تبليغها.

وينبغي التنبيه إلى دور هذه النقلة الوظيفية من الوضع التقعيدي إلى الرصد الجمالي، في البحث عن مواقع التفاعل المتميّز في الاستعمال اللغوي/ النظمي، بين المعنى النحوي والدلالة، فـ(**قد أكد عبد القاهر أثر التركيب النحوي في المعنى، وما يترتب على ذلك من بلاغة التعبير، فتعلق بآفاق من النحو الجمالي تتجاوز مجال البحث في الصواب والخطأ الذي طالما شغل النحويين الخلص**)[1]. إنّ الانتقال من الاهتمام بالمعنى الوضعي إلى المعنى التركيبي قد دفع الاتجاه البلاغي من خلال (**دلائل الإعجاز**) و(**أسرار البلاغة**) لعبد القاهر الجرجاني إلى شقّ الطريق أمام منهج من مناهج النقد الأدبي، يرجع له الفضل في

(١) عفت الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم، ص١٧. فـ(المعاني النحوية لترتبط ارتباطا كبيرا بنظرية النظم عنده إن لم تكن هي نفسها من حيث تعليق كل كلمة بما يجاورها من الكلمات) أحمد سليمان ياقوت، دراسات نحوية في خصائص ابن جني، ص١٩٩.

التناول المتميّز للمعاني النحوية والدلالية التي اتخذت من الصيغ التعبيرية موضوعا للبحث والدراسة، مثل أساليب النفي والنهي والاستفهام والنداء والندبة وغير ذلك من التراكيب العربية التي لم يقتصر بحثها على الأدوات والمكونات التركيبية والمعاني المرتبطة بها، بل تجاوزت ذلك إلى ما عُدَّ مبحثا جديدا من مباحث الدرس البلاغي العربي، و(**النحو العربي أحوج ما يكون إلى أن يدعي لنفسه هذا القسم من أقسام البلاغة الذي يسمّى علم المعاني حتى إنّه ليحسن في رأيي أن يكون علم المعاني قمّة الدراسة النحوية أو فلسفتها إن صحّ هذا التعبير**)(١).

٢. الدرس النحوي والمعنى التركيبي:

استفاد عبد القاهر الجرجاني(**ت٤٧١هـ**) من هذا الاجتهاد اللغوي الذي قام به عدد من علماء النحو والعربية، وعلماء معاني وإعراب القرآن، كما استفاد الدرس اللغوي العربي على يديه من أهل التفسير الذين بحثوا في مظاهر وتجليات الإعجاز القرآني، لذلك عُدّ مرحلة علمية متقدمة من مراحل الاستفادة من علوم العربية وتداخل مستويات اللسان العربي، من نحو وصرف ومعجم وتركيب وصوت، كما عُدّ حلقة مهمة من حلقات الدرس النحوي واستغلال أسراره، ومشهدا

---

(١) تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، ص١٨.

أخيرا (**في سلسلة الجهود السابقة عليه في مجال النقد والنحو والبلاغة، كما يمثل كمال الإفادة من هذه العلوم الثلاثة في بلورة مفهوم نحوي جديد يكون -في جوهره - نظرية مكتملة في فهم النص الأدبي من خلال صياغته**)[1]. وسيعمل كتاب (**دلائل الإعجاز**) إلى جانب (**أسرار البلاغة**) على إبراز دور علاقات الإسناد، في صياغة الصور النظمية، حيث يلعب النحو دورا جماليا مؤثرا في تشكل الظواهر اللغوية، والاختلاف فيما بينها من حيث تميز ظاهرة أسلوبية معينة عن أخرى، حيث (**لا يستقيم التبين اللغوي إلا باستيفاء المواضعات اللغوية لمعانيها، وباحترام العلاقات التجاورية لحدود اللغة**)[2]، وكان علم المعاني مسؤولا عن هذا التجاوز في تناول الظاهرة الأسلوبية، كما كان ملتقى نحو القواعد والدراسة الجمالية لكل نظم، ولا شك أنّ إلحاق هذا النوع من الدراسات، والاجتهاد الجمالي، بمعطيات الدرس النحوي، سيعمل على إحيائه، وبعث الروح فيه من جديد، وغزارة المادة النحوية والفنية، وسيجعل هذا الدرس رحبا، وأفقه البحثي شاسعا، وقد استطاع عبد القاهر الجرجاني استيعاب هذا التصور في ثنايا التنقيب عن دلائل الإعجاز في الأوضاع النظمية القرآنية، التي تجاوزها

---

(١) محمد عبد المطلب، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، ص٢٥.

(٢) عبد النبي هماني، ظاهرة الإعراب بين المواضعات اللغوية والعلاقات التجاورية، ص٥٤.

إلى الصيغ الفنية/ الشعرية، حيث غدا (**النحو العربي نحوا إبداعيا ذا وظيفة مزدوجة، يحقق سلامة اللغة وسلامة التواصل، ويساهم في الجمالية اللغوية والأسلوبية، إلى جانب غيره من علوم العربية**)[١]، وجدير بالدارس العربي أن يعيد هذا العلم إلى حظيرة الدرس النحوي، ليتمكن على إثر ذلك من إعادة قراءة التراث اللغوي العربي قراءة جديدة ومتميّزة، تعترف بأثر المعاني النحوية على النظرية النظمية القائمة على تمازج النحوي والبلاغي، ودور ذلك في تشكل التعبير اللغوي/ الفني، المتميّز، فحسب عبد القاهر الجرجاني (**ثمة فرق كبير بين اللغة والأدب، وإن الألفاظ والقواعد النحوية لا قيمة لها في معجمات اللغة وكتب النحو، وإنما مدار الأمر وقف على وضع هذه المواد الأولية في نظم أو نسق يتصرف فيه الأديب بوجوه النحو واللفظ**)[٢]. فالتماسك النحوي البلاغي والنقدي قد أبعد الدرس النحوي عن نعوت القواعد النحوية الصارمة التي غدت متجاوزة بحكم المباحث البلاغية التي تسير بجوار المباحث النحوية في إطار منهج متكامل لدراسة الصور الأسلوبية قصد الوقوف على دلائل إعجازها وأسرار بلاغتها، هذا المنهج الذي أصبح قادرا على كشف التداخل والتفاعل الموجود بين قيم التعبير الفنية وخصوصية المعاني النحوية،

(١) عبد النبي هماني، آليات تحليل الخطاب، ص٨٧.

(٢) إبراهيم خليل، الأسلوبية ونظرية النص، ص٤٨.

والإفصاح عن الدلالات المقصودة على الوجه العلمي الدقيق، وعن أسرار الاستخدامات اللغوية الجمالية، ومواقع الجودة الفنية القائمة على الاختيار الواعي، وحسن التأليف، حيث أضحت القواعد النحوية عند الجرجاني، **(من طرق التصوير والصياغة ومعيارا يهتدى به في البراعة يقوم أساسا على نوع من الانتقاء والاختيار)**[1].

لقد ألح الجرجاني في **(الدلائل)** على هذا التماسك الكلي والمؤثر بين المعاني النحوية والصيغ النظمية البلاغية، لدوره في الإبانة عن الأسرار الجمالية لمختلف الصور التعبيرية، بالاعتماد على دربة ومقدرة القارئ في التعامل مع الوضعيات اللغوية المختلفة، وإبراز الفروق النظمية الموجودة بينها، والخلفيات الجمالية والإبداعية الكامنة وراءها، ولإنجاح ذلك ينبغي التوفر على التكامل المعرفي والمنهجي اللازم، وتعميق الدراسة الذوقية، والوقوف على مكونات الظاهرة الأسلوبية اللغوية والدلالية، في علاقتها بالسياق ومقتضى الحال، ومخالفة الوضع اللفظي للدرس النحوي، وهو الوضع الشائع البعيد عن البحث في دلائل ومواقع الجمال، والقيم الفنية، والوعي بهذه المفارقة ضروري لتجاوز نحو القواعد إلى نحو المعاني، أو تجاوز المحفوظ من القواعد نحو الاستعمال، فقد أصبح النحو **(يستهدف تبعا لذلك طبيعة الوحدات الكلية وعلاقاتها التجاورية التي يبدعها**

---

(١) حلمي خليل، العربية والغموض، ص٢٠.

النحو)[1].

الإدراك العميق لخصوصية الصور الأسلوبية القائمة على الأوضاع اللفظية وعلاقات الإسناد، يؤدي إلى الإيمان برحابة الدرس النحوي، واتساع أفق مباحثه، والقدرة على استغلال معطياته وإمكاناته النحوية استغلالا خاصا، جعلت أثره قويّا من خلال علوم البلاغة/ المعاني والبيان، في الصيغ النظمية، وفي مجال الأداء الفني/ الشعري والنثري، حيث لكل بناء نظمي الخصوصية النظمية، والمجال النحوي الذي ينبغي أن يتحرك فيه، فالأداءُ الشعري فضاء خاص ورحب لبناء نحوي متميّز، وشكلٌ تعبيري ذو طبيعة مستقلة وقائمة على نحو متداخل بين الصور الشعرية والعناصر الصوتية والإيقاعية، مما يوحي بالإمكانات الدلالية الرحبة، والخصوصيات الجمالية المتميّزة، **(فاعلم أنّه ليس يُنبئك عن أحوال ترجع إلى أجراس الحروف، وإلى ظاهر الوضع اللغوي، بل إلى أمر يقع من المرء في فؤاده، وفضل يقتدحه العقل من زناده)**[2]. فالمزية عند الجرجاني رهينة بالبناء الفني والنظام المتكامل للصيغ التعبيرية والنحوية، تمنحه إمكانات عديدة، تجعل المتكلم إزاء اختيارات نظمية لسلسلة من الأوضاع اللفظية، التي ستشكل بفعل

---

(١) محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ص٤٢.

(٢) الجرجاني(ت٤٧١هـ)، أسرار البلاغة، ص٥-٦.

أوضاع التعلق صورا أسلوبية واستخدامات لغوية، تتداخل فيها الأفكار والمعاني تداخلا خاصًّا، واختيار الصور النحوية على هذا الأساس اهتداء إلى جمالية التعبير، وإلى صياغته وفق الحاجة ومقتضى المقام، وتكريس لآلية النحو وقدرتها على تقديم أنساق متميّزة، تتجاوز فيها القاعدة/ الحقيقة، إلى الاستعمال/ التعبير المجازي، (**ومن ثمّ، فإنّ إدراك عبد القاهر لأهمية الجانب الدلالي، لم يكن إدراكا بأهميته التفسيرية باعتباره مكونًا تفسيريًّا فحسب، كما يذكر ذلك تشومسكي، بل إدراك بأهميته باعتباره ندّا مماثلا للتركيب النحوي**)[1]. فالنحو قد أخذ نهجه العقلي، وتجاوز أعتاب الوسيلة التواصلية الأولى والبسيطة إلى وضع التوليد الجمالي القادر على تقديم صيغ فنية، قادرة على تبليغ القصد، وقد تبلور جهد عبد القاهر الجرجاني (**في إعطاء النحو إمكانات تركيبية مستمدة من قواعده العقلية، بحيث أصبحت هذه الإمكانات أشبه شيء بصندوق مغلق، له مدخل ومخرج، تدخل فيه المفردات وتتفاعل، ثم تخرج على الصورة التأليفية الجديدة، ونحن لا نلمس سوى المظهر المادي للعملية، أمّا الجانب العقلي فهو خفي داخل الصندوق**)[2].

---

(١) حسام البهنساوي، أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث، ص٣٨-٣٩.

(٢) محمد عبد المطلب، النحو بين عبد القاهر وتشومسكي، ص٢٨-٢٩.

خاتمة: اعتناء النحو بالمعنى يؤكد رأي الذين يعدّون علم المعاني قمّة الدراسة النحوية، ويلحون على عدّه مستوى راقيا من مستويات ما يمكن أن أسميه بالنحو الوظيفي والجمالي، ويعدّون هذا الإلحاق تكريسا لأدوار علم النحو في تشكيل الصيغ النظمية على اختلافها، وإحياءً لروحه التي أزهقت على يد بعض علماء القواعد والتصنيف، كما أثبت اعتناء النحاة بالمعاني النحوية إدراكا مهما لاختلافها تبعًا لاختلاف التغيرات التركيبية، فالخبرة بالتركيب اللغوي هي في ذات الوقت جلاء للغرض المعبر عنه.

لقد كرّست العلاقة بين القاعدة والدلالة دور النحو في جمالية اللغة، فهو الرابط بين صيغها، المساعد على تجاوز أوضاع الصياغة إلى مرحلة التميّز والخصوصية، ذلك أنّ قوام التعبير عناصر القاعدة والجمال، والإمكانات التركيبية للمفردات اللغوية، وقد تجلى ذلك بوضوح في أعمال عدد من النحاة وعلماء العربية الذين كشفوا عن قدرة المتكلم العربي على تشكيل المعاني بالزيادة والنقصان في الصيغ النظمية على اختلافها، وأبانوا عن قدرة النحو على تقديم نسق من القواعد والجمال الأسلوبي من خلال نظم الكلمات وفق قواعد الصياغة التعبيرية، التي ليست في جوهرها إلا إمكانات متميّزة يتيحها النحو لإكساب البناء النظمي القيمَ الفنيةَ.

كما أكّدت هذه العلاقة تأرجح البناء اللغوي بين الاختيارات

النحوية والأوضاع اللفظية لدور قواعد النحو في تشكيل النسق الفني والجمالي للبنية النظمية، ذلك أن النظم علمٌ للمعاني، وعلمٌ لفن العبارة، وشكَّل نظريةً لفهم العلاقات النحوية بين الكلمات وبين التراكيب؛ لأنّ مدارها المعاني النحوية التي تختلف باختلاف الوجوه العديدة التي يمكن أن تكون عليها الاستعمالات اللغوية.

إنّ ارتباط النحو بالنظم، وعلم المعاني بالمزيّة، في الدرس اللغوي العربي ليعكس تداخل آليات الخطاب العربي، وتفاعلها المؤدي إلى فنية اللغة وجمالها، وما الفصل بين النحو وعلم المعاني إلا انحراف عن مسار الدرس النحوي، الذي أضحى لفظيا عند بعض نحاة العربية، دفعهم إلى عملية الاختزال في نظرية العامل.

في المقابل اتجه أهل المعاني الذين عُدّوا نحاة حقيقيين إلى تجاوز الضوابط النحوية التي تروم الصواب والخطأ، والأصول النحوية إلى وضع العملية النظمية القادرة على كشف جمالية الصور الأسلوبية، ودور الاستغلال الخاص للنحو في تشكيلها، من أهمّ هؤلاء عبد القاهر الجرجاني(ت٤٧١هـ) الذي استطاع بفضل منهجه العقلي استغلال المعطيات المعرفية والمنهجية لعلوم العربية لتقديم مفهوم جديد للنحو، حيث غزرت المادة النحوية لديه، واتسع أفقها، وأضحت قواعد النحو من طرق التصوير والصياغة، وأساسا نحو القيم الفنية، وهو الشيء الذي دفعه إلى إخضاع كل نشاط لغوي لدور القواعد النحوية في

الأوضاع اللفظية، وعدِّ أبواب النحو أصولَ علم المعاني، وعلم البيان، وذات فضل في دراسة الأسرار التي تضمها الصور الفنية.

لقد أخذ النحو عند أهل المعاني شكله العقلي، وغدا أساسيا لتوليد القيم الفنية، وإدراك المقاصد الواعية للإنسان، وقادرا على تجاوز دور القواعد إلى وظيفة توليد دلالات ذات قيم ومقاصد فنية، وبهذا التوجه نستطيع إحداث التناسب المنشود بين الأشكال الفنية والجوانب النحوية اعتمادا على الوصف والعقل، وعلى التشغيل الوظيفي للقواعد النحوية رفقة المعاني البلاغية بأسلوب أجمل وأرقى.

ثبت المصادر والمراجع

١- **القرآن الكريم**، رواية الإمام ورش، (القاهرة: دار المصحف، (د. ت)).

٢- إبراهيم خليل، **الأسلوبية ونظرية النص**، (بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط ١، ١٩٩٧).

٣- إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، ط ٢، ١٩٩٢).

٤- ابن الأثير(**ت٦٣٧هـ**)، ضياء الدين نصر الله بن محمد، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق أحمد الحوفي، بدوي طبانة، (القاهرة: دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط ٢، (د. ت)).

٥- أحمد سليمان ياقوت، **دراسات نحوية في خصائص ابن جني**، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٤١٠هـ-١٩٩٠م).

٦- أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، (القاهرة: عالم الكتب، ط ٦، ٢٠٠٦).

٧- تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، (الدار البيضاء: دار الثقافة، (د. ت)).

٨- الجرجاني (**ت٤٧١هـ**)، عبد القاهر بن عبد الرحمن، **أسرار البلاغة**، تحقيق محمود محمد شاكر، (جدّة: دار المدني، ط ١، ١٩٩١).

٩- الجرجاني(**ت٤٧١هـ**)، عبد القاهر بن عبد الرحمن، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمود محمد شاكر، (القاهرة: مطبعة المدني، ط ٢، ١٤١٠هـ-١٩٨٩م).

١٠- ابن جني(**ت٣٩٢هـ**)، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، (المكتبة العلمية، (د. ت)).

١١- حاتم صالح الضامن، **نظرية النظم: تاريخ وتطور**، (بغداد: وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٧٩).

١٢- حسام البهنساوي، **أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث**، (القاهرة: مكتبة الثقافة الدينية، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م).

١٣- حلمي خليل، **العربية والغموض**، دراسة لغوية في دلالة المبنى على المعنى، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ط ١، ١٩٨٨).

١٤- درويش الجندي، **نظرية عبد القاهر في النظم**، (القاهرة: مكتبة نهضة مصر، ١٩٩٠).

١٥- ستيفن أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ترجمة كمال محمد بشر، (القاهرة: مكتبة الشباب، ١٩٧٥).

١٦- سمير شريف استيتية، **اللسانيات: المجال والوظيفة والمنهج**، (إربد، الأردن: عالم الكتب، ط ٢، ٢٠٠٨).

١٧- سمير شريف استيتية، **منازل الرؤية: منهج تكاملي في قراءة النص**، (عمّان: دار وائل، ط ١، ٢٠٠٣).

١٨- السيد فضل، **جماليات اللغة بين القاعدة والاستعمال**، دراسة في أصول النقد العربي، (الإسكندرية: منشأة المعارف، (د. ت)).

١٩- عبد العزيز عبده أبو عبد الله، **المعنى والإعراب عند النحويين ونظرية العامل**، (طرابلس، ليبيا: منشورات الكتاب والتوزيع، ط ١، ١٣٩١هـ-١٩٨٢م).

٢٠- عبد القادر حسين، **أثر النحاة في البحث البلاغي**، (القاهرة: دار نهضة مصر، (د. ت)).

٢١- عبد النبي هماني، **آليات تحليل الخطاب**، تفاعل المبنى والمعنى في الدرس اللغوي العربي، (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠١٥).

٢٢- عبد النبي هماني، **جمالية تحليل الخطاب**، دراسة لغوية وظيفية لبدائع الفوائد لابن قيم الجوزية(**ت٧٥١هـ**)، (الدار البيضاء: أفريقيا الشرق، ط ١، ٢٠١٤).

٢٣- عبد النبي هماني، **ظاهرة الإعراب بين المواضعات اللغوية والعلاقات التجاورية**، (الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، تبين للدراسات الفكرية والثقافية، العدد ٧، المجلد ٢، شتاء ٢٠١٤).

٢٤- عبد النبي هماني، **نظرية الإعراب بين فاعلية العامل وتضافر القرائن**، قراءة في البديل الجديد لتمام حسّان، (جدة: النادي الأدبي الثقافي، جذور، العدد ٣٦، مارس ٢٠١٤).

٢٥- عفت الشرقاوي، **بلاغة العطف في القرآن الكريم**، دراسة أسلوبية، (بيروت: دار النهضة العربية، ١٩٨١).

٢٦- العكبري (٦١٦هـ)، أبو البقاء، **ديوان أبي الطيب المتنبي (ت٣٥٤هـ)**، تحقيق مصطفى السقا، إبراهيم الإبياري، عبد الحفيظ شلبي، (بيروت: دار المعرفة للطباعة والنشر، ١٣٩٧ه-١٩٧٨م).

٢٧- كريم زكي حسام الدين، **أصول تراثية في اللسانيات الحديثة**، (القاهرة: الرشاد للطباعة، ط ٣، ٢٠٠١).

٢٨- كمال محمد بشر، **دراسات في علم اللغة**، (القاهرة: دار المعارف، ط ٩، ١٩٨٦).

٢٩- محمد عبد المطلب، **البلاغة والأسلوبية**، (بيروت: الشركة المصرية العالمية للنشر، الجيزة: لونجمان، ط ١، ١٩٩٤).

٣٠- محمد عبد المطلب، **النحو بين عبد القاهر وتشومسكي**، (فصول، المجلد ٥، العدد ١، ١٩٨٤).

٣١- محمد عزام، **من دلائل الإعجاز في علم المعاني**، (دمشق: وزارة الثقافة، ١٩٩٨).

٣٢- ابن المعتز(ت٢٩٦هـ)، أبو العباس عبد الله بن محمد، **ديوان أشعار الأمير أبي العباس**، تحقيق محمد بديع شريف، (القاهرة: دار المعارف، ١٩٧٧).

٣٣- منيرة بنت سليمان العلولا، **الإعراب وأثره في ضبط المعنى**، دراسة نحوية قرآنية، (الإسكندرية: دار المعرفة الجامعية، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م).

٣٤- مهدي المخزومي، **في النحو العربي**، نقد وتوجيه، (بيروت: دار الرائد العربي، ط ٢، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م).

٣٥- نصر أبو زيد، **مفهوم النظم عند عبد القاهر الجرجاني**، قراءة في ضوء الأسلوبية، (فصول، المجلد ٥، العدد ١، ١٩٨٤).

٣٦- وليد محمد مراد، **نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني**، (دمشق: دار الفكر، ط ١، ١٩٨٣).



استعارة التراث في الفن

دراسة في مجموعة «أوراق شابٍّ عاش منذُ ألف عام» لجمال الغيطاني

د. أحمد يحيى علي

- من مصر، مواليد ١٩٧٨م، أستاذ مساعد بقسم اللغة العربية، كلية الألسن بجامعة عين شمس. دكتوراه الألسن في الأدب والنقد عام ٢٠٠٨م (مرتبة الشرف الأولى)، عن موضوع «شخصية المرأة في القص التفسيري للأمثال في مجمع الميداني: دراسة في ضوء علم السرد».

الملخص العربي:

تهدف هذه الدراسة إلى تناول قضية الاستعارة في النص الأدبي وبيان دورها في صياغة رؤية مميزة للعالم المحيط بالذات، وفي الكشف عن خصوصية التجربة المتصلة بصاحب النص، وبيان الأثر الفاعل لسياق الخارج المحيط بعالم الفن في شحنة الخيال التي تظهر أمام القراء محملا بها، وكان المجال التطبيقي لهذه الدراسة مجموعة «أوراق شاب عاش منذ ألف عام» لجمال الغيطاني (ت٢٠١٥) التي ترصد موقفا مأزوما هو انكسار الجماعة المصرية والعربية في يونيو من العام ٦٧ من القرن الماضي وكيف تم تحويل هذا الموقف إلى بنية جمالية كان للاستعارة دور في تجليها، وخلف هذه الصياغة الجمالية يتبين الخيط الواصل بين الغيطاني والتاريخ المصري متمثلا في إفادته من المؤرخ المصري ابن إياس (ت ١٥٢٣م)، وكتابه «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، وقد حاولت الدراسة الوقوف على أنماط الاستعارة من خلال المعالجة التطبيقية لهذه المجموعة القصصية في إطار ثنائية أثيرة هي (داخل النص وخارجه) وبيان ما للاستعارة من دور في تماسك أجزاء الخطاب الأدبي. **وكلمات الدراسة المفتاحية: الاستعارة، القصة، الخطاب، السرد، التراث.**

Summary

Metaphor's speech in the narrative
Study group "young leaves since he lived a thousand years"
to the beauty of Ghitany

This study aims to address the issue of metaphor in literary text and the statement of its role in the formulation of a distinctive vision of the world ocean in particular and in the disclosure of the privacy of experience related to the owner of the text, and the statement of the actor impact of the context of the outside ambient world of art in a shipment fiction that appears in front of readers loaded with them, and the domain applied for this the study group, "a young man leaves lived a thousand years" to Gamal Ghitani (d. 2015 AD), which monitors Mozuma attitude is the refraction of the Egyptian and Arab community in June of the year 67 of the last century and the stop has been transferred this attitude to the structure of the aesthetic was to borrow a role in the manifestation, and behind this aesthetic wording shows thread linking Ghitani Egyptian history represented in the testimony of the Egyptian historian Ibn Iyas (v 0. 1523 m), and his book "Badaa'i flowers in the Proceedings of the ages, "the study tried to identify patterns to borrow through applied treatment for this collection of short stories in the bilateral framework fond are (inside and outside the text) and a statement of what the metaphor of a role in the cohesion of parts of literary discourse. The key words of the study: the metaphor, story, speech, narrative and the heritage.

- مدخل

تعتمد عملية الإنجاز اللغوي المتصلة بهذه الثنائية الأثيرة (الذات والعالم) على آليتين هما التجسيد والتشخيص - في الغالب -فالمجرد الفكري والعاطفي الذي يتكون نتيجة علاقة هذه الذات بعالمها يُعاد إنتاجه بكيفيات كثيرة، منها اللغة التي تتحرك وفقًا لعمل الذات على أكثر من مسار، منها المعتمد على لغة يمكن نعتها بالمباشرة أو الصريحة (لغة حقل التاريخ أنموذجًا)، ومسار ثان يرتقي في معالجاته لهذا المجرد من عتبة المباشرة إلى عتبة جمالية رمزية، كما هو الشأن بالنسبة إلى صنعة الأدباء في منجزهم شعرًا ونثرًا، وفي هذه المنطقة تبدو عملية التجسيد والتشخيص معانقة لمفردات شديدة الارتباط بعالم الأدب، مثل: الرمز، الغموض، التخييل، الإغراب، التي تمتزج تمامًا بالبنية السطحية اللفظية للعمل(١)، يأتي ذلك في إطار سلطة يتحرك فاعل النص

---

(١) يقترب هذا التناول من لفظة (البيان) التي تشير في دلالتها إلى أشكال التعبير المختلفة التي تعكس الحالة الإدراكية للذات في اتصالها بالعالم، وفي الجذر المتصل بهذه اللفظة (بين) تبدو جلية فكرة المسافة الفاصلة بين هذه الذات والعالم مناط الرؤية التي تنشط في علاقتها به وما يترتب عليها من معنى تتم عملية التعبير عنه بطرق عديدة، وبالنظر إلى جانب اللغة تتخذ هذه العملية مسارين يمكن وضع عنوان عام لكل واحد منهما: الحقيقة، والخيال/ المجاز.

- انظر: ابن منظور، لسان العرب، مادة: بَيَنَ، الموسوعة الشعرية الإلكترونية، ركن المعاجم، المجمع الثقافي العربي، الإمارات العربية المتحدة، إصدار ٢٠٠٣.

=

في فضائها، وتتجلى هذه السلطة في أشكال عدة، سلطة المرجع: التي تلقي بظلال مؤثرة في وعي هذه الذات فتدفعها إلى اتخاذ رؤى إزاءها، وهذه الرؤى تستحيل هي الثانية إلى سلطة يخضع لها هذا الفاعل الفنان فيصير إرضاؤها - يعني خروجها في ثوب جديد تتدثر به لتعبر مرحلة الداخل الذهني والنفسي إلى الخارج حيث فضاء التداول - غاية مرجوة، والحديث عن هذا الثوب يأخذ الفنان إلى سلطة ثالثة هي سلطة الشكل/ النوع الذي تلتحم به هذه الرؤية، وإذا كان الأدب هو هذا الشكل فإن السلطة هاهنا تضحى سلطتين: قانون اللغة الذي يعتمد عليه الأديب في نشاطه البنائي، ومن هذا القانون يشرع هذا الأديب في الوفاء بمتطلبات الشكل الأدبي الذي ينسج أفكاره تبعًا له، إن كان - على سبيل المثال - شعرا أو قصة أو رواية... أو غير ذلك.

هنا يحد حركة المبدع محوران، الأول: محور المرجع اللغوي (محور العلاقات الاستبدالية وفقا لطرح اللغوي دي سوسير) الذي يستقي منه الكاتب مفرداته وتراكيبه بالنظر إلى سلطة الوعاء الذي يأوي إليه بفكره وبقلمه، وعند اكتمال الصياغة الشكلية نجدنا معه أمام محور ثان هو محور العلاقات السياقية الذي نقف معه أمام النسق اللفظي وفي

=

- انظر: مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة بيروت، لبنان، ١٩٨٤، ص٨٠.

منظومة الخيال التي تسكنه يبدو جليا هذا الطابع الرحلي لنشاط الأديب في استخدامه الجمالي لعناصر اللغة[١]؛ ومن ثم يتبين الحضور اللغوي لمفردة (استعارة) الكاشفة لعملية النقل الشكلي هذه من محور العلاقات الاستبدالية (معجم اللغة) إلى فضاء الفن[٢]؛ وهو ما يجعل من كل أداء لغوي بمنزلة إقامة مؤقتة تأتي بإزاء موضع ثابت يعبر عنه المحور الأول في منطوق دي سوسير. ومع هذا الحضور اللغوي لمفردة (الاستعارة) يمكن الوقوف عند البعد المعجمي للفظة خطاب فنحن بصدد حوار/ اتصال تعقده هذه الذات مستخدمة اللغة مع مرجعها (لغتها)؛ لتقرر ما إذا كانت سترتدي في مسارها التعبيري عن أحوالها الذهنية والنفسية لباس المؤرخ أو الصحفي أو ستبتعد عن الاثنين معًا

---

(١) انظر: فردينان دي سوسير، أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ترجمة: د. عز الدين إسماعيل، ط١، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٤١، ٤٢.

(٢) وفي ظل هذا التصور يتبين ما للصلة التي تربط بين البيان والمجاز من أثر في كشف هذه المسافة التي تفصل بين الملفوظ والمراد على مستوى الدلالة بالنظر إلى المتكلم/ المرسل ومقتضيات المقام؛ بما يجعل للمقول منطوقا كان أو مكتوبا بمنزلة غطاء يحجب خروج المعنى المقصود من قبل باث الرسالة بشكل مباشر صريح وتصدير أو لنقل تقديم معاني أخرى يتم اقتناصها للوهلة الأولى عند التعرض لرسالته.

- انظر: السابق، ص٤٢.

- د. يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، ط١، الأهلية للنشر، الأردن، ١٩٩٧، ص٩٩.

لترتدي لباسًا آخر؛ لذا فإن لعبة الأدب عمومًا بكل ألوانها تنطوي على محذوف في مقابل موجود، أو على نفي في مقابل إثبات؛ وهو ما يقيم نوعا من الترابط بين هذا التناول وقضية الاستعارة على المستوى البلاغي (الحضور الاصطلاحي للكلمة) التي تتأسس هي الأخرى على مسألة الحذف؛ وإن كان عمل الأديب في التحامه بمعجم اللغة يعني انتصارا أو تغليبا لمفردات مثل: الرمز والتخييل والغموض، بينما تعتمد الاستعارة في انطلاقها من موضوع الحذف أحد الطرفين لحساب الآخر وتوسيع فكرة الجوار القائمة بينهما وتطويرها كي يصير الاثنان شيئًا واحدًا[١].

ويشجع هذا التناول لموضوع الحذف وصلته بمفردتي الخطاب والاستعارة على محاولة صياغة علاقة بين سياقي الواقع والفن تجعل من حالة الجهر التي تسم هذا الأول مدعاة لحالة صامتة ذات صبغة مخصوصة تسم هذا الثاني وتتأول جماليا بلفظة الرمز التي تعد بمنزلة غلاف يخبئ نظرة الفن إزاء هذا الواقع؛ لذا فإن صنيع المتلقي مع

---

(١) تقود هذه الرؤية إلى ما أورده عبد القاهر الجرجاني بخصوص الاستعارة عندما قال «اعلم أن الاستعارة في الجملة أن يكون لفظ الأصل في الوضع اللغوي معروفا، تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر وغير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية».

- الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، ط١، دار الجيل، بيروت، ١٤١١، ١٩٩١، ص٤٤.

منتجات هذا الفن يأتي منضويا تحت هذه المفردة (الاستنطاق) بهدف إعادة إنتاج ما يمكن أن يمثل قيما فكرية تسكن هذا البناء الفني الظاهر، في جدلية دائرية تبدأ من العالم وتنتهي إليه، وتبدو لعبة التأويل/ الاستكشاف التي يقوم بها هذا المستقبل في نشاطه مع عالم الفن متصلة أو مرادفة لما يمكن تسميته العودة إلى الحقيقة من جديد بعد حالة العبور أو الجواز التي أنجزها الفنان منتقلا برؤاه من شاطئ إلى شاطئ؛ وهو ما يأخذ الذهنية القارئة إلى الحضور المعجمي للفظة (مجاز) وما تنطوي عليه من طابع رحلي يعكس هذه الحركة بين طرفي ثنائية (الواقع والفن) و(الحقيقة والخيال)[1].

ولا شك في أن هذه النزعة الاستكشافية من قبل المتلقي وما يصاحبها من حالة تساؤلية تبغيا إحالة الغموض - وما يعلق به من مصطلحات مثل: خيال، رمز، استعارة، كناية - المهيمن على طقس

---

(١) تشير هذه المعالجة إلى عوامل حاكمة لعملية التأويل هذه، تخضع لما يحظى به المتلقي من قدرات على الفهم والاستيعاب وتجاوز الظاهر/ القريب المأخذ من المعاني إلى ما وراءها، وإلى الجو العام للنص وبنائه التركيبي؛ إذ للسياق أهمية كبيرة في إنتاج المعنى وتوجيهه، ومعظم الكلمات من حيث المفهوم المعجمي دالة على غير معناها؛ ومن ثم فإن السياق يؤدي دورا مؤثرا في تحديد المعنى.
- انظر: د. يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، ص ١٠٤، وص١٦٨.

العمل الفني إلى حقيقة تتصل بما هو كائن في عالم الواقع تضعنا أمام ثنائية (السؤال والجواب)، هذه الثنائية التي تقيم جسورًا للصلة بين كل عمل فني من جانب وما عرف في ثقافتنا العربية منذ القدم باللغز الذي تتأسس بنيته الدرامية المعتمدة على الحوار على طرفي هذه الثنائية؛ وهو ما يفتح الباب أمام الوقوف على مقومات الشبه القائمة بين الاثنين؛ فالجواب في فن اللغز يمثل لحظة التنوير في حكايته، ووصول المتلقي إلى قيم دلالية تكشف له المعتم في بنية الفن الذي يتصدى له عمومًا يعد بمنزلة فك لعقدة ومحطة ختام تستحيل معها شفرات النص إلى دلالات مبينة تعيد حالة الالتحام بين العالمين من جديد: عالم الفن وعالم الحقيقة[1]؛ فإذا كانت البنية اللفظية الظاهرة للإبداع تنطوي على خيال يقتضي حزمة تساؤلات بغرض الفهم فإن فضاء الدلالة الذي ينجزه

---

(١) تعد الأسطورة الأم الحاضنة لأشكال الخيال الإنساني التي تم توظيفها من قبل العنصر البشري في إنجاز حضارته فوق هذه الأرض وفقا لمسلمة الاختلاف العرقي واللغوي والثقافي، ومن هذه الأسطورة انتقلت الذات الإنسانية نقلة نوعية في مسيرها الزماني والمكاني وفي منطلقات الفكر التي تتعامل بها مع العالم المحيط، ويعد اللغز بمنزلة انعكاس لهذا الطور المتقدم في حياة الجماعة؛ فمن مرحلة العجز عن تقديم تأويلات منطقية لما يقع في العالم من ظواهر تتطابق وقوانين العلم تحركت الجماعة بشكل واع باتجاه البناء الواعي لأنماط الفكر.

- انظر: د. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط٣، دار غريب، القاهرة، دون تاريخ، ص١٩١، ٢٠٠، ٢٠٣.

القارئ من خلال تناوله لـه يمثل نقطة التقاء قوية قد تصل إلى درجة التماهي التام بين ما هو متخيل وما هو واقعي؛ ومن ثم يمكن القول: إن الخيال ومتعلقاته المصطلحية قرين الصيغة الشكلية الظاهرة، أما الحقيقة فقرينة المعنى الذي ينتجه القارئ بحكم سعيه التأويلي الساعي إلى التفسير. والحديث عن هذه الحقيقة لا يعني تماما ما يقصده المرسل من وراء رسالته الفنية بقدر ما يعني ما يطرحه المرسل إليه/ المتلقي من رؤى وتصورات ذات صلة بسياق المرجع المتصل بصاحب العمل، وبالواقع الخاص به - أي القارئ - وحضوره فيه وما يترتب عليه من تجارب[1].

وتكتسب هذه الرسالة الفنية هويتها الجمالية من خلال خصوصية تشكيلها؛ إذ يمكن النظر إلى كل بنية فنية؛ بوصفها تخضع لقانون خاص في مسارها البنائي، وجوده يعود إلى عوامل تتعلق بتجربة صاحبها وقراءاته لبني جلدته في الفن نفسه الذي يأوي إليه إبداعه ولغيره؛ ومن ثم فإن متابعة هذه الرسالة الواصلة بينه وبين متلقيه لابد لها أن تؤمن بقناعة مفادها أن تشكيل العمل الفني يقوم على ما يمكن تسميته بوصل وانقطاع؛ أما الوصل فيعتمد على إفادة الفاعل/ الفنان من منتجات غيره

---

(١) انظر: محمد مفتاح، دينامية النص: تنظير وإنجاز، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦، ص٢٤، ٢٥.

ومن السابق الذي أنتجه هو ومن سلطة الفكرة التي تؤدي دورا مؤثرا في توجيه العالم الفني الكاشف لها في مسار محدد لا تكون إلا به، وأما الانقطاع فمرده إلى هذه الصبغة المخصوصة التي تمنح لكل بنية فنية حضورا مميزا عن غيرها بالنسبة إلى النوع الفني الذي تنتمي إليه من جانب، وبالنظر إلى ما قدمه صاحبها من منجزات أخرى في الحقل نفسه الذي صنعها من وحيه من جانب ثان، وفي كلتا الحالتين تبدو فكرة الحذف المؤسسة على انتقاء واختيار حاضرة في مجمل هذه العملية التي تنتهي بالشكل الذي تبثه ذات المبدع إلى فضاء التداول(١).

وتحاول هذه الدراسة من خلال المجال التطبيقي الذي ترتكز عليه الوقوف على حضور مصطلح الاستعارة وصياغته الفنية؛ بوصفه سلطة ومحركا لقلم الكاتب في لعبة أدبية تتخذ من أحد أشكالها هدفا لها بالنظر إلى إحدى التجارب الجمالية الكاشفة؛ ألا وهي تجربة الأديب

(١) إن النص الأدبي ليس بنية مغلقة وليس شكلا فنيا فحسب، بل هو شبكة من أشكال معرفية، ولكنها ليست معطاة مباشرة، بل يجب أن تنتزع من النص، والنص بدوره ليس له وجود ثابت ونهائي؛ فهو لا يتحقق بالفعل إلا في علاقاته مع نصوص أخرى، وفي توالده المستمر عبر قراءات متعددة.
- انظر: بيار ماشيري، بم يفكر الأدب، ترجمة: د. جوزيف ميشال شريم، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩، ص١٥.

المصري جمال الغيطاني[1] في مجموعته القصصية «أوراق شاب عاش ألف عام». وتسعى هذه الأوراق إلى معالجة الأثر الفاعل لهذه السلطة الجمالية في طرفي ثنائية (الشكل والمضمون) وتضع في مرمى رؤيتها تبعًا لذلك صيغًا تساؤلية تسعى تطبيقيًّا إلى تحصيل أجوبة لها:

- ما العلاقة بين مفردة الاستعارة والمرجع الخارجي المتصل بتجربة الكاتب؟

---

(١) جمال الغيطاني من مواليد العام ١٩٤٥، في قرية جهينة بمحافظة سوهاج، نشأ في القاهرة القديمة، حيث عاش في منطقة الجمالية وأمضى فيها ثلاثين عاما، التحق بمدرسة العباسية الثانوية الفنية وتخرج فيها في ١٩٦٢، ثم عمل بعدها رساما بالمؤسسة العامة للتعاون الإنتاجي، عرض عليه محمود أمين العالم المفكر الماركسي أن يعمل معه في مجال الصحافة، وكان في ستينيات القرن الماضي رئيسا لمؤسسة أخبار اليوم الصحفية، بعد أن عمل في الصحافة بدأ يتردد على جبهة القتال بين مصر وإسرائيل وكتب في ذلك تحقيقات صحفية عدة، عمل محررا أدبيا لجريدة الأخبار، ثم رئيسا لتحرير أخبار الأدب مع صدورها في العام ١٩٩٣م، نشرت أول قصة له في يوليو عام ١٩٦٣، بعنوان «زيارة» صدرت مجموعته القصصية «أوراق شاب عاش منذ ألف عام» عام ١٩٦٩، من أعماله: «أرض أرض» (مجموعة قصصية)، و«الزويل» (رواية) و«الزيني بركات» (رواية) و«حكايات الغريب» (مجموعة قصصية) توفي في العام ٢٠١٥.

– انظر: الموقع الرسمي للكاتب جمال الغيطاني على الشبكة الدولية:

www. alghitany. shrouk. com.

- ما قدرة الكاتب على التوظيف البلاغي لهذه المفردة في تشكيل عوالم فنية ترضي متطلبات النوع الأدبي الذي يلجأ إليه في لعبة الإبداع؟

- ما الصلة التي تربط بين مفردتي الاستعارة والتناص في تجربة جمال الغيطاني هذه؟

- ما مدى قدرة المبدع على الإفادة من حقل اللغة في معالجته الجمالية لقضية الاستعارة؟

- ما قدرة الكاتب على توظيف الاستعارة في إيجاد روابط بين ما يبدو متنافرا في سياق عالمه المعيش؟

- ما نشاط المتلقي في عملية استنطاق النص وفك شفرة الرمز المغلف لبنية هذا الشكل الفني؟

وتسعى هذه الدراسة إلى الاعتماد على منهجية تفيد فيها من مقولات الدرس البلاغي حول مصطلح الاستعارة ومن بعض مصطلحات علم السرد الحديث بالنظر إلى المجال التطبيقي لها متمثلا في أحد منتجات فن القصة العربي، ومن مصطلح التناص، ومن بعض مقولات نظرية التلقي وعلم لغة النص فيما يتصل بقضية الإحالة على وجه التحديد.

يقوم البحث على محاور عدة:

- الاستعارة: المصطلح والأداء

- صيغة العنوان وبنية الحذف

- استعارة الحدث ويتضمن:

١- ابن إياس من سياق التاريخ إلى سياق الفن

٢- التماسك النصي والاستعارة

- النص والخارج وتمدد الخطاب الاستعاري

- ختام

أ- الاستعارة: المصطلح والأداء

الاستعارة فعل حركي يعتمد في إنجازه على رؤية تحظى بسمات تتعلق بالإدراك والقدرة على الرصد العبقري لما في العالم، وإنجاز حكم تبعا لذلك، والإدراك والرصد صنوان لا يفترقان يليهما ربط بين ما يبدو في العالم متباعدا متنافرا يحقق على مستوى الفعل الفني الإنجازي تماثلا بين الاثنين يرتفع في هيئته ليصل إلى درجة التوحد التام؛ بفضل عملية الحذف التي ترتقي بعملية الإدراك من منطقة رصد مواطن التقاطع والالتقاء بين شيئين إلى طور أكثر عمقا يختزل المتعدد ويقلل من مساحة حضوره على المستوى الكمي/ الأفقي، عندما تجعل من طرفي عملية التشبيه كيانا واحدًا يراه المتلقي بعدسة الفن[1]؛ ومن ثم

(١) المنطلق التراثي لهذه الرؤية يقترب من هذا العرض المازج بين التنظير والتطبيق لدى عبد القاهر في الدلائل، وفيه حديث إلى أحد أنواعها (التصريحية) عندما قال: «فالاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء؛ فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء =

تبدو غاية الجمال الساكنة خلف الصورة عموما والاستعارة على وجه الخصوص مرهونة بهذه المسافة التي ينشئها الفن إنشاء بينه وبين مسلمات الواقع وما يبدو بديهيا فيه؛ فتبدو متعلقات مثل: التجسيد والتشخيص والتجريد على سبيل المثال حاضرة في هذا الفن[1].

إذًا العالم الفيزيقي الذي يضعه المبدع موضع إدراكه ورصده يستحيل عبر أدوات الفنان وطرائقه الجمالية التي يلجأ إليها في التشكيل - وتعد الصورة بأشكالها في القلب منها - إلى عالم ميتافيزيقي بالنسبة إلى مستقبله في فضاء التداول؛ فإزالة ما يبدو غامضا فيه يعني محاولة

=

إلى اسم المشبه به فتعيره المشبه وتجريه عليه؛ تريد أن تقول: رأيت رجلا في شجاعته وقوة بطشه سواء؛ فتدع ذلك وتقول: رأيت أسدا».

- الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠، ص٦٧.

(١) انظر: د. محمد عبد المطلب، البلاغة العربية: قراءة أخرى، ط١، المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، القاهرة، ١٩٩٧، من ص١٦٢ إلى ص١٦٦.

والحديث عن ربط بين شيئين يبدوان في الواقع متنافرين متباعدين من شأنه أن يفتح العيون على واجهة أخرى وملامح غير معهودة لهذا الواقع، ليس من الميسور الوقوف عندها بطرق نمطية تميل إلى وسائل العلم المبنية على المشاهدة والتجريب، هذا الخلق الجديد للعالم الذي يتم إدراكه عبر وسائل استعارية يعد مجرد حالة للعالم وليس حالة وحيدة ونهائية له كما يدعي الخطاب العلمي.

- بول ريكور، الاستعارة الحية، ترجمه وقدم له: د. محمد الولي، ط١، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ٢٠١٦، ص٣٧.

إعادة له إلى سيرته الأولى، وفي ضوء هذا فإن منظومة الصورة المؤسسة على مرسل ومستقبل وملفوظ ومحتوى ذهني متولد في وعي هذا المتلقي وعالم خارجي يعد أصل هذه الصورة، وما بين الفيزيقي والميتافيزيقي بالنسبة إلى حضور هذا العالم تبدو جلية ثنائية (الذات والموضوع) بالنسبة إلى كلا الطرفين: المبدع والمتلقي، مع ملاحظة أن هذا الموضوع/ العالم الذي يصير على يد المرسل رمزا بحاجة إلى تأويل لن تعود بهيئة واحدة ثابتة كما كانت قبل عملية الإنتاج الفني لها[١]؛ ففي منظومة الصورة تأتي الهيئات الذهنية التي تتولد في خاطر المستقبل تبعا لما يبثه المرسل الفنان عاكسة لحالة التشظي أو الانشطار أو التعدد الذي لا يقف عند سقف؛ فيصير المفرد جمعا والثابت متعددا[٢]؛ بفعل خصوصية التجربة وتفرد الحالة الجامعة بين هذه

(١) يرتبط ذلك بحديث لو ريكور في كتابه «الاستعارة الحية» عن السمة المميزة لها، عندما قال: «الاستعارة أداة ذهنية نتمكن بواسطتها من الإحاطة بما هو أبعد من كفاءتنا الإدراكية؛ فبواسطة ما هو أقرب وما نسيطر عليه نتمكن من الاتصال الذهني بما هو بعيد».

- السابق، ص٣٢.

(٢) يتأسس هذا التناول على رؤية تراثية لمصطلح الاستعارة عبر عنها الجرجاني في الأسرار بقوله: «ومن خصائصها التي تذكر بها وهي عنوان مناقبها أنها تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدة من الدرر وتجني من الغصن الواحد أنواعا من الثمر».

- الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، ص٥٥.

الذات المؤولة والمرجع الذي تشير إليه صورة المبدع الكائنة في فنه؛ فاللغة -بوصفها أحد أشكال التعبير الفني- تعد كائنا حيا، هي كالإنسان المستخدم لها، تكتسب حضورها الذهني والعاطفي من حضوره؛ لذا فإنَّ قدر هذا المرجع أن يسافر راحلا بين فضاءات ذهنية تمنحه وجودا خاصا وفقا لرؤيتها.

ب- صيغة العنوان وبنية الحذف[1]

تعد الصيغة اللغوية المختصرة التي يمثلها عنوان عالم المبدع المشكل لغة بمنزلة عتبة/ مفتاح من مفاتيح الولوج الواعي إلى عالمه من الداخل، في ظل علاقة تجمعه؛ بوصفه مجملا مع تفصيل يجليه جسد هذا العالم، وتعد هذه الصيغة تعبيرا زمنيا عن لحظة تلتحم بها

(١) الحذف باب من أبواب علم المعاني في بلاغتنا العربية، وفي حديث عبد القاهر عنه في الأسرار الذي يدخل ضمن نظريته للنظم يقول: «هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر؛ فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن».

- الجرجاني (عبد القاهر)، دلائل الإعجاز، ص١٤٦.

ويفهم من طرح عبد القاهر أن هذه الآلية لها ملابسات تقف وراءها تتعلق بالسياق؛ سياق المقام الجامع بين المتكلم والمخاطَب، وانعكاس هذا السياق على النص من الداخل وتجاور أجزائه على مستوى اللفظة والعبارة.

- انظر: د. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، الطبعة الأولى، المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، القاهرة، ١٩٩٤م، من ص٣١٣ إلى ص٣١٦.

ذات هذا المبدع تحظى بأقصى درجات التكثيف اللغوي، في ظل ثنائية (المنطوق شكلا ولفظا والمسكوت عنه دلالة)؛ فالملفوظ الكائن في العنوان على وجازته يقدم دعوة غير مباشرة لبحث وتنقيب في ما يحمله من معان، لإدراكها طريقان، الأول: التعامل مع هذه الصيغة تعاملا حرا بمنأى عن جسد العالم الذي تعد هي رأسه؛ بوصفها بنية لغوية معلقة في فضاء دلالي متسع، الثاني: النظر إليها بوصفها بنية مقيدة بعالم له أركان بنائية محددة، لهذا العالم فاعل مرجعي وقف على إنجازه، لهذا العالم بنية شكلية تعد هذه الصيغة جزءا منها، ويمكن أن نطلق على هذا الأخير مصطلح (القراءة السياقية للعنوان) التي تأخذ في حسبانها - إن كانت قراءة منفتحة غير مغلقة على بنية النص- عوامل تتعلق بالظرف الزماني والمكاني لمنجز النص وقناعاته الفكرية وسمات تميز قلمه عند الإبداع، في خط مواز مع اهتمامها بالهوية الشكلية لعالمه الفني من داخله[1].

يمكن القول في ظل هذا التناول: إننا بصدد معالجتين عند الوقوف على هذه العتبة النصية: معالجة معجمية، ومعالجة سياقية ثقافية تراعي إلمامًا بما في داخل النص وما هو كائن خارجه، وكلا الاثنين يقف وراءه

---

(١) انظر: د. محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص١٨، ١٩.

- عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، ط١، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠١، ص٤٠، ٤١.

لحظة زمنية تخص المؤلف، فيها يبدو لسانه الناطق الكاتب إما سابقا على تجربة إنجازه لعمله الذي يعد هذا العنوان رأسه، وإما أن يأتي تاليا بعد تشكيله له؛ لتكون هذه الصيغة/ العتبة في الحالتين بمنزلة حالة إشارية تأخذ بوعي المتلقي إلى غرفات هذا المنجز، وتتأسس هذه الحالة على لحظة اختيار من قبل صاحبها مسكونة بقراءته هو لفكره ولتجربته واقعا التي يسطرها فنا، ولهذه اللحظة هيئتان، إما أن تكون من المسكوت عنه الذي لم تشأ ذات المبدع الإفصاح عن ملابساته في مقدمة تصدر بها عملها مثلا، وإما أن تكون الثانية، هي في الحالتين المفعول به الأول الذي يجاور هذا الأديب، ويلتقيه المتلقي بداية عند تعامله الحسي مع العمل[1].

ويمكن القول: إن عملية الاختيار المتصلة بصيغة العنوان تبدو قرينة عملية أخرى هي الحذف؛ فاعتماد هذا الملفوظ دون غيره يحيل إلى افتراض مفاده أن وعي الكاتب كان بصدد صياغات متعددة، كان عليه أن يرجح من بينها ما يراه متماهيًا تمامًا مع منطلقه الذهني والعاطفي الذي خرج من رحمه إبداعه، وفي الرأس منه عنوانه؛ ومن ثم فإن بنية العمل في حضورها الكلي هي مرآة عاكسة وتمثيل باللغة يحاكي حالة إنسانية بسمات محددة في ظرف زماني ومكاني محدد احتضنها، تتوارى

---

(١) انظر: عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص: البنية والدلالة، الطبعة الأولى، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، ١٩٩٦م، ص٤٥، ٤٦.

هذه الحالة أو تبتعد لحساب هذا الملموس اللغوي الذي ترى فيه نائبا عنها يقوم مقامها؛ الأمر الذي يدفع معه إلى النظر إلى كل تجربة في الإنجاز الإبداعي عمومًا بوصفها حالة استعارية يستحيل معها طرفا عملية التشبيه إلى موجود واحد يجليه الشكل المختار بمكوناته التي يتصدى لها المتلقي بالمتابعة[1].

إذًا فإن لعبة الخيال الظاهرة التي يقوم عليها عالم الفنان تبدو بمنزلة جواب شرط لفعل شرط سابق عليه، يتمثل في مرحلة ما قبل الإبداع وفي أثنائه (تجربة الإنجاز) التي تقوم على عملية الاختيار سابقة الذكر، وفيها تتجلى بوضوح (الاستعارة التمثيلية) التي تؤدي فيها وسيلة الفنان (اللغة على سبيل المثال) دورها في تشكيل صورة لصاحبها، في مرحلة ما من رحلتها الحياتية في إطار هذه الثنائية الأثيرة التي يعيشها كل أبناء الجماعة الإنسانية (الذات والعالم).

(١) مع ملاحظة أن عمل المتلقي لن يتجمد نشاطه عند هذا الحد وحده، إظهار صورة مبدعه، بل سيسعى إلى تجاوزها انطلاقا من قناعة مفادها أن النصوص بصفة عامة تكتسب حضورا مستقلا خاصا بها بعيدًا عن نفسية أصحابها، ومن ثم فإن الأنشطة المتصلة بإنتاج المعاني من هذه الأبنية الشكلية تبدو متسعة أفقيا ورأسيا بالنظر إلى المتعاملين معها، وبالنظر إلى ما يمكن إدراكه من دلالات خلال عملية التحليل والحكم.

– انظر: د. صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠٠٥م ص٥٢، ٥٣.

وفي عنوان الغيطاني «أوراق شاب عاش منذ ألف عام» حذف على المستوى اللغوي؛ إننا بصدد ما يمكن تسميته نصف جملة بحاجة إلى إكمال؛ ومن ثم فإن محذوف الكاتب ينشد موجودا يسطره قلم المتلقي في جدلية تعتمد على تفاعل نشط بين الطرفين، غير أن هذا الموجود الذي سيملأ به هذا الأخير فراغ نص الكاتب لن يكون بهيئة لغوية ثابتة، بل سيختلف باختلاف أذواق القراء وتجاربهم، والأثر الناجم عن هذا الالتحام بينهم وبين رسالة الكاتب بمكوناتها.

وفي عنوان الغيطاني الناقص تركيب إضافي يفيد الملكية «أوراق شاب»، وفيه صيغة للجمع متصلة بنكرة، وفيه صيغة للماضي تأخذ الوعي في سفر ذهني إلى فائت، هذا الفائت تم تحديده بألف عام؛ إذًا في صيغة الكاتب، جمع ونكرة وماض ورقم متصل بزمن؛ هي نزعة تاريخية واضحة تبدو أماراتها بداية من خلال هذا المركب المختصر، يدلل عليها هذا الماضي وعلاماته «عاش منذ ألف عام»، والجنوح إلى هذه النزعة يبدو مرتبطا بسلطة غادرت أثرها في قلم الأديب الغيطاني، وكان استلهامها نهجا انطلق منه في جل ما قدمه للمكتبة الإبداعية.

ولا شك في أن خلط ما هو تاريخي متصل بالتراث عموما وما هو فني أدبي يتأسس على مقصدية تبرر هذا الانفتاح على سياق معرفي آخر، يرى المبدع في بعض أبوابه ما يخدم منطلقه الفكري الذي أراد إسكانه في فنه، وإقامة وصل بين كلمة سمتها الخيال قد خرجت من حاضر

معيش من قبل الكاتب مع أخرى سمتها الحقيقة سكنت في ماض ينطوي على رغبة في توسيع مسطح القراءة أفقيا ليشمل طرفين، المطلوب الوقوف الواعي أمامهما بغية إنتاج الدلالة المترتبة عليهما؛ فعلى القارئ أن يصافح هذا الماضي الذي أحاله إليه الكاتب، ويقف بعمق مع كلمته ذاتها؛ ومن حاصل الاثنين يفك شفرة الرمز المسكون في عمله، وصيغة العنوان بهذا الشكل وما يترتب عليه من تصورات تمهد لحالة جمعية -يبدو عليها نص الغيطاني- تعتمد في علاقتها بالمرجع الواقعي رؤية تقوم على توسيع رقعة الزمن الكائن في مرمى معالجتها الفنية؛ لتتجاوز به حدود اللحظة الضيقة إلى ما وراءها، موظفة في هذه العملية مخزونا ثقافيا لدى مبدع النص، وسواء أكان إكمال الناقص في العنوان بصيغة مثل: (هذه)، الأمر الذي يجعل منه مركبا اسميا (هذه أوراق شاب عاش ألف عام)؛ مما يعطي إيحاء بقدر من الموضوعية يحظى به الكاتب، وكأنه عين رصدت دون تدخل -أم كانت فعلية بصيغ مثل (أرصد أو وجدت أو أقرأ أو سمعت عن) تعطي الإيحاء نفسه؛ فإن عملية القراءة تبدو منفتحة على احتمالات صياغية أخرى من نوع (أستلهم، أو أعيد قراءة أو أحكي عن..). كل هذا يأخذ الكاتب وعمله إلى شاطئ الخيال بشكل صريح، وعند هذه الثانية ينتقل الحذف الكائن في بنية العنوان من باب علم المعاني إلى باب البيان وتحديدا (الاستعارة)؛ إذ تنشط عملية المحاكاة لتحيل المترابطين (الذي يحمل

صبغة تاريخية وهذا الفن الداعي له المستلهم لما فيه ونموذجه مجموعة الغيطاني محل الدراسة) إلى موجود واحد يتماهيان فيه؛ ليكون عالم المبدع في نهاية المطاف شكلا وما يطرحه من رؤى دلالةً تعبيرًا كاشفا عن هذه البنية الاستعارية وما تتأسس عليه، وكلا الاثنين يعكس روح الخبر القصصي التراثي وسمته التأليفية المؤسسة على حالة المزج بين الحقيقة والخيال، عندما يوشي واضعه بأنه قد أخذه عن مصادر ورواة سبقوه.

ووفق هذا التناول فإن عالم الفن في حضوره عبر هذه المجموعة القصصية وعنوانها بداية يسعى إلى مصافحة ماض، ليس فقط من خلال أحد متونه الحكائية الافتراضية كما هو مثبت من خلال العنوان، ولكن أيضا من خلال مبنى حكائي له مكانه في مكتبتنا الثقافية العربية؛ ألا وهو الخبر القصصي، الذي كان يقف به المصنف العربي على قدمين، أحدهما في التاريخ، والثانية في الأدب[1].

ويمكن القول: إن كل موجود خبري يبدو قرينة لحالة تساؤلية دفعت إليه، تنطوي على صيغ استفهامية عديدة، من بينها على سبيل المثال: ما هذه الأوراق التي لشاب عاش منذ ألف عام؟ ما حكايتها؟ وكيف كانت؟ وما الذي دفع هذا الكاتب إلى الحديث عنها فنيا؟ وما

---

(١) انظر: يوسف الشاروني، القصة تطورا وتمردا، ط٢، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠١، من ص٤٨ إلى ص٥٢.

وجه الحقيقة في وجودها أصلا من عدمه؟ كل هذه الأسئلة وغيرها يفضي في نهاية المطاف إلى عنوان بينه وبين مجموعته من الداخل حالة انسجام، تبدو أماراتها للوهلة الأولى عبر هذا الحضور لصيغة الجمع «أوراق» في العنوان، التي تستحيل إلى جمع يبدو في قصص المجموعة الخمسة.

والعادة الفنية في المجموعات القصصية - عمومًا - أن يقوم الكاتب بانتقاء عنوان من مجموع العناوين الموجودة في مجموعته من الداخل؛ ليكون هذا المُختار - على مستوى الصياغة - عاكسا لكلٍّ وجزءٍ متضمن فيه، ويكون في الوقت ذاته خادما لمقاصد دلالية ينشدها هذا الكاتب من وراء عمله، تمثل بالنسبة إلى قارئ النص غيبا يسعى إلى اكتشافه، وتبقى تأويلاته المنسجمة مع سعيه، هذا محض افتراضات قد يقع حافر بعضها أو كلها على حافر ما يرمي إليه الكاتب من معنى، وقد لا يقع. وتقترب هذه العادة أو لنقل الآلية المعتمدة في وضع عناوين المجموعات القصصية من نهج يجده المتلقي في النص القرآني عندما يأتي اسم السورة من خلال موقف يسكن داخلها، يعد بمنزلة البذرة

الدلالية التي يقوم على أساسها بنيان نصها في مجمله؛ وهو ما يزيد من فرص التماسك بين أجزاء النص[1].

(١) يحيل هذا التناول إلى مدار المعنى ودوره الذي يترك أثرًا في عملية الترابط بين الأجزاء التي يتكون منها النص شكلا. وقضايا التماسك النصي على مستوى الصياغات اللفظية وعلى مستوى الدلالة تشكل المحور الرئيس لعلم ظهر حديثا هو علم لغة النص؛ ففي إطار حركة ذات مسارين متعاكسين تنطلق مما هو ملفوظ تشرع الفكرة الكلية للنص في التكون، وفقا لمنطلق استقرائي يجنح إلى الحكم والاستنتاج من خلال التفاصيل الشكلية الظاهرة. وتتجلى فكرة النص بداية من خلال هذه الصيغة المختارة من قبل الكاتب المرسل التي تمنح المتلقي وعيا أوليا يساعده في الحركة داخل هذه التفاصيل بحثا عن أماراتها. وسياق الخارج المحيط بهذا النص على مستوى الإنتاج (سياق الكاتب) وعلى مستوى التداول (سياق التلقي) ليس ببعيد في عمل هذه الحركة التي لا تتوقف بين طرفين: شكل (له مركبات يتكون منها) ومعنى (منه ما هو قريب ظاهر من هذا الملفوظ ومنه ما هو أبعد وأعمق، وكلا الاثنين يقع في علاقة قرب أو بعد من مرامي الأديب وغاياته الدلالية. ويحد هذه النظرة مصطلحان ارتبطا في معالجتهما بعلم لغة النص، هما (الحبك) و(السبك).

- انظر:

- فان دايك، النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، طبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠، من ص٢٠٣ إلى ص٢٠٨، وص٢٥٦، ٢٥٧.

- د. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ط١، المكتبة الأكاديمية الحديثة، القاهرة، ١٤٢٦، ٢٠٠٥، من ص٨٩ إلى ص٩٣.

- محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩١، ص٣١، ٣٢.

ويبدو أن صيغة النكرة «شاب» على الرغم من كونها واقعة مضافا إليه، المفترض أن يؤدي دورا في تحديد المضاف «أوراق» وتعيينه وبيان وجهته، لكنها معه تشجع على قراءة تتخذ لنفسها مسارين، الأول: بعيدًا عن نص عالم الغيطاني، في محاولة يستنهض من خلالها المتلقي محصولا معرفيا يمتلكه لبيان هوية هذا الشاب إذا كان له حضور بالفعل في مكتبة التاريخ؛ هنا يصير التنكير بحاجة إلى تعيين - من خلال عمل القارئ - يأتي عبر سؤال مفاده: من هذا الشاب؟ أو ما هوية هذا الشاب؟ فإن لم يجد هذا الأخير إجابة عن سؤاله خارج فضاء نص المبدع يصبح الولوج إلى داخل نصه الفني بمنزلة المسار الثاني الذي عليه أن يَلِجَه، ومن حاصل تفاعله معه يتجلى المكون الدرامي لـــ(أل) التعريف الذي سيلصقه بهذا المنكر في بنية العنوان، وبناء عليه تتحرك الآلة القارئة في رحلة منطلقها ملفوظ الكاتب «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، ومنتهاها صيغة تتشكل عبر فضاء الاستقبال مفادها (هذه حكاية أوراق الشاب الذي عاش ألف عام)، وبين الملفوظين تسكن مفردات هذا العالم الفني.

إذًا فإن قضية الحذف المتصلة بالعنوان ترتبط بما هو عام يشترك فيه الغيطاني مع غيره من محترفي الكتابة، وبما هو خاص يتعلق بتجربة الغيطاني، هذه محل اهتمام هذه الدراسة؛ أما العام فيتمثل في مسألة الاختيار التي تتيح للكاتب أن يثبت ما تراه العين في نصه في شكله الأخير

- كما يظهر من ملفوظ العنوان بدايةً - وينفي ما سواه، وأما الخاص فيشير إلى (أل) التعريف المحذوفة التي تجعل من هذه النكرة دافعا للبحث عما يمنحها وضوحا في وعي المستقبلين؛ ومن ثم فإن استحضارها يتطلب نشاطا رحليا من النوع الذهني بغية إدراك الدلالة التي تعد بمنزلة مرآة عاكسة لها، وساعتها ستكون هذه الدلالة عبارة عن استعارة تمثيلية موضحة لهذه الأداة التعريفية؛ بحكم تلبسها بها.

وتأتي السطور الأولى في القصة الأولى من قصص المجموعة التي يحمل عنوانها عنوان المجموعة نفسه؛ لتكشف عبر منطوق الراوي جانبا من المعتم في هذا النص «عثر علماؤنا على هذه الأوراق في أثناء عمليات تنقيب في المنطقة الواقعة شمال مصنع المرئيات رقم ستين، حيث قامت منذ ألف عام مدينة كبيرة يحتمل أن يكون اسمها المنيا أو أسيوط، وتخص تلك الأوراق أحد سكان هذه المدينة، وقد كتبها في أثناء الحرب التي نشبت في تلك الأحقاب البعيدة بين أجدادنا على ضفاف النيل ودويلة صغيرة لم يصلنا غير معلومات ضئيلة عنها، وكانت تسمى إسرائيل... ونرى هنا مشاعر أجدادنا في هذا العصر البعيد، حيث يبدو أن وطنه كان يتعرض لبعض الأخطار، كما نلمس أيضا إحساسات أبناء هذه الفترة بالتناقض قبل انتصار الاشتراكية في كوكب الأرض كله... وقدمنا هذه الأوراق كما هي، فيما عدا توضيحات بسيطة راعينا أن تكون في أضيق الحدود، إننا لا نعرف تفصيلات كثيرة عن كاتب هذه

الأوراق، لكننا لا نملك إلا الإحساس بالاحترام لأحد المكافحين الأوائل المجهولين لنا، والذين مهدوا لحياتنا هذه»[(١)]..

إن صوت الراوي الذي يميل إلى استخدام ضمير المتكلمين «نا» في إشارته إلى ملابسات هذه الأوراق يأخذنا إلى علامات مرجعية، يبدو أنها مقصودة بغرض توكيد صبغة واقعية تاريخية، يريد لها أن تترسخ في ذهن المتلقي إزاء هذه الشخصية «شاب»، كما يظهر في مفردات مكانية مثل: «المنيا، أسيوط، إسرائيل» وغير مكانية «الاشتراكية» تحيل إلى مرجع مكاني محتضِن لها يتجلى في دول الاتحاد السوفيتي ودول الكتلة الاشتراكية سابقا، والأحزاب التي تجعل من هذه الفكرة المرجع الأيديولوجي لها في نشاطها؛ ومن ثم فنحن بصدد حالة محلية وعالمية يحيل إليها منطوق الراوي خارج النص، الذي يأخذنا إلى زمن مرجعي يتعلق بظهور هذا العالم الفني إلى النور؛ ألا وهو الثلث الأخير من ستينيات القرن الماضي بعد هزيمة مصر في ١٩٦٧م.

إن مُركَّبات مثل «علماؤنا، أجدادنا، يصلنا، نملك، لنا، لحياتنا» تضع المستقبل أمام حالة جمعية يشترك فيها باث الرسالة مع من يتلقاها

---

(١) جمال الغيطاني، مجموعة «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، القصة الأولى «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨، ص٩.

عنه، وتذيب أية فواصل قد تكون موجودة بين الاثنين، وكأننا بصدد وعي جمعي تغيب معه نزعات فردية قد تمنح الذات حضورا مستقلا بمعزل عن مجموع تعد أحد أبنائه المسهمين في وجوده؛ الأمر الذي يعني أن لسلطة السياق الخارجي المتصل بزمن خروج النص إلى فضاء التداول يدا طولى في مسألة الاختيار والتشكيل المتعلقة بكل من عنوان المجموعة والمجموعة من الداخل، كما يَشي بذلك منطوق الراوي في أسطر القصة الأولى فيها، ينضاف إليها سلطة أخرى كان لها أثرها في عدد من كتابات الغيطاني؛ ألا وهي سلطة التراث، التي جعل منها رمزا تاريخيا يخبئ خلفه موقفا فكريا يعبر عما هو كائن في سياق واقعي معيش[1].

إن منطوق الراوي الذي يعالج فيه ظرفا واقعيا بطريقة فنية تبدو مصطبغة بصبغة تاريخية يأخذنا في النص السابق من قوله: «تلك

(١) إن فكرة السلطة التي يدخل المبدع في علاقة معها وتجعل منها بمنزلة الموجه لفعل الإبداع الذي ينجزه هي فكرة رمزية تتجاوز النظرة التقليدية التي ترى فيها شكلا ذا مسحة سياسية لتصير في موقع ما يمكن تسميته الداعي أو الآمر الذي يستجيب لرسالته فاعل النص، ويضحى عمله إزاءها نوعا من الترادف الفني وتجسيدا جماليا لحضور واقعي لها يغادر أثره في وعي هذا الفاعل وينتقل منه إلى مصنوعه المقدم إلى فضاء التداول.

- انظر: عمر أوكان، مدخل لدراسة النص والسلطة، الطبعة الثانية، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٤م، من ص٢٢ إلى ص٢٥.

الأحقاب البعيدة» إلى قوله في خاتمته: «حياتنا هذه» في جدلية تجعل من الحالة الواقعية وجها استعاريا لما كان في الماضي، وتجعل من هذا الماضي في أحد الأحداث التي مرت على أهله وجها استعاريا لمحطة مضارعة وصلتها الجماعة في مسيرها؛ إن الراوي صنيعة المؤلف، المتحدث نيابة عنه في عالمه الفني يحاول من خلال هذا التمهيد أن يقدم ما يمكن تسميته مبررا دراميا لصيغة العنوان التي تسبقه، وفي الوقت ذاته يقوم بعملية توجيه أولي لوعي المتلقي خلال رحلته المعرفية التي سيواصلها داخل هذا العالم(١). وتعد سلطة التراث الحاكمة لقلم الغيطاني المبدع في جوهرها أداة ربط بين كيانات عدة: التاريخ، الفن، الزمن بوجهيه: المضارع (زمن عملية التأليف وزمن القارئ المستقبل أيضا) والماضي سواء أكان حقيقيا أم اعتباريا افتراضيا يؤدي خيال المبدع دورا في حضوره(٢).

---

(١) يحيل هذا التناول التحليلي نظريا إلى مصطلحات مكانها في علم لغة النص؛ كمصطلح (الإحالة المقامية) الذي يقيم ربطا بين النص وسياق الخارج المحيط به، ومصطلح (الإحالة النصية) الذي يتوجه إلى داخل النص عبر نوعين: الإحالة القبلية إلى سابق، والإحالة البعدية إلى علامة لغوية سيتم ذكرها لاحقا.
- انظر: محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، من ص١٦ إلى ص١٨.

(٢) بموازاة هذا التصور يأتي ابتداء النص (استهلاله) ليثير قضايا تتعلق باختيار ألفاظه، ووضوح معناه وارتباطه بما بعده في داخل النص ودلالته عليه، مع أمور تتصل =

ت- استعارة الحدث

إن الأديب – عمومًا – يقع بوعيه بين سياقين: سياق غير لغوي يمثله العالم الذي يحيا فيه ويبني مواقفه الفكرية ويستقي تجاربه من خلال حضوره فيه وعلاقته به تأثرا وتأثيرا، هذا السياق الأول يستحيل إلى سياق لغوي يعد بمنزلة المرادف الجمالي والامتداد الفني له؛ وجمال الغيطاني قد جعل من تجربة الهزيمة التي مرت على الجماعة المصرية في العام ١٩٦٧م، وما لحقها من تبعات محركا له، ودافعا إلى نشاط إبداعي يعبر عنها، موظفا في ذلك رصيدا من المقروء في التراث[1]، هو

=

بالمقام؛ أي الموقف الخارجي المحيط بالنص عمومًا، ويشتمل على الكاتب وتجربته والعالم الذي يستقي منه مادته وتأثره بالمعطى الفكري السائد فيه.

– انظر: د. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، من ص١١٨ إلى ص١٢٠.

(١) إن ثنائية المضارع والماضي في توجه الغيطاني يشجع عليها جو الأزمة الذي يغلف طقس تجربته على المستوى الواقعي؛ بوصفه شخصية مصرية عربية عاشت زمن انكسار الحلم وتراجع مشروع ثورة يوليو ١٩٥٢، فحاول توظيف مناطق الالتقاء بين هذه الحال السلبية وأخرى مماثلة لها في تجربة الجماعة المصرية أواخر العهد المملوكي وقبيل دخول القوات العثمانية إلى مصر وتحويلها من دور القائد إلى دور التابع المقود، هذه الحالة التاريخية هي بمنزلة الموقف الأدبي الذي يشكل نقطة الانطلاق إلى ما هو فني يعيد إنتاجه وفق معطيات النوع وخصوصية العمل المبدع نفسه، هذا السبب الواقعي والتحامه بانحيازات الغيطاني الفكرية وميوله ناحية التراث يعد عامل ربط بين هذين العملين الفنيين للغيطاني: «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، و«الزيني بركات».

=

له بمنزلة الوسيلة إلى غاية فنية تستقر في ما خرج إلى فضاء التداول؛ إن «أوراق شاب عاش منذ ألف عام» تقوم في البنية الزمنية لبعض قصصها على فترة شديدة الدقة في تاريخ الجماعة المصرية، هي مرحلة ما قبل سقوط الدولة المملوكية (نهاية دولة) وشروق شمس دولة جديدة أضحت مصر فيها ولاية تابعة لسلطنة عثمانية مترامية الأطراف (بداية عصر جديد). إن هذا المكون الزمني قد غادر أثره بلا شك في نسيج الحدث داخل هذه القصص وشخوصها؛ ونحن بصدد واقع مأزوم/ سياق غير لغوي (زمن التأليف) قد تجلى فنا بوجه جديد (البنية الاستعارية للعمل الفني) من خلال لجوء المبدع إلى هذه الحيلة في عملية الرصد الممزوج بأبعاد ذهنية ونفسية لما هو كائن في سياق اللحظة، ويبدو أن هذه الحال الفنية تتجاور مع تجربة إبداعية أخرى عند الغيطاني؛ ألا وهي روايته الأثيرة «الزيني بركات» التي خرجت إلى فضاء القراءة بعد هزيمة العام السابع والستين، ويؤدي التاريخ فيها دور الرمز الذي يحمل في عمق دلالته إشارات إلى سلبية الزمن المضارع المحيط

=

- انظر:
- د. محمود محمد عيسى، تيار الزمن في الرواية المعاصرة، طبعة مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٩١، من ص٣٢ إلى ص٤٥.
- جمال الغيطاني، الزيني بركات، ط٨، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م.

بعملية التأليف وما حصل فيها؛ إن سياق الواقع إذًا قد استحال فنا إلى وجهين جماليين، الأول في ثوب روائي والثاني في ثوب قصصي تمثله المجموعة مجال اهتمام هذه الدراسة[1]؛ كلاهما جعل من التَّماس مع موجود في الماضي أداة لصناعة البنية الدرامية، وهو ما يدعم مقومات التماسك بين العملين.

---

(١) لوعي الكاتب محددات فكرية تسهم في توجيهه على نحو معين، والغيطاني قد تأثر بدرجة كبيرة بابن إياس (ت ١٥٢٣) ومؤلفه التاريخي الشهير «بدائع الزهور في وقائع الدهور» الذي يحكي تاريخ مصر منذ زمن بعيد حتى العام ١٥٢٣، في الكتاب وصف لأحوال مصر السياسية والعسكرية والاجتماعية والقانونية والثقافية وإشارات مفصلة عن أعياد المصريين وعاداتهم وتقاليدهم ومعتقدهم، وفيه تناول لهذه الحقبة المهمة التي يبدو أن الغيطاني قد تشرب بها واندمج معها ذهنيا، وانعكس ذلك على نشاطه الفني؛ ألا وهي الحقبة المملوكية ونهاية أيامها ودخول العثمانيين إلى مصر في العام ١٥١٧، وما أحاط بهذه الحقبة من أحداث أفضت إلى هذا المصير في النهاية، وفي روايته «الزيني بركات» اقتراب من هذا الحدث، الذي يتصدى له القارئ وفي حسبانه أن هناك عينين يقفان وراءه، الأولى القريبة: عين الراوي المقدم له في داخل الرواية، والثانية أعمق تسكن في خلفيته: عين ابن إياس في كتابه سابق الذكر.
- يمكن الرجوع إلى طبعة دار الشعب بالقاهرة لكتاب ابن إياس في سلسلة كتاب الشعب الأجزاء الثلاثة الأولى منه تحت عنوان: المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، ١٩٦٠.
- يمكن الرجوع في رواية «الزيني بركات» إلى طبعة دار الشروق بالقاهرة لها، الطبعة الثامنة، ١٤١٥، ١٩٩٤.

إن الـراوي الـذي يقـدم الحـدث بواسـطة الفواعـل الممثلـة لـه (الشخصيات) يحاول أن يقيم من خلاله عالما موازيا يجمع في تكوينه عناصر ثلاثة تشبه ما في الواقع: الزمان، والمكان، والشخصيات؛ بوصفه نقطة التقاء تجتمع وتُرى عندها هذه الثلاثة، ومحاكاة الواقع بالتاريخ التي اعتمد عليها الغيطاني تكشف عن مشبه محذوف هو واقع التأليف، ومشبه به يجليه الحدث الفني الظاهر والتحامه بما هو تاريخي من خلال قرائن ذات صبغة مرجعية؛ إذًا نحن بصدد حدثين إطاريين: الأول يتصل بحاضر المؤلف (هزيمة ٦٧)، والثاني الذي يشكل الوجه الاستعاري المعبر عنه فنًّا (ما يتصل بعهد الدولة المملوكية في مصر)؛ وهو ما يعطي لبناء الاستعارة عموما قدرة على توسيع دائرة الرؤية والارتقاء بعملية الإدراك من دائرة المساواة اللغوية بين ما في العالم واللغة المعبرة عنه إلى دائرة أكثر جمالية، تصير فيها مساحة التعبير عنه أكثر اتساعا، وأكثر عمقا بالنظر إلى المعنى الساكن خلف التشكيل اللغوي، الذي يصير أرضا متعددة الطبقات.

وإذا كانت الاستعارة تقوم على إدراك ما في العالم من روابط بين عناصره، فإن الأداء اللغوي التطبيقي لهذا الإجراء النظري يحاول التماهي معه، بالإفادة من منظور رؤية الكاتب، وسلطة المرحلة التي تفرض نفسها على وعيه وقلمه؛ ومحاولة إدراك مساحات الاتفاق بين المشبه المتصل بحاضر التأليف والمشبه به المتصل بماض تتم إعادة

معالجة له فنا، وتبدو المفردات الثلاثة: (الدافع، الوسيلة، الغاية) بمنزلة أبجدية تتأسس عليها كل تجربة في الإبداع عموما؛ فعلاقة الرغبة المتكونة من ثنائية (الذات والعالم) وما ينشأ عنها من حالات ذهنية ووجدانية تسكن منطقة الدافع تتحرك إلى علاقة رغبة أخرى تسكن منطقة الوسيلة (الذات وإبداعها)، وفيها يبدو جليا الخيال بأنواعه المجسدة له في داخل عالم الفن، ومن بينها بالطبع الاستعارة[1]، وكلتا الرغبتين يتحرك باتجاه غاية تسكن واقع الأديب ومتلقي منجزه، وكنه هذه الغاية يتعلق بوظيفة الفن التي يخدمها المبدع بعمله.

---

(١) وينطلق هذا التاريخ في عملية الصياغة الفنية له من ثنائية (المرجع والرؤية الذهنية له المتعلقة بذات المبدع)؛ فالتاريخ يشكل علامة مرجعية تحظى بحضور ذي صبغة جمعية، لكن الرؤية المعتمدة على تصوره تبدو نسبية ذات حضور متعدد؛ بحكم الذوات الفردية المتعاملة معه، هذا التعدد بلا شك ينعكس على الممارسات اللغوية التي تجعل منه موضوعا لها في أدائها، وفي ظل هذه الثنائية الأثيرة (الواقع والفن) يدخل ما سكن حقل التاريخ من أحداث هذه اللعبة المعتمدة على الخيال بأشكاله المختلفة؛ ومن ثم فإن عملية نقل ما فيه إلى عالم الفن لن تكون بالطبع بشكل حرفي ولكن ستخضع لهذا التصور المتصل بذات المبدع، وما يترتب عليها من نتائج ستتجلى فوق صفحات إبداعه.

- انظر: جيرارد ستين، فهم الاستعارة في الأدب (مقاربة تجريبية تطبيقية)، ترجمة: محمد أحمد حمد، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥، من ص٢٤١ إلى ص٢٤٣.

إن الغيطاني في مجموعة «أوراق شاب عاش منذ ألف عام» يُميط اللثام عن تأثره بابن إياس بالوقوف على عوالم قصصية ثلاث داخل مجموعته: «المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا»، و«هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة»، و«كشف اللثام عن أخبار ابن سلام»، تترابط جميعها بخيط درامي واحد، يبدو في وحدة الزمن الذي يحيل ذهن القارئ إلى خارج النص، إلى الحقبة المملوكية في تاريخ الجماعة المصرية والعربية؛ وكان لها مكان في مصنف «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، وقد لجأ الراوي في القصة الأولى من هذه الثلاثة إلى حيلة فنية تتجلى في استدعاء ابن إياس إلى زمن آت لم يعشه، زمن مستقبل هو بالنسبة إلى حياته في سياق الحقيقة (غيب)، عندما أحاله السارد المسئول عن منظومة الحكي إلى شخصية تقوم بدورين معًا: التمثيل والرواية عن نفسها(١):

---

(١) في عالم السرد تتنوع أشكال الراوي بحكم الهيئة التي يبدو بها عند قيامه بذاك الدور، وفي مصطلحات علم السرد الحديث تفرقة مهمة بين المؤلف صاحب الكيان الحقيقي الموجود في الواقع وهذه الشخصية الاعتبارية، أو الأداة المصنوعة (الراوي) الذي يبدو في أثواب متنوعة، منها عندما يقص باستخدام ضمير المتكلم (أنا) فيصير أقرب إلى راوي السيرة الذاتية، ومنها عندما يبدو في هيئة العليم الذي يملك إحاطة بما يجري في داخل هذا العالم الفني ويصبح الضمير المصاحب لعمله هو ضمير الغياب بأشكاله، وقد يبدو مسرحيا في عمله عندما يلجأ إلى آلية الحوار بين شخصيات الحكاية.

=

- **ابن إياس من سياق التاريخ إلى سياق الفن**

«ارتعبتُ فالدنيا غير الدنيا، والمدينة ليست بالمدينة، حتى الناس خلاف الناس، لا أهلي لقيتهم، لا كبير أو صغير، عظيم أو حقير من أيامي التي أجهل مصيرها، ولم أعرف ما يفصلني عنها شهور أو سنين... لو تملكت مني الرهبة وافترسني الخوف لضعت في هذا الزمان، الذي تحرك وطار فيه الجماد، فلأرقب وأستمع ما يدور حولي»[1].

إن رصد الشخصية وهي في قلب موقف تنشئ حدثا ومحاولة اقتناص ما يلازمها من حالات نفسية يعكس - بدرجة كبيرة - طبيعة عمل الراوي في السرد القصصي[2]، وتقاطع المتخيل مع ما يشغل مكانا

=

- انظر:

- جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، ط٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧، من ص١٩٨ إلى ص٢٠١.

- د. محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم)، المبحث الخاص بالتفسيرية، ط١، المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، القاهرة، ١٩٩٦، من ص١١٩ إلى ص١٢٣.

(١) جمال الغيطاني، «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، القصة الثانية «المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا»، ص٢٤.

(٢) انظر: د. عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، ط٣، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥، من ص١٠٨ إلى ص١١٠.

له في حقل الماضي/ التاريخ بتوظيف سمة فنية سائدة ولها مسماها في علم السرد الحديث (الاسترجاع)[1] -تم من قبل الراوي في هذا العالم القصصي بطريقة يبدو أن لها فرادتها وجِدتها؛ فابنُ إياس المتوفى (١٥٢٣م) صاحب «بدائع الزهور في وقائع الدهور» يستحيل إلى شخصية خيالية مصنوعة، عندما أراد لها ذاك الراوي أن تغادر زمنها المعلوم لها بالضرورة تاريخيا لتأتي زمنا مستقبلا، وقد حُدد لهذه العملية منذ العنوان صيغة «عودة» في تركيب لغوي يحتضنها «المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا»؛ إن العودة تشير إلى رحيل/ خروج، ثم رجوع ثان إلى الحالة أو المكان الذي فارقته الذات، وذلك ينسجم مع ابن إياس مصري المولد والمقام؛ فرحيله بالموت يقابلها إعادة بعث فني له في بيئة تحاكي بيئته الحقيقية، وفي هذا العالم القصصي من مجموعة الغيطاني تتولى هذه الشخصية دور التمثيل والرواية معا كاشفة عن ردود فعلها الذهنية والنفسية إزاء زمن لم تعشه واقعا لكنها تحيا فيه فنا:

«تعاظم الزحام حتى خلته يوم الحشر... رجال يزعقون وصبية يتصايحون، ونساء يتهامسن ويتغامزن، وتمنيت لو أقعد في مكان بعيد أرقب كل هذا، غير أني لا أعرف الطريق، وكنت تعبا قد بلغت في زماني

---

(١) عندما يرحل الحاكي ذهنيا من لحظته المضارعة إلى ماض يقوم باستدعائه عن طريق التذكر.

- انظر: جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، ص٦٠.

الأول سبعا وسبعين سنة، لكنني لم أستطع إلا المشي... ما الذي جرى للناس فجأة؟! لم أعرف ما يحدث... كادت ضلوعي تنخلع من الخوف، قال رجل: الضرب جامد ناحية العباسية، رد آخر: أوقعنا لهم طائرتين، لم أرهم غير أن ما قالاه أحسسته... منادي قلعة الجبل يقرع طبلته، يتوجه بالنداء إلى أهل المدينة، أهالي القاهرة، سيخرج الملك المعظم سيف الدين قطز بعد أيام قليلة لمجاهدة الكفار ونصرة الدين؛ فجند التتار يهددون الديار... يا فتيان مرجوش وبولاق والربوع.. الجهاد الجهاد، وما النصر إلا من عند الله...

منذ أن قابلت بوابة زويلة وكأني قابلت جزءا من نفسي.. لم أر رقابا مقطوعة تتدلى منه، أو أجسادا مخوزقة أو موسطة أو معلقة به، أما المئذنتان فالوقفة نفسها لم تتغير، صارت سلوتي الرواح والمجيء، كأني أستظل به، وأدثر روحي بأحجاره.. وأمام دكان صغير استقر صندوق صغير يطلق الأصوات.. قلت لنفسي فلأسمعْ بعض ما نطق به الحديد.. صوت رجل غليظ يقول: إن العدو فتح نيرانه صباح اليوم.. سكت الصوت لحظة، آذان الجميع مصغية، كأنهم ينتظرون أمرا عظيما أو شيئا خفيا عنهم، ثم قال: إن شخصا من زعماء الإفرنج قابل زعيما آخر، وأصدر بيانا وقال: إن مئة رجل من الفيتنامية هاجموا ألفا من عسكر الأمريكان وأبادوهم عن آخرهم، فقامت الطائرات وضربت البيوت بقنابل الحريق.. وعجبت، كيف وجدت نفسي في عصر غير عصري

وزمان غير زماني؟!.. لعنت ألف مرة الذين تمنوا أن يعيشوا ألف عام»[1].

في ضوء هذا التناول القصصي تبدو ملامح بناء استعاري متعدد الأبعاد، فيه:

- استعارة شخصية لها وجود تاريخي مؤكد وإحالتها إلى مصنوع خيالي تظهر من خلاله في ثوب البطل الراصد وقائع حدث تقف منه موقف المتجول السائر الذي يوظف بعض حواسه من سمع وبصر في سبيل التقاطه والتعليق عليه.

- في وعي الغيطاني إدراك لأوجه شبه قائمة بين حاضر معيش (زمن تأليف مجموعته القصصية) وماض قرأ عنه من خلال مصنف ابن إياس «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، لكن عالمه الفني هذا يرتقي من طور المشابهة إلى طور الاندماج والتماهي؛ فها هو ذا ابن إياس يأتي إلى لحظة حاضرة مأزومة ويصير واحدا من أبنائها، ويستفز ذلك الأمر مخيلته لينطلق في حالة من تدفق الخواطر على وعيه من الإشارة إلى ملابسات المعركة بين مصر وإسرائيل عبر حالة تعبئة عاشتها الجماعة

---

(١) جمال الغيطاني، «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، قصة «المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا»، ص٢٢، ٢٦، ٢٧.

المصرية في ماضيها، عندما بدأ يحكي بعض ما جرى متعلقا بمعركة فاصلة بين المسلمين والتتار زمن سيف الإسلام قطز[1].

- محاولة التوسع بالفضاء التاريخي الذي يتضمنه مصنف ابن إياس ليتجاوز حدود زمن صاحبه الذي انتهى به العمر عند العام (١٥٢٣م) وصولا إلى زمن آخر لم يعشه حقيقة، يقوم برصد ما فيه بواسطة أدوات الحركة والسمع والبصر، ثم اللسان؛ لذا يمكن النظر إلى مجموعة «أوراق شاب عاش منذ ألف عام» من هذه الزاوية؛ بوصفها امتدادا جماليا لكتاب «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، أو على أنها - وهذه القصة نموذجًا - طبعة ثانية مزيدة له، تكشف مسلمة مفادها أن تجارب الأسرة البشرية في الماضي والحاضر قد لا تتشابه حرفيا، لكنها تحمل مقومات للالتقاء تسمح بتجاورها على مستوى المعنى.

- آلية ابن إياس في القص تحمل ضمنا وجها جماليا لموجود في العالم الخارجي؛ ألا وهو أسلوب عمل المحقق الصحفي، الذي يلجأ

(١) إن البنية الدرامية لهذه الشخصية ترتبط بطابع مونولوجي يقوم على أحادية الصوت الناطق بما يتدفق على وعيه من خواطر، وتتصل هذه الهيئة في عالم السرد بما عرف حديثا بتيار الوعي في الكتابة الحكائية، وله رواد في الأدب العالمي، أمثال: مارسيل بروست، وفيرجينيا وولف، وجيمس جويس.
- انظر: روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة: محمود الربيعي، طبعة مكتبة غريب، القاهرة، ٢٠٠٠، من ص٣٣ إلى ص٣٧.

إلى الوسائل نفسها التي استخدمها ابن إياس المتخيل بطل قصة «المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا»، ويحيل هذا التناول إلى الغيطاني نفسه الذي عمل محققا صحفيا لسنوات، وقد خرجت هذه المجموعة القصصية تحديدا إلى النور في أثناء عمله هذا.

- لغة ابن إياس التي أجراها الراوي على لسانه داخل هذه القصة تقترب - بدرجة كبيرة - من لغة ذاك الزمن الذي انقضى، يمكن الاستشهاد على ذلك - على سبيل المثال لا الحصر - بصيغ مثل: ارتعبت، الفرنج، الفيتنامية، عسكر، والسياق اللغوي المفصل الذي تناول فيه قطز ومعركة التتار. وقد ظهرت أمارات هذه الحالة بداية بالنظر إلى صيغة عنوان القصة «المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا».

إن بنية الاستعارة إذًا تحمل مكونات تعبر عن: الشخصية، الزمان، المكان، الحدث، اللغة، وتتم من خلالها عملية إنشاء معجم يضفي على كل عنصر معنى جديدا ليس له في الأصل؛ فعلى سبيل المثال:

- ابن إياس: يعبر بفضل عالم الفن عن شخصية عاشت زمانا غير زمانها، وفي الدلالة العميقة التي يحملها داخل هذا العالم إشارة إلى عمل المحقق الصحفي الذي اشتغل به الغيطاني حينا من الدهر.

- مصنف «بدائع الزهور في وقائع الدهور» نتيجة هذه الحالة لمؤلفه يحمل حوادث ليست موجودة في متنه المعلوم في المكتبة التراثية العربية.

بناء على هذا التناول يمكن القول: إننا بصدد مرآة فنية نستطيع أن نرى فيها مصطلح الاستعارة في مظهره اللغوي، وفي الممارسة التطبيقية المبينة لمعناه الاصطلاحي.

- **التماسك النصي والاستعارة**

وفي منطوق ابن إياس إحالة إلى سابق وإلى لاحق؛ فقوله: «كيف وجدت نفسي في عصر غير عصري وزمان غير زماني؟!.. لعنت ألف مرة الذين تمنوا أن يعيشوا ألف عام» -يؤدي دورا في ربط بنيات الخطاب القصصي؛ فالإحالة القبلية تأخذنا إلى القصة الأولى الحاملة عنوان «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، وفيها نجد أن الحضور الدرامي لهذا العدد المتصل بزمن يكشف عن بطلها:

«عثر علماؤنا على هذه الأوراق في أثناء عملية تنقيب في المنطقة الواقعة شمال مصنع المرئيات رقم ستين، حيث قامت منذ ألف عام مدينة كبيرة، يُحتمل أن يكون اسمها المنيا أو أسيوط، وتخص تلك الأوراق أحد سكان هذه المدينة، وقد كتبها في أثناء الحرب التي نشبت في تلك الأحقاب البعيدة بين أجدادنا على ضفاف النيل ودويلة صغيرة لم يصلنا غير معلومات ضئيلة عنها وكانت تسمى إسرائيل...

كانت مدينتي مظلمة تماما، المباني الكبيرة أشباح هائلة لا تفصح عن تفاصيلها.. لا انفجارات، لا صوت مدافع، عدت أصغي إلى الراديو، الموسيقى عسكرية... لمح أحد الزملاء شعلة ضوء في نافذة علوية، عندئذ صحنا كلنا: طفوا النور طفوا النور.. عدت أصغي إلى الراديو.. قال المذيع: وخاضت قواتنا معارك رهيبة فوق الأرض المصرية.. عاد المذيع يكرر البيان.. إحساس غامض بأن ثمة أشياء هائلة تحدث، صحيح المسافة بعيدة، أين سيناء من مدينتنا؟ كانت المسافة من منطقة سيناء التي كانت في هذا الوقت صحراء تماما إلى أقصى نقطة في الوادي تعتبر بعيدة بمقاييس هذا العصر... بلادي بلادي، لك حبي وفؤادي، هنا القاهرة، لحظة صمت، موسيقى عسكرية، مصر التي في خاطري وفي دمي... الإذاعة في صباح باكر من الأيام الأولى ليونيه... في العصر لم أستطع النوم، كنت مرهقا منهكا، قال ساكن الطابق العلوي: ضربونا الأمريكان... همس أحد الواقفين انسحبت قواتنا إلى الضفة الغربية»[1].

إن الصوت المنفرد ذا الصبغة المونولوجية الذي تلبس به ابن إياس يظهر في القصة الأولى من خلال هذه الشخصية التي تسلط الضوء عبر

(١) جمال الغيطاني، «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، قصة «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، ص٩، ١٠، ١١، ١٢، ١٣.

الفن على هذا الحدث المرجعي، بعملية تخييل له[1]، تعتمد على إعادة معالجته جماليا، ومن الأدوات المهمة التي تم توظيفها من قبل الراوي في ذلك كان الماضي الذي يتخذ مسارين في حركته:

- الأول: حركة إلى الأمام من خلال شخصية ابن إياس ذات الحضور التاريخي المعلوم التي تخطت حقبتها الزمنية المعروفة لها في الواقع واصلة إلى زمن تال بالنسبة إليها.

- الثاني: حركة إلى الخلف - كما يبدو في القصة الأولى من قصص المجموعة - من خلال هذا الرحيل بالحدث المرجعي (حرب يونيو ٦٧) إلى ماض افتراضي، يجلي ذلك شخصية البطل في القصة الأولى.

وتنطلق عملية إعادة تصنيع هذا المرجعي على مستوى الفن من آلية ثابتة في القصتين، هي هذا الصوت المتكلم بضمير المتكلم (أنا) الذي

---

(١) لمصطلح التخييل مرادفات عدة، مثل: التغريب ونزع الألفة (defamiliarization) الذي ارتبط في ظهوره بمدرسة الشكليين الروس وأحد روادها فيكتور شكلوفسكي، ويرى أرباب هذه المدرسة أن وظيفة الاستعارة ليست مقتصرة - كما تقضي بذلك النظرة الكلاسيكية إليها - على تقريب الشيء إلى أذهان القراء؛ إن هدفها في الفنون الأدبية أن تقدم المألوف في سياق جديد وغير متوقع؛ فتجعله يبدو غريبا أو غير مألوف.

- انظر: د. محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة (دراسة ومعجم)، من ص٦٩ إلى ص٧١.

يوظف مُدخَلات الحواس (الحركة بالأقدام والسمع والبصر) في حضوره الراصد المعلق، وفي ظل هذه الآلية يتداخل ما هو فردي مع ما هو جمعي؛ فتجربة البطل الفرد المتكلم بضمير الأنا يمكن رؤيتها من خلال هذا الحال العام الذي يشكل موضوعا يلقي بظلاله على المجموع؛ إن مقياس القيمة في مواقف الأزمة يجري عمليات تقديم وتأخير؛ فيتوارى فيها الخاص - بدرجة كبيرة - لصالح العام الذي يؤثر في الجماعة بكل أفرادها فكرا وحسا وسلوكا؛ ففي قصة ابن إياس وهذه القصة توشك خصوصية التجربة الفردية أن تذوب في تجربة أكبر جمعية الطابع ليست بحدثها وتوابعه والنتائج المترتبة عليه ملكا أو حكرا على فرد أو شريحة محددة.

إن كلا البطلين إذًا يجمعهما هذا الحدث/ الأزمة، الذي يعد بالنسبة إلى ابن إياس مستقبلا، وبالنسبة إلى بطل القصة الأولى يظهر هذا الحدث مع حركته في ثوب ماض مفترض وقوعه؛ إن وقائع يونيو ٦٧ إذًا قد توسعت فنا ومُنحت زمنا مضافا؛ وخطاب السرد في القصتين يضعنا أمام قناعة مفادها:

- الصوت الناطق بضمير المتكلم «أنا» يتناوبه شخصيتان، الشاب في الأولى، والنسخة المتخيلة من ابن إياس في الثانية.

- الحدث الذي يلقي بظلاله على وعييهما والمحيطين بهما واحد.

- كلا الاثنين يعتمد في منطوقه على آلية تداعي الخواطر المسئول عنها فعل الرحلة القائم على الانتقال من مكان إلى آخر، يصاحبه نشاط حاستي السمع والبصر.

- خطاب الحكاية في القصتين بفضل وحدة الحدث - إلى حد كبير - وتشابه هيئة الراوي يجعلهما بمنزلة بنية سردية واحدة، يشغل فيها موقع البطولة اثنان، يُرى الحدث ذو الصبغة المرجعية عبر وعييهما.

وتحيل الصيغة المتخيلة لابن إياس إلى لاحق في داخل المجموعة؛ فاتصال هذه الشخصية بحكم موقعها في التاريخ بالحقبة المملوكية يتيح لها في فن الغيطاني أن تكون أداة ربطة مهمة، نلحظ ذلك من خلال حضور هذه الحقبة في هذا العالم السردي، في القصة الرابعة «هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة»، والقصة الخامسة الأخيرة في المجموعة «كشف اللثام عن أخبار ابن سلام»؛ ففي القصة الرابعة يستهل السارد نشاطه بهذه المقدمة:

«اطلعت على هذا المخطوط منذ شهور في خزانة كتب أحد الجوامع القديمة بالجمالية.. تضم هذه الصفحات ذكريات آمر السجن، الذي عرف في عصور المماليك الغابرة باسم المقشرة، وكثير من صفحات المخطوط مفقودة، غير أني آثرت نشر ما وجدته لندرة مادته وغرابتها، ولم أتدخل إلا نادرا، كذا لاحظت أن المؤلف لم يحدد عصر السلطان

الذي تولى فيه إمرة المقشرة، غير أني أرجح أنه كان زمن السلطان الأشرف قايتباي، أو الأشرف قنصوة الغوري»[١].

إن هذا التمهيد الحكائي الذي قُصِد به إضفاء صبغة تاريخية على المعروض يعد حيلة جمالية، الغرض منها ليس الانتقال بوعي القارئ إلى زمن له مكانه في التاريخ فحسب، بل محاولة توجيه وعي المتلقي للسير في اتجاه ليس ببعيد عن حاضر المبدع وتجربته التي خرج من وحيها إبداعه؛ إن ارتداء الراوي ثوب المؤرخ بالنظر إلى السطور الأولى من المجموعة القصصية[٢] -هذه القصة تحديدا- يعد بمنزلة توكيد درامي وسعي إلى تقوية دلالة يبدو أنها تقبع خلف هذا البناء السردي، وها هو ذا بطل القصة الرابعة يؤدي دور الراوي بالطريقة نفسها التي اتبعها مَن سبق في القصة الأولى والثانية:

«فلما كنت قد توليت إحدى الوظائف الغريبة في زماني التي أخدم بها مولاي السلطان.. ولما كنت أقضي جل وقتي في المقشرة، قلت فلأخط شيئا مما أراه وما أسمعه، وفي بعض الليالي التي أقضيها هنا أضيق بوجودي وبنفسي.. أقوم متجولا حول السور الذي يعلو البناء.. وأسأل

---

(١) جمال الغيطاني، «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، قصة «هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة»، ص٦١.

(٢) يراجع هامش (١٩) من الدراسة.

نفسي، ما الذي يفكر فيه شيخ قضى هنا ما يزيد على سبعين عاما، أو شاب مضى عليه عامان، أتأمل وجوههم، أداعبهم، وربما ضربتهم فجأة، وصرخت فيهم، إنه لا أمل لهم يرجى.. وإذا أردت أن تجعل رجلا من المحابيس الجدد يبكي كالنساء، ويقول: أنا امرأة، فأخبره أن عياله مات منهم اثنان، وأن زوجته طلبت الطلاق منه وتزوجت... جاءني سجان كبير وأخبرني أن الأمير طبقطباي مقدم ألف أرسل جملة محابيس لإيداعهم عندنا.. إنني لا أعرف من يجيء إلى المقشرة إلا بعد تسلمي له، من يدري ربما كان أحد الأمراء.. لا يعلو إنسان في بر مصر والعجم والعرب على المقشرة.. وقبل شكه في الزناجير (الحديد) أضربه مرة واثنتين وثلاثا وأجعله يقاسي من البهدلة والمشاق ما لا خير فيه.. وكلما علا إنسان في مقامه زدنا في إيلامه، هكذا يقول مولانا.. قمت متجولا فوق السور.. ضربت الحجارة بيدي وناديت سجانا كبيرا، سألته متى يصل الوارد الجديد؟.. ألم تعرف بعد من هم؟ قال: إنهم فلاحون، كل منهم كالعود البوص أو عصا الخيزران.. كلهم مثيرون للقرف، سألت واحدا منهم، ماذا فعلت يا ابن معيكة؟.. والله لم أجن ذنبا، لم ينكسر علي درهم واحد من مال السلطان، صفعت آخر على قفاه.. ثم قال: إنهم كانوا في الغيط يرمون البذار، ولا يدرون إلا الفرسان يكسبونهم وينتقون أربعين رجلا منهم ويشكونهم في الحديد، سكت رجل وصاح فلاح عجوز، جاءوا بنا على أننا عربان يا سيدنا، ما قدروا

يمسكوا عربيا واحدا من أهل الجبل، أمسكونا نحن، حتى يقولوا للسلطان، انظر أحضرنا لك أربعين عاصيا ونحن لم نعص ولم..»[1].

إن سياق الزمن المحيط بالكاتب والمتصل بخروج عالمه القصصي هذا إلى النور يكتسب من خلال الفن تمددا وتجذرا في الماضي بفضل علاقة الإحالة البعدية التي تربط القصتين: الثانية والرابعة، بالوقوف عند هذه الثنائيات (الغيطاني وهزيمة ٦٧)، و(الغيطاني وبدائع الزهور في وقائع الدهور لابن إياس)، و(ابن إياس والحقبة المملوكية)؛ إننا بصدد اشتقاق درامي؛ فمن النسخة المتخيلة لابن إياس ولدت فنيا شخصية آمر السجن في القصة الرابعة؛ كلتاهما تحيل إلى زمن مرجعي (عهد المماليك)، لكن الأولى تتفوق على الثانية بأنها في نسختها الحقيقية قد أرَّخت لهذه المرحلة؛ مما يتيح لها في الفن هذه المكانة يضاف إلى ذلك أسبقية البناء القصصي الحاضن لها؛ ألا وهو القصة الثانية «المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا».

إن شخصية آمر السجن الذي يحكي عن نفسه بالآلية نفسها التي تم انتهاجها في القصة الأولى والثانية، تتولد خلال منطوقه تتولد قناعات مفادها:

---

(١) جمال الغيطاني، «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، قصة «هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة»، ص٦٢، ٦٣، ٦٤.

- الحاضر الذي تحياه الذات وما يحصل فيه من ملابسات ليس وليد صدفة، وليس ابن لحظته وحدها، بل تدفع إليه عوامل تمهد له وتتسبب في خروجه، بعضها يتصل بالزمن الماضي.

- لتجربة ٦٧ في حياة الجماعة المصرية والعربية أسباب في سياق الواقع أدت إليها، بينها وبين ما في ماضي هذه الجماعة مواضع شبه؛ ففي ستينيات القرن الماضي كان يجري ما نطق به الفن من خلال شخصية آمر السجن التي تصطبغ بصبغة مرجعية بانتمائها إلى الحقبة المملوكية.

- بناء على التناول السابق تحديدا تصير القصة الرابعة بمنزلة سبب جمالي للحدث الذي صيغ فنا في القصتين الأولى والرابعة.

- إن علاقة الغيطاني بلحظته وبما قرأ عن الماضي في التاريخ من خلال صلته بابن إياس وكتابه بدائع الزهور قد استحال إلى فن قصصي بعنوان إطار جامع «مذكرات شاب عاش منذ ألف عام»، وبعض وحداته السردية تؤكد هذه الحال، كالقصة الأولى «مذكرات شاب عاش منذ ألف عام»، والثانية «المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا» والرابعة «هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة» والخامسة «كشف اللثام عن أخبار ابن سلام»، هذه جميعها تمثل الوجه الاستعاري المرادف والمعبر عن هذا الموجود الواقعي؛ فثنائية (الغيطاني وابن إياس) تتحول إلى مركب جمالي جمعي، عناصره: الشاب في القصة

الأولى، والصيغة الخيالية لابن إياس في الثانية، وآمر السجن في الرابعة، وابن سلام في الخامسة.

- في العلاقة الجدلية بين الواقع والفن يكتسب المضارع المتصل بتجربة الكاتب وظهور عمله الفني إلى فضاء التداول هيئة زمنية مغايرة إذ يبدو في زمن ماض يحمل صبغة مرجعية؛ فتجربة يونيو ٦٧ في حياة الكاتب والجماعة قد استحالت في الفن إلى ماض له طرفان يعبران عنه: السبب تبدو ملامحه في قصة آمر السجن ومفردات القهر والخوف والظلم وما تفضي إليه من تبعات سلبية، فشخصية آمر السجن ليست إلا نموذجا يعكس كائنا في واقع الجماعة الإنسانية عموما ويمكن تصنيفه تحت هذا العنوان (أداة السلطان في التخويف والقمع)، أما النتيجة فتبدو في حدث الأزمة نفسه الذي يسكن في القصة الأولى والثانية من خلال بطلين متجولين يحيلان المسموع والمرئي إلى منطوق يرصد ويعلق.

- إن استعارة الماضي للتعبير عن مضارع يعطي الفرصة لعناصر تبدو في عالم الحقيقة بعيدة الصلة فيما بينها كي تتقارب وتتجاور، يؤكد هذا التصور هذه المتوالية التي تنطلق من الواقع بثنائية الغيطاني وابن إياس وإفادته منها في معالجة فنية لموقف من مواقف العالم الذي يحياه، وفي هذه المعالجة يتشكل مركب سردي قصصي يتناوب دور البطولة فيه شخوص خيالية يحمل بعضها إيحاء - مرده عمل الراوي - أن لها مكانا في زمن قد مضى، وبناء على ذلك فإن الدال «أوراق» في بناء عنوان

المجموعة يحمل في معناه على مستوى الفن أكثر من مدلول، الأول: قصص، والثاني: مترتب على الأول (أبطال)، وتصير هذه العلامة اللغوية «أوراق» بصيغتها اللفظية ومدلولها بمنزلة وجه استعاري يسكن وراءه الكاتب ورؤيته للعالم في ظرف زماني ومكاني محدد، ويقوي في الوقت نفسه هذه الطبيعة المزدوجة للخطاب عموما، الذي ينقسم قسمين: خطاب الوضوح والمباشرة المميز للغة التاريخ على سبيل المثال، وخطاب التلميح المعتمد على الإيحاء والرمز الذي تنضوي تحته أشكال التعبير الفني جميعها، والغيطاني نموذج لمن قام بممارسة الخطاب بوجهيه هذين بحكم عمله الصحفي وما قدمه إلى مكتبة الأدب العربي من أعمال.

- إن تجربة آمر السجن في القصة الرابعة تمثل الرؤية المضادة لتجربة الغيطاني في واقعه؛ فقد تعرض للسجن مدة ستة أشهر في ستينيات القرن الماضي بتهمة انتمائه لتنظيم يساري ماركسي[1]؛ ومن ثم فإن منطوق آمر السجن يشغل الطرف الآخر في ثنائية ضدية تتكون من (سجان ومسجون) أو (جلاد وضحية)؛ وهو ما يعني أننا بصدد جانب من السيرة الذاتية للمؤلف تمت صياغته جماليا بطريقة لها تفردها؛ فلم يصنع الغيطاني شخصية خيالية (تؤدي دور المسجون) يحاكي بها

---

(١) يراجع السيرة الذاتية للمؤلف على الموقع الرسمي له على الشبكة الدولية: www.alghitany.shrouk.com.

تجربتـه المأسـاوية هـذه في واقعـه، لكنـه قـام بصـياغتها بهـذه الكيفيـة العبقرية، مانحا بذلك لتجربته مساحة حضـور أكبر بفضـل هـذا التمـدد الفني لها؛ إذًا فإن ستينيات القرن العشـرين لـم تتجمـد في وعـي الغيطـاني الـذي اسـتحال فنـا عنـد هـذا الحـدث الأزمـة الـذي تجلـى في الهزيمـة فحسب، بل كانت أيضا مشتركا زمنيا يجمع أيضا ما هو فردي ذاتي يمس الكاتب من طريق قريب مباشر، وكلا الاثنين (الجمعي والـذاتي) كـان في مرمى الرصد الفني.

- وفـق هـذا التنـاول يمكـن القـول: إننـا بصـدد مـا يمكـن تسـميته الاستعارة والاستعارة المضـادة، فـالأولى تعبيـر جمـالي ينسـجم ومشـار إليه في العالم، كما هو الحال بالنسبة إلى حال الشخصيتين: الشاب وابن إياس في القصتين الأولى والثانية والحدث المـلازم لحركتهمـا وارتباطـه بما هو كـائن في واقـع الكاتـب، أمـا الاسـتعارة المضـادة فتبـدو بجـلاء في شخصية آمر السجن الذي يبدو في وجه استعاري مضـاد لحـال الغيطـاني في مدة زمنية بعينها شهدها مسار حياته، كان للسجن فيها نصيب منه.

إن الفن الذي يصنع لنفسه عالما موازيا له قوانينه التي تحكمـه ينشـئ معجما خاصا بـه، بعـض ملفوظاتـه تحمـل معـاني ليسـت لهـا في الأصـل؛ وهو ما يسمح للقارئ الباحث عن المعرفة برؤية موسعة للعالم، رؤية لا تعبـأ بفكـرة الشـرح والتأويـل المباشـر؛ فـالفن يحيـل الحالـة الذهنيـة والنفسية المصاحبة للذات في تفاعلها مع سياقها الخـارجي - والأديـب

نموذج لها – إلى وجهة نظر مشبعة بتراكم خبرات وبزاد ثقافي تملكه الذات؛ لذا فإن العبور فوق الطريقة التي تشكلت بها وجهة النظر هذه في الفن والوصول إلى طوابق الدلالة التي يفترض وجودها خلفها يفضي إلى قناعة مفادها أن سطوة الموقف الواقعي على وعي الكاتب وأثره الفاعل الذي كان سببا في إنجاز فني ليس وحده الشيء الذي يخيم على طقس ما قدمه من إبداع، بل يأتي إلى جواره قيم فكرية أخرى، هي بمنزلة مظاهر لتجارب وحالات قد التحمت بالبنيان المعرفي لهذا الفنان؛ فحدث الأزمة المتمثل في هزيمة الجماعة المصرية والعربية في يونيو ٦٧ المرتبط بزمن حاضر عاشه الكاتب وأنتج عمله من خلاله قد كشف من خلال الرصد الجمالي له عن امتداد مع ماض افتراضي حرص الراوي على إلباسه لباسا تاريخيا، سبب وجوده يعود بالدرجة الأولى إلى محصول فكري يمتلكه صانع هذا العالم المتخيل[١].

---

(١) تطرح هذه الرؤية تصورا مفاده أن الخيال ليس فقط مجرد إشارات إلى غائب وفق مقياس المنطق والمقبول في سياق الواقع، بل يعبر أيضا عن كيفية إدراك الذات لما في هذا العالم، هذه الكيفية التي تخضع لقدرة وأدوات، قدرة على صياغة روابط بين موجودات متعذر التقاؤها في هذا السياق وصناعة علاقات بين عناصر بعضها يحظى بوجود خيالي محض وبثها عبر الفن إلى هذا السياق الفيزيقي الملموس؛ لذا فإن ما هو فلسفي يبدو في هذه الثنائية الأثيرة (الفيزيقي والميتافيزيقي) يلتقي بما هو بلاغي بالنظر إلى هذه الحالة المتطورة من الإدراك التي يكشف عنها مصطلح (الاستعارة) ويجتمع حاصل الاثنين معا في فضاء الفن بطرائقه التعبيرية المتنوعة.

=

إن هذه المجموعة مثال يعكس هذه الطبيعة الانفتاحية للفن عموما على معان وسياقات تمنحه دور النافذة أو العين التي يمكن أن نرى من خلالها ما غاب عنا إدراكه، أو ما عسى أن نكون قد وقفنا عليه في داخل حقول معرفية أخرى[1]. إن شخصية ابن إياس في تجليها المزدوج الجامع بين ما هو تاريخي وما هو متخيل يعد دليلا على انفتاح الرؤية هذا؛ فحضورها يبقى مؤثرا وفارضا سطوته على جل عوالم هذه المجموعة القصصية.

وها هي ذي القصة الخامسة الأخيرة الحاملة عنوان «كشف اللثام عن أخبار بن سلام» تؤكد هذا الحضور وتقويه؛ فلا يزال للعصر المملوكي الذي يعد من لوازم ذكر ابن إياس ومؤلفه وجود واضح في فن الغيطاني حتى النهايات:

=

- انظر: روبين جورج كولنجوود، مبادئ الفن، ترجمة: د. أحمد حمدي محمود، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١، من ص٢٣٠ إلى ص٢٣٣.

(١) هذه الطبيعة غير المنغلقة تنضوي تحت مصطلح له مكانه في الدرس النقدي هو التناص أو التناصية (Intertextuality) الذي يعني تجاوز النص حدوده الذاتية بانفتاحه على غيره من النصوص، الوقوف على هذه الحالة عملية يشترك فيها كل من صانع الفن ومتلقي عمله معا.

- انظر: د. عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢، من ص٢٩٨ إلى ٣٠١.

«ذكر أصله ونسبه:

هو الفقير إلى ربه يوسف بن إبراهيم بن سلام.. يقول: إنه سمع أمه تقرن تاريخ مولده بمجيء الوباء العظيم الذي مات فيه أبوه.. وأشاع عساكر العثمانية بين العامة أنه غريب عن بر مصر.. وإلا فأين كان وقت أن عُلق طومانباي على باب زويلة؟.. عندما ثارت فتنة ابن عثمان، وجاءت الرسل من الشام بما جرى لم يعد الرجال يغلقون أبوابهم في حارة درب الرصاص، كما أن ابن سلام لم يعد يغلق بوابتها بعد المغيب.. وفي هذه الليلة التي جاء فيها رجل نفذ بجلده من الشرقية، وراح يحكي ما جرى اقترب منه ابن سلام، وبدا أن ظهره الهرم قد زاد انحناءً: ابن عثمان يعطي الأمان ويدخل بلبيس.. ورجاله يطيحون بالسيف في أهلها.. أما الأحياء منهم فخطفهم العثمانية، وباعوهم بأبخس الأثمان.. واستعاذ ابن سلام بربه، سمعه الرجال يقول: والله لم يجر هذا لمصر من قديم الزمان إلا زمن البختنصر البابلي..

فصل فيما كان يفعله ويقوله:

افترش ابن سلام الطريق الكبير في السوق.. وتساءل التجار والناس والعيال عما ينويه ابن سلام.. زعق ابن سلام زعقة عظيمة.. انزل يا زيني من فوق سرجك وكلمني.. يا زيني ألم تكن أنت الرجل المقرب عند السلطان الشهيد قنصوة الغوري؟!.. ما الذي فعلته وقمت به حتى

نراك اليوم الحبيب المقرب لابن عثمان؟! ألم تدع أنت على الخنكار قبل خروج الغوري إلى الشام؟!..

ذكر أخباره الأخيرة وكيف انتهى أمره:

طاف المشاعلية ثلاثة أيام.. ينادون بأن الكاذب اللئيم مدعي الزهد والعبادة سوف تدق رأسه بالطبر عند باب زويلة ظهر يوم الجمعة، ولمدة أيام ثلاثة علا النواح من البيوت.. طلع ابن سلام فوق المصطبة، رأسه محلوق تماما.. صاح فجأة: اقرءوا الفاتحة.. وقيل: إنه التفت إلى المشاعلي وقال: اعمل شغلك، وجلس القرفصاء، بينما رفع المشاعلي الطبر الثقيل وأهوى به فوق عظام الرأس.. وظل جسده معلقا فوق باب زويلة ثلاثة أيام»[(١)].

إن عمل المبدع الذي يمكن القول: إنه ينطوي عموما على عملية التفات من الواقع بقوانينه إلى الفن يأخذنا هاهنا إلى حالة تساؤلية، يبدو أن الراوي يرمي إليها ويسعى بعمله إلى تقديم جواب هو بمنزلة مقارنة تبين نقاط الالتقاء بما هو حاصل في حاضر معيش من قبل الكاتب ولا تزال له تبعات سلبية تلقي بظلال لها على واقع الجماعة وما هو مسكون في زمن فائت؛ فأزمة يونيو ٦٧ تتطور فنًّا فتتجلى في حدث ذي طابقين:

---

(١) جمال الغيطاني، «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، قصة «كشف اللثام عن أخبار ابن سلام»، ص٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٦، ٧٨.

- الأول: ظهر فيه بدرجة كبيرة بهيئة صريحة قريبة مما هو واقعي، كما هو الحال في تجوال البطل في القصتين الأولى والثانية في المجموعة.

- الثاني: يمنح هذا الواقعي امتدادات ويضيف إليه متعلقات، عندما أسبغ عليه مما هو تاريخي؛ كما هو الشأن بالنسبة إلى قصة آمر السجن وما يأوي إليها من دلالات، وقصة ابن سلام التي تضعنا في موضعِ نتيجةٍ أفضى إليها مصير الجماعة المصرية في الماضي؛ فدخول بني عثمان يشكل لحظة أزمة ولحظة نهاية لدولة استمرت قرونًا، هذه اللحظة لها بالطبع عوامل دفعت إليها وساعدت على وقوعها، وتأتي قصة ابن سلام لتسلط الضوء على بعضه؛ إن استعارة الفن للتاريخ وما يصاحبها من استعارة زمن مضى للتعبير عن حاضر قائم بآثاره الناجمة عنه يشكل علامة فنية تنوب عن حكاية واقعية حقيقية، عناصرها أربعة:

- بطل: ذات المؤلف (نموذجها الغيطاني).

- زمان: عقد الستينيات من القرن العشرين وما جرى في نصفه الثاني.

- مكان: البيئة المصرية.

- حدث: هزيمة يونيو وبعض العوامل التي أدت إليها.

إن منطوق الراوي في قصة ابن سلام يفتح الحدث في طبقته الثانية على سياق فني آخر؛ فحديثه عن الزيني بركات بن موسى، الذي يعد

نموذجا للشخصية المتحولة النفعية التي تتحرك في خدمة مصالح فردية ضيقة بعيدا عن أي وازع أخلاقي يحيل إلى شاطئ أدبي آخر هو شاطئ الرواية، وفيه يستقر القارئ أمام رواية الغيطاني «الزيني بركات»(١).

إن المحدد واقعًا على مستوى الفكرة والزمان والمكان يبدو إذًا على مستوى الفن على موعد مع توسعة له تعكس هذه الفضيلة التي يحظى بها هذا الأخير عموما؛ ألا وهي فضيلة العمق في التناول؛ فالإحالة داخل النص بشقيها القبلي والبعدي التي تضفي على الخطاب القصصي تماسكه وتبدأ من شخصية الشاب في القصة الأولى، ثم ابن إياس في القصة الثانية وتمر بآمر السجن في القصة الرابعة، ثم ابن سلام في الخامسة، تتجاوز حدود هذا العالم واصلة إلى عالم فني مجاور من صنع المؤلف نفسه، ويعد هو الآخر معمولا/ مفعولا لفاعل واحد أسهم في صناعته، يتجلى في علاقة الغيطاني بلحظته المأزومة في ستينيات القرن الماضي وفي إفادته من «بدائع الزهور في وقائع الدهور»، ولأجل ذلك يمكن القول: إن البنية الاستعارية العاكسة لهذه الحال الواقعية تتجاوز هي الأخرى حدود هذا العالم القصصي لتشمل عالما سرديًّا ثانيا من إنتاجه.

---

(١) جمال الغيطاني، الزيني بركات، ط٨، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤.

ث- النص والخارج وتمدد الخطاب الاستعاري

إن الفن الذي يحاول إدراك ما في العالم على طريقته، يحاول عبر الآلية التي ينتقيها لرصده تقديم حكم عليه، وفي ظل الثنائية الأثيرة (الذات والعالم) يتخذ هذا الحكم في تجليه مظاهر عديدة، تبعا للصيغة المستخدمة في ظهوره.

في القصة الثالثة في مجموعة الغيطاني «أيام الرعب»، قد يظن القارئ للوهلة الأولى قبل الالتحام بالتفاصيل أن هذا المركب الإضافي للعنوان امتداد لسابق أو مرتبط دلاليا بلاحق؛ فقد يكون إشارة إلى هذه النكسة التي اصطُلح على تسميتها بحرب الأيام الستة، لكن بالمتابعة يأتي هذا التركيب الإضافي عاكسا لحالة واقعية تشغل مكانا في داخل السياق الاجتماعي المصري، متمثلا في مجتمع الصعيد، وظاهرة الأخذ بالثأر وما يحيط بها؛ إن المؤلف ذا المنشأ الصعيدي يتناول عبر الراوي في هذه القصة تجربة يقف الغيطاني على مسافة منها قربا أو بعدا، عمل هذا الراوي فيها وفق ما يطلق عليه (الصدق الفني) يقوم على تقديم حدث قابل للوقوع، وقابل للتصديق ومن ثم الاقتناع به؛ لذا تضيق الفجوة كثيرا بين المشبه المذكور (البناء القصصي) والمشبه به المحذوف (ما في العالم ويشغل موضوعا لمعالجة الفنية)؛ وهو ما يجعل للاستعارة بوصفها عملية يقوم الفن بتوظيفها في تدشين نظراته إلى ما هو موجود

خارجه درجات تعلو أو تهبط تقترب أو تبتعد من هذا الخارج المحيط به:

«أيام الرعب:

الاسم بالكامل: محروس فياض سلامة.

تاريخ الميلاد: ٩/ ٥/ ١٩٤٥م.

الديانة: مسلم

الوظيفة: رسام في المؤسسة العامة

محل الإقامة: الجمالية..

رقم البطاقة: ٨١٦٦.

تجددت هذه البطاقة في ١٨/ ١١/ ٦٨ .

... «ولدنا الغالي محروس فياض/

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، بعد السؤال عن صحتكم نعرفكم بأننا طيبون، لا ينقصنا سوى رؤياكم، أما بعد، فما كنا نحب إزعاجكم، ولكنك ولدنا ونخاف عليك كما نخاف على أرواحنا بالتمام، فنعرفك يا محروس أن عويضة طلع من السجن، وجمع عليه مهران واد مخلوف وبالمثل الدقل ولد الحويج، وعلمنا انهم سهروا مع بعض كام يوم، وقال عويضه انه مادام أبوك مات ميتة ربنا يرحمه الله ويرحمنا أجمعين، يبقى لازم ياخد تاره منك انت، ايوه منك انت يا

محروس، وحلف على مصحف انه لا بد يدور عليك ولو كنت في آخر الدنيا، وقام طلق دقنه وقلب شال عمامته، وحلف ما يحلق ولا يعدل الشال إلا بعد ما يشرب من دمك...».

من نافذة الحلزونة الخلفية المتسخة رأى أباه يقف فوق الجسر وحيدا.. طالبك ليه يا بوي؟ أنا طلعت من صغري يا محروس يا ولدي ولقيت الناس بتشاور علي وتقول إني مطلوب لعيلة عويضة، أبوي قتل خاله من أربعين سنة، قبل ما اتولد وقبل ما هو ييجي على وش الدنيا.. حتى الشيخ صالح لما رحت له، قال لي وانا حعمل لك إيه دي شريعة البلد يا فياض.. عويضة لغاية دلوقتي ما هوبش ناحيتك، أنا قلت في عقلي يا بني أبعتك سوهاج تتعلم هناك وبعدين تروح مصر، أنا هنا عارف ديتها، لكن ذنبك انت إيه.. »(١).

إن منطوق الجد والأب في هذه القصة الذي ينسجم والمستوى الثقافي والبيئة الاجتماعية لمثل هذه الشخصيات يستدعي بالتوازي معه اللغة الغالبة على السرد في القصة الثانية «المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا» والرابعة «هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة» والخامسة «كشف اللثام عن أخبار ابن سلام»؛ ففي هذه القصص يظهر - إلى حد كبير - التحام الراوي بأداء لغوي يحيل إلى الماضي وإلى

---

(١) جمال الغيطاني، «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، قصة «أيام الرعب»، ص٣٥، ٣٧، ٤٠، ٤١.

البيئة التي كان يعيش فيها ابن إياس المؤرخ وطبيعة الأداء اللغوي السائد حينها، يبدو أن أثر هذا الأداء قد انتقل منه إلى الغيطاني ومن الأخير إلى الراوي وممارسته اللغوية الغالبة على جل قصص المجموعة.

- **ختام**

إذًا نحن بصدد نمط استعاري يمكن أن يُسمى **بالاستعارة اللفظية** التي تقيم ربطا بين النص الفني وما هو كائن خارجه، وينقسم هذا النمط في «أوراق شاب عاش منذ ألف عام» إلى قسمين:

- الأول: يشير إلى لغة عصر ابن إياس التي يبدو أنها تركت صدى لها في عالم الفن، ظهر بداية من خلال عناوين بعض قصص المجموعة، كالقصة الثانية «المقتبس من عودة ابن إياس إلى زماننا»، والرابعة «هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة»، والخامسة «كشف اللثام عن أخبار ابن سلام»، ثم انتقل إلى لغة الراوي في داخلها.

- الثاني: يتعلق باللهجة المصرية وظهورها على لسان عدد من الشخصيات، كما هو الحال في القصة الثالثة «أيام الرعب».

تعالج هذه الرؤية التحليلية – أيضًا – نوعين من الاستعارة، يشجع على ظهورهما تجربة الغيطاني الواقعية مع المعيش (ستينيات القرن الماضي وما جرى فيها) والمقروء (علاقته بالتاريخ على وجه العموم بمراحله المتعاقبة وبابن إياس في بدائع الزهور على وجه الخصوص):

- النوع الأول: يمكن أن يطلق عليه **الاستعارة المقامية،** من خلال تحول الحدث الواقعي (تجربة يونيو ٦٧ وتجربة السجن بالنسبة إلى الغيطاني) من سياق الواقع إلى سياق الفن؛ ففي إطار معالجة الحدث عبر ثنائية السبب والنتيجة تم تناول هذا الواقعي في ثوب متخيل عبر

أنساق قصصية أربعة؛ فالحدث بوصفه نتيجة يأتي فنا في القصة الأولى والثانية (وقائع المعركة وتداخلها مع تجربتي كل من الشاب والنسخة المتخيلة من ابن إياس على الترتيب)، أما السبب فقد قام الفن بمعالجته من خلال قصة آمر السجن في الرابعة وابن سلام في القصة الخامسة وإشارات الراوي فيها إلى موجود في حياة الجماعة الإنسانية عموما؛ ألا وهي الشخصية المتحولة التي تتحرك في سبيل غايات فردية محضة بغض النظر عن أية قيمة أخلاقية، كما هو الحال بالنسبة للزيني بركات، التي تعد أداة ربط فني بين هذه المجموعة ورواية بعنوان يحمل اسم هذه الشخصية للكاتب نفسه؛ إن فكرة الاستعارة المقامية إذًا تنبني على تجربة المبدع في محيطه وما تفرزه من نتائج يعاد تشكيلها في ثوب مغاير يتيح له حضورا أكبر، مزدوجا يجمع بين الحقيقي والمتخيل. وفي الاستعارة المقامية ينكشف على مستوى السرد جانب من السيرة الذاتية للمبدع نفسه في فترة من حياته(١)، وتفي بذلك شخصية آمر السجن التي تخاطب الفردي والجمعي معا في سياق الواقع خارج النص.

---

(١) إن الإشارة إلى السيرة الخاصة بالكاتب بالنظر إلى هذه المجموعة يدفع إليها عالمان قصصيان داخلها، الأول: «هداية أهل الورى لبعض مما جرى في المقشرة» والثاني «أيام الرعب» وتناولها لمسألة الثأر وفيها يبدو هذا الاقتراب الشديد بين ما في الواقع وما هو معتمد على الخيال؛ فبطل القصة محروس فياض في ولادته ومقامه وعمله يحيل إلى جانب كبير من حياة الغيطاني نفسه في الواقع. والحديث عن سيرة =

- النوع الثاني: **الاستعارة النصية، أو الاستعارة داخل الفن**؛ في هذه المجموعة عنصران يسهمان في تماسك أجزائها، شخصية ابن إياس المتخيلة، والحدث الذي يتكون من شقين جمعي (تجربة يونيو ٦٧) وفردي (تجربة السجن بالنسبة إلى الكاتب)؛ إن هذا الحضور لابن إياس كان بمنزلة رحم حاضن لمصنوع خيالي آخر يمت له بصلة ويمثل امتدادا جماليا له، كشخصية آمر السجن وشخصية ابن سلام، مرد ذلك وحدة الزمن المرجعي (العهد المملوكي) الذي يحيل إليه.

إن هناك فعلا للخروج ملازما لابن إياس يتخذ لنفسه وجوها عدة:

=

الشخصية عموما والصياغة الأدبية لها يقود إلى مسألة الإجراء المتصل بهذه الصياغة وشحنة الخيال المتصلة بهذه الصياغة التي قد تزيد وقد تنقص، فتقترب حينا من درجة التطابق مع ما في الواقع وتبتعد حينا آخر عنه.

- انظر: إحسان عباس، فن السيرة، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٩٦، ص٨١، ٨٢.

في هذا السياق يتحدث صاحب فن السيرة عن هذه القضية ضاربا بذلك أمثلة عليها بقوله: «إننا لا نعرف المازني من (إبراهيم الكاتب) ولا توفيق الحكيم من (عودة الروح) ولا العقاد من (سارة)، ذلك لأن هؤلاء حاولوا أن ينسجوا جانبا من تراجمهم الذاتية نسيجا قصصيا.. فكم أجرى هؤلاء تغييرا في الواقع حتى تنسجم قصصهم وتتلاءم أجزاؤها؟ وكم أضافوا إليها من خيالهم؟ وليس من ريب في أن سارة أو عودة الروح أو عصفور من الشرق أو إبراهيم الكاتب تتضمن نواة من حياة أصحابها، وبعض الأحداث التي وقعت لهم ومعالم من شخصياتهم وذواتهم.

- الأول: خروج من سياق الحقيقة إلى سياق الخيال.

- الثاني: مترتب على الأول، خروج من إطاره الزماني إلى إطار زماني مغاير.

- الثالث: الإحالة الناجمة عن حضوره الفني؛ فاتصال هذه الشخصية بحقبة زمنية تاريخية محددة قد أتاح للصيغة المتخيلة لها في سرد الغيطاني أن تدخل في علاقة إحالة بعدية تربطها بمصنوعات فنية أخرى، كشخصية آمر السجن وشخصية ابن سلام، فكأنهما بذلك بمنزلة مشتقين دراميين لها؛ لذا يمكن النظر إليها بوصفها شخصية إطارا (شخصية رئيسة) تؤدي دور المتبوع الجمالي الذي له توابع تمت له بصلة. ويتجاوز حدود هذا النوع من الاستعارة (الاستعارة النصية أو الاستعارة داخل الفن) سياق عالم فني إلى غيره، عندما نجد أن قصة ابن سلام هي مفتاح سردي يلج به القارئ عالما حكائيًّا آخر هو الزيني بركات؛ ومن ثم يمكن القول: إن هناك متوالية استعارية ذات حلقات متعاقبة تبدأ بابن إياس ثم آمر السجن، ثم ابن سلام، ثم الزيني بركات. وكلا العملين: «أوراق شاب عاش منذ ألف عام» و«الزيني بركات» يُنظر إليه بوصفه مفعولا جماليا لفاعل أنتجته التجربة الواقعية ذاتها التي أحاطت بحياة الغيطاني في ستينيات القرن المنصرم.

ويتمدد هذا النوع من الاستعارة بفضل الطابع التكراري للحدث ذي الصبغة المرجعية (نكسة يونيو ٦٧) الذي لم يكن بآثاره حكرا على ذات

أو شريحة بعينها من المهمومين بقضية التعبير، كلٌّ بالطريقة التي يراها؛ فها هو ذا - على سبيل المثال لا الحصر - إبراهيم عبد المجيد يرصده في عمله الروائي «في الصيف السابع والستين»[1]، وأمل دنقل في ديوانه الشعري «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة»[2].

إن مسار البناء الاستعاري بوجهيه: المقامي، والنصي داخل الفن، يجعل من الفن بأشكاله المختلفة بمنزلة مشتق ذي صيغ عدة لواقع قد خرج منه وتشكل من وحيه، وبالنظر إلى الغيطاني في «أوراق شاب عاش منذ ألف عام» و«الزيني بركات» نجد أن هناك مفردات ثلاثة تحكم تجربته فيهما: التاريخ الذي قرأ، والواقع الذي مر عليه، والمنتج الفني الذي خطه القلم.

إن هذه المنظومة ثلاثية العناصر التي يتركب منها خطاب الاستعارة تدفع إلى اتساعه أفقيا - بناء على ما سبق - ليصافح هذه المفردات الثلاثة، ويحمل معه مقومات تماسكه، ومنها يتولد سؤال/ قضية تخاطب عاما: هل يعد الفن الذي أنجزته يد الإنسان قديما وحديثا

(١) إبراهيم عبد المجيد، «في الصيف السابع والستين»، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.

(٢) أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤٠٧، ١٩٨٧، من ص١٠٥ إلى ص١٩٠.

بطرائقه التعبيرية المتنوعة استعارة أو مردافا خياليا للتاريخ الراصد والمسجل لوقائع حياة الأسرة الإنسانية على هذه الأرض؟

مصادر الدراسة ومراجعها:

١- إبراهيم عبد المجيد، في الصيف السابع والستين، ط٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٨٩.

٢- إحسان عباس، فن السيرة، طبعة دار صادر، بيروت، ١٩٩٦.

٣- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، ديوان: البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، ط٣، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٤٠٧، ١٩٨٧.

٤- ابن إياس (زين العابدين محمد بن أحمد)، المختار من بدائع الزهور في وقائع الدهور، طبعة سلسلة كتاب الشعب، القاهرة، ١٩٦٠.

٥- بيار ماشيري، بم يفكر الأدب، ترجمة: د. جوزيف ميشال شريم، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٩.

٦- بول ريكور، الاستعارة الحية، ترجمه وقدم له: د. محمد الولي، ط١، دار الكتاب الجديد، ليبيا، ٢٠١٦.

٧- الجرجاني (عبد القاهر)، أسرار البلاغة، ط١، ١٤١١، ١٩٩١، دار الجيل، بيروت- دلائل الإعجاز، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٠.

٨- جمال الغيطاني، مجموعة «أوراق شاب عاش منذ ألف عام»، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨- رواية الزيني بركات، ط٨، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٤م.

٩- جيرار جينيت، خطاب الحكاية، ترجمة: محمد معتصم وآخرون، ط٢، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧.

١٠- جيرارد ستين، فهم الاستعارة في الأدب: مقاربة تجريبية تطبيقية، ترجمة: محمد أحمد حمد، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٥.

١١- روبين جوروج كولنجوود، مبادئ الفن، ترجمة: د. أحمد حمدي محمود، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١.

١٢- روبرت همفري، تيار الوعي في الرواية الحديثة، ترجمة: محمود الربيعي، طبعة مكتبة غريب، القاهرة، ٢٠٠٠.

١٣- د. صلاح فضل، علم الأسلوب: مبادئه وإجراءاته، ط١، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ٢٠٠٥.

١٤- د. عبد الرحيم الكردي، البنية السردية للقصة القصيرة، ط٣، مكتبة الآداب، القاهرة، ٢٠٠٥.

١٥- عبد الرزاق بلال، مدخل إلى عتبات النص، ط١، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠١.

١٦- عبد الفتاح الحجمري، عتبات النص: البنية والدلالة، ط١، منشورات الرابطة، الدار البيضاء، ١٩٩٦.

١٧- د. عزت محمد جاد، نظرية المصطلح النقدي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠٢.

١٨- عمر أوكان، مدخل لدراسة النص والسلطة، ط٢، إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ١٩٩٤.

١٩- فان دايك، النص والسياق، ترجمة: عبد القادر قنيني، طبعة إفريقيا الشرق، الدار البيضاء، ٢٠٠٠.

٢٠- فردينان دي سوسير، أصول اللسانيات الحديثة وعلم العلامات، ترجمة: د. عز الدين إسماعيل، ط١، المكتبة الأكاديمية، القاهرة، ٢٠٠٠.

٢١- مجدي وهبة، كامل المهندس، معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ط٢، مكتبة بيروت، لبنان، ١٩٨٤.

٢٢- د. محمد العبد، النص والخطاب والاتصال، ط١، المكتبة الأكاديمية الحديثة، القاهرة، ١٤٢٦، ٢٠٠٥.

٢٣- محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، ط١، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ١٩٩١.

٢٤- د. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، ط١، المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، القاهرة، ١٩٩٤ - البلاغة العربية: قراءة أخرى، ط١، المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، القاهرة، ١٩٩٧.

٢٥- د. محمد عناني، المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم، ط١، المصرية العالمية للنشر (لونجمان)، القاهرة، ١٩٩٦.

٢٦- د. محمد فكري الجزار، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٩٨.

٢٧- محمد مفتاح، دينامية النص: تنظير وإنجاز، ط٣، المركز الثقافي العربي، بيروت، ٢٠٠٦.

٢٨- د. محمود محمد عيسى، تيار الزمن في الرواية المعاصرة، طبعة مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٩١.

٢٩- ابن منظور (أبو الفضل جمال الدين)، لسان العرب، الموسوعة الشعرية الإلكترونية، ركن المعاجم، إصدار المجمع الثقافي العربي، الإمارات العربية المتحدة، ٢٠٠٣.

٣٠- د. نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ط٣، دار غريب بالقاهرة، دون تاريخ.

٣١- د. يوسف أبو العدوس، الاستعارة في النقد الأدبي الحديث، ط١، الأهلية للنشر، الأردن، ١٩٩٧.

٣٢- يوسف الشاروني، القصة تطورا وتمردا، ط٢، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠١.

٣٣- الموقع الرسمي للكاتب جمال الغيطاني على الشبكة الدولية، www.Alghitany.shrouk.com.



الاختيار النحوي وعلاقته بالنص في شعر عبدالسلام هاشم حافظ

د. فايز صبحي عبدالسلام تركي

- من مصر، مواليد ١٩٦٩م، أستاذ النحو والصرف بقسم اللغة العربية- كلية الآداب، جامعة الملك فيصل.
- دكتوراه في النحو والصرف والعروض، من كلية دار العلوم، بجامعة القاهرة، عام ٢٠٠٣م (مرتبة الشرف الأولى).

ملخص

إنَّه مِمَّا لا شَكَّ فيه أنَّ النَّصَّ يتكونُ مِنْ مجموعةٍ منَ الخيوطِ، تُسْهِمُ في بنائه، ومن بينها النَّحْوُ، بما يتضمَّنُهُ من إسنادٍ، وما يُكمِّلُ هذا الإسناد؛ ومن ثَمَّ كان لاختيارِ الكلمةِ في التَّركيبِ النَّحْويِّ بالنَّصِّ أهميتُها في ظِلِّ العمليةِ الإبداعيَّةِ، وما يتبع ذلك من معنًى يُراد؛ أي أنَّ ثَمَّةَ علاقةً بين نَظْمِ الكلماتِ أو ترتيبها في النَّصِّ بطريقةٍ مُعيَّنةٍ والمعاني في النَّفْسِ.

هنا أُشيرُ إلى أنَّ سبيلَ النهوضِ بالتَّناولِ النَّحْويِّ والصَّرْفيِّ يكمنُ في تسليطِ الضَّوءِ على المُرتَكَزاتِ الصَّرفيةِ والنَّحْويةِ ومغزى اختيارِ الوظائفِ النَّحويةِ والبِنَى الصَّرفيةِ وبيانِ دَورِها في النصوصِ مِن ناحيةِ كُنْهِ هذه المُرتكزاتِ ومدى إعمالِ العقلِ فيها؛ بالخروجِ منْ دائرةِ ما تجاوزْناه إلى ما يمكنُ تفعيلُه وتجديدُه؛ لِيتَخَطَّى إطارَ الفَهْمِ الجزئيِّ إلى آفاقِ المُعَالَجةِ الكُلِّيةِ للنَّصِّ، سواءٌ أكان نثرًا أَمْ شِعْرًا. هذا، مع مراعاةِ علاقةِ هذه المرتكزاتِ بالنَّسْجِ الشِّعريِّ في النَّصِّ الشِّعريِّ، ومدى تعانُقها معه؛ مِنْ أَجْلِ استقامةِ الوزنِ وصِحَّةِ القافية، على اعتبارِ أنَّ كُلًّا منهما جزءٌ من المعنى النَّصِّيِّ.

في هذا الإطار يأتي هذا البحثُ في ديوانِه «أنوارٌ ذهبيَّةٌ»، لعبد السلام هاشم حافظ، مُبتغيًا من ورائه بيانَ أنَّ النَّحْوَ في النَّصِّ ليس الهدفُ منه كونَه معيارًا للخطأ والصَّوابِ فقط فيما يُصْطَلَحُ عليه بالنَّحو التَّقعيديِّ،

بل هو عنصرُ حياةٍ، به تدِبُّ الحياةُ في العمليةِ الإبداعيةِ من خلال اختيارِ الشَّاعرِ، على نحو ما نجدُ فيما اتَّخذَه البحثُ من مُحدِّداتٍ له- وهي الصِّفةُ والعطفُ والإضافةُ- فكان العنوان «الاخْتِيارُ النَّحْوِيُّ وعَلَاقتُهُ بالنَّصِّ في شِعْر عبد السَّلام هاشم حافظ»، مُتَّبِعًا المنهجَ الوصفيَّ المتَّخذَ من التَّحليلِ أداةً له؛ ومنْ ثَمَّ كان تقسيمُه على مُقدِّمةٍ وثلاثةِ مباحثَ، تَتَضمَّن مطالبَ داخليَّةً حسَبَ مُقتضيات البحث، وهي:

المَبْحثُ الأوَّلُ: الصِّفةُ ودورُ اختيارها في النَّصِّ لدى عبد السَّلام هاشم.

المَبْحثُ الثَّاني: العَطْفُ ودورُ اختياره في النَّصِّ لدى عبد السَّلام هاشم.

المَبْحثُ الثَّالث: الإِضافةُ ودورُ اختيارها في النَّصِّ لدى عبد السَّلام هاشم.

هذا، وقد أُتبِعتْ هذه المباحثُ بخاتمةٍ، تضمَّنت أَهَمَّ نتائجِ البَحْثِ، ثُمَّ أُتبِعت الخاتمةُ بقائمةٍ بمصادرِ البحثِ ومراجعِه، القديمةِ منها والحديثةِ.

تمهيدٌ

الحَمْدُ لِلَّهِ على جَزيلِ نَعْمَائِهِ، وَالصَّلاةُ والسَّلام على أَشْرَفِ رُسُلِهِ وأَنْبيائِهِ، وعلى آلِهِ وأصْحابِهِ الذين حَفِظُوا القرآنَ، وحافَظُوا عليه مِنَ التَّبْدِيلِ والتَّحرِيفِ، فكانُوا أَعْلامًا، يُهتدَى بهديهم، أمَّا بَعْدُ،

فإنَّه مِمَّا لا شَكَّ فيه أنَّ النَّصَّ يتكونُ مِنْ مجموعةٍ منَ الخيوطِ، تُسْهِمُ في بنائه، ومن بينها النَّحْوُ، بما يحملُهُ من إسنادٍ، وما يُكمِّلُ هذا الإسنادَ؛ ومن ثَمَّ كان لاختيارِ الكلمةِ في التَّركيبِ النَّحْويِّ بالنَّصِّ أهميتُها في ظِلِّ العمليةِ الإبداعيَّةِ، وما يتبع ذلك من معنًى مُراد؛ أي أنَّ ثَمَّةَ علاقةً بين نَظْمِ الكلماتِ أو ترتيبها في النَّصِّ بطريقةٍ مُعيَّنةٍ والمعاني في النَّفْسِ، وهنا يحضرُني ما قاله عبد القاهر الجرجاني: «الفرقُ بين قولنا: «حروفٌ منظومةٌ» و«كلِمٌ منظومةٌ»؛ وذلك أنَّ نَظْمَ الحروفِ هو تواليها في النُّطْقِ فقط، وليس نَظْمُها بمُقتضًى عن معنى، ولا النَّاظم لها بمقتفٍ في ذلك رَسْمًا منَ العقلِ اقتضى أنْ يتحرَّى في نَظْمِهِ لها ما تحرَّاه، فلو أنَّ واضِعَ اللُّغةِ كان قد قال: «رَبَضَ» مكان ضَرَبَ، لَمَا كان في ذلك ما يؤدِّي إلى فسادٍ.

وأمَّا نَظْمُ الكَلِمِ، فليس الأمرُ فيه كذلك؛ لأنَّك تقتضي في نَظْمِها آثارَ المعاني، وتُرتِّبها على حسَب ترتيبِ المعاني في النَّفسِ، فهو إذًا نَظْمٌ يعتبرُ

فيه حالُ المنظومِ بعضه مع بعضٍ، وليسَ هو النَّظْمَ الذي معناه ضَمُّ الشَّيءِ إلى الشَّيء كيف جاء واتَّفق»[١].

وهو الأمرُ الذي يؤكِّدُ عَدَمَ إغفالِ النَّحْوِ في عمليةِ الإبداعِ، وأنَّ تتابعَ الألفاظِ دون مُراعاةِ النَّحْوِ لا يؤدِّي إلى شيءٍ، وهو ما أكَّده عبد القاهر أيضًا في قولِه: «وإنك إنْ عمَدت إلى ألفاظٍ فجعلتَ تُتْبِعُ بعضَها بعضًا منْ غير أنْ تتوخَّى فيها معانِيَ النَّحْوِ، لم تكنْ صنعتَ شيئًا تُدعَى به مؤلِّفًا»[٢].

هنا أُشيرُ إلى أنَّ سبيلَ النهوضِ بالتَّناولِ النَّحْويِّ والصَّرْفيِّ يكمنُ في تسليطِ الضَّوءِ على المُرتَكَزاتِ الصَّرفيةِ والنَّحْويةِ ومغزى اختيارِ الوظائفِ النَّحويةِ والبِنَى الصَّرفيةِ وبيانِ دَورِها في النصوصِ مِن ناحيةِ كُنْهِ هذه المُرتكزاتِ ومدى إعمالِ العقلِ فيها؛ **بالخروجِ منْ دائرةِ ما تجاوزْناه إلى ما يمكنُ تفعيلُه وتجديدُه؛ لِيتَخَطَّى إطارَ الفَهْمِ الجزئيِّ إلى آفاقِ المُعَالَجةِ الكُلِّيةِ للنَّصِّ**، سواءٌ أكان نثرًا أَمْ شِعْرًا. هذا، مع مراعاةِ علاقةِ هذه المرتكزاتِ بالنَّسْجِ الشِّعريِّ في النَّصِّ الشِّعريِّ، ومدى

---

(١) دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ودار المدني بجدة، السعودية، الطَّبْعَةُ الثالثة، 1413هـ -1992م، صـ 49.

(٢) السَّابق صـ 370 – 371.

تعانُقها معه؛ مِنْ أَجْلِ استقامةِ الوزنِ وصِحَّةِ القافية، على اعتبارِ أنَّ كُلًّا منهما جزءٌ من المعنى النَّصِّيِّ[1].

هذا، وقد لفتَ انتباهي ما ورد بدراسةٍ عن الشَّاعر عبد السلام هاشم حافظ المولود بالمدينة المنورة عام ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٨ م، تلك الدِّراسةُ بجامعةِ أُمِّ القُرى، بعنوان «شِعر عبد السلام هاشم حافظ، دراسةٌ وتحليل»، فتصفحتُها، فإذا بها تشيرُ إلى أنَّ ثَمَّةَ سماتٍ أسلوبيةً بشِعرِهِ، منها تعدُّدُ الصِّفاتِ والإضافاتِ والمعطوفاتِ، مُشيرةً إلى أنَّ الصِّفةَ لديه قد تأتي مِنْ غيرِ مدلولٍ نفسِيٍّ، فتُصْبِحُ حينئذٍ لا قيمةَ لها، وأنَّ المعطوفاتِ سِمَةٌ واضحةٌ في شِعْرِه، وكَثْرَتُها عنده أضْعَفَت كثيرًا مِنْ شِعرِه؛ لأنَّه يعتمدُ عليها كثيرًا في إتمام البيتِ، وأنَّ ثَمَّة قوافي مُعتَسَفةً،

(١) يُنْظَر: النَّحو والشِّعر «قراءة في دلائل الإعجاز»، د. مصطفى ناصف، مجلة فصول، العدد الثَّالث، أبريل1981م، صـ 36، والجملة في الشعر العربي، د. محمد حماسة، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الأولى، 1990 م، صـ 5، والتَّركيب اللُّغويُّ للأدب «بحث في فلسفة اللغة والإستطيقا»، د. لطفي عبد البديع، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، 1409 هـ -1989 م، صـ 176، وتعانُق البناء النحوي مع القافية في بائية ذي الرمة ودلالته في النص، د. فايز صبحي تركي، حولية الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الخامسة والثلاثون، الكويت، 1436هـ-2014م، صـ 98-13.

تجيءُ لإتمام البيتِ وإقامةِ الوزنِ فقط[١]؛ ومن ثَمَّ كانت هذه مُشكلةَ بحثي هذا.

وهو ما أدَّى بي إلى أنْ وضعتُ هذه الملاحظاتِ على المَحَكِّ، لاسيَّمَا في ديوانِه «أنوارٌ ذهبيَّةٌ»، فبانَ لِيَ أنَّ الأمرَ يحتاجُ إلى كبيرِ إيضَاحٍ وإفصَاحٍ وتأمُّلٍ دقيقٍ تِجاه ما اختارَه الشَّاعِرُ من هذه الوظائفِ النَّحْويةِ؛ مِنْ مُنْطلقِ القَولِ بأنَّه «إذا تناولنا الشِّعْرَ بوَصْفِهِ فنًّا لُغَويًّا، فإنَّ النَّحْوَ في هذه الحالةِ يعدُّ أحدَ الأبنيةِ الأساسيةِ التي ينبغي الاعتمادُ عليها في تفسيرِه؛ لأنَّ العلاقاتِ النَّحْويةَ في النَّصِّ على مستواه الأفقيِّ هي التي تخلُقُ أبنيتَهُ التصويريةَ والرَّمزيةَ، وعلى مستواه الرَّأسيِّ هي التي تُوجِدُ توازيَهُ وأنماطَ التَّكرارِ فيه، وتُحْكِمُ تماسكَه واتِّساقَهُ، وهذا كلُّهُ يُؤسِّسُ بِنْيةَ النَّصِّ الدَّلاليةَ»[٢]، وأنَّ حركةَ النَّحْوِ حركةُ إبداعٍ[٣]، وأنَّ كُلًّا مِنَ الوزن والقافيةِ جزءٌ من إنتاج المعنى النَّصِّيِّ.

---

(١) ينظر: شِعر عبد السَّلام هاشم حافظ، دراسة وتحليل، رحمة مهدي علي الرِّيمي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أُمِّ القُرى، 1413 هـ -1993 م، صـ 306، 311، وتجدر الإشارة إلى أنَّ القول بالمدلول النَّفسِيِّ من تعبيرِ هذه الباحثة، ولعلَّها تقصد أنَّ الصِّفةَ لدى الشَّاعرِ قد تأتي حشوًا، لا لمعنًى يقصده.

(٢) الإبداع الموازي «التحليل النصيُّ للشِّعر»، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، مصر، 2001م، صـ 10.

(٣) ينظر: النَّحو ودوره في الإبداع، د. أحمد محمد كشك، دار غريب، القاهرة، مصر، 2008 م، صـ 9 وما بعدها.

هذا، ولمَّا كان فيما تقدَّمَ ما يُشْعِرُ بسببِ اختيارِ هذا البحثِ عنوانًا وموضِعَ تطبيقٍ، فإنَّه تجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ المنهج المُتَّبَعَ فيه هو المنهجُ الوصفيُّ المتَّخذُ من التَّحليلِ أداةً له، غيرَ مُعتمِدٍ على الإحصاءِ لاسيَّما أنَّ الإحصاء لابدَّ أنْ يُفسَّرَ، من حيثُ غلبة شيءٍ على شيءٍ، وهو ما لا تتَّسع له مثلُ هذه الأبحاث؛ ومِنْ ثَمَّ كانت إشارتي بنهاية البحثِ إلى أنَّه خطوةٌ على الطريقِ لِمَنْ أراد أنْ يُكْمِل.

وبناءً على ذلك كان عنوان هذا البحث «الاخْتِيارُ النَّحْوِيُّ وعَلَاقتُهُ بالنَّصِّ في شِعْر عبد السَّلام هاشم حافظ» مُقيِّدًا إيَّاه في هذا التمهيد بكونِ هذا الاختيار مِنْ خلالِ الصِّفةِ والعَطْفِ والإضافة، في ديوانه (أنوار ذهبية)، مُبتغيًا من ورائه بيانَ أنَّ النَّحْوَ في النَّصِّ ليس الهدفُ منه كونَه معيارًا للخطأ والصَّوابِ فقط فيما يُصْطَلَحُ عليه بالنَّحو التَّقعيديِّ، بل هو عنصرُ حياةٍ، به تدِبُّ الحياةُ في العمليةِ الإبداعيةِ من خلال اختيارِ الشَّاعرِ، على نحو ما نجدُ فيما اتَّخذَه البحثُ من مُحدِّداتٍ له- وهي الصِّفةُ والعطفُ والإضافةُ- تُسْهِمُ في طولِ التَّبعيَّةِ، وطولِ التَّعاقبِ، وطُولِ التَّعدُّد، والتَّرابُطِ - بجانبِ التَّرابُطِ الحاصلِ بين عُنْصُرَي الإسنادِ- وتَوَافُقِ البناءِ النَّحْويِّ مع النَّسْجِ الشِّعريِّ، غيرَ مُنْفكَّةٍ عن المعنى النَّصِّيِّ، وعلى المُتلقي أنْ يكونَ ذا بصيرةٍ، تُمكِّنُهُ مِنَ استكنَاهِ حركةِ النَّحوِ في النَّصِّ، مِنْ خلالِ هذه المُحدِّداتِ التي قد تكونُ في بعضِ الأحيانِ الغايةَ والقَصْد.

وهكذا، فقد بان لنا، ما يطمحُ إليه هذا البحثُ، فاستقريتُ الدِّيوانَ موضِعَ الدِّراسةِ؛ ومنْ ثَمَّ كان تقسيمُه على مُقدِّمةٍ وثلاثةِ مباحثَ، تَتَضمَّن مطالبَ داخليَّةً حسَبَ مُقتضيات البحث، وهي:

المَبْحثُ الأوَّلُ: الصِّفةُ ودورُ اختيارها في النَّصِّ لدى عبد السَّلام هاشم.

المَبْحثُ الثَّاني: العَطْفُ ودورُ اختياره في النَّصِّ لدى عبد السَّلام هاشم.

المَبْحثُ الثَّالث: الإِضافةُ ودورُ اختيارها في النَّصِّ لدى عبد السَّلام هاشم.

هذا، وقد أُتبِعتْ هذه المباحثُ بخاتمةٍ، تضمَّنت أَهَمَّ نتائجِ البَحْثِ، ثُمَّ أُتبِعت الخاتمةُ بقائمةٍ بمصادرِ البحثِ ومراجعِه، القديمةِ منها والحديثةِ.

المَبْحثُ الأوَّل

الصِّفةُ ودورُ اختيارها في النَّصِّ لدى عبد السَّلام هاشم

للصِّفةِ أو النَّعتِ أغراضٌ كثيرةٌ، توقَّفَ النُّحاةُ أمَامها، وموصوفها إمَّا أنْ يكونَ نكرةً أَوْ معرفةً، فصِفةُ المعرفةِ للبيانِ والتَّوضيحِ، وصِفَةُ النَّكرةِ للتَّخصيصِ، وهو إخراجُ الاسمِ مِن نوعٍ أخصَّ منه، فهي ترفعُ وتزيلُ الاشتراكَ اللَّفْظِيَّ في المعارفِ، وتقلِّلُ الاشتراكَ المعنويَّ في النَّكراتِ، فهي في الأوَّلِ جاريةٌ مجرى بيانِ المُجْملِ، وفي الثَّاني جاريةٌ مجرى تقييدِ المُطْلَق[١].

وبعيدًا عن التَّفريق بين الصِّفة والنَّعتِ لدى البصريين والكوفيين أُشيرُ إلى أنَّ النحاة قد عرَّفوا النَّعتَ بأنَّه: «الاسمُ الدَّالُّ على بعضِ أحوالِ الذَّاتِ» ومثَّلوا لذلك بطويلٍ، وقصيرٍ، وعاقلٍ[٢]، وعرَّفَهُ أبو حيان

---

(١) يُنْظَر: شرح المفصل، ابن يعيش «موفق الدين يعيش بن علي، ت 643 هـ» مكتبة المتنبي، القاهرة، 1990 م، 3/ 47، والصفة «فائدتها وأحكامها» للدكتور صبحي رشاد عبد الكريم، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بالمنوفية، العدد التاسع، 1989 م، صـ 442.

(٢) شرح المفصل 3/ 46.

بأنَّـه «تـابعٌ مقصـودٌ بالاشـتقاقِ وَضْـعًا أَوْ تـأويلًا»[١]. وعرَّفـه السـيوطيُّ بقوله: «تابعٌ مكمِّلٌ لمتبوعهِ؛ لدلالتِهِ على معنًى فيه أو في مُتَعلِّقٍ به»[٢].

وعرّفـه الزَّجَّـاجيُّ بقولِـهِ: «تـابعٌ لمنعـوتٍ في رَفْعِـهِ ونَصْـبِهِ وخَفْضِـهِ، وتعريفِهِ وتنكيرِه»[٣]. وهـذا لـيس حـدًّا للنَّعـتِ، وإنَّما هـو ذِكْرٌ لأحوالِـهِ الإعرابيـةِ، وتطابُقِـهِ معـه، مـن خـلالِ قرينَتَـي العلامـةِ الإعرابيـةِ والتَّعيـينِ اعتمـادًا علـى ناحيـةٍ شـكليَّةٍ مـن دونِ الالتفـاتِ إلـى وظيفتِـهِ، وفي هـذا ترسيخٌ للمنطلَقِ الشَّكليِّ في النَّظرِ إلى مسائلِ النَّحوِ، وهـو مـا درجـت عليه كثيرٌ من الدِّراسات[٤].

---

(١) ارتشاف الضرب، لأبي حيّان الأندلسيّ «ت 745 هـ»، تحقيق الدكتور رجب عثمان محمـد، ومراجعـة الـدكتور رمضـان عبـد التـواب، مكتبـة الخـانجي، القـاهرة، ط 1، 1988، صـ 1907، وقد فرَّق بالصفحة نفسِها بين المقصود بالاشتقاق والمشتقّ.

(٢) همـع الهوامـع، للسيوطي، تحقيـق وشـرح د. عبـد العـال سـالم مكـرم، دار البحـوث العلمية، الكويت، 1399 هـ -1979 م، 5/ 171.

(٣) الجمل، للزجاجي، اعتنى بتصحيحه الشيخ ابـن أبـي شـنب، الجزائـر، 1926 م، 26، وينظر: 193شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور ت 669 هـ، تحقيـق د. صـاحب أبـو جناح، عالم الكتب، بيروت، الطَّبْعَةُ الأولى، 1999، 193/ 1.

(٤) يُنْظَـر: التوابـع في ضَـوْء نظريتَـي القـرائن والمقاصـد النعـت نموذجًـا، د. وليـد محمـد السراقبي، العدد السادس والثمانون، مجمع اللغة العربيـة، الأردن، 2015م، صـ21، وهنا أُشيرُ إلى أنَّه قد يوصَفُ الواحدُ بالجمعِ كجوازِ وصْفِ الجمع بالواحـد. يُنْظَـر: التَّمام في تفسير أشعار هُذَيل ممَّا أغفله أبو سعيد السُّكري»، ابن جنِّي، حققه وقـدَّم لـه أحمـد نـاجي القيسـي، وآخـرون، وزارة المعـارف العراقيـة ومطبعـة العـاني، بغـداد، =

وقال التهانوي: «وهو -أي النَّعت-يُطْلَقُ عند النُّحاةِ على الوصْف المُشْتَقِّ، كاسمِ الفاعلِ والمفعُولِ والصِّفةِ المُشَبَّهةِ... وعلى قِسْمٍ من توابعِ الاسمِ، ويُسَمَّى وصْفًا وصِفةً أيضًا، وعُرِّفَ بأنَّه تابعٌ على معنًى في متبوعه مُطلقًا. فقولنا: تابعٌ، احترازٌ عن غيرِ التَّوابعِ كالحالِ. وقولُنا: يدلُّ على معنًى... إلى آخره، يدلُّ بهيئتهِ التركيبيّةِ على معنًى دلالةً مُطلقةً غيرَ مُقيَّدةٍ بخصوصيةِ مادَّةٍ من الموادِّ، احترازًا عن سائر التَّوابع»(١).

ولمّا كانت الصِّفةُ تكونُ مُفردةً، أي صريحة وتكون بالجملةِ الاسمية أو الفعليةِ، وتكون بشبه الجملةِ، وهو ما يُطلقُ عليه الصِّفةُ غيرُ الصَّريحةِ، فإنَّ النُّحاةَ قد اشترطوا في جُملةِ الصفةِ أنْ تكونَ خبريةً مُشتملةً على ضميرٍ يربطها بالموصوف؛ لأنَّ الصِّفةَ كالخبرِ، فكما لابدَّ من عائدٍ إلى المبتدأ إذا وقعت الجملةُ خبرًا، فكذلك لابدَّ منه في الجُملةِ إذا وقعت صفةً، ويُشترطُ في الضَّميرِ أنْ يطابقَ المنعوتَ في التنكيرِ

=

العراق، الطَّبْعَة الأولى، 1381 هـ-1962 م، صـ 80 -81، 220 - 221، والتَّفاعل النحويّ لدى ابن جِنِّي في تحليل الخطاب «دراسةٌ في كتاب التَّمام في تفسير أشعار هذيل، د. فايز صبحي عبد السلام تركي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة 459، الحولية 37، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، 1437هـ-2016م، صـ 128-125.

(١) كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، رفيق العجم -علي دحروج، مكتبة لبنان، 1996 م، 1711.

والتأنيثِ وغيرِه، وقد يكونُ مذكورًا، بارزًا أو مستترًا، وقد يُحْذفُ إذا عُرِفَ من خلالِ السِّياقِ، وحَذْفُه هنا كثيرٌ، وفي الصِّلةِ أكثر، وفي الخبرِ قليلٌ(١).

هذا، وقد استقريتُ ديوان (أنوار ذهبية)، فوجدتُ الشَّاعرَ عبد السَّلام هاشم حافظ مُهتمًّا ببيانِ المعارفِ وتوضيحِها، وتخصيصِ النَّكراتِ، سواءٌ أكان ذلك في سياقِ الجُملةِ الاسميةِ أَمْ في سياقِ الجُملةِ الفعليةِ، وسواءٌ أكان ذلك في حَشْوِ البيتِ أَمْ في عروضِهِ أَمْ في ضَرْبِه، وسواءٌ أكانت الصِّفةُ مفردةً أَمْ جُملةً أَمْ شِبْهَ جُملةٍ، وسواءٌ أكان النَّعتُ مُتعدِّدًا أَمْ غير مُتعدِّدٍ، ويمكن توضيح ذلك فيما يلي:

---

(١) يُنْظَر: شرح المفصل 1/ 54، وشرح الكافية، للرضيِّ، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، الطَّبْعَةُ الثانية، 1996 م، 2/ 298، وأوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام «جمال الدين بن هشام الأنصاري، ت 761 هـ»، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، 1995 م، 3/ 275 -2276، وهمع الهوامع 5/ 172 وما بعدها، وشرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني «نور الدين أبو الحسن علي بن محمد» ت 929 هـ، تحقيق د. عبد الحميد السيد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د. ت، 3/ 115، وشرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت، 2/ 112، والنحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، 1976م، 3/ 474 - 476.

أوّلًا -النَّعت بالمفردِ:

طُبِعَ ديوانُ (أنوار ذهبية) باستخدام النَّعت المفرد، مُشتقًّا أو غيرَ مُشتقٍّ، وذلك نَحْوُ قولِ الشَّاعر[1]:

مَـا أَمتَـعَ الـدُّنيا لِمَـنْ يَلْهُـو بهـا	ويُطـوِّعُ الأَحـلامَ لِلـزَّمنِ العَجِـلْ
أَنَـا إِنْ شَـقِيتُ لِنَهْـزَةٍ فَلَرُبَّمَـا	قَلَقِـي وآلامِـي هـي الـثَّمنُ الجَلَـلْ
لِلْمَجْدِ والمجهولِ في غَديَ الذِي	سـيكونُ يـومَ رحيلـيَ البـاكي هنـا

فهذه الأبياتُ من قصيدة (ترنيمة للغد)، فيها يتعجَّبُ الشَّاعرُ مِنْ شِدَّة جمالِ متاعِ الدُّنيا لِمَنْ يلهو بها، ويجعلُ أحلامَه طوعًا لهذا الزَّمنِ الفاني، ثُمَّ يُشيرُ إلى أنَّه إنْ شَقِي نتيجةَ نهوضِه واندفاعِهِ لشيءٍ مَّا فربما يكونُ ثَمنُ ذلك ما يعانيه من قلقٍ وآلامٍ، وهو ثمنٌ جَلَلٌ، وما ذلك الاندفاعُ والقلقُ والآلامُ إلَّا بسببِ تطلُّعِهِ للمجدِ والمستقبلِ غيرِ المعلوم، ذلك المجدُ له غدٌ وصَفَهُ الشَّاعرُ من خلالِ الاسمِ الموصولِ مع صِلته، فكانت مُوضِحةً للاسمِ الموصولِ مُتَّخذَةً نمطَ (الفعل المضارع+ الفاعل المستتر+ ظرف الزمان+ مضاف إليه متكرر+ النعت+ ظرف المكان)، فأفادت أنَّ هذا الغدَ سيكونُ يومَ رحيلِهِ

---

(١) ديوان أنوار ذهبية، عبد السلام هاشم حافظ، نادي القصيم الأدبي، بريدة، 1387 هـ، صـ 38 – 39، وينظر أيضًا صـ 44.

المُتَّصِفِ -من خلالِ النعتِ بالمُشتقِّ (الباكي)- بأنَّه رحيلٌ باكٍ في هذا المكان الذي هو موضع الحديث.

وذلك أنَّ الصِّفةَ باسمِ الفاعل تدلُّ على وَصْف الفاعلِ بالحَدَثِ على سبيل الاستمرارِ والانقطاعِ؛ أي على الحَدَثِ والحُدُوثِ وفاعلِهِ، وليس ذلك فحسبُ بل إنَّ صِفةَ الفاعِلِ هنا بمعنى المفعول، فالرَّحيلُ لا يبكِي، إنَّما يُبكَى عليه، وذلك من طاقاتِ اللُّغَةِ الشِّعريةِ التي يمكن أنْ يَتوصَّلَ إليها المُتدبِّرُ مُعرِبًا عن سبب إيثارِ التَّعبيرِ بصيغةِ اسمِ الفاعلِ بمعنى مفعول، وهو ما يُعربُ عنه التَّركيبُ في سياقه، وفيما يتّصلُ بنشاطِ السِّياقِ وفاعليةِ البناءِ الصَّرفيِّ فيه أشيرُ إلى أنَّ هذا البناءَ «لنْ يكون فعَّالًا ما لم يكن مُرتكِزًا على نشاطِ التَّركيبِ أو فاعليةِ السِّياقِ. أمَّا البناءُ الذي يُنْظرُ إليه بمعزلٍ عن هذه الفاعليةِ أو هذا النَّشاطِ فلا بُدَّ له أنْ يكونَ قريبَ المرمى واضحًا، إذْ يكونُ نتاجًا للبُعْدِ الواحدِ أو المدلولِ المُوجَّهِ، أَوِ الموقفِ المعزول»[(١)].

وإذا نظرنا إلى البناء الصَّرفيِّ المتمثِّلِ في صيغةِ فاعل المنعوتِ بها (الباكي)، مَهَّدنا لذلك بأنَّ اسمَ الفاعلِ صفةٌ تُشْتقُّ من مصدرِ الفِعْلِ المُتصرِّفِ، المبنيِّ للمعلوم؛ للدَّلالةِ على مَن وقعَ منه الفِعْلُ حدوثًا لا ثبوتًا، وصفةُ المفعولِ تدلُّ على وَصْف المفعولِ بالحدثِ؛ أي على

(١) السَّابِق صـ ٩٩، ويُنْظر أيضًا صـ ١٠٧ - ١١٠.

حَدَثٍ ومفعولِه، على سبيلِ الاستمرارِ والانقطاعِ أيضًا؛ فلمَّا كانت الذَّاتُ (الرحيل) المتلبِّسة بالحدث- في بيت عبد السلام هاشم حافظ - هي ما يُراد منها أنْ تتصف بِكَونِها باكيةً؛ على الرغم مِنْ أنَّ الرَّحيلَ لا يبكي، كانت موصوفةً بأنَّها في معنى مفعول؛ مِنْ مُنطلقِ أنَّه يُبكَى عليه، وكان هذا هو الأصلَ الذي مِنَ المُفترضِ أنْ يكونَ التَّعبيرُ عليه أيضًا، فَعبَّر باسم الفاعلِ في موضعِ اسمِ المفعولِ؛ لإرادةِ الذَّاتِ المُتلَبِّسةِ بالحدثِ مُمَثَّلةً في ذاتِ الشَّاعرِ، على جهةِ المفعوليةِ، مِنْ جهةِ أنَّه يُبْكَى على رحيلِه، مع الأَخْذِ في الحُسبانِ المعنى العام للفاعلِ والمفعولِ[1]، دون أن يُراد بذلك جوازُ التناوبِ الدَّلاليِّ بين هذه الصِّيَغ، بل هو من قبيل التَّأويلِ الدَّلاليِّ للصِّيغِ الصَّرفيةِ[2].

ومِمَّا سبق يمكنُ القولُ: إنَّ الشَّاعرَ قد فَضَّلَ استعمالَ صيغةِ (فاعل) في الوصفِ-على الرَّغْم من إمكانيةِ التعبيرِ بصيغةِ مفعولٍ-لغرضٍ دَلاليٍّ مَّا، بالإضافة إلى أنَّ اسْمَ المفعولِ يُشْتَقُّ من الفعل المتعدي المبنيِّ

---

(١) يُنْظر: المقتضب، للمبرد ٣/ ٢٣٤ على سبيل المثال حيث حديثه عن وقوع المصدر موضع الحال، فيسدُّ مسدَّه؛ لأنَّه قد ناب عن اسم الفاعل وأغنى غناءه.

(٢) يُنْظر: التناوب الدلاليّ بين صِيغ الوصف العامل، للدكتور طه محمد الجندي، مطبعة محمد أحمد الجندي للدعاية والإعلان، القاهرة، ١٩٨٨ م، صـ ٦٣، ٧٦ - ٧٧، وعلاقة التشكيل الصرفي بالمعنى مِنْ خلال تأويل الصيغ الصرفية، د. فايز صبحي تركي، مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة، العدد الأوَّل، ٢٠٠٩م، صـ ٥٣ - ٨١.

للمجهول، والفعلُ (بكى) ليس مُتعدِّيًا، وأخيرًا أُشيرُ إلى أنَّ الصِّفةَ (الباكي) قد طابقتِ الموصوفَ(الرَّحيل)، وهنا أُشيرُ إلى قولِ ابن يعيش: «الصفةُ تابعةٌ للموصوفِ في أحوالِهِ، وجُملتُها عشرةُ أشياءَ، رَفْعُه ونَصْبُه وخَفْضُه وإفراده وتثنيته وجَمْعُه وتنكيرُه وتعريفُهُ وتذكيرُهُ وتأنيثُه»[1].

ولمَّا كان النَّعتُ فيما سبق بالمُشْتَقِّ، فقد نَعَتَ عبد السَّلام هاشم حافظ بالجامدِ أيضًا، نَحْوُ قولِه[2]:

فتَّانةَ العينينِ يا شَدوَ الهوى يا ثورةَ الإحساسِ يا لَهَبَ الشَّبابْ

الشِّعرُ يبحثُ عنكِ يا رِيَّ في حُسْنكِ الخَمْرِيِّ تُرضِعُه الرِّعابْ

فهذان البيتان من قصيدة (يا أحلى صباح) يخاطبُ فيهما الشَّاعرُ مَنْ يخاطبُها بأنَّها تفتِنُ العينينِ كثيرًا، مُعبِّرًا بصيغةِ المُبالغةِ، مُناديًا إيَّاها بأنَّها تُحْسِنُ الهوى، مُلَقِّبًا إيَّاها بأنَّها ثورةُ الإحساسِ والشُّعورِ، وبأنَّها مُلْهِبَةُ الشَّبابِ. وفي البيتِ الثَّاني يُدلي لها بأنَّ الشِّعرَ يبحثُ عنها مُشيرًا إلى أنَّها تروي ظمأَهُ، وأنَّ بَحْثَ الشِّعْرِ عنها بسببِ حُسْنِها الذي أصبح ظرفًا لهذا البَحْثِ، لكنَّه ليس حُسنًا عاديًّا.

---

(١) شرح المفصل 3/ 54.

(٢) السَّابِق، صـ 102، ويلاحظ في البيت الأوَّل تكثيف الشاعر للإضافة المعنوية إلى ضمير المُتكلم، وذلك ظاهرٌ في شعره، سنأتي عليه.

فَمِنْ أجلِ بيانِ ذلك لجأ الشَّاعرُ إلى النَّعتِ بالجامدِ (الخمريّ) في إطار الجُمْلةِ الاسميةِ الخبريَّةِ المُثبتةِ المُتداخلةِ الدَّالةِ على الثبوتِ والاستمرار (الشِّعرُ يبحثُ عنكِ يا رِيَّ في حُسْنكِ الخَمْرِيِّ تُرضِعُه الرِّعابْ) المُتَّخذَةِ نمطَ (المُبتدأ+ خبر جُملة فعلية+ منادى+ جار ومجرور+ مضاف إليه+ نعت+ جملة الحال)، ذلك النَّعتُ بالجامد، لم يُؤْخَذْ مِن فِعْلٍ، وإنَّما هو مُتأوَّلٌ بمنسوبٍ ومَعْزوٍّ، فهو في معنى اسمِ المفعولِ، بمعنى أنَّه حُسْنٌ منسوبٌ إلى الخمرِ، وهنا يحضُرُني قولُ ابن يعيش: «وقد وصفوا بأسماء غير مشتقةٍ، ترجعُ إلى معنى المشتقِّ، قالوا رجلٌ تميميٌّ وبصريٌّ، ونحوهما من النَّسبِ، فهذا ونَحْوُهُ ليس بمُشتقٍّ؛ لأنَّه لم يُؤخَذْ مِنْ فِعْلٍ كما أُخِذَ ضاربٌ من ضرب، وإنَّما هو مُتأوَّلٌ بمنسوبٍ ومَعْزُوٍّ، فهو في معنى اسم المفعول؛ إذْ منسوبٌ ومعزُوٌّ من أسماء المفعولين تقول: نَسَبْتُه فهو منسوبٌ وعزَوتُه فهو مَعْزُوٌّ»[1].

ثانيًا – النعت بالجُمْلَة:

تنوع النعتُ بالجُملةِ الفعليةِ، سواءٌ أكانت في محلِّ رَفْعٍ أَمْ في محل نَصْبٍ أَمْ في محلِّ جرٍّ، فمثالُ النَّعتِ بالجُملةِ الفعليةِ مرفوعة المحلِّ ما جاء في قصيدته (فِتنةٌ يَقظَى) في أثناء وَصْفِه جِسْمَ مَنْ خطرتْ أمامَه،

---

(١) شرح المفصل 3/ 48.

فأيقظتْ فيه معاني غرامِه، وبيانِه أنه جِسمٌ يجِلُّ عن الوصفِ حُسنًا، فقال[1]:

وفي لَونِهِ الذَّهبيِّ الشَّقيفْ   تهاويلُ سحرٍ عليها أطوفْ
وأُبصرُ دُنيا مِنَ الحُسنِ، يهفو   لها الحسُّ والقلبُ يشكو الوجيفْ

فالواضحُ أنَّه يصِفُ جِسْمَها بأنَّ لونَه ذهبيٌّ، يُغطِّي جِسمَها كُلَّهُ، هذا اللَّونُ فيه ما يسحرُ مِنْ تهاويلَ، تهولُ الإنسانَ وتَخلُبُه، تلك التَّهاويلُ في إطار الجُملةِ الاسميةِ الخبريةِ المثبتَةِ المُتخذَةِ نَمَطَ (الخبر المقدم جوازًا + المضاف إليه + النعت بالجامد والمشتق + المبتدأ النَّكرة+ المضاف إليه+ النعت بالجُملة).

وهو ما يتَّضح مِنْ خلاله دورُ النَّحْوِ في عملية الإبداعِ، وتفصيلُ ذلك أنَّه لكي ينصَّ الشَّاعرُ على اهتمامه بهذه التَّهاويلِ نَعَتَها بجُملةٍ في محلِّ رَفْعٍ بناءً على أنَّ (تهاويل) مبتدأٌ مؤخَّرٌ مرفوعٌ (عليها أطوفُ) مُفيدةً تجدُّدَ طوافِهِ من آنٍ لآخرَ، في إشارةٍ إلى أنَّه حُسْنٌ مُتجدِّدٌ. وهذه الجُملةُ يُلاحظُ من خلالِها تقديمُ الشَّاعرِ مُتعلِّقَ الفِعْلِ المُتمثِّلَ في الجارِّ والمجرورِ(عليها) لإفادة قصْرِ الطَّوافِ على هذه التَّهاويلِ السَّاحرةِ دون غيرها، مُقدِّمًا بهذا التَّصرُّفِ تعالُقًا مِن جانب النِّظامِ النَّحويِّ مع القافيةِ، عن طريق استقرار الفِعْلِ (أطوفُ) في مكانه هذا، بالرَّوِيِّ المرفوع، في

(١) ديوان أنوار ذهبية، صـ 89.

إشارةٍ منه إلى ما يُسمَّى بالاستمرارِ الشعوريِّ للمعنى؛ أي استمرار الشعور بالمعنى من خلال الاتِّساقِ النَّحويِّ والمُعجميِّ معًا.

وفي إطارِ هذا التَّرْكِيزِ مِنَ الشَّاعِرِ، بوضْعِه هذا المضارعَ (أَطوفُ) ما يجعلني أشيرُ إلى أنَّ النَّشَاطَ اللُّغَويَّ أو النَّحْويَّ لِلْفِعْلِ المضارعِ يمكنُ تفسيرُه في ضوءِ تجاوُزِ دلالتِهِ المُوجَّهةِ، ذلك أنَّنا «إذا دقَّقنا النَّظرَ في فاعليةِ هذا النَّشاطِ اللُّغَويِّ، وتجاوَزْنا ما يُسمَّى عادةً باسم الموقف الإشاريِّ أو الاستمرارِ في الحدثِ الَّذِي تقتضيه طبيعةُ المضارعِ أو معناه اللُّغَويُّ - كما يقول النَّاقدُ العربيُّ القديم- فقد ينطوي المضارعُ على شيءٍ واضحٍ يمكنُ تسميتُه بالاستمرارِ الشُّعوريِّ»[1]، ويصبحُ الطَّوافُ بسبب ما يهولُه من جمالٍ ناموسًا يتجدَّد الشُّعورُ به آنًا بعد آن[2]، وكأنَّنا أمام معنًى لُغَويٍّ «يستحيلُ إلى معنًى بلاغيٍّ، وكأنَّ فِكرةَ الاستمرارِ لا تقومُ - كما أشرْنا - على مُجرَّدِ الاستمرارِ في الحدثِ، بل تتضمَّنُ في الحقيقةِ ما هو أبعدُ من ذلك»[3]، وهو ما يؤكِّد أنَّ «الشُّعَراء - وبخاصَّة

---

(١) نظرية اللغة والجمال في النَّقْد العربي، د. تامر سلوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، الطَّبْعَةُ الأولى، اللاذقية، سورية، ١٩٨٣ م، صـ ٣٢٠، ويُنْظَر به أيضًا صـ ١٠٥.

(٢) يُنْظَر: المرجع السَّابِق، نفسه.

(٣) السَّابِق، نفسه.

المجيدون منهم - لا يُقْدِمون على شيءٍ دون أنْ تكونَ له دلالةٌ خاصَّة»[1].

وفي إطار تلك الإجادةِ - على نحوِ ما سبق من تحليلٍ - تحضرني إشارة الدكتور محمد غنيمي هلال إلى أنَّ كلماتِ القافيةِ في الشِّعْرِ الجيِّدِ» ذاتُ معانٍ مُتَّصلةٍ بموضوعِ القصيدةِ، بحيثُ لا يشعرُ المرءُ أنَّ البيتَ مجلوبٌ مِنْ أَجْلِ القافيةِ، بل تكونُ هي المجلوبةَ منْ أَجْلِهِ، ولا ينبغي أنْ يُؤتَى بها لتتمَّةِ البيتِ، بل يكونُ البيتُ مَبْنِيًّا عليها، ولا يمكنُ الاستغناءُ عنها فيه، وتكونُ كذلك نهايةً طبيعيةً للبيتِ، بحيثُ لا يسُدُّ غيرُها مَسَدَّها في كلماتِ البيتِ قبلَها»[2]، فهل بعدَ هذا التِّبيانِ يمكنُ القولُ: إنَّ قوافيَ عبد السَّلام هاشم حافظ كان فيها اعتسافٌ بسببِ النَّعتِ؟ بالطَّبع لا.

ومثالُ النَّعتِ بالجُملةِ الفِعْليةِ المنصوبةِ المَحَلِّ قولُه[3]:

النُّورُ فَتَّحَ بالنَّدَى وتَراقَصَتْ أَعْطَافُهُ، وهَفَا يُغَنِّي لِلصَّبَاحْ
قالتْ: صباحُ الخيرِ أنتَ ورفرفَتْ طَيرًا يُناغِي إِلْفَه قبلَ الرَّواح

(١) الجملة في الشِّعْر العربي، د. محمد حماسة صـ ٢١٦.

(٢) النقد الأدبي الحديث، د. محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للنشر والتَّوريع، ١٩٩٧ م، صـ ٤٤٢ - ٤٤٣، ويُنْظَر: القافية تاج الإيقاع الشِّعريِّ، د. أحمد كشك، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٤ م، صـ ٦، ٤٩.

(٣) ديوان أنوار ذهبية، صـ 101.

ففي البيتِ الثَّاني يتَّضحُ لنا أنَّ جُملةَ (يُناغِي إِلفَه قبلَ الرَّواح) جُملةٌ فعليَّةٌ خبريةٌ مُثبتةٌ، في محلِّ نَصْبٍ على النَّعتِ لكلمة (طير)، في إشارةٍ إلى أنَّ مَنْ يحادثُها كالطيرِ المُرَفْرِفِ، تناغيه كما يناغِي الطَّيرُ طيرًا يألَفُه قبل العودةِ والرَّواحِ، وهو ما عليه الحالُ فيما يأتي، في جُملةِ (يَبقى مع الدَّهرِ) الواقعةِ نعتًا في محلِّ نَصْبٍ لكلمة (صدًى)، في قوله[(١)]:

فَعَيْشُنَا أَنْ نَرى لِلذكرَياتِ صدًى   يَبقى مع الدَّهرِ مزهوًا بما أبْدَى
غَدٌ هو العمرُ تجديًا لِمَلْحمةٍ   كانتْ بدايتها مِن أُمِّنا الأُولى

أمَّا النَّعتُ بالجُملةِ الاسميةِ، فمثالُهُ قولُه في قصيدة (ترنيمة الغد)[(٢)]:

عَيْشِي لِفَنِّي، والفؤادُ له الصَّدَى   والفَنُّ رمزُ محبَّةٍ فيه اللِّقا

فهذا البيتُ يشيرُ فيه الشَّاعرُ إلى أنَّه يعيشُ لِفَنِّه، وفؤادُه صدًى لهذا الفنِّ، ثُمَّ يستأنِف مُشيرًا إلى أنَّ هذا الفنَّ المقصودَ به الشِّعرُ رمزٌ للمحبةِ، ومنْ خلال الجُملةِ الاسميةِ الخبريةِ المُثبَتَةِ **(فيه اللِّقا)** المتَّخذةِ نَمَطَ (الخبر الجارِّ والمجرور المقدَّم جوازًا+ المبتدأ المعرفة المؤَخَّر) ينعتُ هذا الرمزَ، بأنَّه رمزٌ قد انحصرَ فيه اللِّقاءُ دون غيرِه من أوعيةِ اللِّقاءِ، فيه يُعبِّرُ المُلتقُون عن أغراضِهم، مُشْعرًا بدوامِ كونِه هكذا وثباتِه على هذا الأمر.

---

(١) السَّابِق، صـ 101.

(٢) السَّابِق، صـ 38.

إنَّها صِفةٌ في ثَوبِ جُمْلةٍ اسميَّةٍ، لا يحتاجُ المعنى الَّذِي تحملُه إلى فصْلٍ بين المبتدأ (اللقاء) المؤخَّرِ جوازًا، والخبرِ (فيه) المقدَّمِ جوازًا، وهنا يأتي ما أحدَثهُ نَمَطُ الجُمْلَةِ الخَبَرِيَّةِ الاسْمِيَّةِ المُثبَتَةِ، فيتَّضِحُ من صورةِ هذا النَّمطِ أنَّ تأخيرَ المبتدأ جوازًا مُعطًى نحويٌّ، اتَّضحَ من خلالِهِ أنَّه يريدُ قَصْرَ المُسْنَدِ إليه المؤخَّرِ (اللقاء) على المُسْنَدِ (فيه) وكأنَّ هذا الرَّمزَ قد خُصِّصَ باللِّقاءِ[1]. ومن خلالِ هذه الجُمْلَةِ يتَّضحُ استدعاءُ القافيةِ البناءَ النَّحويَّ؛ كي يؤازِرَها، فاستجابَ لها بذلك التقديمِ الَّذِي حافظَ على بناءِ الجُمْلَةِ، وحافظَ أيضًا على صِحَّةِ القافيةِ وإقامةِ الوَزْنِ[2].

وهو ما يجعلُني أقولُ: لئنْ كان التقديمُ والتأخيرُ - باعتباره أداةً من أداوتِ البناءِ النَّحويِّ في تحقُّقِ المرونة؛ ومِن ثَمَّ الاستجابة لمتطلبات القافية - يشير إلى أنَّ النَّصَّ الشِّعْريَّ يتشكَّلُ بتجاوزِ المعياريّةِ، فإنَّه من الجدير بالذِّكر الإشارةُ إلى أنَّ «اللُّغةَ الشِّعْريةَ تجاوزٌ للمعياريةِ بشكلٍ نِسْبيٍّ، وهو ما يُسمَّى الانحرافَ أو الانزياحَ، وهذا يعني أنَّ الأصلَ باقٍ، والانحراف أو الانزياح طارئٌ، لا يمثِّل تحطيمًا كُلِّيًّا للمعياريةِ، بل هذا

(١) يُنْظَر: التَّداولية عند العلماء العرب، د. مسعود صحراوي، صـ٢٠٥ حيثُ حديثُه عن تقديم المُسند في إطار الحديث عن اهتمام النُّحاة بالبُعد التَّداوليِّ للظاهرة اللُّغوية.

(٢) يُنْظَر: بِنَاء الجُمْلَة العَرَبِيَّة، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للنشر والتَّوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م، صـ٢٦٨.

الانزياح إذا ثبت فإنَّه يصبحُ معيارًا موازيًا، وربما يثْبُتُ الانحراف على مستوى العُرفِ الشِّعْريِّ دون أنْ يرتقي إلى التقعيدِ والتقنين المُمَنْهَج. إنَّ تجاوز المعنى المباشرِ والانتقالَ إلى ما وراء النَّصِّ في الشِّعْرِ قديمٌ، وليس حديثًا، ولو جاء الشِّعْر على النَّمط المعياريِّ لَمَا تجاوز كونَه نَظْمًا»[١].

ثالثًا-دلالة الصِّفة أو النَّعت في شعر عبد السلام هاشم حافظ:

لُوحِظَ أنَّ لِلصِّفةِ أو النَّعتِ لدى عبد السَّلام هاشم حافظ مقاصدَ كثيرةً، فقد يأتي النَّعتُ للتخصيصِ، وقد يأتي النَّعتُ للتعميمِ، أو للإيضاحِ والبيانِ، والإبهامِ، وتوسيعِ الدَّلالةِ، والمدحِ والتَّعظيمِ، والذَّمِّ والتحقيرِ، والترحُّمِ والاستعطافِ، والتوكيدِ[٢].

فمثالُ ما ورد فيه النَّعتُ للمدحِ والتعظيمِ قولُه[٣]:

أَشْدُو مع الصُّورةِ الزَّهراءِ في حُلمِي   مع الخيالِ، وقَلْبِي يرتَضِي الغَزَلا

---

(١) التشكيل اللغوي وأثره في بناء النَّص دراسة تطبيقية، د. زيد خليل القرالة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد السابع عشر، العدد الأول، فلسطين، يناير، ٢٠٠٩ م، صـ٢٢٨.

(٢) شرح المفصل 3: 48.

(٣) ديوان أنوار ذهبية، صـ 24.

فهذا البيتُ مِنْ قصيدة (احتراق) يُشيرُ فيه إلى أنَّه يشدو مُغنِّيًا مع صورةِ محبوبتِه، مِنْ خلالِ الجُملةِ الفِعليةِ الخبريةِ المُثبَتَةِ (أَشْدُو مع الصُّورةِ الزَّهراءِ)، تلك الصُّورةُ التي وصفَها بنَعْتٍ مُفْرَدٍ مَدْحًا وتعظيمًا لها مُفيدًا أنَّها صورةٌ مُنيرةٌ، يتغنَّى بها في حُلمِه سارحًا مع خياله.

ومثال ما ورد فيه النَّعتُ للتَّوكيدِ قولُه[1]:

حُسْنُكِ الزَّاهي دَلِيلِي للمغانِي الخُضْرِ والدَّربِ المُضاءِ

فمن المعلومِ أنَّ للحسنِ زهاءً، لكنَّ وَصْفَه بالزَّاهي لم يكن إلَّا للتَّأكيدِ والاحتياطِ للمعنى النَّصِّيِّ، أي أنَّ التَّصريحَ بذِكْرِ ما اقتضاه الكلامُ وعَدَمَ الاكتفاءِ بمَا تقدَّم منه، كان بسببِ ألَّا يُفْهَمَ منه أنَّ هذا الحُسْنَ يمكنُ أنْ يكونَ حُسنًا خافتًا؛ ومِنْ ثَمَّ نصَّ على أنَّه حُسْنٌ زاهٍ احتياطًا، على نَحْوِ ما جاء في قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوۡاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنۡهُ قُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[2]، ذلك الاحتياط الذي خَصَّصَ له ابن جِنِّي بابًا بعنوان «بابٌ في الاحتياط» قال فيه: «اعْلَمْ أنَّ العربَ إذا أرادت المعنى مكَّنته، واحتاطتْ له. فمن ذلك التَّوكيدُ، وهو على ضربين: أحدُهما تكريرُ الأوَّل بِلَفْظِهِ... والثَّاني تكريرُ الأوَّل بمعناه... ومن ذلك الاحتياطُ في التَّأنيثِ... ومنه الاحتياطُ في إشباعِ معنى الصِّفة... ومنه قولُهم: لم يَقُمْ

(١) السَّابِق، صـ 24.

(٢) سورة الأعراف، الآية 166.

زيدٌ، جاءوا فيه بلَفْظِ المُضارعِ وإنْ كان معناه المُضِيَّ... وكذلك قولُهم: إنْ قُمْتَ قُمْتُ؛ فيجيءُ بلَفْظِ الماضي والمعنى معنى المضارع... ومِن الاحتياطِ إعادةُ العامِلِ في العَطْفِ والبدلِ، فالعطفُ نَحْوُ: مررتُ بزيدٍ وبعمرٍو؛ فهذا أَوْكَدُ معنًى مِنْ قولِكَ: مررتُ بزيدٍ وعمرٍو. والبدلُ كقولِكَ: مررتُ بقومِكَ بأكثرهم، فهذا أوكدُ معنًى مِن قولِكَ: مررتُ بقومِكَ أكثرِهم، ووجوهُ الاحتياطِ في الكلامِ كثيرةٌ، وهذا طريقُها، فتنبَّه عليها»[١].

رابعًا -تنويع الشَّاعر بين النَّعتِ بالمفرد وغيره، ودورُه في النَّص:

قد يجتمعُ النَّعتُ بالمفردِ والجُملةِ الفعليةِ، نَحْوُ قولِهِ[٢]:

أَنا عالَمٌ مُتَمَرِّدٌ ضاعتْ به   أَحلامِيَ العذراءُ والفجرُ الطَّرِبْ

فهذا البيتُ من قصيدةِ (ترنيمةٌ لِلْغَدِ)، يُلاحَظُ فيه أنَّ الشَّاعرَ يُدلي بكونِهِ عالَمًا، ولكي يوسِّعَ حقيقةَ هذا العالمِ لَجَأَ إلى النَّعتِ، مِنْ خلالِ

---

(١) الخصائص، ابن جني، تحقيق الأستاذ محمد علي النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط3، 1986 – 1988 م، 3/ 101 – 111، ويُنْظَر: الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطَّبْعَةُ الأولى 1421 هـ –2000 م، صـ 142 – 157، وتجدرُ الإشارةُ إلى أنَّني أعكفُ على إنهاءِ كتابٍ لي بعنوان «وسائل العربية في الاحتياط للمعنى النَّصِّيِّ لدى الشَّاعر الأحسائيِّ طرفة بن العبد، فلعلَّ اللهَ يُيَسِّر، ويُنْجَزُ الكتابُ.

(٢) ديوان أنوار ذهبية، صـ 36، ويُنْظَر صـ 23.

نَعْتَينِ، أحدُهما مُفردٌ (مُتَمَرِّدٌ)، وهو مُشْتَقٌّ في صورةِ اسمِ الفاعلِ؛ للدَّلالةِ على الاستمرار، أي استمرارِ كونِه مُتمرِّدًا. أمَّا النَّعتُ الآخرُ فكان بالجُملةِ الفِعلِيَّةِ الخبريَّةِ المُثبتةِ (ضاعتْ به أَحلامِيَ العذراءُ والفجرُ الطَّرِبْ) المُتَّخذَةِ نَمطَ (الفِعْلِ + الجار والمجرور+ الفاعل المُضاف+ النَّعت+ المعطوف المنعوت)؛ لإفادةِ أنَّ هذا العالَمَ ليس مُتَمَرِّدًا فقط، بل هو عالَمٌ يتَّصفُ بضياعِ أحلامِ الشَّاعرِ، تلك الأحلامُ التي وصفَهَا الشَّاعِرُ بأنَّها أحلامٌ عذراءُ، لم تكنْ هي الضَّائعةُ وحدَها، بل ضاعَ معها أيضًا فَجْرُ الشَّاعرِ، ذلكِ الفَجرُ الذي وصَفه بصِفةِ (الطَّرِب) على وزن (فَعِل)؛ لإفادةِ خِفَّتِه مِنْ شِدَّةِ الفرحِ أو الحُزنِ.

وهو ما يتَّضح من خلاله أنَّ الشَّاعِرَ لم يستخدمِ الصِّفةَ أو النَّعتَ عبثًا، بدون هدفٍ، كما أنَّ هذا النَّعتَ قد أسهم في توافق النِّظامِ النَّحويِّ مع النَّسْجِ الشِّعريِّ، فاستقام الوزنُ، وصَحَّتِ القَافيةُ، ولا غرابةَ في هذا، فالوزن والقافية جزءٌ من إنتاج المعنى النَّصِّيِّ(١).

وكَونُ النَّعتِ مُسْهمًا في صِحَّةِ القافيةِ يكمنُ في أنَّ القافيةَ تتطلبُ كلمةً ذاتَ رَوِيٍّ يكمنُ في حرف الباءِ، فكانت كلمةُ (الطَّرِب) ذاتُ الرَّوِيِّ المرفوعِ الذي تَرَخَّصَ الشَّاعرُ في علامَتِه الإعرابية، فسكَّنها، وهنا أجدُنِي مُطَالَبًا بالإشارةِ إلى أنَّ هذا التَّرخُّصَ بالتَّسْكينِ لا يخلو مِنْ

(١) يُنْظَرُ في ذلك: الجُمْلَة في الشعر العربي، صـ 36 وما بعدها.

دلالةٍ، يمكنُ بلورتها في أنَّ الشاعرَ لَمَّا كان عَالَمًا مُتمرِّدًا، قد ضاعت أحلامُه وفَجْرُه؛ تحوَّلَ كلُّ شيءٍ لديه إلى سكونٍ ودعةٍ، فإنَّ هذا ما يناسبُهُ التَّرخُّص في العلامة الإعرابيةِ بتسكينها.

وهو الأمرُ الَّذِي يجعلني أذكرُ أنَّه «إذا كانت بِنْيةُ التَّراكيبِ النَّحويةِ والدَّلالِيَّةِ في الشِّعْرِ ترتبطُ بالتَّجربةِ، وتتشكَّلُ في علاقاتٍ، تتشكَّلُ معها التَّجربةُ نفسُها، فإنَّ البنيةَ الإيقاعيةَ للقصيدةِ هي جزءٌ لا ينفصلُ عن البنيةِ اللُّغويةِ، الَّتِي لا تنقسمُ مستوياتها أو أبعادها، أي أنَّ الوَزْنَ ليس مجرد قالبٍ تُصبُّ فيه التَّجربةُ، أو وعاءٍ يحتوي الغرضَ، وإنَّما هو بُعْدٌ من أبعادِ الحركةِ الآنيةِ لِفِعْلِ التَّعبيرِ الشِّعْريِّ ذاته، في محاولةِ خَلْقِ معنًى لا ينفصلُ فيه المسموعُ عن المفهوم»(١)، بالإضافة إلى أنَّه يمكنُ القولُ أيضًا: إنَّ المعانيَ جاءت تامَّةً مُستوفاةً، لم تضطر بإقامة الوَزْنِ إلى نقصِها عن الواجبِ ولا إلى الزِّيادةِ فيها عليه، وكانت المعاني أيضًا مواجهةً

(١) مفهوم الشِّعْر «دراسة في التُّراث النَّقديِّ»، د. جابر عصفور، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، الطَّبْعَةُ الثانية، 1982 م، صـ 264 - 265، ويُنْظَر: العمدة في محاسن الشعر ونقده، ابن رشيق العمدة في محاسن الشِّعْر، تحقيق محمد محيي الدين، دار الجيل، بيروت، 1972 م، 1/ 134، 151 وما بعدها، والجملة في الشِّعْر العربي صـ 48، 126.

الغرضَ، لم تمتنعْ عن ذلك وتعدلْ عنه؛ من أجلِ إقامة الوَزْنِ وطَلَبِ صِحَّتِهِ[١].

وفي كلِّ ما سبق ما يُمكنُ أنْ يكونَ شاهدًا على وَعْي الشاعر عبد السلام هاشم حافظ بدورِ النَّحوِ في النَّصِّ، وإدراكِه العلاقاتِ اللُّغويةَ فيه، من أجْلِ الوصولِ إلى دلالتِهِ المُرادة، من خلالِ تعدُّدِ النَّعتِ فقط أو تعدُّدِه مع العطفِ أو الإضافةِ.

فهل ترتَّبَ على تَعَدُّدِ النَّعْتِ - بجانبِ ما سبق بيانُه - شيءٌ آخرُ يتَّصلُ ببناءِ الجُملةِ في النَّصِّ لدى الشَّاعرِ؟ نعم، يمكنُ القولُ: إنَّه لمَّا كان للنَّعتِ أو الصِّفةِ شيوعٌ في الاستعمالِ اللُّغويِّ لأغراضٍ كثيرةٍ، تتَّصل بمَقْصدِيَّةِ الخطابِ أو النَّصِّ؛ والموصوفُ إمَّا أنْ يكونَ نكرةً أو معرفةً، وصِفَةُ المعرفةِ للبيانِ والتَّوضيحِ، وصفةُ النكرةِ للتَّخصيصِ، وهو إخراجُ الاسمِ مِن نوعٍ أخصَّ منه، فهي ترفعُ الاشتراكَ اللَّفظيَّ في المعارفِ وتزيلُه، وتقلِّلُ الاشتراكَ المعنويَّ في النَّكراتِ، فهي في الأوَّلِ جاريةٌ مَجرى بيانِ المُجْمَلِ، وفي الثاني جاريةٌ مَجرى تقييد المُطْلَقِ[٢].

---

(١) يُنْظَر: نقد الشِّعْر، قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت، صـ 166.

(٢) يُنْظَرُ: شَرْح المُفَصَّل، ابن يعيش 3/ 47، والصفة «فائدتها وأحكامها»، للدكتور صبحي رشاد، صـ 442.

ولمَّا كانَ النَّعتُ مِنَ التَّوابِعِ، وكانَ «التَّابعُ والمتبوعُ معًا كمُفردٍ منسوبٍ إليه»[(١)]، فإنَّه تجدرُ الإشارةُ إلى أنَّ النِّسبةَ ليست على إطلاقِها؛ «لأنَّ المنسوبَ إلى المَتبُوعِ في قَصْدِ المُتكلِّمِ منسوبٌ إليه مع تابِعِه، فإنَّ المجيءَ في «جاءني زيدٌ الظَّريفُ» ليس في قَصْدِه منسوبًا إلى زيدٍ مُطلقًا، بل إلى زيدٍ المُقيَّدِ بِقَيدِ الظرافةِ، وكذا في «جاءني العالِمُ زيدٌ» و«جاءني زيدٌ نَفْسُه»[(٢)]، ولو انفردَ النَّعتُ والمنعوتُ لم يحصلْ ما حصلَ باجتماعِهما[(٣)].

هذا، ولمَّا كان النَّعْتُ مِن الوظائف النَّحْويَّةِ غيرِ الإسناديَّةِ التي تتعدَّدُ، على نَحْوِ مَا جاءَ في قولِه تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[(٤)]؛ لأغراضٍ دلاليَّةٍ ترتبطُ بسياقِ الكلامِ، فإنَّ عبد السَّلام هاشم حافظ قد استثمرَ تبعيَّةَ النَّعْتِ وتعدُّدَه؛ للنَّصِّ على ما يريدُه، مُسهمًا في إطالةِ البناءِ النَّحْويِّ وتَرَابُطِهِ نَصِّيًّا مع المنعوتِ، مِنْ خلالِ الرَّابطِ (الضَّمير) في جُملةِ النَّعتِ عائدًا على المنعوتِ.

---

(١) شَرْح الكافية، للرضِيِّ 2/ 279، ويُنْظَرُ شَرْح المُفَصَّل 3/ 38.

(٢) السَّابِق 2/ 279.

(٣) يُنْظَرُ: شَرْح المُفَصَّل 3/ 66، وبِنَاء الجُمْلَة العَرَبِيَّة، د. محمد حماسة عبد اللطيف، صـ 175.

(٤) سورة التحريم، الآية 5.

المَبْحثُ الثَّاني

العَطْفُ ودورُ اختياره في *النَّصِّ* لدى عبد السَّلام هاشم حافظ

لَمَّا كان العطفُ ينقسمُ إلى عَطْفِ بيانٍ وعَطْفِ نَسَقٍ، فأشيرُ إلى أنَّ ما ورد بديوانِ عبد السَّلام هاشم حافظ كان مِنْ عَطفِ النَّسَقِ، سواءٌ أكان غيرَ مُتعدِّدٍ أَمْ مُتعدِّدًا في بيتٍ واحدٍ أو مُستغرِقًا بيتينِ أو عِدَّةَ أبياتٍ، وسواءٌ أكان مِمَّا يقتضي الاشتراك المُطْلَقَ، حيثُ العَطْفُ بالواو، وأو، والفاء، وأَمْ، وثُمَّ، أمْ كان مِمَّا يقتضي الاشتراك في اللَّفْظِ فقط، حيثُ العطْفُ بالحرفِ (لكِنْ)[1]؛ ومن ثَمَّ كان اسْتخدامُه لغرضٍ مقصودٍ، لم يؤدِّ إلى اعتسافِ القوافي.

هذا، ومِن المُلاحظِ أنَّ استثمارَ العطْف قد جاء في الحَشْوِ صَدْرًا وعَجُزًا، وفي العروضِ والضَّربِ، وقد شغَلَ المعطوفُ عليه كثيرًا مِنَ الوظائفِ النَّحويةِ، فشملَ المُبتدأ وخبرَه، واسمَ النَّاسخِ وخبرَه، والفاعلَ، والمفعولَ به، والحالَ، والمجرورَ بالحرْفِ الذي أُعيدَ مع المعطوفِ أو لم يُعَدْ، والمضاف إليه. ومِنَ المُلاحظِ أنَّ العطْفَ بِتبَعيَّته وتعدُّدِه قدْ فاق التَّوابعَ جميعَها في ديوانِ (أنوار ذهبية)، وهو ما يمكنُ التَّمثيل له من خلالِ النقاطِ التَّالية:

---

(١) ينظر: ديوان أنوار ذهبية صـ 134، 154، 156، حيث العطف مع النفي.

أوَّلًا -العَطْفُ تابِعًا:

مِنَ المعلومِ في الدَّرسِ النَّحْويِّ أنَّ العَطْفَ بحروفِ العَطْفِ يجعلُها تنقسِمُ إلى مَا يقتضي الاشتراكَ المُطلقَ في اللَّفظِ والمعنى؛ أي الاشتراك في الإعرابِ والحُكْمِ، كما هو الحالُ في الواو، وثُمَّ، والفاء، وحتَّى، وأَمْ، وأَو، مع مُلاحظةِ أنَّ (أَمْ، وأو) تكونان للاشتراكِ المُطلَقِ إذا لم يُفيدا الإضراب، وإلَّا كانت للاشتراكِ فقط. والقِسْمُ الآخرُ ما يقتضي الاشتراكَ في اللَّفْظِ فقط، أي الاشتراك في الإعرابِ فقط دونَ الحُكمِ، كما هو الحال مع (بل، ولا، ولَكِنْ)[1]. لمَّا كان ذلك كذلك، وكنتُ قد أشرتُ آنفًا إلى أنَّ حروفَ العطفِ في ديوان عبد السَّلام هاشم حافظ تنحصرُ في (الواو، وأو، والفاء، وأَمْ، وثُمَّ، ولكنْ، وبل)، فإنَّ فيمَا يلي تمثيلًا للعطْفِ بِبعضها - مُكتفيًا بالإحالة على بعضٍ، اختصارًا–حالةَ كَونِ المعطوفِ غيرَ مُتَعدِّدٍ.

---

(١) يُنْظَرُ: شَرْح الكافية، للرَّضي 2/ 331 - 332، وشَرْح المُفَصَّل، ابن يعيش 3/ 74، ودلائل الإعجاز صـ 222 -223 فقد قال عبد القاهر: «ومعلومٌ أنَّ فائدةَ العطفِ في المُفردِ أنْ يُشْرِكَ الثَّاني في إعراب الأوَّل، وأنَّه إذا أشركه في إعرابه فقد أشركَه في حُكْمِ ذلك الإعراب، نحوُ أنَّ المعطوف على المرفوع بأنَّه فاعلٌ مثلُه، والمعطوف على المنصوب بأنَّه مفعولٌ به أو فيه أو له شريكٌ له في ذلك»، وشَرْح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ت 672 هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، مصر، الطَّبْعَةُ العشرون، 1980 م، 3/ 325.

أ - العَطفُ بالواو:

مِن الملاحظِ أنَّ مواضِعَ العطْفِ بالواو لدى عبد السَّلام هاشم حافظ قد اتَّسَمتْ بالعطفِ بدون حرفِ جَرٍّ أو نَفْي، وبالعَطْفِ مع تكرار حرفِ الجرِّ، وبالعَطْفِ مع عَدَمِ تكرارِ حَرْف الجرِّ، وبالعطف مع تكرارِ حرفِ النَّفي، نَحْوُ قَولِه[1]: (مِن البسيط)

نَعُودُ ظِمَاءً كيومِ بَدَأنا ويُلْهِبُنا الرِّيُّ، يَطوِيهِ عنَّا
سَرابٌ وآهاتُ حُبٍّ شَقيٍّ رضَعناه فَجْرًا وعَصْرًا وحَزَنَا

فهذان البيتانِ من قصيدةِ (ارْوِنِي يا قمرُ) يشيرُ فيهما الشَّاعِرُ إلى أنَّه ومَنْ يخاطِبُها يعودان بالحبِّ إلى الظَّمأ كيومِ مَولدِهما، يحرِّكُهُ فيهما الرِّيُّ، ذلك الرِّيُّ الذي يبعدُه عنهما سرابٌ. ليس ذلك فحسب، فثمَّةَ شيءٌ آخرُ يشتركُ مع السَّرابِ، وهو ما نلمَسُه مِنْ خِلالِ الجُمْلَةِ الفِعْلِيَّةِ الخَبَرِيةِ المُثْبَتَةِ (يطويه عنا سرابٌ وآهاتُ حُبٍّ شَقيٍّ رضَعناه فجرًا وعَصْرًا وحَزَنًا) تلك الجُملةُ المُتَّخذةُ نَمَطَ (الفِعْل المضارع + الجارّ والمجرور+ فاعل+ حرف عطف(الواو)+ معطوف + مضاف إليه+ نعت مفرد + نعت جُملة فعليه (فعل + فاعل+ مفعول) +ظرف زمان+ معطوف بالواو متكرر).

---

(١) ديوان أنوار ذهبية صـ 45، وينظر صـ23، وكذلك صـ 123، 154، 156 حيثُ العطفُ مع النَّفي في الموضعين الأخيرين، وكذلك صـ 32 حيث استخدام العطف مع تكرار حرف الجر.

ومن خلالها يتَّضِحُ أنه ليس السَّرابُ فقط هو الذي يبعدُ الرِّي عنهما بل يشتركُ معه في حُكم الإبعادِ الآهاتُ المُقيَّدةُ بأنَّها آهاتُ حُبٍّ شقيٍّ، ذلك الحبُّ الذي وصَفَهُ بأنَّه حبٌّ قد رَضَعَاهُ مُنْذُ بزوغِهما، وذلك مِنْ خلالِ كلمة (فجرًا) واستمرَّ معهما عَصْرًا، فكانت كلمةُ (عَصْرًا) أيضًا مُشترِكَةً في حُكمِ الإرضاعِ مُسْهمةً في استقامةِ الوزنِ في اتِّجاه صِحَّةِ القافيةِ، وهو ما يُسْهِمُ بدورِه في التَّرابُطِ النَّصِّيِّ في نَصِّ عبد السَّلام هاشم حافظ.

وفي كلِّ ما سبقَ ما يُبْرِزُ دورَ النَّحوِ في عمليةِ الإبداعِ، فاتَّضحَ أنَّ الشَّاعرَ لكي ينُصَّ على الاشتراكِ في الحُكْمِ -وكَونِ المعطوفِ عليه غيرَ مُطْلَقٍ في انفرادِهِ بالحُكْمِ الذي يكونُ له[1]، استثمرَ العطْفَ بالواوِ للدَّلالةِ على ما يريدُه، وهو ما أسهمَ في إطالةِ بناءِ الجُمْلَةِ باتِّجاهِ القافيةِ، فاستقامَ وَزْنُ البسيطِ، وصَحَّتِ القافيةُ، بِرَوِيِّها المُراد، وترابَطَ المعطوفُ مع المعطوفِ عليه، مِنْ خِلالِ العلامَةِ الإعرابية.

بقي لي أنْ أُشيرَ إلى أنَّ العطفَ بالواوِ لدى عبد السَّلام هاشم حافِظ لا يقتصرُ على عطْفِ المُفردِ على المُفْرَدِ، فقد وردت صورُ العَطْفِ

---

(١) يُنْظَر: بِنَاء الجُمْلَة العَرَبِيَّة، د. محمد حماسة صـ 67.

المختلفةِ، نَحْوُ عَطْفِ الجملةِ على الجملةِ، والعطفُ قبل استكمالِ أركانِ الجملة، نَحْوُ العَطْفِ على اسمِ إنَّ قبل استكمالِ الخبر(١).

ب - العَطْفُ بأَو:

جاء العَطْفُ بالحرفِ (أَوْ) مع تكرارِ حَرْفِ الجَرِّ، وبدونِ تكراره، وبدونه مُطلَقًا، كما كان عاطِفًا جُملةً على جُمْلَةٍ، أو شِبْهَ جُملةٍ على أُخرى، وذلك نَحْوُ قولِه(٢):

تَعْرِضِينَ السِّحرَ كأسًا مِنْ جمالِكْ   تُلْهِبُ الأَنْظَارَ أَوْ تُذْكِي الشعورَ
تُطْلِقِينَ اللَّيْلَ في صِدارِكِ   أَو يُعَلَّى مِنْه تاجٌ بالحريرِ
مُشْطُكِ المجنونُ كَمْ أَرْخَى ظِلالَكْ   فوقَ صَدْرٍ نافِرٍ أو في النُّحورِ

فهذه الأبياتُ مِنْ قصيدة (الغانية الصَّغيرة) يشيرُ فيها الشَّاعرُ إلى جَمالِ هذه الغانيةِ، وفي سبيلِ النَّصِّ على ذلك يلجأُ إلى العطفِ باستخدامِ (أو) عَطْف جُملةٍ على جُملةٍ أو شِبه جُملةٍ على أُخرى، مِنْ خلالِ جُملتين فِعليتين مُتداخلتين في قوله: (تَعْرِضِينَ السِّحرَ كأسًا مِنْ جَمالِكِ، تُلْهِبُ الأَنْظَارَ أَوْ تُذْكِي الشعورَ) المُتَّخِذَةِ نَمَطَ (فعل + فاعل+ مفعول+ حال+ جارّ ومجرور+ مُضاف إليه+ نعت بالجملة الفعلية + حرف عطف+ جملة فِعلية معطوفة).

---

(١) يُنْظَرُ: ديوان أنوار ذهبية صـ 125، 126.

(٢) يُنْظَرُ: السَّابِق 4/ 54، ويُنْظَرُ به أيضًا صـ 60، 99، 109، 113، 127.

وهو ما يتَّضحُ مِنْ خلالِه النَّصُّ على أنَّ غانيتَه تُظهِرُ جَمالَها، فيبدو كأسًا مِنَ السِّحرِ، هذه الكأسُ وصفَها بأنَّها (تُلهبُ الأنظارَ) أَو(تُذكي الشعورَ)؛ ومنَ ثَمَّ كان للنَّحْوِ دورٌ، منْ خلالِ العطفِ بأو الدَّالةِ على الإباحة، أي جواز الجَمْعِ بين المُتعاطفين، فمنْ خلالِ قولِه يتَّضح أنَّ كأسَ سِحْرِ جَمالها يجوزُ أنْ تُلهبَ الأنظارَ وتُذكي الشُّعور في آنٍ واحد، وأنَّ هذا الإلهابَ وذاك الإذكاء مُتَجدِّدٌ، وهو ما يفيده التَّعبيرُ بالجملةِ الفعليةِ ذاتِ الفعلِ المضارعِ، ولا شكَّ في ذلك.

فإنَّه ممَّا تجدرُ الإشارةُ إليه أنَّ اللُّغويين قد تعارفوا على «أنَّ طبيعةَ التَّصويرِ في الشِّعْرِ تنزعُ إلى الجُمْلَة الفعليةِ أكثرَ من غيرها، حتَّى لو كانت الجُمْلَةُ الفعليةُ عنصرًا في جُملةٍ أخرى اسميةً أو فعليةً. ولعلَّ مردَّ ذلك إلى الحركةِ الَّتِي تُفهَمُ من الحدثِ في الفعلِ وتَنَوُّعِ حركةِ هذا الحَدَثِ في الزَّمنِ على اختلافِه، وكلا الحدثِ والزَّمنِ يؤدِّيهما الفِعْلُ بصيغتِهِ ومادتهِ ومقيِّداتِهِ الأخرى والأدواتِ الدَّاخلةِ عليه. وأمَّا الجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ، فإنَّها تنزعُ غالبًا إلى التَّقريرِ، وهو ثابتٌ. والشِّعْرُ بطبيعتِهِ نزَّاعٌ إلى التَّصويرِ، والتصويرُ أَمْيَلُ إلى الحركةِ منه إلى الثَّباتِ»[١]، وهو ما قال به عبد القاهر الجرجانيّ قبل ذلك[١].

---

(١) بناء الجملة العربية، د. محمد حماسة صـ 286 – 287، وينظر فيه أيضًا صـ 273 – 274، فقد عرض خلال هذه الصفحات لفكرة اختلاف نسبة الجملة الفعلية من =

ولئنْ كان الأمرُ على هذا النَّحْوِ، فإنَّه يمكنُ القولُ بأنَّ الحركةَ أو الثَّباتَ والتَّقريرَ معانٍ إشاريةٌ قريبةٌ موجَّهةٌ، ينبغي البحثُ عن معانٍ أُخَرَ غيرها، تعكسُ فاعليةَ التَّشْكِيلِ النَّحويِّ في النَّصِّ؛ ومن ثَمّ يكونُ تعديلُ الدَّلالاتِ المُوجَّهةِ، وهنا يحضرُني قول الدكتور تامر سلوم: «القولُ في استخدام (الجُمْلَةِ الاسْمِيَّةِ والفعلية): يرمي إلى معرفةِ الاتجاهاتِ الذَّوقيةِ أو الجماليةِ الَّتِي وُفِّق إليها عبد القاهر، وتميَّزت من الدَّلالَةِ النَّحويَّةِ أو المعنى اللُّغويِّ. وهنا نجد أنفسنا أمام معانٍ سابقةٍ مُحدَّدةٍ ومواقفَ إشاريةٍ قريبة. فعبد القاهر لا يكاد يُعطي لنا شيئًا هامًّا، وإنَّما يصوغُ اهتماماتِه بما يعبِّر عن مضمونِ هذه الظاهرةِ العقليِّة أو معناها اللُّغويِّ القريبِ الَّذِي يحوِّلُ كثيرًا من مواقفِ السِّياقِ المُتفاعلةِ إلى رماد»(٢).

=

قصيدة إلى أخرى، من خلال قصيدةٍ لقعنب ابن أمِّ صاحب، وقصيدةٍ للحُطيئة، وقصيدةٍ للأعشى، بخلاف القصيدة موضع حديثه، ويُنْظَر: أدوات النَّص، محمد تحريشي، منشورات اتّحاد الكتَّاب العرب، سوريا، 2000 م، صـ 21 – 22.

(١) يُنْظَر: دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني صـ 173 – 177، والقضايا التركيبية في شعر الأعشى الكبير وعلاقتها بالدلالة في ضوء الدرس اللغوي الحديث، د. فايز تركي، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 2003 م، صـ 151، 215، 287، 288.

(٢) نظرية اللغة والجمال في النَّقْد العربي، د. تامر سلوم، صـ 141.

وبعد أنْ ذكر الدكتور تامر سلوم ما ذكره عبد القاهر من قول النَّضر بن جؤبة:

لَا يَأْلَفُ الدِّرْهَمُ المَضْرُوبُ خِرْقَتَنَا   لكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهْوَ مُنْطَلِقُ

وقول الأعشى:

لَعَمْرِي لَقَدْ لَاحَتْ عُيُونٌ كَثِيرَةٌ   إِلَى ضَوْءِ نَارٍ فِي يَفَاعٍ تَحَرَّقُ(١)

قال: «حين نقرأُ هذا التَّشْكِيلَ نتشكَّكُ في مدلولَي (الثبات) و(الاستمرار أو التَّجدُّد) اللَّذينِ شغفَ عبد القاهر في تقريرهما وتمكينِهما في العقل. أو قُلْ: إنَّ شيئًا آخرَ غيرَ الثَّباتِ والاستمرارِ يشوقنا في هذا التَّشْكِيل، هو التَّأثيرُ النَّفسيُّ لطَابَعِ التَّعبيرِ، وتبيُّنِ موقعِ الثَّباتِ والاستمرارِ مِنَ النَّفْسِ، وتذوُّقِ المدلولِ الحيويِّ أو الوجدانيِّ للسِّياق. فقد تكونُ الجُمْلَةُ في مساقِها غنيةً بالإيحاءاتِ الَّتِي لا تتوفَّرُ مع الجُمْلَةِ الفِعْلِيةِ، وعلى النَّقيضِ من ذلك الجُمْلَةُ الفعليةُ الَّتِي قد تعبِّرُ داخلَ مساقِها عن جانبٍ عميقٍ من الحياةِ أو النَّفسِ لا تستطيعُ الجُمْلَةُ الاسْمِيَّةُ

---

(١) بيت النضر بن جؤبة من البسيط، في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم أبو الفتح العباسي (المتوفى: 963هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب – بيروت، لبنان، 1980م، 207/ 1، وبيت الأعشى من الطويل، بديوانه، تحقيق د. محمد محمد حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطَّبعةُ الثانية، 1968 م، صـ 223، واليفاع: الأرض المرتفعة.

أنْ تُعبِّرَ عنه. وبعبارةٍ أخرى: إنَّنا إذا قرأنا هذا التَّشْكِيلَ، وغضضنا النَّظرَ عمَّا نسمِّيه (الثباتَ) و(الاستمرارَ) خرجنا بتأمُّلاتٍ مُضادةٍ، وأدركنا أنَّنا أمام حقائقَ صعبةِ المنالِ، أو أمام رموزٍ غامضةٍ، وهذا ما ينبغي علينا كَشْفُه. ومغزى ذلك كلِّه أنَّ شيئًا كثيرًا يتوقَّفُ على طريقةِ قراءتِنا لهذا التَّشْكِيلِ؛ ومِنْ أجلِ ذلك قلتُ غيرَ مرةٍ: إنَّنا نحتاجُ إلى البحثِ عن أدواتٍ أكثرَ نُضْجًا للفهم، وأنَّ التَّشْكِيلَ النَّحويَّ - وبخاصَّة في الشِّعْرِ - ينبغي أنْ يُواجَه بأدواتٍ من سيمانطيقا الشِّعْر»(١).

أعودُ إلى ما نحنُ بصددِه مِنْ دَورِ النَّحْوِ لدى عبد السَّلام هاشم مِنْ خلالِ العطفِ بأَو، فأشيرُ إلى أنَّه في هذه اللَّوحَةِ لم يكتَفِ بِعَطْفِ الفِعْلِيةِ على الفِعليةِ مُراعيًا ما تدلُّ عليه، على نَحْوِ ما سبق، بل نجدُه في البيتِ الثَّالثِ يُشيرُ إلى أنَّ مُشْطَ هذه الغانيةِ الموصوفَ بالمجنونِ على وزن مفعول كثيرًا ما أَرْخى ظِلَّها فوقَ صدرها الهائجِ كالمُتورِّمِ أو في النُّحورِ

(١) نظرية اللغة والجمال في النَّقْد العربي صـ 141، وكلمة(مساق) في نَصِّه مصدر ميميٌّ، من ساقَ، تدلُّ على ما سِيقَت الجُملةُ من أجلِه. والسيمانطيقا: ذلك النوع من التحليل ذي الخلفية الفلسفية والمنطقية، يهتم بالانطلاق من المجموعات العلامية إلى الموضوع، وهو أحد فروع علم اللغة، يبحث في دلالة الألفاظ، وتطوُّر هذه الدلالة، وقد وضع أُسس هذا العلم (بريال) في أخريات القرن التاسع عشر: يُنْظَر: الشكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي، محمد الماكري، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت، الطَّبْعَةُ الأُولَى، 1991 م، صـ 9، 10، 53، والمعجم الفلسفيّ، د. إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، القاهرة، 1983 م، صـ 99.

(الصدور) ذاتها، وهو ما يفيدُ أنَّ كِلا الأمرين مُبَاحٌ، أي الاسترسال فوق الصَّدرِ أو في الصَّدرِ، وذلك ما كان للشَّاعرِ أنْ يُعبِّرَ عنه إلَّا باستخدامِ حرف العطفِ (أو) دالًّا في سياقِه هذا على الإباحةِ عاطفًا شِبْهَ الجُملةِ (الجارّ والمجرور على شِبْهِ الجملة السَّابقة (فوق صدرٍ)، مُسهمًا في استقامةِ الوزنِ وصِحَّةِ القافيةِ، مِنْ خلالِ كلمةِ النحورِ ذاتِ الرَّويِّ الكامِنِ في حَرْفِ الرَّاءِ المكسورةِ، لكنَّ الشَّاعرَ لجأ إلى تسكينه؛ للدَّلالةِ على أهميةِ الوقوفِ على الصَّدورِ في هذا السِّياقِ.

وهو الأمر الَّذي يؤكِّد أنَّنا بحاجةٍ إلى قراءةٍ واعيةٍ للنصوصِ لاسِيَّمَا الشِّعْريةُ منها، لا تقتصرُ على بيانِ الدَّلالاتِ الموجَّهةِ القريبةِ، بل تتخطاها إلى بيانِ فاعليةِ التَّشْكِيلِ النَّحويِّ، كغيره من التَّشْكِيلاتِ اللُّغوية.

ثانيًا -المعطوف تابعًا مُتعَدِّدًا:

لمَّا كان الحديثُ عن المعطوفُ - فيما سبقَ مِنْ عرضٍ - مُخصَّصًا للمعطوفِ غيرِ المُتعدِّدٍ، مُسْهِمًا في التَّرابط النَّصِّيِّ، وغير ذلك مِمَّا وُضِّحَ آنفًا، فإنَّه في حالةِ كَونِه مُتَعَدِّدًا يزدادُ معه التَّرابُط النَّصِّيُّ على المستوى الرَّأسِيِّ والأُفُقِيِّ، وبالنَّظر في مواضِعِ تَعَدُّدِ المعطوفِ لدى عبد السَّلام هاشم لُوحظَ أنَّها كانت باستخدام الواو غالبًا، وذلك نَحْوُ قولِه[1]:

---

(١) ديوان أنوار ذهبية صـ 31، وينظر به أيضًا صـ 24، 33، 34، 36،

الشِّعرُ والحُسْنُ رفَّاتٌ على الخَلَدِ   هــذا لهــذا أفــاويقٌ مِــنَ الشَّــهدِ
الحســنُ عــادَ بمحرابــي لعالمنــا: شِـعْرٌ وَوَحْـيٌ أُغَنِّـي فيهمـا وَجْـدِي
وهـو الجمـالُ ربيـعُ العُمْـرِ مُبتَسِـمًا   شِعْري ربيعُ الهَوى والرُّوحِ والـوردِ
وهــو الأَنَــا وأنَــا الشَّــادِي بِهيكلِــهِ   نَفْسًـا ورُوحًـا وأَحْلامًـا علَـى سُـهْدِ

فهـذه الأبيـاتُ مِـنْ قصـيدة (أنـوار ذهبيـة) يُشـيرُ فيهـا إلـى أنَّ الشِّـعْرَ والحُسْـنَ اختلاجـاتٌ في روعِـهِ وقلبِـهِ، وأنَّ أحـدَهما بالنِّسـبةِ إلـى الآخـرِ دفعـاتٌ مُجتمعـةٌ مِـنَ العَسَـلِ مـا دام لـم يُعْصَـرْ مـن شـمَعِهِ، ثُـمَّ يُقِـرُّ بـأنَّ الحُسْنَ قد عاد بمحرابِهِ، وللعالَمِ مِنْ حولـهِ، في صـورةِ الشِّـعرِ والإلهـامِ، يُغنِّي فيهما ما وسِعَه، ثُمَّ يشـيرُ إلـى أنَّـه (الحُسْـنُ المُتمثِّل في الشِّـعر) هـو الجمالُ، وهو ربيعُ العُمْرِ مُبتسِمًا.

هذا، وتأتي بعد ذلك الجُمْلةُ الاسـميةُ الخبريـةُ المُثبتـةُ (شِـعري ربيـعُ الهـوى والـروحِ والـورد) المُتَّخِـذَةُ نَمَـطَ (المبتـدأ + الخـبر المضـاف + المضاف إليه + المعطوف المُتعدِّد بالواو)؛ للإشارةِ إلـى أنَّ شِـعرَه لـيس ربيـعَ هـواه فقـط بـل يشـتركُ مـع الهـوى في الحُكْـمِ الـروحُ والـوردُ، ذلـك المعطوفُ المُتكرِّرُ هنا يُلاحَظُ عليه التَّعريفُ، وكأنَّه معهودٌ لدى الشَّـاعرِ والمُتلقِّي معًا، فيجعلُهُ حقيقةً مُسلَّمةً.

هنا أستأنسُ بقول القائلِ: «التعريفُ يجعلُ المعنـى المُتخيَّـل حقيقـةً، يتلقَّاها العقلُ بكثيرٍ مـن التسـليمِ والقبـولِ، ويُعطـي معنـى الكلمـةِ صبغةَ

المعهودِ أو المألوف»[١]؛ ومن ثَمَّ كان اختيارُ تلك الكلماتِ اختيارًا مُوفَّقًا، بعد بحثٍ مُضْنٍ من قِبَلِ الشَّاعِرِ، فليس «البحثُ عن الكلمةِ الملائمةِ ميسورًا للشَّاعرِ في كلِّ الأحوال. إنَّ مثل هذا البحثِ أقربُ إلى السَّعي المُضني الَّذي ينقِّب فيه الشَّاعِرُ عن الكلمةِ الملائمةِ، بين رُكام التَّراكيبِ الجاهزةِ، وأكوامِ الألفاظ المُتقاربةِ في الظَّاهرِ، حتَّى يصلَ إلى كلمةٍ بعينها، يَشْعُرُ أنَّها تُحقِّقُ له ما يريدُ بالضَّبطِ، وعنادُ الكلمة وتأبِّيها ومراوغتُها أمرٌ يعرفُهُ كلُّ مَنْ مارسَ الكتابةَ الأدبية»[٢]؛ ومن ثَمَّ أسهم ذلك الاختيارُ في تمكينِ البناءِ النَّحويِّ من توافقِهِ مع النَّسْجِ الشِّعْريِّ، فصحَّتِ القافيةُ، واستقامَ وَزْنُ البسيطِ، وجاء المعنى على نحو ما أراده مبدعُ النَّصِّ.

أمَّا البيتُ الأخيرُ فيشيرُ فيه إلى أنَّ شِعرَه هو الأنا، وأنَّه يشدُو بمحرابِهِ لدرجةِ أنَّه استولى على نفسِهِ وروحِهِ وأحلامِهِ في نومِهِ، وذلك مِنْ خلالِ الجملةِ الاسميةِ الخبريةِ المُثبتةِ (أنا الشَّادي بِهيكلِه نَفْسًا وروحًا وأحلامًا على سُهْدِ)، تلك الجُملةُ التي تعدَّدَ فيها المعطوف بالواو على التَّمييزِ (نَفْسًا)، وهو ما يدلُّ على أنَّ النِّظامَ النَّحويَّ قد

---

(١) نظرية اللُّغة والجمال في النَّقْد العربي صـ 109.

(٢) مفهوم الشِّعْر، د. جابر عصفور، صـ 279، ويُنْظَر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطَّبْعَةُ الثالثة، 1986م. صـ 178.

أسعفَ الشَّاعرَ بالوفاء بمُرادِه من المعنى النَّصِّيِّ، مُتآزرًا مع النَّسْجِ الشِّعْرِيِّ، فاستقامَ وَزْنُ البسيط، وصَحَّتِ القافيةُ، بِرَوِيِّها المُرادِ، في إطار المعنى النَّصِّيِّ الذي تماسَكَ رأسيًّا وأُفقيًّا، من خلال حَرْفِ العَطْفِ.

وإنْ دلَّ ذلك على شيءٍ، فإنَّما يدلُّ على أنَّنا في تعليمنا قواعدَ النَّحوِ، ينبغي بيانُ فاعليَّتِها في النصوص، لاسِيَّما تعدُّدُ المعطوفِ، على نحو ما سبق مِنْ تناوُلٍ، مع الإشارةِ إلى أنَّ هذا التَّعدُّدَ لا يكونُ اعتباطًا، بل لغرضٍ مقصودٍ قصدًا، وعلى المُتلقي أنْ يجتهدَ في تشكيلِ المعنى النَّصِّيِّ مع المُبدِعِ، بإكماله تلك الفراغاتِ، أو بفكِّهِ شفراتِ النَّصِّ، وبيان دورِ العطْفِ في التَّماسُكِ النَّصِّيِّ.

ثالثًا -حَذْفُ حَرْفِ العطفِ:

لمَّا كان ما سبق مِنْ عرضٍ يشيرُ إلى ذِكْرِ حَرْفِ العطف، وأنَّه ذو أثرٍ في بناءِ النَّصِّ لدى عبد السَّلام هاشم حافظ، فيمكنُ الإشارةُ إلى أنَّ الشَّاعرَ كان يلجأ إلى حَذْفِ حَرْفِ العَطْفِ أحيانًا، عندما يكونُ الحذفُ أبلغَ مِنَ الذِّكر، وذلك يمثِّله قولُه[1]:

أَنْتِ عِنْدِي حُلْمَ أَيَّامٍ طويلَةْ   سرَّ إِلْهامٍ وأحلامٍ جميلَةْ

(١) يُنْظَرُ: ديوان أنوار ذهبية صـ 154.

فالصورةُ في البيتِ تدفعُ إلى تساؤلٍ مُضْمَرٍ[1]، مُفاده أين الحذف؟ ولِمَ كان هذا الحذفُ؟ هنا أُشيرُ إلى أنَّ الحذف في قولِه (سِرَّ إلهام)، وأصله المُقدَّر (وسِرَّ إِلهامي)، فالبنية الأساسيةُ للجملة (مُبتدأ +ظرف مكان+ مضاف إليه+ خبر+ مُضاف إليه+ نعت+ حرف عطف+ معطوف (سِرَّ) + مضاف إليه+ معطوف بالواو+ نعت)، ومِنْ خلالِ المقارنةِ بين البنيةِ الأساسيةِ والبِنيةِ الظَّاهرةِ يتَّضحُ لجوءُ الشَّاعرِ إلى حَذْفِ حَرْفِ العَطْفِ، فما مغزى هذا الحذف؟

يكمُنُ مغزى هذا الحذف في أنَّ رَأْسَ الفكرة، أي الموضوع الذي يتحدث فيه الشَّاعرُ-وهو محبوبته -قد استحوذَ على اهتمامِهِ، فلم يُسْعِفْهُ الوقت أو الفراغُ لمطابقةِ فِكرتِهِ على قواعدِ اللُّغةِ الصَّارمةِ المُترويةِ المُنَظَّمَةِ كما يرى فندريس، «وليس معنى كلِّ ما تقدمَ أنَّ اللُّغةَ الانفعاليةَ-ولُغَةُ الشِّعْرِ ممثلة لها-تنفصلُ انفصالًا تامًّا عن غيرِها،

---

(١) تجدر الإشارة إلى أنَّه «ليست الصورة التي يكوِّنها خيالُ الشَّاعِرِ إلَّا وسيلةً من وسائلِه في استخدام اللُّغة، على نحوٍ يضمن به انتقالَ مشاعِرِه (انفعالاته وأفكاره) إلينا على نَحْوٍ مؤثِّر... والصورة كما تكون مجموعةً من الألفاظ تكون لفظًا واحدًا، والشَّاعِر في بحثه وتركيبه للصورة يستخدم اللَّفظَ المفرد كما يستخدمُ المجموعةَ من الألفاظ، وبذلك يمكننا أنْ نقول: إنَّ القصيدة مجموعةٌ من الصورِ». الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، الطَّبْعَةُ السَّابعة، 1978 م، صـ 129، ويُنْظَر: الأسلوب «دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية»، د. أحمد الشايب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، الطَّبْعَةُ السَّابعة، 1976 م، صـ 77.

فالواقع[١] أنَّ اللُّغةَ النَّحويةَ المُنَظَّمةَ تنظيمًا منطقيًّا لا تستقلُّ عن اللُّغةِ الانفعاليةِ، فبين اللُّغتَينِ تأثيرٌ مُتبادَلٌ»[٢].

فنظرًا لشدَّة انفعالِ الشَّاعرِ وسيطرةِ محبوبتِهِ عليه؛ ومن ثَمَّ فهي حُلمُ أيامِهِ ومُلهمتُهُ، حَذَفَ الواوَ اعتمادًا على النَّاحيةِ النَّفسيةِ «الرِّباط النَّفسيِّ» وترك الرِّباطَ المادِّيَّ «الواو»، حيثُ إنَّ «الشِّعرَ لُغةٌ انفعاليةٌ، لا تَأْبَه كثيرًا لوسائلِ الرَّبْطِ اعتمادًا على الرِّباطِ النَّفْسِيِّ. وما يزالُ الشُّعراءُ، وكُتَّابُ القِصةِ القصيرةِ لا يحفلون بحَرف العطفِ فيما يكتبون، وهنا يصحُّ رأي ابن مالك[٣]، والسيوطي، إذ يجيزان حذفَها في الأصحِّ لورود الحديثِ والنثرِ بذلك، خلافًا لابن جِنِّي والسُّهيليِّ وابن الضَّائع»[٤]،

(١) لغة الشعر «دراسة في الضرورة الشعرية»، د. محمد حماسة، دار الشروق، القاهرة، الطَّبْعَةُ الأولى، 1996 م، صـ 376.

(٢) اللغة، فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص، الأنجلو المصرية، د0ت، صـ202، والسَّابِق نفسه.

(٣) يُنْظر: شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة دار العروبة، د0ت، صـ63-62 ولغة الشعر «دراسة في الضرورة الشعرية» صـ250.

(٤) لغة الشعر «دراسة في الضرورة الشعرية صـ 250، ويُنْظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، 1998 م صـ 275-274.

بالإضافة إلى وروده في شِعْرِ عبد السَّلام هاشم حافظ ومِنْ قبلِهِ فحولُ الشُّعراءِ، كما هو الحال عند الأعشى[1]، وهو مِمَّن يُحْتَجُّ بشعرهم.

ولا يخفى ما لهذا الحذفِ مِنِ استقامةِ الوزنِ، واستقرار كلمة القافيةِ؛ ومن ثَمَّ أسهم في توافقِ النِّظامِ النَّحويِّ مع البناء الفنِّيِّ، ولم يتأثر المعنى بهذا التوافقِ من جهةِ اللَّبْسِ، فجاء واضحًا، لا لَبْسَ فيه ولا غموض.

---

(١) يُنْظَرُ: القضايا التركيبية وعلاقتها بالدلالة صـ 136، وديوان الأعشى صـ 74 حيث قوله:

وَشَــرِيكَيْن فِي كَثِيــر مِــنَ المَــا ... لِ وَكَانَــا مُحَــالِفَيْ إِقْــلَالِ

قَسَــمَا الطَّــارِفَ التَّلِيــدَ مِــنَ الغُنْــ ... ــمِ فَآبَــا كِلَاهُمَــا ذُو مَــالِ

المَبْحثُ الثَّالث

الإِضافةُ، ودورُ اختيارها في النَّصِّ لدى عبد السَّلام هاشم

مِنَ المعلومِ نحويًّا أنَّ الإضافةَ تعني نِسبةَ اسمٍ إلى آخر، بغرضِ تقييدِه، أي تنزيل الثَّاني من الأوَّلِ منزلةَ تنوينه أو ما يقومُ مقام تنوينِه، وهذه النِّسبةُ توجبُ لثانيهما الجرَّ أبدًا[1]، وتوجبُ للأوَّلِ التَّعريف أو التَّخصيص إنْ كانت الإضافةُ معنويةً، أمَّا الإضافةُ اللَّفظيةُ فغرضُها التَّخفيفُ، أي تخفيفُ المضافِ بحَذْفِ تنوين المُضافِ المُشتقِّ[2]، وفيما يلي تمثيلٌ لأقسام الإضافةِ في ديوان أنوار ذهبية وبيانُ أثرِها:

أوَّلًا -الإضافةُ المعنوية:

لمَّا كانت الإضافةُ تعني إضافةَ اسمٍ إلى اسمٍ، وهي على ضربين، معنوية ولفظية، والمعنويةُ ما أفادت تعريفًا، كقولك: دارُ عمرٍو، أو تخصيصًا كقولك: غلامُ رجلٍ، ولا تخلو في الأمرِ العامِّ مِنْ أنْ تكونَ بمعنى اللَّام أو بمعنى (مِنْ) أو بمعنى (في)؛ بغَرَضِ تقييد دلالةِ المُضافِ[3]، ففيما يلي تمثيلٌ لذلك لدى شاعرنا:

---

(١) يُنْظَرُ: المقتضب، المبرِّد، تحقيق محمد عبد الخالق عُضَيمة، عالم الكتب، بيروت، د0ت، 2/ 143، وشرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، 2/ 24، وهمع الهوامع، 4/ 264.

(٢) يُنْظَرُ: شرح المفصل، ابن يعيش 2/ 118.

(٣) يُنْظَرُ: السَّابِق نفسه.

أ- الإضافة على معنى اللَّام:

ضابطُها أنْ يكونَ المضافُ إليه مالكًا أو مُسْتَحِقًّا للمضافِ: غلامُ زيد، أي هو مالكُه وأيضًا نَحْوُ عَامِهِ وأرْضِهِ وكتابي، أمَّا عن كونِها على معنى اللَّام فلتوافُقِ معنى هذه اللَّام مع الدَّلالةِ الوظيفيَّةِ للإضافةِ، فأصلُ الإضافةِ التَّمليك وليس في الحروف معناه الملْك واستحقاقُ الشَّيءِ إلَّا اللَّام[1]، ومثالُها ما ورد في قوله[2]:

يا رَفَّةَ الحُسْنِ ضُمِّي قَلبِي! الدَّامي ... رِفِّي على الرُّوحِ يا ظِلِّي وأحلامِي

أَزهى مِنَ الوَرْدِ في خَدَّيْكِ يُسْحِرُنِي ... وفي شِفاهِكِ إغراءٌ لأوهامِي

نِداءُ حُبِّي على رَفَّاتِها نَغَمٌ ... يُقَبِّلُ الحُسْنَ يُذكي فِيَّ إلْهامِي

عَيْنَاكِ مِنْ شَغَفٍ تذكو بِفِتْنَتِها ... صَاغَ الإله معانيها بأنْغامِي

فهذه الأبياتُ مِنْ قصيدةِ (احتراق) يخاطِبُ فيها ربَّةَ الحُسْنِ بأَنْ تَضُمَّ قلبَهُ الدَّامِيَ الحزينَ، وأنْ تُرَفْرِفَ على رُوحِهِ، فهي كلُّ شيءٍ بالنِّسبةِ له، ومِنْ ثَمَّ أصبحتْ مُلكًا له، وللنَّصِّ على ذلك نجده يلجأُ إلى الإضافةِ المعنويةِ على معنى اللَّام الدَّالةِ على الامتلاك، في كلمَتَي

---

(١) يُنْظَرُ: الكتاب، سيبويه، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطَّبْعَةُ الثانية، 1402 هـ-1982 م، 4/ 217.

(٢) ديوان أنوار ذهبية صـ 23، وينظر أيضًا صـ 24، 25، 28، 34، 35، 36، 37، 43، 82، 95، 109، 132، 145.

(ظِلِّي، وأَحْلامي)، وهو ما يتَّضِحُ مِنْ خلالِهِ تآزُرُ الإضافةِ والعطفِ في الوفاءِ بالمعنى المُرادِ، واستقامةِ الوزنِ في اتِّجاه صِحَّةِ القافيةِ برويِّها المُراد.

ولم يكتَفِ بذلك، بلْ واصلَ التعبيرَ عن هذا الامتلاكِ في الأبياتِ التَّاليةِ، مِنْ خلالِ إضافةِ كلماتِ (أوهام، إلهام، أنغام) إلى ياءِ المتكلِّمِ، في مكانِ القافيةِ، مِنْ مُنْطَلَقِ أنَّ «القافيةَ مركزُ ثِقَلٍ مُهمٍّ في البيتِ، فهي حوافِرُ الشِّعْرِ ومواقفُهُ، إنْ صحَّتِ استقامَ الوَزْنُ، وحَسُنَتْ مواقفُهُ ونهاياتُه»[1]، فَمِثلُها مِثْلُ الوَزْنِ - في أنَّ الوَزْن جزءٌ من المعنى- ليست عنصرًا خارجيًّا يضافُ إلى الشِّعْرِ، بل هي جزءٌ من سياق المعنى، لا تظهر وظيفتُها الحقيقيَّةُ إلا إذا وضِعَتْ في عَلاقةٍ مع المعنى، وهي القاعدةُ الَّتِي يُبْنَى عليها البيتُ، وربَّما وجَّهتْ مسارَه[2].

---

(١) مفهوم الشِّعْر، د. جابر عصفور، صـ 262، ويُنْظَر: منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، صـ 71، المصطلح الإيقاعي في التراث الأدبي «القافية أنموذجًا»، فريد أمعضشو، كتيب المجلة العربية، الرياض، السعودية، العدد 382، ذو القعدة 1429، نوفمبر 2008 م، صـ 3 – 7.

(٢) يُنْظَر: التشكيل اللغوي في شعر الأمير عبد القادر الجزائري، د. وهب رومية، مجلة التراث العربي، العدد: 100-99، السنة الخامسة والعشرون، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، رمضان 1426 هـ، تشرين الأوّل، 2005 م، صـ 41 – 42، وبناء لغة الشِّعْر، جون كوين، ترجمة د. أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة، 1984م، صـ 98 – 102.

ب- الإضافة على معنى مِنْ:

ضابطُها أنْ يكونَ المضافُ إليه جِنْسَ المضافِ الذي هو بعضٌ منه، فيكونُ الغرضُ منها بيانَ جِنْسِهِ، نَحْوُ هذا ثوبُ خَزٍّ، وبابُ خشبٍ، فمعناها هذا ثوبٌ مِنْ خزٍّ وبابٌ مِنْ خَشَبٍ، وبملاحَظَةِ الحرفِ بينهما يتَّضِحُ أَنَّ المرادَ مِنَ الإضافةِ بيانُ الجِنْسِ، وهذا الحرفُ هو (مِنْ) المُبَيِّنَة، نَحْوُ قَولِه[1]:

أنتِ حُبِّي.. كُنتِ لِي يومًا غرامًا وانتفاضات الشَّبابِ
طَفلَةُ الأحلامِ طافتْ في ربيعِ العُمرِ تَزهو بالرّغابِ
كُنتِ يا نجوى فُتونَ الأمسِ، ناجاني وغَنَّى في الرِّبابِ
بين لهوٍ وانطلاقٍ، نسألُ الأَيَّامَ أكوابَ الإيابِ

فهذه الأبياتُ مِنْ قصيدةِ (سِر الأسرار) التي ذَيَّل الشَاعِرُ عنوانَها بأنَّها في نجوى الذَّاتِ العَلِيَّةِ، فيها يُلاحظُ استخدامُ الإضافةِ المعنويَّةِ على معنى حَرْفِ الجرِّ (مِنْ)، في قولِهِ: (انتفاضات الشَّباب، فتون الأمسِ، أكواب الإياب) وهو ما يدلُّ على أنَّ الغرضَ مِنْ هذه الإضافةِ هو البيانُ والتَّقييدُ، وهنا أُشيرُ إلى أنَّ منها ما جاء فيه المضافُ إليه في مكانِ القافيةِ مُقدَّمًا لها هذه الوظيفةَ النَّحويةَ المُشتملةَ على حَرْفِ الرَّويِّ

(١) ديوان أنوار ذهبية صـ 27، وينظر به أيضًا صـ 44، 65.

المجرورِ، فكان ذلك أمارةً على تعانُقِ البناءِ النَّحويِّ مع القافيةِ في إطارِ المعنى النَّصِّيِّ.

ولمَّا كان أغلبُ الإضافة التي على معنى (مِنْ) في المثال السَّابقِ قد جاءت في مكانِ القافيةِ، فإنَّ ذلك لا ينفي ورودَها في حَشْوِ البيتِ، على نَحْوِ ما جاء في قولِهِ(١):

نَجواكَ يا قَلْبُ بِهَمْسِ الرُّوحِ أُرْسِلُها   بَيْنِي وبَيْنِكَ في هَزْلٍ وفِي جِدِّ
لِمَصْدَرِ الحُبِّ أَشدو حالمًا وَلِهًا   يا مَأمَلِي لَكَ حتمًا كُلُّ ما عندي
قَدْ كُنتُ يا نورَ أيامي وغِبْطَتَها   في عالَمِ الوهْمِ أَشكو وَحْشَتِي وَحدِي
وأَنتِ دومًا مع الأمجادِ في صُعدٍ   والرُّوحُ ولْهَى على رؤياكِ يا سَعْدِي

وهو ما يتَّضحُ من خلالِه استخدامُ الشَّاعرِ الإضافةَ المعنويةَ على معنى (من) في الحَشْوِ مُتمثِّلةً في (بِهَمْسِ الرُّوحِ، لِمَصْدَرِ الحُبِّ، عالَمِ الوهمِ) للإشارةِ إلى أنَّ مناجاةَ القلبِ همسٌ مِنَ الرُّوحِ، وأنَّه يَشْدُو حالمًا لمَصْدَرٍ من الحُبِّ، وأنَّه يَشْكُو وَحْشَتَه وَحْدَه في عالَمٍ مِنَ الوهم)، وفي كلِّ هذا مِنَ البيانِ والتَّقييدِ ما لا يخفي على القارئ المُتمعِّنِ الذي سُرْعان ما يكتشفُ أنَّ هذه الإضافةَ قد أسهمتْ أيضًا في استقامةِ الوزنِ وصِحَّةِ القافيةِ مُتآزرةً مع الإضافةِ التي على معنى اللَّام، ومُتآزرةً مع

(١) السَّابق صـ 32، وينظر به أيضًا صـ 34، 37، 44.

العطفِ كذلك، كما هو الحالُ في البيتِ الأوَّل من هذه الأبياتِ، فدلَّ ذلك على أنَّ الشَّاعرَ لم يستخدمْ كلَّ ذلك عن عَجزٍ أو عَيٍّ، بل فيه ما فيه مِنَ الدَّلالاتِ المُرتبطةِ بالنَّصِّ، وعلى القارئ أنْ يتفاعَلَ مع هذا النَّصِّ أو ذاك.

ج- الإضافة على معنى في:

في هذا الضَّربِ مِنَ الإضافةِ يكونُ المضافُ إليه ظرفًا للمضافِ، نَحْوُ: ﴿مَكْرُ ٱلَّيْلِ﴾، ونَحْوُ قولِ عبد السَّلام هاشم[1]:

حُلْمُ أَيَّامِي وَقَلْبِي ... عَادَ يغزُو بَحْرَ فِكْرِي

فيه ذِكْرى الأَمْسِ تُصْبِي ... عِشْتُ فيها جُلَّ عُمْري

فَهْي شَدْوِي وَهْي حُبِّي ... نَمَّ عنها خَفْقُ قَلْبي

فهذه الأبياتُ مِنْ قصيدةِ (نَشيد قلبٍ) لجأ فيها الشَّاعرُ إلى الإضافةِ المَحْضَةِ المعنويةِ على تقديرِ حَرْفِ الجرِّ(في)، في قولِهِ: (بحرَ فِكري، ذِكرى الأَمْسِ، خَفْقُ قَلْبي) مُعْرِبًا عن كونِ المضافِ إليه ظرفًا للمُضافِ، فأفاد أنَّ حُلْمَ أَيَّامِهِ وقَلْبِهِ قد عاد يغزُو بَحْرًا في فِكْرِه، هذا الحُلْمُ فيه ذِكْرَى في الأَمْسِ، قد عاش فيها الشَّاعِرُ كلَّ عُمْرِه، فهي غناؤه وحُبُّه، يدلُّ على ذلك ما في قَلْبِهِ مِنْ خَفَقَان.

---

(١) ديوان أنوار ذهبية صـ 95.

ثانيًا-الإضافة اللَّفظية (غير المحضة):

وهو ما تكون فيه الإضافةُ لفظًا والمعنى على غيرِه؛ لِمَا بين جُزْئَي التَّركيبِ الإضافِيِّ مِنْ تقديرِ الانفصالِ، وشرْطُها أنْ يكونَ المضافُ صِفَةً عامِلَةً مُضافَةً إلى معمولِها دَالَّةً على الحالِ والاستقبالِ[١]، وتقعُ في ثلاثةِ أنواعٍ، هي اسمُ الفاعلِ واسمُ المفعولِ والصِّفةُ المُشَبَّهةُ بلا خلاف، ويمكنُ التَّمثيل لها بما جاء في قولِه[٢]:

أحاديثُنا قُبُلاتٌ حِرارٌ وهَمْسٌ يوقِّعُ لَحنَ الرَّبيعِ
وأحلامُنا خاطراتُ الخيالِ وحِضْنٌ تداعَى بِأبْهى ربوع

فهذانِ البيتانِ من قصيدةِ (أرُونِي يا قمرُ)، يُشيرُ في الثَّاني منهما إلى أنَّ أحلامَهم خاطراتٌ، وذلك من خلالِ الجُملةِ الاسميةِ الخبريةِ المُثبتةِ (أحلامُنا خاطراتُ الخيالِ) المُتَّخِذَةِ نمطَ (المبتدأ + الخبر المُشتق + المضاف إليه)، وهو ما يتَّضحُ من خلالِهِ أنَّ هذه الأحلامَ ليستْ على إطلاقِها، فهي مُقيَّدةٌ بكونِها خاطراتِ خيالٍ، وهو ما يدلُّ على استمرارها على هذه الصورةِ حالًا ومُستقبلًا، وهو ما يُفصِحُ عنه المضافُ المُشتقُّ في صورةِ اسم الفاعلِ (خاطرات)، وما قام به المضافُ

(١) يُنْظَرُ: شرح المفصل 2/ 119.

(٢) ديوان أنوار ذهبية صـ 44، وينظر أيضًا صـ 34، 82.

إليه (الخيال) مِنْ تقييدِ هذه الخاطراتِ، مع ملاحظةِ أنَّ المضافَ قد خُفِّفَ بِعَدَمِ تنوينِهِ، بسبب أنَّها إضافةٌ لفظيةٌ غيرُ محضةٍ.

وهو ما عليه قولُه(١):

ويا صانِعَ المَجْدِ يا ابنَ المعالي   حفيدَ الكِرامِ ربيبَ السَّناءْ
وجدتُ بِكَ الحُبَّ عند الجمالِ   نفِيءُ إليه بأغلى رجاء

فهذان البيتان مِنْ قصيدةِ (قلبي وأهلي) يُلاحظُ في الأوَّلِ منهما أنَّ الشَّاعِرَ قد لَجَأَ إلى الإضافةِ غيرِ المَحْضَةِ مُمَثَّلةً في إِضَافَةِ اسْمِ الفاعلِ (صانع) إلى المَجْدِ، غير مُكتَسِبِ التَّعريفَ؛ لأنَّه أُضيفَ إلى ما عَمِلَ فيه، وإنَّما أَفَادَتِ الإضافةُ فيه التَّخفيفَ، فَمِن المعلومِ أنَّ (صانِعَ المجدِ) أخفُّ مِنْ (صانعًا المجدَ) بتنوين (صانِع)، وهنا أُشيرُ إلى ما يراه السيوطي، مِنْ أنَّ «الجرَّ أَوْلَى؛ لأنَّ الأَصْلَ في الأسماءِ، إذا تعلَّقَ أحدُها بالآخرِ الإضافة، والعملُ إنَّما هو بِجِهةِ الشَّبَهِ للمُضارِعِ، فالحَمْلُ على الأصلِ أَوْلَى»(٢).

---

(١) ديوان أنوار ذهبية صـ 116.

(٢) همع الهوامع 5/ 83، وينظر: شرح الكافية، للرضي، 1/ 280 – 281، والإضافة في شعر عنترة العبسي، دراسة نحوية دلالية، عاهد حسين عبد الله عيّاش، رسالة ماجستير، جامع النجاح، نابلس، فلسطين، 2007 م، صـ 64.

هذا، ولمَّا كان ما سبق عَرْضُه مِنْ خلالِ استقراءِ الدِّيوانِ، فإنَّني أُشيرُ بعد هذا العرضِ إلى أنَّ الإضافةَ المَحْضَةَ أَو المعنويةَ قد غلبت على الدِّيوانِ، ومَرْجِعُ هذه الغَلَبَةِ أنَّ الشَّاعرَ قد يريدُ تعريفَ المُضافِ أو تخصيصَه، وفي ثنايا هذا التَّعريفِ أو التَّخصيصِ نُلاحظُ شيوعَ الإضافةِ إلى ضميرِ المُتكلِّمِ الذي يُمثِّل ذاتَ الشَّاعرِ، حيث تعبيرُ الشَّاعرِ عن تجاربَ ترتبطُ به أو بمَنْ يُحبُّهم أو يتعلَّقُ بهم؛ لدرجةِ أنَّ الإضافةَ قد تكونُ مُكثَّفةً في البيتِ الواحدِ، في الحَشْوِ والعروضِ والضَّربِ[1]، وذلك لا يعيبُه، ولَئِنْ دلَّ ذلك على شيءٍ، فإنَّما يدلُّ على تمكُّنِ الشَّاعرِ وَوَعْيِهِ بِدَورِ النَّحوِ في العمليةِ الإبداعيةِ، وهو ما يُحتِّمُ علينا توجيه طُلَّابنا إلى دراسةِ أثَرِه- وكذلك أثر المُرتكزات الصَّرفيةِ- في النصوص المُختلفةِ؛ فنشعر بلذَّة اللُّغة العربيةِ وأهميتها في التَّواصُلِ والتَّعبيرِ عنِ المُراد.

(١) ينظر: ديوان أنوار ذهبية صـ 101، حيث قوله:

فَتَّانَةَ العينينِ يا شَدْوَ الهوى ... يا ثَورةَ الإحساسِ يا لهبَ الشَّبابْ

الخاتمة

هكذا نأتي إلى خاتمة البحث في «الاخْتِيارِ النَّحْوِيِّ وعَلَاقتِهِ بالنَّصِّ في شِعْرِ عبد السَّلام هاشم حافظ»، ذلك البحث الذي اتَّخذَ من اختيارِ الشَّاعرِ التَّعبيرَ بالصِّفةِ والعَطْفِ والإضافةِ في ديوانه «أنوار ذهبية» مُنطلَقًا له، مُبْتَغِيًا فيه الكشفَ عن الطَّاقاتِ التعبيريَّةِ لاختيار التَّعبيرِ بهذه العناصر، وكيفية استثمارِهِ إيَّاها. وعلى الرَّغمِ مِنْ أنَّ البحثَ بصورتِهِ الكائنة - بما استلزمَ مِن جهدٍ ملموسٍ، يلحظُه القارئُ الكريمُ - يعدُّ نتيجةً في حدِّ ذاته، وذلك في رأيي المتواضع، فيمكن - بجانب ما ورد في أثناء البحثِ -تأكيدُ النقاطِ التَّالية:

يمتلِكُ الشَّاعرُ عبد السَّلام هاشم حافظ ناصيةَ اللُّغةِ امتلاكًا، يُرافِقُه طُولُ النَّفَسِ الشِّعرِيِّ في أغلَبِ قصائده، مِمَّا يجعلُ المُتلقِّي يُقِرُّ بأنَّ الشَّاعرَ لم يَحصُرْ تعبيرَه عنْ مكنونه في إطارِ العناصرِ الإسناديَّةِ وحدَها. بل كانت العناصرُ غيرُ الإسناديةِ التي اختارها -والتي اقتصر عليها البحثُ-بارزةً في قصائدِه، تُكمِّلُ عملية الإسنادِ، مُعْرِبةً عمَّا يريده الشَّاعرُ مِن مَعنًى نَصِّيٍّ مَّا.

بناءً على ذلك يمكنُ القولُ: إنَّ اختيارَ تعدُّدِ الصفاتِ والمعطوفاتِ والإضافاتِ في شعر عبد السَّلام هاشم حافظ، على نَحْوِ ما جاء في ديوان «أنوار ذهبية»، لم يأتِ مِنْ غيرِ مدلولٍ نفسِيٍّ، معدوم من القيمة، بل أتت هذه الاختيارات لمدلولٍ مَّا يقصده، قد استقرَّ في نفسِه وعقلِه، على نَحْوِ

ما سبق على مدارِ البحثِ. ولا يمكنُ القولُ بأنَّ كَثْرَةَ المعطوفات في شِعْرِه، قد أَضْعَفَ كثيرًا هذا الشِّعرَ؛ لأنَّه يعتمدُ عليها كثيرًا في إتمامِ البيتِ، وأنَّ ثَمَّةَ قوافي مُعتَسَفةً، تجيءُ لإتمامِ البيتِ وإقامةِ الوزنِ فقط، على نَحْوِ ما أُشِيرَ إليه مِنْ قولٍ لإحدى الباحثات بمقدِّمةِ البحثِ؛ ومِنْ ثَمَّ كانت الحاجةُ إلى تسليطِ الضَّوءِ على ما عَرَضَ له البَحثُ مِنْ عناصِرَ غَيْرِ إِسْنادِيَّةٍ؛ لِلإسْهامِ في جَلاءِ الكفايةِ التَّخاطُبِيَّةِ لدى الشَّاعِرِ، آسِرَةً المُتَلَقِّي؛ كي يُعرِبَ عَنْ مَدى براعةِ استخدامِ الشَّاعرِ اللُّغَةَ في سياقاتِها الفِعْلِيَّة.

لقد بات واضحًا أنَّ لِمُقَيِّداتِ الفِعْل أثرًا في استطالةِ التَّراكيبِ لدى عبد السَّلام هاشم حافظ، وهو الأمرُ نَفْسُه فيما يُصطَلَحُ عليه بطُولِ التَّبعيَّةِ، وطُولِ التَّعدُّدِ؛ ومِنْ ثَمَّ فهي ليست استطالةً عَبَثِيَّةً، هَدَفُها الوصولُ بالتَّركيبِ إلى استقامةِ الوزْنِ وصِحَّة القافيةِ فقط، كما يَعتقِدُ بعضُ المارِّين مرورَ الكرامِ على النَّصِّ. بل كانت استطالةً مقصودةً، فكانت وسيلةً لغايةٍ، انحصرتْ في الإبداع والإمتاع في آن واحدٍ، مِنْ طريق الدَّلالةِ على معنًى مَّا، يرنو إليه الشَّاعرُ، أي بما يتوافقُ وقَصْده، فكانَ لهذه المقيِّدات، مُتَعدِّدةً أو غير مُتعدِّدة، وكذلك التَّوابعُ، تأثيرٌ على المعنى، تبعًا لتنوُّع المُقيِّد أو التَّابع، بجانبِ الإسهام في استقامةِ الوزْنِ وصِحَّةِ القافيةِ، باعتبارهما جُزءًا مِن المعنى النَّصِّيِّ؛ ومِنْ ثَمَّ تكونتْ قناعةٌ لَدَيَّ بأنَّ البيت في شِعْرِ عبد السلام هاشم حافظ غيرُ مجلوبٍ مِنْ

أجْلِ القافيةِ، بل هي المَجْلُوبَةُ مِنْ أَجْلِه، لم تأتِ لتَتِمَّةِ البيتِ، بل إنَّ البيتَ مَبْنِيٌّ عليها، ولا يُمكنُ الاستغناءُ عنها فيه.

تَبَيَّنَ أنَّ النَّعْتَ من التَّوابعِ التي لا يمكن الاستغناء عنها لدى عبد السلام هاشم، سواءٌ أكانَ النَّعتُ بالمفردِ أَمْ بغيرِه؛ لأغراضٍ دلاليةٍ، ترتبطُ بالسِّياقِ على نحو ما تقدَّم، وأنَّ ذِكْرَه وحذْفَهَ ليس على سواءٍ في الدَّلالةِ، فجاء النَّعْتُ مُتمِّمًا المنعوتَ دالًّا على معنًى فيه، بحسَبِ ما يقتضيه النَّصُّ، وإنْ دلَّ ذلِك على شَيءٍ، فإنَّما يدُلُّ على أنَّ النَّعْتَ تقييدٌ لمنعوتِه. ولمَّا كان تعدُّدُ المنعوتِ جائزًا في الاستعمالِ اللُّغويِّ، فقد استثمرَه عبد السَّلام هاشم في عِدَّة مواضعَ، مُسهمًا بذلك في إطالةِ البناءِ؛ بِسَبَبِ أنَّ النَّعْتَ يعتمدُ على الوصْفِ المُتَعدِّدِ والأحكامِ الوَصْفِيَّة، كما أسهمَ النَّعْتُ مُتَعدِّدًا أو غيرَ مُتَعدِّدٍ في توافُقِ البناءِ النَّحوِيِّ مع النَّسْجِ الشِّعرِيِّ، في إطارِ المعنى النَّصِّيِّ المُراد.

لمَّا كان كُلٌّ مِن النَّعتِ والعَطْفِ مِنْ مُكمِّلاتِ المقصودِ بالحُكمِ، فقد اتَّضحَ استخدامُ عبد السَّلام هاشم عَطْفَ النَّسق تابعًا بِغَرَضِ التَّقييدِ؛ مِنْ مُنطَلَقِ كَونِ المعطوفِ عليه غير مُطْلَقٍ في انفرادِه بالحُكمِ الذي يكونُ له. ولمَّا كانت تَبَعيَّةُ المعطوفِ غيرَ ممنوعةٍ، فقد بدا استخدامُ اختيار شاعرنا هذا التَّعدُّدَ واضحًا؛ لأغراضٍ تتَّصلُ بالسِّياق، فطال البناءُ، واستقامَ الوزنُ، وصَحَّتِ القافيةُ، في إطارِ ما أُرِيدَ مِنْ معنى، وبدا العطفُ مُسهمًا في التَّرابُطِ النَّصِّيِّ أو الاتِّسَاق.

لمَّا كانَتِ الإضافةُ تكمُنُ في نِسبةِ اسمٍ إلى تالٍ بغرَضِ تقييدِ الأوَّل، فقد لجأ عبد السَّلام هاشم إلى الإضافة بنوعيها المعنويةِ واللَّفظيةِ، مع ملاحظةِ غَلَبةِ المعنويةِ على أُختها في الدِّيوان؛ لأغراض تتصلُ بالمعنى النَّصِّيِّ، على نحو ما جاء بالأمثلةِ التي اقتصر عليها البحث إيجازًا، لدرجة أنَّ الشَّاعرَ كان يلجأ إلى اختيارِ تكثيفِ الإضافةِ أحيانًا مِنْ أَجْلِ تقييدِ معانيه، وأنَّه كان يجمعُ أحيانًا بين النَّعتِ والعطفِ، أو بين النَّعتِ والإضافةِ، أو بين العطف والنَّعتِ، أو بين العطف والإضافة، أو يجمعُ بينهم جميعًا لغرضٍ دلاليٍّ، لا يُنبِئ عن ضَعْفٍ لدى الشَّاعر.

وبناءً على ذلك اتَّضحَ أنَّ العُنْصرَ غيرَ الإسناديِّ قَيْدٌ لِمَا يَرتَبطُ به، فترابَطَت العناصرُ التي هي موضوعُ البَحثِ مع مَا تدورُ في فَلَكِه، وكانتْ علاقَتُها بالأجزاءِ الأُخَرِ في الجُمْلَةِ مِنْ خلالِ علاقاتِها النَّحوِيَّةِ بما ترتبطُ به. ولمَّا كانَ مِنْ غيرِ اللَّازِمِ أنْ ترتبطَ هذه العناصِرُ ارتباطًا مُباشِرًا بِعُنْصُرَي الإسنادِ معًا، فإنَّها قد ارتبَطَتْ في بعض الأحيانِ بما هي مُتَمِّمةٌ له أو تابعةٌ أو مُقَيِّدَة، وهو ما أفضَى إلى مُلاحظةِ أنَّه قد يكونُ مَا تُتَمِّمُه هذه العناصرُ أو تَتبعُه أو تُقيِّدهُ مِنْ غيرِ عُنْصُرَي الإسناد.

وبعدُ، فإنَّ هذا البحثَ ينْبغي أنْ يكونَ بمثابةِ المُقدِّمة لبحوثٍ أُخَر، تُبْنَى عليه، تَتَجلَّى فيها الخصائصُ اللُّغويَّةُ لِشِعْرِ عبد السَّلام هاشم حافظ وغيره، بصورةٍ أشمَلَ وأعمَقَ، تُظهرُ فاعليةَ اختيارِ المُرتكزات النَّحويةِ. وهنا أُشيرُ إلى أنَّ بَحثِيَ ليس مُبرّأً مِن الخطأ أو النِّسيانِ،

فكلاهما جائزٌ على الإنسان، ومَا هـو إلَّا اجتهـادٌ قَـدَرَ الطَّاقَـةِ، فـإنْ كُنْتُ مُوفَّقًا، فذلك فَضْلُ الله، يؤتيه مَنْ يشـاء، وإنْ كانـت الأُخـرى فـلا يُكلِّـف الله نَفْسًا إلَّا وُسْعها، والحمدُ لله الذي هدانا لهذا، وما كُنَّا لِنهتدِي لولا أنْ هدانا الله، وآخرُ دعوانا أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين.

المصادر والمراجع

١. الإبداع الموازي «التحليل النصيُّ للشِّعر»، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠١م.

٢. الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، الطَّبْعَةُ السَّابعة، ١٩٧٨م.

٣. أدوات النَّص، محمد تحريشي، من منشورات اتّحاد الكتَّاب العرب، سوريا، ٢٠٠٠م.

٤. ارتشاف الضرب، لأبي حيّان الأندلسيّ (ت ٧٤٥ هـ)، تحقيق الدكتور رجب عثمان محمد، ومراجعة الدكتور رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط ١، ١٩٨٨.

٥. الأسلوب «دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية»، د. أحمد الشايب، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، الطَّبْعَةُ السَّابعة، ١٩٧٦م.

٦. الإضافة في شعر عنترة العبسي، دراسة نحوية دلالية، عاهد حسين عبد الله عيّاش، رسالة ماجستير، جامع النجاح، نابلس، فلسطين، ٢٠٠٧م.

٧. أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك، ابن هشام «جمال الدين بن هشام الأنصاري، ت ٧٦١ هـ»، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ١٩٩٥م.

٨. بِنَاء الجُمْلَة العَرَبِيَّة، د. محمد حماسة عبد اللطيف، دار غريب للنشر والتَّوزيع، القاهرة، مصر، ٢٠٠٣م.

٩. بناء لغة الشِّعْر، جون كوين، ترجمة د. أحمد درويش، مكتبة الزهراء، القاهرة، ١٩٨٤م.

١٠. التَّركيب اللُّغويُّ للأدب «بحثٌ في فلسفة اللغة والإستطيقا»، د. لطفي عبد البديع، دار المريخ للنشر، الرياض، السعودية، ١٤٠٩ هـ-١٩٨٩م.

١١. التشكيل اللغوي في شعر الأمير عبد القادر الجزائري، د. وهب رومية، مجلة التراث العربي، العدد: ٩٩-١٠٠، السنة الخامسة والعشرون، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، رمضان ١٤٢٦ هـ، تشرين الأوّل، ٢٠٠٥م.

١٢. التشكيل اللغوي وأثره في بناء النَّص دراسة تطبيقية، د. زيد خليل القرالة، مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد السابع عشر، العدد الأول، فلسطين، يناير، ٢٠٠٩م.

١٣. تعانُق البناء النحوي مع القافية في بائية ذي الرمة ودلالته في النص، د. فايز صبحي عبد السلام تركي، حولية الآداب والعلوم الاجتماعية، الحولية الخامسة والثلاثون، الكويت، ١٤٣٦هـ-٢٠١٤م.

١٤. التَّفاعل النحويّ لدى ابن جِنِّي في تحليل الخطاب «دراسةٌ في كتاب التَّمام في تفسير أشعار هذيل، د. فايز صبحي عبد السلام تركي، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، الرسالة ٤٥٩، الحولية ٣٧، مجلس النشر العلمي، جامعة الكويت، ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م.

١٥. التَّمام في تفسير أشعار هُذَيل ممَّا أغفله أبو سعيد السُّكري، ابن جنِّي، حققه وقدَّم له أحمد ناجي القيسي، وآخرون، وزارة المعارف العراقية ومطبعة العاني، بغداد، العراق، الطَّبْعَة الأولى، ١٣٨١ هـ-١٩٦٢م.

١٦. التناوب الدلاليّ بين صِيغ الوصف العامل، للدكتور طه محمد الجندي، مطبعة محمد أحمد الجندي للدعاية والإعلان، القاهرة، ١٩٨٨م.

١٧. التوابع في ضَوْء نظريتَي القرائن والمقاصد النعت نموذجًا، د. وليد محمد السراقبي، العدد السادس والثمانون، مجمع اللغة العربية، الأردن، ٢٠١٥م.

١٨. الجمل، للزجاجي، اعتنى بتصحيحه الشيخ ابن أبي شنب، الجزائر، ١٩٢٦م.

١٩. الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، بيروت، لبنان، الطَّبْعَةُ الأولى ١٤٢١ هـ-٢٠٠٠م.

٢٠. الجُمْلَة في الشعر العربي، د. محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطَّبْعَةُ الأولى، ١٩٩٠م.

٢١. الخصائص، ابن جني، الخصائص، تحقيق الأستاذ محمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦ - ١٩٨٨م.

٢٢. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني النحوي، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني، القاهرة، ودار

٢٣. ديوان الأعشى، تحقيق د. محمد محمد حسين، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ١٩٦٨م.

٢٤. ديوان أنوار ذهبية، عبد السلام هاشم حافظ، نادي القصيم الأدبي، بريدة، ١٣٨٧ هـ.

٢٥. شَرْح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ابن عقيل ت ٦٧٢ هـ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار التراث، القاهرة، مصر، الطَّبْعَةُ العشرون، ١٩٨٠م.

٢٦. شرح الأشموني على ألفية ابن مالك، الأشموني «نور الدين أبو الحسن علي بن محمد» ت ٩٢٩ هـ، تحقيق د. عبد الحميد السيد، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة، د. ت.

٢٧. شرح التصريح على التوضيح، خالد الأزهري، دار إحياء الكتب العربية، القاهرة، د. ت.

٢٨. شرح الكافية، للرضيِّ، تصحيح وتعليق يوسف حسن عمر، جامعة قاريونس، بنغازي، ليبيا، الطَّبْعَةُ الثانية، ١٩٩٦م.

٢٩. شرح المفصل، ابن يعيش «موفق الدين يعيش بن علي، ت ٦٤٣ هـ» مكتبة المتنبي، القاهرة، ١٩٩٠م.

٣٠. شرح جمل الزجاجي، ابن عصفور ت ٦٦٩ هـ، تحقيق د. صاحب أبو جناح، عالم الكتب، بيروت، الطَّبْعَةُ الأولى، ١٩٩٩.

٣١. شِعر عبد السلام هاشم حافظ، دراسة وتحليل، رحمة مهدي علي الرِّيمي، رسالة ماجستير، كلية اللغة العربية، جامعة أُم القُرى، ١٤١٣ هـ -١٩٩٣م.

٣٢. الشَّكل والخطاب مدخل لتحليل ظاهراتي، محمد الماكري، المركز الثقافيّ العربيّ، بيروت، الطَّبْعَةُ الأُولَى، ١٩٩١م.

٣٣. شواهد التَّوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح ص٦٢-٦٣، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، مكتبة دار العروبة، د٠ت.

٣٤. الصفة «فائدتها وأحكامها» للدكتور صبحي رشاد عبد الكريم، مجلة كلية اللغة العربية، جامعة الأزهر بالمنوفية، العدد التاسع، ١٩٨٩م.

٣٥. ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، د. طاهر حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، ١٩٩٨م.

٣٦. علاقة التشكيل الصرفي بالمعنى مِنْ خلال تأويل الصيغ الصرفية، د. فايز صبحي تركي، مجلة علوم اللغة، دار غريب، القاهرة، العدد الأوَّل، ٢٠٠٩م.

٣٧. العمدة في محاسن الشعر ونقده، ابن رشيق العمدة في محاسن الشِّعْر، تحقيق محمد محيي الدين، دار الجيل، بيروت، ١٩٧٢م.

٣٨. القافية تاج الإيقاع الشِّعريِّ، د. أحمد كشك، دار غريب، القاهرة، ٢٠٠٤م.

٣٩. القضايا التركيبية في شعر الأعشى الكبير وعلاقتها بالدلالة في ضوء الدرس اللغوي الحديث، د. فايز صبحي عبد السلام تركي، رسالة دكتوراه، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، ٢٠٠٣م.

٤٠. الكتاب، سيبويه، تحقيق عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطَّبْعَةُ الثانية، ١٤٠٢ هـ -١٩٨٢م.

٤١. كشاف اصطلاحات الفنون، محمد علي التهانوي، رفيق العجم – علي دحروج، مكتبة لبنان، ١٩٩٦م.

٤٢. اللغة، فندريس، ترجمة عبد الحميد الدواخلى ومحمد القصاص، الأنجلو المصرية، القاهرة، د٠ت.

٤٣. لغة الشعر «دراسة في الضرورة الشعرية»، د. محمد حماسة، الطَّبْعَةُ الأولى، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م.

٤٤. المصطلح الإيقاعي في التراث الأدبي «القافية أنموذجًا»، فريد أمعضشو، كتيب المجلة العربية، الرياض، السعودية، العدد ٣٨٢، ذو القعدة ١٤٢٩، نوفمبر ٢٠٠٨م.

٤٥. معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، عبد الرحيم أبو الفتح العباسي (ت ٩٦٣هـ)، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب - بيروت، لبنان، ١٩٨٠م.

٤٦. المعجم الفلسفيّ، د. إبراهيم مدكور، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ١٩٨٣م.

٤٧. مفهوم الشِّعْر «دراسة في التُّراث النَّقديّ»، د. جابر عصفور، الطَّبْعَةُ الثانية، دار التنوير للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٢م.

٤٨. المقتضب، المبرِّد، تحقيق محمد عبد الخالق عُضَيمة، عالم الكتب، بيروت، د٠ت.

٤٩. منهاج البلغاء وسراج الأدباء، حازم القرطاجني، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطَّبْعَةُ الثالثة، ١٩٨٦م.

٥٠. النحو الوافي، عباس حسن، دار المعارف، مصر، ١٩٧٦م.

٥١. النَّحو ودوره في الإبداع، د. أحمد محمد كشك، دار غريب، القاهرة، مصر، ٢٠٠٨م.

٥٢. النَّحو والشِّعر «قراءة في دلائل الإعجاز»، د. مصطفى ناصف، مجلة فصول، العدد الثَّالث، أبريل ١٩٨١م.

٥٣. نظرية اللغة والجمال في النَّقْد العربي، د. تامر سلوم، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية، الطَّبْعَةُ الأولى، ١٩٨٣م.

٥٤. النقد الأدبي الحديث، محمد غنيمي هلال، نهضة مصر للنشر والتَّوزيع، ١٩٩٧م.

٥٥. نقد الشِّعْر، قدامة بن جعفر، تحقيق وتعليق الدكتور محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت، د. ت.

٥٦. همع الهوامع، للسيوطي، تحقيق وشرح د. عبد العال سالم مكرم، دار البحوث العلمية، الكويت، ١٣٩٩ هـ -١٩٧٩م.



مصطلحات الإعراب، والعامل النحوي: دراسة في فقه المصطلح

د. أحمد «محمد أمين» هزايمة

- من المملكة الأردنية.
- مهتم بالدراسة الأصولية للغة/ المعجم التاريخي للغة العربية.
- له مؤلفات وأبحاث، منها:

- سلسلة «أصل اللسان ومجاز العرب».

- بحث «جواب يعقوب والعذراء المزيفة» نظريتان في المنشإ، (محكّم منشور).

- كتاب «الإجابة في فقه النحو».

الملخــص:

يسعى البحث إلى بيان أن دراسة منشأ المصطلحات هي خير وسيلة للكشف عن المنهج الذي سلكه الخليل بن أحمد في ابتكاره لمصطلحات الإعراب ومصطلح «العامل». فيبين البحث أن مصطلحات الإعراب تنقسم إلى قسمين: يصف القسم الأول حالات الهواء المنفوث عند نطق حروف الهواء، وهذه الحالات هي: حالة جر الهواء إلى أسفل الكف، وحالة رفع الهواء إلى أعلى الكف، وحالة نصب (نهوض) الهواء إلى أعلى الحلق، وحالة جزم (قطع) الهواء عن النفاذ. أما القسم الثاني فيصف علامات الشفتين وهي علامة كسر الشفة إلى أسفل، وعلامة ضم الشفتين، وعلامة فتح الشفتين، وعلامة سكون الشفتين عن التحرك. ويبين البحث كيف تحول مصطلح «الإعراب» من دلالة التبيين عند الخليل إلى دلالة «تغير أواخر الكلام».

ثم فصل البحث في شرح مصطلح «العامل» مبينًا أن العامل عند الخليل مصطلح استعاري إذ استعاره الخليل من «عامل الرمح» وهو الجزء الذي يلي السنان من الرمح وهو موضع عقد الراية من الرمح، فالعامل من الرمح كالوتد من الخيمة حيث الوتد هو موضع عقد حبل الخيمة، وأنه أي العامل ليس مصطلحًا مشتقا من الفعل «عمل»، ومن ثمَّ فإننا عندما ندرس العامل بدلالة مراد الخليل سينكشف لنا علم النحو كما كان في سيرته الأولى، وستنشق لنا كوةٌ تضيء لنا أسباب اختلاف النحاة في تعيين العوامل «الأوتاد».

مقدمة:

لقد وُلد النحو العربي عربيًّا لم يأخذ من غيره شيئًا، وُلد ليصف حالات الهواء المنفوث من الجوف على باطن الكف ومُعلِّمًا تلك الحالات بحركات الشفتين وسكونهما، ومستعيرًا من بيئته العربية الخالصة اسم الآلة (العامل) لينقله من اسم آلة إلى مصطلحٍ عجزت المناهج النحوية المعاصرة أن تجده بل عجزت عن أن تفهمه. إنّ من ابتكر هذا كان بحق عبقريًّا من عباقرة الإنسانية، ذلك هو الخليل بن أحمد..

الباب الأول: معرفة الحالات والعلامات والشَّكَلَات

المبحث الأول: رأي الزجاجي وهو رَدٌّ

علل الزجاجي رحمه الله سبب تسمية الرفع بالرفع، والنصب بالنصب، والجر بالجر فقال: «لأن المتكلم بالكلمة المضمومة يرفع حنكه الأسفل إلى الأعلى ويجمع بين شفتيه... والمتكلم بالكلمة المنصوبة يفتح فاه، فيبين حنكه الأسفل من الأعلى، فيبين للناظر إليه كأنه قد نصبه لإبانة أحدهما عن صاحبه، وأما الجر فإنما سمي بذلك لأن معنى الجر الإضافة؛ وذلك أن الحروف الجارة تجر ما قبلها فتوصله إلى ما بعدها كقولك: مررت بزيد، فالباء أوصلت مرورك إلى زيد، وكذلك المال لعبد الله، وهذا غلام زيد.

هذا مذهب البصريين وتفسيرهم، ومن سماه منهم ومن الكوفيين خفضًا، فإنهم فسروه نحو تفسير الرفع والنصب فقالوا لانخفاض الحنك الأسفل عند النطق به، وميله إلى إحدى الجهتين.

وأما الجزم فأصله القطع، يقال جزمت الشيء وجذمتُه وبترته وجذذته وصلمته وفصلته وقطعته بمعنى واحد، فكأن معنى الجزم قطع الحركة عن الكلمة، هذا أصله»[١].

قلت: وقول الزجاجي: (يرفع حنكه)، و(فيبين للناظر إليه كأنه

(١) الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي. ص ٩٣-٩٤.

نصبه)، و(لانخفاض الحنك الأسفل) غير صحيح. إذ لا شأن للحنك بحروف الهواء، وسيأتي بيان ذلك إن شاء الله.

وأما قوله في الجر: (فإنما سمي بذلك لأن معنى الجر الإضافة، وذلك أن الحروف الجارة تجر ما قبلها فتوصله إلى ما بعدها كقولك: مررت بزيد). فقول غير صحيح أيضًا، ثم إنه خالف في التأصيل، إذ فسر أصول الرفع والنصب والخفض تفسيرات تتعلق بالحنك وهو آلة من جهاز النطق، وفسر الجر بتفسير معنوي.

المبحث الثاني: مخرج الحرف المحقق ومخرج الحرف المقدر

لقد علم الخليل بالتجرِبة أن الحرف عند نطقه إما يكون مقطوعًا عن النفس الهوائي أو متبوعًا بنفسٍ هوائي، إما ياءً قصيرة، وإما واوًا قصيرة، وإما ألفًا قصيرة.

فكان لما نطق على سبيل المثال حرف القاف في نحو كلمة (يقطع) ثم أعاد المقطع الأول (يَقْـ) ثم كرر القاف وحدها أي (إِقْ، إِقْ، إِقْ) وجد أنه ينطق القاف مسبوقة بهمزة مكسورة، فكان أن حكم أن هذه الطريقة هي الطريقة المثلى في استخراج مخرج الحرف، وهي تسكين الحرف مع سبقه بهمزة مكسورة، وبهذه الطريقة تم للخليل استخراج مخارج الحروف استخراجًا محققًا.

قال علماء التجويد: «واختيار مخرج الحروف محققًا، هو أن تلفظ بهمزة الوصل وتأتي بالحرف بعدها ساكنًا... وجميع حروف الهجاء

مخارجها محققة؛ لانقطاع الصوت عند خروجها، واعتمادها على أجزاء الحلق واللسان والشفتين، إلا حروف المد الثلاثة، فمخرجها مقدر لعدم انقطاع الصوت عند خروجها، وعدم اعتمادها على جزء من أجزاء الحلق أو اللسان أو الشفتين»[١].

و«المخرج المحقق: ما كان له اعتماد على جزء من أجزاء الحلق أو اللسان أو الشفتين»[٢]. كمثل خروج الهمزة (إِءْ) من أقصى الحلق، وخروج النون (إِنْ) من طرف اللسان مع ما يحاذيه من لثة الأسنان العليا، وخروج الميم (إِمْ) من بين الشفتين مع انطباقهما[٣].

و«المخرج المقدر: ما لم يكن له اعتماد على جزء معين من ذلك، وهي حروف الجوف الثلاثة، فهي قائمة بهواء الفم»[٤].

وألقاب الحروف «عشرة ألقاب لقبها بها إمام النحاة الخليل بن أحمد الفراهيدي شيخ سيبويه، وأخذ هذه الألقاب من أسماء المواضع التي تخرج منها الحروف، وهذه الألقاب هي: جوفية أو هوائية، حلقية، لهوية، شَجْرِية، نطعية، لثوية، أسلية، ذلقية، شفوية».

---

(١) المرشد في علم التجويد، الشيخ زيدان العقرباوي ص ١٠٧/ ١٠٨.

(٢) المرجع السابق، ص ١٠٣.

(٣) المرجع نفسه، انظر ص ١١٠-١١٣.

(٤) المرجع نفسه ص ١٠٣.

و«الجوفية والهوائية: هي حروف المد الثلاثة، نسبت إلى الجوف لأنها تمر على كل جوف الحلق والفم، وهوائية أي هواء الفم، فليس لهن مخرج محقق بل ينتهين بانتهاء الهواء، وتسمى أيضًا حروف مدٍّ ولينٍ لأنها تخرج بامتداد ولينٍ من غير كلفة على اللسان لاتساع مخرجها»[1].

قلت: إذًا، فالمعتبر عند الخليل في حروف المد الثلاثة هو الهواء. وحروف الهواء الثلاثة هي أمهات حالات الرفع والنصب والجر، وليس للحنك دَخْلٌ فيها على ما ذهب إليه الزجاجي، وفيما يلي تفصيل ذلك[2].

المبحث الثالث: ضبط حالات الهواء، وتعيين علامات الشفتين

قلت: لقد سعى الخليل إلى ضبط حروف الهواء الثلاثة وهي الياء الساكنة المسبوقة بحرف مكسور نحو (تِي)، والواو الساكنة المسبوقة بحرف مضموم نحو (تُو)، والألف الساكنة المسبوقة بحرف مفتوح نحو (تَا) بتبيين مجرى الهواء لكل منها.

---

(١) المرشد في علم التجويد/ ص ١١٧.

(٢) نسب الخوارزمي في (مفاتيح العلوم) للخليل عدة مصطلحات منها الرفع والنصب والخفض والجزم والتسكين، والتوقيف والإمالة والنبرة... «من كتاب مراحل تطور الدرس النحوي، عبدالله بن حمد الخثران، ص ١٠٣، وأرجع إلى مفاتيح العلوم للخوارزمي ص ٤٤-٤٦.

فكان أول حرف هوائي نطقه الخليل هو الياء نحو (تِيْ) ثم جعل يستشعر مجرى الهواء المنفوث فوضع باطن كفه عند فمه، ثم جعل يكرر النطق ويطيل فيه نحو (تِيْ يْ يْ، تِيْ يْ يْ) فأحس أن الهواء المنفوث كان في حالة جر إلى أسفل؛ لذلك سمَّى هذه الحالة بحالة جر الهواء إلى أسفل، أما الكوفة فسمَّت هذه الحالة بحالة خفض الهواء إلى أسفل.

ثم نطق الخليل حرف الواو الهوائي وهو (تُو)، وباطن كفه قريب من فمه، ثم كرر الحرف وأطال فيه نحو (تُووو، تُووو) فأحس أن الهواء المنفوث قد ارتفع عن مكان انخفاضه الذي كان في أسفل كفه، وصار الهواء يضرب أعلى كفه، فكان أن سمَّى هذه الحالة بحالة رفع الهواء عن مكان انخفاضه.

ثم نطق الخليل حرف الألف الهوائي وهو (تَا)، وباطن كفه قريب من فمه، ثم كرر الحرف وأطال فيه نحو (تَاااا، تَاااا) فأحس أن الهواء قد انتصب أي قام ونهض إلى أعلى الحلق، فكان أن سمّى هذه الحالة بحالة نصب الهواء إلى أعلى الحلق.

ثم نطق الخليل الحرف من غير أن يتبعه بالنفس الهوائي سواءً أكان ياءً أم واوًا أم ألفًا، وذلك نحو (إِتْ) فأحس أن الهواء المنفوث قد جزم أي قطع فكان أن سمى هذه الحالة بحالة جزم الهواء.

ومن ثم ضبط الخليل أربع حالات للهواء، وهي حالة جر الهواء إلى أسفل الكف، وحالة رفع الهواء عن مكان انخفاضه إلى أعلى الكف، وحالة نصب الهواء إلى أعلى الحلق، وحالة جزم الهواء.

قلت: ولما كان الهواء يحس ولا يرى فقد أراد الخليل أن يجعل لكل حالة من حالات الهواء غير المرئية علامة (أي بنية) مرئية حتى يسهل على المتعلم إدراك حالات الهواء، فكان الخليل رحمه الله أن اتخذ حركات الشفتين علامات على حالات الهواء المنفوث.

إذ تبين بالتجربة أن الهواء إذا كان في حالة جر إلى أسفل تحركت الشفة السفلى فانكسرت إلى أسفل، فكان أن جعل حركةَ كسرِ الشفة السفلى- وهي حركةٌ مرئيةٌ- علامةً (أي إشارة) على حالة جر الهواء غير المرئية.

ثم تبيَّن له بالتجربة أن الهواء إذا كان في حالة ارتفاع عن مكان انخفاضه تحركت الشفتان فانضم بعضها إلى بعض، فكان أن جعل حركةَ ضم الشفتين بعضِهما إلى بعضٍ - وهي حركةٌ مرئيةٌ - علامةً على حالة رفع الهواء غير المرئية.

ثم تبيَّن له بالتجربة أن الهواء إذا كان في حالة انتصاب إلى أعلى الحلق تحركت الشفتان فانفتح بينهما فتح صغير، فكان أن جعل حركةَ فتحِ الشفتينِ - وهي حركةٌ مرئيةٌ - علامةً على حالة نصب الهواء غير

المرئية.

ثم تبيَّن له بالتجربة أن الهواء إذا كان في حالة جزم (أي قطع) عن النفث سكنت الشفتان عن الحركة، فكان أن جعل سكونَ الشفتين - وهو سكون مرئي- علامةً على حالة جزم الهواء غير المرئية.

تجربة: انطق مستشعرًا حركات الشفتين وسكونهما [تِي ي ي ي، تُووو، تَا اا، إِتْ].

ومن ثم عَيَّن الخليل أربع علامات (أي إشارات) للشفتين وهي علامة كسر الشفة السفلى، وعلامة ضم الشفتين، وعلامة فتح الشفتين، وعلامة سكون الشفتين عن الحركة. وتنبه أن السكون والحركة ضدان، فلا يصح أن يقال: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه حركة السكون، بل الصواب أن يقال: فعل مضارع مجزوم وعلامة جزمه السكون.

المبحث الرابع: توصيف حالات الهواء بغير مصطلحات الخليل، والمراد واحد

أخبرتك أن الخليل ـ رحمه الله ـ قد وصف حالات الهواء بأربع صفات، وهي حالة جر الهواء، وحالة رفع الهواء، وحالة نصب الهواء، وحالة جزم الهواء.

وقد وصف غيره من العلماء حالات الهواء بغير تلك الصفات.

جاء في كتاب المرشد في علم التجويد: «خلاء الحلق والفم وتخرج منه حروف المد الثلاثة وهي: الألف... والواو... والياء...، وسميت مدية؛ لامتداد الصوت بها، وهي بالصوت المجرد أشبه بالحروف، لولا أنه يتصعَّدُ الحنكَ بالألف، وانخفاضُه في الياء، واعتراضُه في الواو»[1].

قلت: ومعنى قول علماء التجويد «لولا أنه يتصعد الحنكَ بالألف» أي إن الهواء المنفوث عند النطق بالألف يتصعد إلى أعلى الحلق، والتصعد والانتصاب، وإن اختلفا في اللفظ إلا أنهما أخوان في المعنى.

ومعنى قولهم «وانخفاضه في الياء» أي إن الهواء المنفوث ينخفض إلى أسفل عند نطق الياء الهوائية، والانخفاض أو الخفض أو الجر مصطلحات وإن اختلفت في اللفظ إلا أنها أخوات في المعنى.

ومعنى قوله: «واعتراضه في الواو» قول مشكل في ظاهره، وهو عند التحقيق صحيح، فكيف ذلك؟

قلت: إن الفرق بين الرفع والاعتراض هو فرق من جهة الوصل والفصل، ذلك أن الخليل لما وصف حالة الهواء بالرفع عن مكان الانخفاض كان مستحضرًا في ذهنه حالة انخفاض الهواء، أي إنه كان قد نطق الياء قبل الواو، فكان أن حكم على أن الهواء في الياء يكون في حالة

---

(١) المرشد في علم التجويد، ص ١١٠.

جر، فلما نطق الواو ارتفع الهواء عن مكان انخفاضه، فكان أن سمى الحالة الثانية بحالة رفع الهواء عن مكان الانخفاض.

أما من وصف حالة الهواء في الواو الهوائية بالاعتراض، فإنه كان غير مستحضر في ذهنه حالة جر الهواء، إذ نطق الواو الهوائية ابتداءً، فقال (تُووو) ثم استشعر الهواء على باطن كفه فأحس أن الهواء ينفذ على سواء من بين الشفتين، وقد اعترض الهواء الفم كما تعترض الخشبة النهر أو الطريق فكان أن سمى هذه الحالة الهوائية (بالاعتراض مع الواو).

وجاء في الاقتراح للسيوطي:

«الحركات أنواع: صاعدٌ عالٍ ومنحدر سافلٌ ومتوسط بينهما فإنه مأخوذ من صناعة الموسيقى»[(١)].

قلت: وهذا القول وسطه صحيح، وطرفاه غير صحيحين، ذلك أن (الحركات) إنما هي حركات الشفتين، وهذه الأوصاف الواردة ليست أوصافًا لحركات الشفتين، وإنما هي أوصاف لثلاث حالات من حالات الهواء، فالصاعد العالي هو الهواء عند نطق حرف الألف الهوائي، والمنحدر السافل هو الهواء عند نطق حرف الياء الهوائية، والمتوسط

---

(١) الاقتراح، جلال الدين السيوطي، ص ٥٩.

بينهما هو الهواء عند نطق الواو الهوائية. ولا بد أن تستشعر ذلك على باطن كفك فإن حالات الهواء لا تدرك إلا بذلك.

وأما قوله: (مأخوذ من صناعة الموسيقى) فليس بشيء ذي بال، فإنما تلك أوصاف لحالات الهواء المحسوسة بالتجربة على باطن الكف.

المبحث الخامس: ثلاثة ترتيبات عند العلماء

إذا أردت ترتيب حالات الهواء من أقواها نفثًا إلى أضعفها، كان أقواها هو نفث الهواء في حالة الرفع، حيث يخرج الهواء قويًّا ضاربًا باطن الكف ثم يليه نفث الهواء في حالة الجر، ثم يليه الهواء في حالة النصب حيث يحلق الهواء إلى أعلى الحلق.

فإذا أردت ترتيب حالات الهواء من أخفاها إلى أقواها، فإنك تعكس ذلك، قال علماء التجويد: «وتسمى هذه الحروف (جوفية) لخروجها من الجوف، وهوائية لقيامها بهواء الفم، و(خفية) لخفاء النطق بها، فهي أخفى الحروف[1]. وأخفاهن الألف ثم الياء ثم الواو»[2].

---

(١) قلت: هن أخفى الحروف في تبين مخارجها، إذ مخارجها مقدرة غير محققة وقد سبق بيان ذلك.

(٢) المنير في أحكام التجويد، إعداد لجنة التلاوة في جمعية المحافظة على القرآن الكريم، ص ٧٠.

وإذا أردت ترتيب حركات الشفتين وسكونهما من الأثقل إلى الأخف. فإن حركة كسر الشفة هي أثقل حركات الشفتين حيث يضغط عليهما ضغطًا واضحًا، وهذا يدرك بالتجربة، ثم يليها حركة ضم الشفتين حيث يضغط عليهما ضغطًا دون ذلك، ثم يليها حركة فتح الشفتين حيث يكون تحركهما تحركًا خفيفًا، ثم سكون الشفتين حيث لا ضغط عليهما.

وهذا الترتيب من الأثقل إلى الأخف هو الترتيب الذي راعاه علماء الإملاء، فنصوا على أن الهمزة ترسم على حسب قوة الحركة، وذلك نحو:

- سُئِل: فالهمزة مكسورة، وما قبلها مضموم، والكسرة أثقل من الضمة، فلذلك كتبت على ياء؛ لأن الكسرة من جنس الياء.

- سُؤَال: فالهمزة مفتوحة وما قبلهما مضموم، والضمة أثقل من الفتحة، فلذلك كتبت على واو؛ لأن الضمة من جنس الواو.

- شَأْن: فالهمزة ساكنة وما قبلها مفتوح، والفتح أقوى من السكون، فلذلك كتبت على ألف؛ لأن الفتحة من جنس الألف.

- شَيءْ: الهمزة متطرفة، وما قبلها ساكن، وسكون الشفتين ليس له ما يشبهه من الحروف؛ فلذلك كتبت الهمزة على السطر.

المبحث السادس: أصول الشَّكَلات

الشَّكْلَةُ: العلامة الخطية تضبط بها القراءة. وسميت بالشَّكْلة من قولهم: (أشكل الكتابة) أي أزال إشكالها فالهمزة في الفعل تفيد معنى الإزالة، ومثلها (أعجم الكتابة) أي أزال عجمتها بالنقط.

وقد جعل الخليل صور الشكلات على صورة حروف الهواء بيد أنها رسمت مصغرة، فالضمة واو صغيرة، والفتحة ألف صغيرة كانت واقفةً ثم مالت والكسرة ياء صغيرة مقطوعة الرأس، و«السكون: رأس خاء مأخوذ من (خفيف)»[1].

قلت: وما زالت السكون ترسم خاءً صغيرة في المصاحف أما في غير المصاحف فقد اتصل طرفاها فصارت دائرة. وأخذ حرف الخاء من كلمة خفيف مشكل، إلا إذا كان الخليل قد قصد أن الشفتين تكونان ثقيلتين عند تمطيطهما بالضم أو الفتح أو كسر الشفة السفلى، وتكونان خفيفتين عند سكونهما عن الحركة.

وشكلة الشدة شين صغيرة فوق الحرف وشكلة المدة على صورة الموجة وأصلها (هي ميم صغيرة مع جزء من الدال)[2]، و«حركة ألف الوصل هي رأس صاد توضع فوق الحرف»، وحين اخترع الخليل هذه

(١) مراحل تطور الدرس النحوي، عبد الله بن حمد الخثران، ص ٥٥، ثم أرجع إلى تاريخ المصحف الشريف للشيخ عبد الفتاح القاضي ص ٩٠، وحياة اللغة العربية لحفني ناصف، ص ٩٥ وما بعدها.

(٢) المرجع السابق.

الشكلات «لم تستعمل إلا في كتب الأدب واللغة دون القرآن الكريم، ثم استعملت في القرآن الكريم، وإنما فعل الخليل ذلك اتقاء لتهمة البدعة في الدين»[١].

(١) المرجع السابق.

الباب الثاني: معرفة المراد من الإعراب والمعرب، ثم ما الفرق بين معاني الخليل ومعاني الجرجاني

المبحث الأول: منشأ المصطلحين

قلت: لما أراد الخليل ضبط الكَلِمَ وجد أن ضبط أوله وحشوه بموازين تحفظ ويقاس عليها أمر ميسور، فاسم الفاعل من الثلاثي على وزن (فاعل)، واسم الفاعل من فوق الثلاثي على وزن المضارع بقلب الأول ميمًا مضمومة وكسر ما قبل الآخر إلى غير ذلك من المشتقات.

وإنما كانت العُسرة في ضبط آخر اللفظ المُمَكَّن من حالات الهواء، إذ لا يمكن ضبطه بميزان يحفظ ويقاس عليه؛ ذلك أن الحرف الأخير يُغَيِّرُ المتكلم حالة الهواء فيه بتغيير معناه السياقي، فإذا كان فاعلًا لزم حالة رفع الهواء، وإذا كان مفعولًا لزم حالة نصب الهواء، ومن ثم وجد أنَّ اتخاذ المعاني السياقية وسيلةً لضبط حالات الهواء في آخر الكلم هو الحل الصواب لهذه المسألة.

فلما كان ذلك، سعى الخليل إلى إعراب المعاني السياقية، وكلمة (الإعراب) تعني التبيين، وليست تعني (التغيير) الذي يقصد به تغيير المتكلم لحالات الهواء في آخر الكَلِمِ.

فالإعراب عند الخليل في حقيقته هو: تبيين المعاني السياقية من أجل اتخاذها وسيلةً تُضبَط بها حالات الهواء في آخر الكلم، ثم توسع النحاة بمصطلح الإعراب حتى صار عندهم هو تغيير أواخر الكلم نفسه.

وصار الاسم المعرب هو الاسم الذي يُغَيّر المتكلمُ حالةَ هوائه الأخيرةَ، أما في أصل الاصطلاح فالاسم المعرب هو الاسم المعرَب معناه السياقي أي الاسم المُبين معناه السياقي من أجل اتخاذ المعنى السياقي وسيلة تضبط بها حالات الهواء في آخر الاسم.

المبحث الثاني: الفرق بين معاني الخليل ومعاني الجرجاني

تحدث عبد القاهر الجرجاني رحمه الله عن النظم فقال: «النظم: ليس شيئًا غير توخي معاني النحو فيما بين الكلم، وأنك ترتب المعاني، أولًا في نفسك، ثم تحذو على ترتيبها الألفاظ في نطقك»(١).

ومعنى قول الجرجاني هو أننا نستطيع أن نعرف ما في ذهن المتكلم من معانٍ من خلال ألفاظه المنطوقة التي هي صورة للمعاني التي في ذهن صاحبها.

ولما كانت معاني النحو هي المعاني السياقية الناشئة بين الكَلِم بسبب تعلق بعضها ببعض، فإننا إذا أعربنا (أي بَيَّنَّا) المعاني السياقي في أي نظم فإننا نكون قد عرفنا ما في ذهن المتكلم من معانٍ أي عرفنا مقاصد المتكلم.

فالجرجاني يتخذ إعراب معاني النحو أي تبيينها وسيلة لفهم المعاني التي في ذهن المتكلم، ولذلك عُرِّف علم المعاني بأنه هو: «ما يحترز به

(١) دلائل الإعجاز: عبد القاهر الجرجاني، ص ٤٥٤.

عن الخطأ في تأدية المعنى الذي يريده المتكلم لإيصاله إلى ذهن السامع»[1]. والمعنى «في اصطلاح البيانيين: هو التعبير باللفظ عما يتصوره الذهن»[2].

وبسبب هذا الاختلاف بين دراسة الخليل للمعاني السياقية ودراسة الجرجاني نشأ في العربية علمان هما: علم النحو وعلم البلاغة. فعلم النحو غايته هي غاية الخليل وهي: إعراب (أي تبيين) المعاني السياقية من أجل اتخاذها وسيلة يضبط بها حالات الهواء في آخر الاسم.

أما علم البلاغة فغايته هي غاية الجرجاني وهي: تبيين المعاني السياقية لأنها كاشفة عما في ذهن المتكلم من مقاصد، على أن الجرجاني والبلاغيين لم يقتصروا على المعاني السياقية المدروسة في علم النحو من فاعل ومفاعيل، وخبر وحال وتوابع إلى غير ذلك، بل توسعوا فدرسوا الجملة الخبرية وأغراضها، وأنواع الخبر، وأساليب الإنشاء من أمر ونهي ونداء وغيرها، وما تخرج إليها من معانٍ، وميزوا بين فصاحة اللفظ وبلاغة المعنى إلى غير ذلك من أقسام علم المعاني.

ودرس الجرجاني والبلاغيون أيضًا التشبيه والمجاز والكناية لأنهن من المعاني التي في ذهن المتكلم وخصوها باسم (علم البيان)، ثم زاد

---

(١) جواهر البلاغة: السيد أحمد الهاشمي، ص٥.

(٢) المرجع السابق: ص ٤١.

البلاغيون فبحثوا في محسنات المعاني، ومحسنات الألفاظ وخصوها باسم (علم البديع).

ومن ثم فمن ابتغى بلوغ المعاني التي في ذهن المتكلم فليدرسْ ألفاظ المتكلم من حيث الصرفُ والنحو ثم من حيث علوم البلاغة من معانٍ وبيان وبديع؛ ذلك أن علوم البلاغة ما سميت بلاغة إلا لأنها تُبلِّغُ السامع ما في ذهن المتكلم من معانٍ.

وخلاصة الأمر أن المعاني السياقية عند الخليل هي وسيلة يضبط بها حالات الهواء في أواخر الاسم، أما عند الجرجاني فالمعاني السياقية النحوية من فاعل ومفاعيل وغيرها والمعاني غير النحوية من خبر وإنشاء وتشبيه ومجاز إلى غير ذلك فهي وسيلة لفهم ما في ذهن المتكلم من معانٍ.

الباب الثالث: معرفة المراد من العامل والمعمول

المبحث الأول: المعنى السياقي للّفظ والمحل السياقي للفظ

لقد علم الخليل رحمه الله أنه لا يمكن ضبط آخر اللفظ المُمكَّن من حالات الهواء، بموازين تحفظ ويقاس عليها، ولكنه استطاع ببصريته الثاقبة أن يستخرج طريقين رئيسين ضبط آخر اللفظ الممكن من حالات الهواء، وهذان الطريقان هما:

الطريق الأول: ضبط آخر النطق بإعراب (أي تبيين) المعنى السياقي للفظ.

الطريق الثاني: ضبط آخر النطق بإعراب (أي تبيين) المحل السياقي للفظ.

والمعاني السياقية للألفاظ هي: المعاني التي تكسبها الألفاظ من السياق، وهذه المعاني السياقية هي: الخبر والفاعل، والمفاعيل ومنها المفعول الذي لم يسم فاعله، والحال والتمييز والنداء والاستثناء، والتوابع.

وهذه المعاني معانٍ تدرك بالفهم من السياق، وقد تختلف المصطلحات غير أن الدلالة ثابتة، فقد يسمى الحال بالهيئة، والمفعول لأجله بالغاية، والمفعول فيه بالظرف، والتمييز بالتفسير إلى غير ذلك، واختلاف المصطلحات لا يبطل حقيقة أن هذه المعاني تدرك بالفهم من السياق، وإن اختلفت أسماؤها باختلاف العلماء.

ثم جعل الخليل المعاني السياقية وسيلة لضبط حالات الهواء في آخر النطق كما ذُكِرَ. وذلك أن الخليل نصَّ على أن الخبر يلزم حالة رفع الهواء وكذلك الفاعل، والمفعول الذي لم يسم فاعله، وأن المفاعيل والحال والتمييز وبعض أنواع النداء تلزم حالة نصب الهواء إلى أعلى الحلق، وأن التوابع تابعة لما قبلها.

حتى إذا فرغ الخليل من الطريق الأول وهو ضبط حالات الهواء بتبيين المعنى السياقي للفظ ولجَ إلى الطريق الثاني وهو ضبط حالات الهواء بتبيين المحل السياقي للفظ، وذلك في مثل المواضع الآتية (جئت من القرية، لن أتأخر، لم أبتعدْ، إن تدرسْ تنجحْ، كان الرجلُ كريمًا، إنَّ الغلامَ شجاعٌ، كاد النصرُ يتحقق، كتاب العلمِ مفيد، الإسلام نورٌ، ينتصر الحقُّ).

فكان رحمه الله أن عمد إلى ضبط حالات الهواء في تلك المواضع بإعراب (أي تبيين) محل اللفظ من السياق، والمحالُّ السياقية للألفاظ، هي المحالُّ التي تكتسبها الألفاظ إثر حلولها بعد ألفاظ سابقة عليها، أو بعد نيةٍ سابقة على اللفظ.

المبحث الثاني: عوامل (أي أوتاد) المحال السياقية للألفاظ ومعمولاتها (أي وموتوداتها)

وهذه المحال السياقية للألفاظ هي:

١. الاسم الذي يحل بعد (مِن) وأخواتها

٢. الفعل المضارع الذي يحل بعد (لن) وأخواتها

٣. الفعل المضارع الذي يحل بعد (لم) وأخواتها

٤. الفعلان المضارعان اللذان يحلان بعد (إنْ) وأخواتها

٥. الاسم الذي يحل بعد (كان) وأخواتها وخبره

٦. الاسم الذي يحل بعد (إن) وأخواتها وخبره

٧. الاسم الذي يحل بعد (كاد) وأخواتها

٨. الاسم المبتدأ به الكلام الذي يحل بعد نية الابتداء

٩. الفعل المضارع الذي يحل بعد نية الابتداء

١٠. الاسم الذي يحل بعد الاسم المضاف

وإليك تفصيل بعض ما أُجْمِل:

الموضع الأول: ففي جملة: «جئتُ من القريةِ»، كان ضبط الخليل لحالة الهواء في لفظ (القريةِ) بتبيين محلها من السياق على النحو الآتي:

- من: حرف

- القرية: اسم حل بعد (من) مجرورٌ إلى أسفل الشفة هواءُ حرفِهِ الأخيرِ، وعلامة جر الهواء حركة كسر الشفة السفلى الظاهرة على آخر النطق.

ثم قعَّد الخليل أن كل اسم يحل بعد (من) يكون مجرورًا إلى أسفل الشفة هواء حرفه الأخير، فكان اللفظ الأول وهو (من) في سياقه بمنزلة (الوتد)، وكان اللفظ الثاني وهو (القرية) في سياقه بمنزلة الموتود بالوتد أي المعقود بالوتد والمربوط به، إذ لا يصح الفصل بين اللفظين (من) و(القرية) بل هما متضامّان تضامّ حبل الخيمة بالوتد.

بيد أن الخليل كان قد استعار لفظًا آخر غير لفظ الوتد للدلالة على تضامّ اللفظين في السياق، ذلك أنه كان قد استعار لفظ (العامل)، فما هو العامل؟

إن العامل عند الخليل ليس اسم فاعل مشتقًّا من الفعل (عَمِلَ) بل هو اسم آلة جامد جاء على وزن اسم الفاعل ومثله (الكاهل) الذي هو اسم آلة جامد جاء على وزن اسم الفاعل، إذًا، فالعامل عند الخليل مصطلح استعاري وليس مصطلحًا اشتقاقيًّا، وإنما تجاوز من قال: (إنّ العامل هو المؤثر الذي جلب الحركة) من هذه الجهة، ذلك أنه أجرى لفظ (العامل) على معنى اسم الفاعل من الفعل (عمل)، وليس هذا بأصل المصطلح.

إن العامل عند الخليل كما سبق هو اسم آلة جامد، وهو ذلك الجزء الذي يلي السنان[1] من الرمح، وهو موضع عقد الراية من الرمح، فكان الخليل أن استعار هذا اللفظ، فسمّى اللفظ الأول من اللفظين المتضامّين وهو حرف (من) سمّاه بالعامل على التشبيه بعامل الرمح الذي عقدت به الراية، وسمّى اللفظ الثاني من اللفظين المتضامين وهو لفظ القرية سمّاه بـ (المعمول بالعامل) أي المعقود بالعامل والمربوط به، وذلك على التشبيه بالراية المعقودة بالعامل.

و(المعمول) مصطلح مشتق على وزن اسم المفعول من اسم الآلة (العامل)، ومثل ذلك قولك: (هذا حبل موتود بالوتد) و(هذا حبل مقرون بالقرْن) فالموتود اسم مفعول مشتق من الوتد والمقرون اسم مفعول مشتق من القَرْن.

الموضع الثاني: كان الرجلُ كريمًا

وقد ضبط الخليل حالة الهواء في الاسمين (الرجلُ كريمًا) بإعراب (أي تبيين) محلها من السياق على النحو الآتي:

- كان: فعل ماضٍ ناقص (نقص منه الحدث) مبني (أي مُنشأ) على هيئة واحدة هي حركة فتح الشفتين.

(١) العامل: انظر لسان العرب.

- الرجلُ: اسم حل بعد (كان) مرفوع عن مكان الانخفاض هواءُ حرفِهِ الأخير، وعلامة رفع الهواء حركة ضم الشفتين الظاهرة على آخر النطق.

- كريمًا: خبر للاسم حل بعد (كان) منصوب إلى أعلى الحلق هواء حرفه الأخير، وعلامة نصب الهواء حركة فتح الشفتين الظاهرة على آخر النطق.

ثم قعّد الخليل أن كل اسم يحلُّ بعد (كان) يكون مرفوع الهواء، وأن كل خبر للاسم الذي يحل بعد (كان) يكون منصوب الهواء، فكان اللفظ الأول وهو (كان) بمنزلة الوتد والعامل، وكان الاسم الذي حلّ بعد (كان) بمنزلة الشيء الموتود بالوتد أو الشيء المعمول بالعامل، وكان خبر الاسم بمنزلة موتودٍ ثانٍ أو بمنزلة معمول ثانٍ بالعامل.

المبحث الثالث: خلاصة التعريف بمصطلحاتٍ تتعلق بالمحل السياقي للفظ

- العامل لغةً: هو ما يلي السنان من الرمح بقليل[1]، قلت وهذا الموضع هو موضع عقد الراية من الرمح، ومثله الوتد، إذ الوتد هو موضع عقد حبل الخيمة.

---

(١) انظر لسان العرب: مادة (عمل)، والمعجم الوسيط.

- العامل اصطلاحًا: هو اللفظ الأول من اللفظين المتضامّين تضامّ الراية إلى العامل، أو تضامّ حبل الخيمة إلى الوتد، وهو أيضًا النية السابقة على التلفظ باللفظ.

- المعمول لغةً: لفظ مشتق من اسم الآلة (العامل) على وزن المفعول للدلالة على الشيء المعقود بالعامل والمربوط به كالراية ونحوها. ومثله لفظ الموتود المشتق من الوتد للدلالة على الحبل المربوط بالوتد.

- المعمولُ اصطلاحًا: هو اللفظ الثاني من اللفظين المتضامّين بعضهما إلى بعض، وهو أيضًا اللفظ اللاحق على النية.

- المحل السياقي للفظ: هو المحل الذي يكتسبه اللفظ على إثْرِ حلوله بعد لفظ سابق عليه، أو على إثر حلوله بعد نية سابقةٍ عليه.

ومن ثم نص الخليل على وجوب أن يكون العامل (أي الوتد) سابقًا على المعمول (أي الموتود) حتى يستقيم الاسترشاد به، ففي جملة (لن أتأخرَ) كان الضبط بأن قيل:

- أتأخرَ: فعل مضارع حل بعد (لن) فهو موتود أو معمول بـ (لن)، و(لن) هي الوتد أو العامل.

وفي جملة (الإسلامُ نورٌ) كان الضبط بأن قيل:

- الإسلامُ: اسم مبتدأ به الكلام حل بعد نية الابتداء، فالاسم المبتدأ به الكلام هو الموتود أو المعمول، ونية الابتداء هي الوتد أو العامل السابق المسترشد به.

تنبيه:

يتبين مما سبق أن العوامل بمنزلة الأوتاد، وليس بمعنى الفواعل والمؤثرات، لذا فمن الخطأ أن يقال: (الحروف العاملة) لأن (العاملة) هنا بمعنى الصانعة والمؤثرة، وهذا ما لم يرده الخليل في أصل المصطلح وإن جرى القلم بهذا عند النحاة، وإنما الصواب أن يقال: (الحروف العوامل)؛ لأن هذا التعبير بمنزلة قولك: (الحروف الأوتاد) أي التي يوتد ما بعدها بها على طريقة المضامّة.

المبحث الرابع: قوة المُكْنَةِ عند العالم

قلت: ولما فرغ الخليل من إعراب (أي تبيين) العوامل (أي الأوتاد) التي استخرجت لتعيين المحالِّ السياقية للألفاظ؛ وذلك من أجل اتخاذ المَحَالِّ السياقية وسيلةً لضبط حالات الهواء في آخر نطق اللفظ، قلت: ولما فرغ رجع إلى الألفاظ التي اكتسبت المعاني السياقية فدقَّقَ فيها فتبين له أن اللفظ ما اكتسب المعنى السياقي إلا لتعلقه بلفظ سابق عليه مع خصائص أخرى سنتحدث عنها لاحقًا إن شاء الله، فكان أن أنزل اللفظ السابق منزلة الوتد أو العامل، وأنزل اللفظ اللاحق منزلة الشيء الموتود بالوتد أو المعمول بالعامل.

وإنما قلت لك: إن الخليل رجع إلى المعاني السياقية فجعل يلتمس أوتادها (أي عواملها)؛ لأن العوامل في المعاني السياقية خفية لا تظهر إلا بعد تدقيق، ويترجح عندي أنها لم تخطر ببال الخليل أول الأمر، وأنه لم يتنبه إليها إلا بعد أن استخرج عوامل (أي أوتاد) المحالِّ السياقية.

المبحث الخامس: مقدمة في التعريف بمصطلحات تتعلق بالمعنى السياقي للفظ

- المعنى السياقي للفظ: هو المعنى المكتسب من تعليق لفظين مع خصائص أخرى، كأن يسبق الفعل الفاعل، وأن تكون الحال نكرة، والمبتدأ معرفة، وأن يكون المفعول لأجله مصدرًا قلبيًّا إلى غيرها من الخصائص المنصوص عليها في كتب النحو في كل باب.

- العامل أو (الوتد) اصطلاحًا: هو اللفظ السابق من اللفظين المُعلَّقين.

- المعمول (أو الموتود) اصطلاحًا: هو اللفظ اللاحق من اللفظين المُعلَّقين، وهو اللفظ الذي اكتسب المعنى السياقي.

- وبدخول مصطلح العامل إلى حالة المعاني السياقية نشأ مصطلح جديد هو مصطلح (الإعمال) وهو مصطلح مشتق من لفظ (العامل) أيضًا، ويراد به معنى (الإيتاد).

- والإعمال (أي الإيتاد): هو تعليق المتكلم لِلَفْظَين بعضهما ببعض مع خصائص أخرى من أجل إنتاج المعاني السياقية. إذًا، فلو

جعلنا محل المصطلحات المشتقة من اسم الآلة الجامد مصطلحات مشتقة من فعلٍ، لكان مصطلح التعليق هو المقابل لمصطلح الإعمال، ولكان مصطلح (المعلَّق) على وزن اسم المفعول هو المقابل لمصطلح المعمول، ولكن مصطلح (المعلَّق به) على وزن اسم المفعول أيضًا هو المصطلح المقابل لمصطلح العامل.

وقد تجاوز قوم فسمَّى (الإعمال) بالعمل، وهو تجاوز فيه نظر كبير؛ لأن العمل اسم الحدث من الفعل (عمل)، أما الإعمال فاسم الحدث من الفعل (أعمل)، وهو فعل مشتق من اسم الآلة (العامل)، ومثله اشتقاق الفعل (أوتد) من اسم الآلة (الوتد).

مثال: ظهر الحقُّ

- الحق: فاعل لفعل الظهور، فاللفظ السابق وهو فعل الظهور بمنزلة الوتد أو العامل، وبقول آخر هو اللفظ المعلَّق به، واللفظ اللاحق وهو لفظ (الحق) بمنزلة الشيء الموتود بالوتد، أو الشيء المعمول بالعامل وبقول آخر هو اللفظ المعلَّق بالعامل.

مثال آخر: جملة: الإسلام نورٌ

- نورٌ: خبر الاسم المبتدأ به الكلام، فاللفظ السابق وهو الاسم المبتدأ به الكلام بمنزلة الوتد أو العامل وبقول آخر هو اللفظ المعلّق به.

واللفظ اللاحق وهو (نور) بمنزلة الموتود بالوتد أو المعمول بالعامل، وبقول آخر هو اللفظ المعلَّق.

أما الإسلام، فهو اسم مبتدأ به الكلام حل بعد نية الابتداء، فنية الابتداء بمنزلة الوتد أو العامل، وبقول آخر هي المعلَّق بها، والاسم المبتدأ به الكلام بمنزلة الشيء الموتود بالوتد أو المعمول بالعامل، وبقول آخر هو اللفظ المعلَّق بالعامل.

إذًا، فالمبتدأ اسم مضبوط بإعراب (أي تبيين) محله السياقي، وهو خلاف الخبر الذي هو اسم مضبوط بإعراب معناه السياقي.

المبحث السادس: عوامل (أي أوتاد) المعاني السياقية[(١)]

أحصى الخليل جمعًا من المعاني السياقية للألفاظ، وهذه المعاني هي: خبر المبتدأ والفاعل، والمفاعيل (مطلق، ولأجله، وفيه، ومعه، وبه سمي فاعله، وبه لم يسمَّ فاعله) والنداء، والاستثناء والتمييز والحال، والتوابع.

لقد نصَّ الخليل على أن المعاني السياقية من خبر المبتدأ والفاعل، والمفعول به الذي لم يسم فاعله تلزم حالة رفع الهواء عن مكان الانخفاض، كما سُمع عن العرب، وأن المعاني السياقية من المفعول

---

(١) اعتمد البحث في استقصاء العوامل على كتاب جامع الدروس العربية للشيخ مصطفى الغلاييني رحمه الله.

المطلق، والمفعول لأجله، والمفعول معه، والمفعول فيه والمفعول به الذي سمي فاعله، والنداء والاستثناء والتمييز والحال تلزم حالة نصب الهواء إلى أعلى الحلق كما سمع في لغة العرب، وأن المعاني السياقية من التوابع تبعٌ لمتبوعها في اتخاذ حالات الهواء من جر ورفع ونصب.

ثم إن الخليل دقَّق في تلك المعاني السياقية، فتبين له أن اللفظ المكتسب للمعنى السياقي مُعلَّق بلفظ سابق عليه، فكان أن أنزل اللفظ السابق منزلة الوتد أو العامل، وأنزل اللفظ اللاحق منزلة الشيء الموتود بالوتد، أو الشيء المعمول بالعامل، وإذا كان اللفظ الموتود بالوتد أو المعمول بالعمل متفق عليه عند النحاة إذ هو اللفظ المكتسب للمعنى السياقي وهو اللفظ الذي عليه مدار البحث عن وتده أو عامله، فإن الوتد أو العامل قد وقع الاختلاف فيه، وسنتحدث عن سبب الاختلاف في المبحث العاشر إن شاء الله. وإليك تفصيل في بعض العوامل (أي الأوتاد):

الموضع الأول: عامل المفعول به الذي سمي فاعله ومعموله (أي وتده وموتوده)

لقد نص الخليل على أن المفعول به الذي سمي فاعله يلزم حالة نصب الهواء كما سمع في لغة العرب، ثم إنه دقق في هذا المعنى السياقي فتبين له أن اللفظ المكتسب للمعنى السياقي معلَّق بلفظ سابق عليه،

فكان أن أنزل اللفظ السابق منزلة الوتد أو العامل وأنزل اللفظ اللاحق منزلة الموتود بالوتد أو المعمول بالعامل، نحو أكلتُ التفاحةَ.

- التفاحةَ: اسم مفعول به فعل الأكل، فاللفظ السابق وهو (فعل الأكل) بمنزلة الوتد أو العامل، واللفظ اللاحق وهو (التفاحة) بمنزلة الموتود بالوتد أو المعمول بالعامل، أي المعلّق بالعامل.

الموضع الثاني: عامل المفعول به الذي لم يسم فاعله ومعموله[1]، (أي وتده وموتوده).

لقد نص الخليل على أن المفعول به الذي لم يسم فاعله يلزم حالة رفع الهواء كما سمع في لغة العرب، ثم إنه دقق في اللفظ المكتسب للمعنى السياقي فتبين له أنه معلق بلفظ سابق عليه فأنزل اللفظ السابق منزلة الوتد أو العامل، وأنزل اللفظ اللاحق منزلة الموتود بالوتد أو المعمول بالعامل.

نحو: يُكْرَمُ الناجحُ.

- الناجحُ: اسم مفعول به فعل الإكرام لم يُسمَّ فاعله، فاللفظ السابق وهو (الفعل) بمنزلة الوتد أو العامل، واللفظ اللاحق وهو (الناجحُ) بمنزلة الموتود بالوتد، أو المعمول بالعامل، أي المعلّق بالعامل.

---

(١) انظر الجامع: ٢/ ٢٤٦.

الموضع الثالث: عامل المستثنى ومعموله (وتد المستثنى وموتوده)

نَصَّ النحوي على أن المستثنى وهو معنى سياقي يلزم حالة نصب الهواء كما سمع في لغة العرب، ثم إنه دقق في هذا المعنى السياقي فتبين له أن اللفظ الذي اكتسب المعنى السياقي معلّق بلفظ سابق عليه، فكان أن أنزل اللفظ السابق منزلة الوتد أو العامل، وأنزل اللفظ اللاحق منزلة الشيء الموتود بالوتد أو الشيء المعمول بالعامل.

نحو: آمن الناسُ إلا المعاندَ.

- المعاندَ: اسم حلَّ بعد (إلا) مستثنى من فعل الإيمان، فاللفظ الأول وهو (الفعل بتوسط إلا) بمنزلة الوتد أو العامل، واللفظ الثاني وهو (المعاندَ) بمنزلة الشيء الموتود بالوتد أو الشيء المعمول بالعامل، أي المعلّق بالعامل.

تنبيه: لاحظ أن النحاة عند التحقيق قد ضبطوا آخر النطق في الاسم بإعراب (أي تبيين) محله السياقي ومعناه السياقي.

المبحث السابع: معنى قولهم عامل قوي وعامل ضعيف

لقد علمت أن الخليل قد استعار لفظ العامل، وهو اسم الجزء الذي يلي السنان في الرمح، وأن ذلك الموضع هو موضع عقد الراية من الرمح، وهذا الموضع إما أن يكون قويًّا متينًا فلا تنكسر الراية، وإما أن يكون ضعيفًا هشًّا فتنكسر الراية.

قلت: فلما استعار الخليل اسم الآلة (العامل) فجعله ذا دلالة اصطلاحية على اللفظ السابق من اللفظين المعلَّقين فقد استعار معه صفتيه من الدلالة الحسية المادية إلى دلالة مجازية فصار المراد بالعامل الضعيف هو العامل الملاصق لمعمولاته فلا ينفك عنه، وصار العامل القوي هو العامل الذي يصح أن يكون غير ملاصق لمعموله، وذلك في ثلاث أحوال:

الحالة الأولى: تستعار صفة القوة للعامل إذا جاز الفصل بين اللفظ السابق واللفظ اللاحق نحو (ذهب إلى المسجد العالم الكبيرُ) فالفعل (ذهب) وهو الوتد أو العامل فصل عن الفاعل وهو اللفظ الموتود بالوتد أو المعمول بالعامل، فُصِلَ عنه بالجار والمجرور، وهذا الفصل جائز، فمن ذلك استعير للعامل صفة (القوة)، فقيل: (عامل قوي)؛ لأنه مع كون الفعل قد فصل عن الفاعل إلا أن التركيب مازال صحيحًا.

ولما كان لا يصح أن يفصل بين الجار والمجرور في مثل قولنا: (ذهبتُ إلى صباحًا المدينةِ) فقد استعير للفظ السابق وهو (إلى)، استعير له صفة الضعف، فقيل: (عامل ضعيف)؛ لأنه لما فصل الحرف عن الاسم الموتود به فسد التركيب.

وقد يكون العامل مرةً قويًّا، ومرةً ضعيفًا، نحو: (إنّ) إذ يصح أن يقول: (إن في المكتبة علمًا غزيرًا) فيفصل بين (إنَّ) وبين الاسم الذي حل بعدها بالجارِّ والمجرور، فـ(إنّ) في هذا الموضع تستعار لها صفة

(القوة)، فيقال: (إن) في هذا الموضع عامل قوي. لكنه لا يصح أن يفصل بين (إنّ) وبين الاسم الذي يحل بعدها بالخبر مرفوع الهواء، فلا يصح أن يقال: (إنَّ قادمٌ زيدًا)، فمن ثم تستعار صفة الضعف للحرف (إن) في هذا الموضع فيقال: (إن) في هذا الموضع عامل ضعيف.

وكذلك لا يصح أن يفصل بين الاسم وتمييزه، فلا يصح أن يقال: (اشتريت عشرين من المكتبة قلمًا)، فالاسم المفرد وهو (عشرين) عامل ضعيف. ولا يصح الفصل أيضًا بين حروف النصب والفعل المضارع، ولا بين حروف الجزم والفعل المضارع، فهذه الحروف عوامل ضعيفة.

الحالة الثانية: تستعار للعامل صفة (القوة) إذا جاز للفظ السابق وهو العامل أو الوتد أن يفارق موضعه فيتأخر على المعمول به نحو (التفاحةَ أكلتُ)، فالفعل (أكل) عامل قوي. أما إذا كان لا يصح أن يتأخر اللفظ السابق على اللفظ اللاحق نحو حرف الجر وحروف الجزم وحروف النصب للأفعال والأسماء فتستعار له صفة الضعف، فلا يصح أن يقال مثلًا (زيدًا إنَّ قادمٌ) أو (يذهبَ لن إلى المدرسة).

الحالة الثالثة: تستعار للعامل صفة القوة إذا جاز أن يحذف اللفظ السابق ويبقى اللفظ اللاحق (أي المعمول) ملازمًا لحالة الهواء التي كان عليها نحو قول المجيب: (زيدًا) لمن سأله (من رأيت؟) والتقدير (رأيت زيدًا). فالفعل (رأى) لذلك عامل قوي.

فإذا كان لا يصح أن يحذف اللفظ السابق (أي العامل) فتستعار له صفة الضعف مثل حروف الجر وحروف الجزم والنصب. ولذا كان النحاة قد حكموا على قول رؤبة لما سئل عن حاله فقال: (خيرٍ) بجر الهواء مع التنوين وحذف الباء من أول اللفظ، كان حكمهم عليه بالشاذ، وذلك أن الاسم الذي حل بعد (الباء) إنما يضبط بإعراب (أي تبيين) محله السياقي، فإذا حُذف اللفظ السابق من اللفظين المعلّقين فقد حُذف الوتد الذي يسترشد به في تبيين المحل السياقي للفظ الثاني، فيصير بذلك اللفظ اللاحق هَمَلًا من المعنى السياقي ومن المحل السياقي فلا يعرف كيف يضبط.

وكان الحكم كذلك بالشذوذ على قولهم في المثل: (تسمعَ بالمعيدي خير من أن تراه) بنصب الهواء في (تسمعَ)، وذلك أن الفعل المضارع الذي يحل بعد (أنْ) إنما يضبط بإعراب (أي تبيين) محله السياقي، فإذا حُذف اللفظ السابق من اللفظين المعلقين وهو لفظ (أنْ) فقد حُذف الوتد الذي يسترشد به في تبيين المحل السياقي للفظ اللاحق فيصير بذلك اللفظ اللاحق هَمَلًا من المعنى السياقي، ومن المحل السياقي، فلا يعرف كيف يضبط.

ومجمل الأمر أنه حيث جاز الفصل بين اللفظين المعلقين أو تأخر اللفظ السابق على اللفظ اللاحق أو حذف اللفظ السابق فيستعار للفظ السابق وهو العامل أو الوتد صفة القوة، فيقال: (عامل قوي). وحيثما

لم تَجُزْ إحدى الحالات السابقة فتستعار للفظ السابق صفة الضعف، فيقال: (عامل ضعيف)، وقد يكون العامل قويًّا في موضع وضعيفًا في آخر كما هو حال (إنّ وأخواتها) وقد مرَّ بيان ذلك.

المبحث الثامن: سبب اختلاف العلماء في تعيين العامل

قلت: لقد اتفق النحاة على طريقتي الضبط وهما:

الأولى: إعراب (أي تبيين) المحل السياقي للفظ ليكون وسيلةً لضبط آخر النطق، نحو: (إنَّ الرجل لن يذهب إلى السوق)

- فـ (الرجلَ): اسم حل بعد (إنّ) منصوب الهواء.
- يذهبَ: فعل مضارع حل بعد (لن) منصوب الهواء.
- السوقِ: اسم حل بعد (إلى) مجرور الهواء.

الثانية: إعراب (أي تبين) المعنى السياقي للفظ غير أنهم اختلفوا في شرحهم لذلك المعنى السياقي، ولاختلافهم في الشرح اختلف تعيين العامل عندهم، واختلافهم في ذلك كاختلاف شعراء اجتمعوا ليعبروا عن حدث واحد فتباينوا في التعبير فمنهم من أصاب الغاية، ومنهم من قارب، ومنهم من باعد غير أن لكل منهم نصيبًا من الصواب، وإني سأستبدل مصطلحي الوتد والموتود بمصطلحي العامل والمعمول، وذلك أن الدلالة الاستعارية للمصطلحين الوتد والموتود أوضح في

الذهن من الدلالة الاستعارية للمصطلحين العامل والمعمول؛ وذلك لاشتراكهما مع الفعل (عمل) بالحروف.

الاختلاف الأول: اختلافهم في تعيين وتد المبتدأ ووتد الخبر

الشرح الأول: شرح الكوفة للمعنى السياقي.

«ذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع الخبر، والخبر يرفع المبتدأ، فهما يترافعان، وذلك نحو (زيدٌ أخوك)»[1]. واحتجوا «بأن قالوا: إنما قلنا إن المبتدأ يرتفع بالخبر، والخبر يرتفع بالمبتدأ؛ لأنا وجدنا المبتدأ لا بد له من خبر، والخبر لا بد له من مبتدأ، ولا ينفك أحدهما من صاحبه، ولا يتم الكلام إلا بهما، ألا ترى أنك إذا قلت: (زيد أخوك) لا يكون أحدهما كلامًا إلا بانضمام الآخر إليه؟ فلما كان كل واحد منهما لا ينفك عن الآخر، ويقتضي صاحبه اقتضاء واحدًا عمل كل واحد منهما في صاحبه مثل ما عمل صاحبه فيه؛ فلهذا قلنا: إنهما يترافعان، كل واحد منهما يرفع صاحبه، ولا يمتنع أن يكون كل واحد منهما عاملًا ومعمولًا»[2]. قلت: أي وتدًا وموتودًا.

قلت: وتوضيح ذلك أن الكوفة شرحت جملة (زيدٌ قائمٌ) فقالت:

---

(١) الإنصاف، أبو البركات الأنباري، المسألة الخامسة، ص١/ ٤٤.

(٢) المرجع نفسه، م/ ٥، ص ١/ ٤٤-٤٥.

- **زيدٌ**: مخبر عنه ملازم لحالة رفع الهواء موتودٌ أي معلّقٌ بالخبر، فالخبر بمنزلة الوتد، والمخبر عنه بمنزلة الشيء الموتود بالوتد.

- **قائمٌ**: خبر للمخبر عنه ملازم لحالة رفع الهواء، فالمخبر عنه بمنزلة الوتد، والخبر بمنزلة الموتود بالوتد.

وانظر أن الكوفة قد ابتكرت مصطلحي «المخبر عنه والخبر» في شرح الجملة، أما البصرة فستبتكر مصطلحي «المبتدأ والخبر» كما سيأتي إن شاء الله.

فردّت البصرة شرح الكوفة، فقالت: «إذا قلنا إنهما يترافعان وجب أن يكون كل واحد منهما قبل الآخر، وذلك محال، وما يؤدي إلى المحال محال»[1].

قلت: وتوضيح اعتراض البصرة أنهم قالوا: إن الوتد يجب أن يسبق الموتود فإذا قلنا إنهما يتواتدان (أي كل منهما وتد لصاحبه) وجب أن يكون كلٌّ منهما قبل الآخر وهذا محال. وإنما اشترطت البصرة أن يكون الوتد سابقًا على الموتود. في حالة تبيين المحل السياقي للفظ اللاحق حتى يكون الأول دليلًا يسترشد به على محل الثاني، ثم اشترطت البصرة في أوتاد المعاني السياقية الشرط نفسه.

---

(١) الإنصاف م٥/ ص ١/ ٤٨.

الشرح الثاني: شرح البصرة للمعنى السياقي.

وشرحت البصرة جملة «زيدٌ قائمٌ» فقالت: «المبتدأ يرتفع بالابتداء»[1]. وتوضيح ذلك هكذا:

- **زيدٌ**: اسم مبتدأ به الكلام ملازم لحالة رفع الهواء، حلَّ بعد نية الابتداء، فنية الابتداء بمنزلة الوتد السابق، والاسم المبتدأ به الكلام بمنزلة الشيء الموتود بالوتد.

ثم اختلفوا في شرحهم (للخبر) فقال قوم: (إن الخبر يرتفع بالابتداء وحده)، وشرح ذلك هكذا:

- **قائمٌ**: خبر ملازم لحالة رفع الهواء، حلَّ بعد نية الابتداء، فنية الابتداء بمنزلة الوتد السابق، والخبر بمنزلة الموتود بالوتد.

وقال آخرون: (إنه يرتفع بالابتداء والمبتدأ معًا)، وشرح ذلك على الصورة الآتية:

- قائمٌ: خبرُ المبتدأ ملازم لحالة رفع الهواء، حل بعد نية الابتداء، فنية الابتداء والمبتدأ بمنزلة الوتد السابق، والخبر بمنزلة الشيء الموتود بالوتد.

وقال آخرون: (إنه يرتفع بالمبتدأ)، وشرح ذلك على النحو الآتي:

---

(١) الإنصاف، م٥، ص١/ ٤٤.

- **قائمٌ**: خبرُ المبتدأ ملازمٌ لحالة رفع الهواء، فالمبتدأ بمنزلة الوتد السابق والخبر بمنزلة الموتود بالوتد.

واعترض على البصرة: (بأن الابتداء معنى، والمعاني لا تعمل)(١).

قلت: وتوضيح ذلك، أن الابتداء معنى قلبي محله القلب، والمعاني القلبية ليس فيها دلالة الحدث، لذا فهي لا تصلح لتبيين المعنى السياقي. قلت: وهذا من المماحلة في الرد، ذلك أن البصرة ضبطت الاسم المبتدأ به بتبيين محله السياقي لا معناه السياقي، فإنه يكفيك أن تقول للمتعلم: إذا نويت الابتداء بالاسم، فاجعله ملازمًا لحالة رفع الهواء، فتكون نية الابتداء هي الوتد في تبيين المحل السياقي للفظ. ومجمل الأمر في هذا أن البصرة كانت كمن شَرَّقَ والجواب عليهم كمن غرَّبَ.

وردت البصرة على من أنكر عليهم أن تكون نية الابتداء وتدًا، فقالت، إن «العوامل في هذه الصناعة ليست مؤثرة حسية كالإحراق للنار والإغراق للماء والقطع للسيف، وإنما هي أمارات ودلالات، وإذا كانت العوامل في محل الإجماع إنما هي أمارات ودلالات، فالأمارة والدلالة تكون بعدم شيءٍ كما تكون بوجود شيء»(٢).

---

(١) نظرية العامل، ص ٩٣، وأعاد إلى شرح جمل الزجاجي ١/ ٣٥٥.

(٢) الإنصاف، م٥، ص ١/ ٤٦.

واعْتُرِضَ على شرح البصرة (بأن المبتدأ هو عامل الخبر) فقيل: إنَّ «المبتدأ قد يرفع الفاعل، نحو قولك: القائم أبوه ضاحكٌ، فـ(القائمُ) مبتدأ، وهو رافع للفاعل (أبوه)، و(ضاحك) خبر المبتدأ، فلو كان المبتدأ رافعًا للخبر، لأدى ذلك إلى أن يعمل عامل واحد في معمولين رفعًا من غير أن يكون أحدهما تابعًا للآخر، وذلك لا نظير له»[1].

قلت: وشرح ذلك أن جملة (القائم أبوه ضاحك) ستضبط على شرح البصرة هكذا:

- **القائمُ**: اسم مبتدأ به الكلام ملازم لحالة رفع الهواء حلَّ بعد نية الابتداء.

- **أبوه**: فاعل للمبتدأ، فالمبتدأ بمنزلة الوتد، والفاعل بمنزلة الموتود بالوتد.

- **ضاحك**: خبر للمبتدأ، فالمبتدأ بمنزلة الوتد، والخبر بمنزلة الموتود بالوتد.

قلت: ويرد على ذلك بوجهين:

الأول: قول المعترض: «لا نظير له» ليس بحجةٍ، فكون الشيء واحدًا لا يبطل وجود ذلك الواحد.

---

(١) نظرية العامل، ص ٩٣، وأعاد إلى شرح جمل الزجاجي ١/ ٣٥٧، وشرح التصريح ١/ ١٥٩.

الثاني: فهو أن المبتدأ هو وتد الخبر، أما وتد الفاعل فليس هو المبتدأ، وإنما هو دلالة الحدث في اسم الفاعل الذي هو صيغة المبتدأ الصرفية، ألا ترى أنه لو قلنا: (زيدٌ أبوه ضاحك) لم يصح أن نقول: إن (أبوه) فاعل للمبتدأ (زيد)؛ لأن (زيد) اسم علم وليس في اسم العلم دلالة الحدث، فدلَّ هذا على أن وتد الفاعل ليس هو المبتدأ نفسه، وإنما وتد الفاعل هو دلالة الحدث في صيغة اسم الفاعل التي عليها المبتدأ.

الاختلاف الثاني: اختلافهم في تعيين وتد الطرف الواقع خبرًا

الشرح الأول: شرح الكوفة للمعنى السياقي

«ذهب الكوفيون إلى أن الظرف ينتصب على الخلاف، إذا وقع خبراً للمبتدأ نحو زيدٌ أمامَك»[1]

واحتجوا بأن قالوا: «إنما قلنا إنه ينتصب بالخلاف، وذلك لأن خبر المبتدأ في المعنى هو المبتدأ، ألا ترى أنك إذا قلت: (زيدٌ قائمٌ) كان (قائم) في المعنى هو زيد، فإذا قلت: (زيد أمامك) لم يكن (أمامك) في المعنى هو زيد، كما كان (قائمٌ) في المعنى هو زيد، فلما كان مخالفًا له نصب على الخلاف ليفرقوا بينهما»[2].

---

(١) الإنصاف م٢٩، ص١/ ٢٤٥.

(٢) المرجع نفسه، م٢٩، ص١/ ٢٤٥-٢٤٦.

قلت: لقد فرقت الكوفة بين جملتين هما: (زيدٌ قائمٌ) و(زيدٌ أمامك) تفريقًا صحيحًا، فـ(قائمٌ) هو في المعنى هو زيد، وليس (أمامك) في المعنى هو زيد، فكان شرحهم للمتعلمين أن قالوا لهم: إذا كان الخبر في المعنى هو المخبر عنه، فإن الخبر يلازم حالة رفع الهواء، وإذا لم يكن الخبر في المعنى هو المخبر عنه فإن الخبر يلازم حالة نصب الهواء.

قلت: وهذا الشرح صحيح لا ينكر على الكوفة، ومن ثم سيصبح تقعيد القاعدة عندهم هكذا:

الخبر إما موافق في المعنى للمخبر عنه فيلزمان حالة رفع الهواء، وإما مخالف للمخبر عنه فيلزم الخبر حالة نصب الهواء. ومن ثم ستكون طريقة إعراب (أي تبيين) المعنى السياقي، وضبط حالة الهواء هكذا:

- **زيدٌ قائمٌ، قائمٌ**: خبر موافق في المعنى للمخبر عنه، مرفوع الهواء وعلامة رفع الهواء حركة ضم الشفتين المتبوعة بنون ساكنة.

- **زيدٌ أمامَك، أمامَك**: خبر مخالف في المعنى للمخبر عنه منصوب الهواء وعلامة نصب الهواء، حركة فتح الشفتين.

ثم قررت الكوفة: أن المعنى السياقي وهو (المخالفة) بين المخبر عنه والخبر هو نفسه وتد الخبر، قلت: فجعلوا بذلك وسيلة الضبط هي نفسها الوتد، وهذا مخالفٌ لمراد الخليل الذي فرَّقَ بين المعنى السياقي وبين الوتد؛ لأن تبيين المعنى السياقي هو الوسيلة التعليمية لضبط حالة

الهواء، أما الوتد فهو اللفظ الأول من اللفظين المعلقين، والغاية من كشفه هي إحكام فهم المعنى السياقي.

وكان الجواب عن كلمات الكوفيين أن قيل: «لو كان الموجبُ لنصب الظرف كونه مخالفًا للمبتدأ لكان المبتدأ أيضًا يجب أن يكون منصوبًا؛ لأن المبتدأ مخالف للظرف كما أن الظرف مخالف للمبتدأ؛ لأن الخلاف لا يتصور أن يكون من واحد، وإنما يكون من اثنين فصاعدًا؛ فكان ينبغي أن يقال: (زيدًا أمامك، وعمرًا وراءك)، وما أشبه ذلك؛ فلما لم يجز ذلك دلَّ على فساد ما ذهبوا إليه»(١).

قلت: وهذا الرد فيه مماحلة، ذلك أن المجيب قدم مقدمة صحيحة وهي أن الخلاف لا يتصور إلا من اثنين فصاعدًا، ثم رتب على هذه المقدمة نتيجة خاطئة؛ ذلك أن الكوفة قد ميزوا بين أمرين اثنين هما: الخبر الموافق في المعنى للمخبر عنه، والخبر المخالف في المعنى للمخبر عنه.

أما المجيب فقد وَهَّمَ على السامع إذ جعل قول الكوفة بالمخالفة بين نوعي الخبر ينصرف إلى دلالة المخالفة بين المخبر عنه والخبر نفسيهما؛ فإذا كان الأصل فيهما الموافقة بينهما نحو: (زيدٌ قائمٌ)، ومن ثم لزما حالة رفع الهواء، فقد وجب عندما تخالفا أن يلزما حالة نصب

---

(١) الإنصاف، م٢٩، ص ١/ ٢٤٧.

الهواء؛ لأن كلًّا منهما مخالف لصاحبه، وقد قلت لك: وهذه من مماحلة الأقران في الرد بقصد تعمد التخطئة؛ فإنَّ الكوفة إنما قصدت التفريق بين نوعي الخبر لا بين المخبر عنه والخبر نفسيهما.

الشرح الثاني: شرح ثعلب من الكوفيين:

وشرح ثعلب جملة: (زيدٌ أمامك) فقال: إنه «ينتصب لأن الأصل في قولك: (أمامك زيدٌ)، حلَّ أمامك، فحذف الفعل وهو غير مطلوب واكتفى بالظرف منه فبقي منصوبًا على ما كان عليه مع الفعل»[1].

قلت: لقد جعل ثعلب جملة (زيدٌ أمامك) جملة فرعية على جملة (حلَّ أمامك زيدٌ)؛ ولما كان الفعل مفهومًا ضمنًا فقد حذف، وبقي الظرف ملازمًا لحالة نصب الهواء على ما كان.

ويتبين من ذلك أن الاسم (زيدٌ) عند ثعلب، هو فاعل للفعل (حلّ) المحذوف والمفهوم ضمنًا، فالفعل هو الوتد السابق، و(زيدٌ) هو الموتود بالوتد. ويتبين أيضًا أن لفظ (أمامك) هو ظرف المكان للفعل (حل)، ومن ثم فالفعل (حل) هو بمنزلة الوتد، واللفظ (أمامك) هو بمنزلة الموتود بالوتد.

---

(١) الإنصاف م٢٩، ص/ ٢٤٥.

وإيتاد (أي تعليق) الظرف بالفعل هو شرح البصرة غير أن وجه الفرق بينهما أن ثعلب قدم الفعل على الاسم وأَخَّرَت البصرة الفعل على الاسم، وسيأتي ذلك إن شاء الله.

إذًا، فطريقة التعليم عند ثعلب في جملة (زيدٌ أمامك) قائمٌ على تبيين المعنى السياقي في اللفظ (أمامك)، وهذا المعنى السياقي هو أنه (ظرف مكان)، ومن ثم فإن هذا المعنى السياقي سَيُتَّخذ وسيلة تعليمية لضبط حالة الهواء، فيقال للمتعلم: إذا كان لفظ (أمامك) ظرفًا لمكان حدوث الفعل فإنه يلزم حالة نصب الهواء، ثم كشف ثعلب عن الوتد السابق المعلق به لفظ (أمامك)، وذلك الوتد هو الفعل (حل)، وذلك لإحكام إفهام المعنى للمتعلم.

وكان الرد على أبي العباس بأن قيل: «وأما قول أبي العباس أحمد بن يحيى ثعلب: إنه ينتصب بفعل محذوف غير مقدر... ففاسد... وذلك لأنه يؤدي إلى أن يكون منصوبًا بفعل معدوم من كل وجه لفظًا وتقديرًا، والفعل لا يخلو، إما أن يكون مُظهرًا موجودًا أو مقدرًا في حكم الموجود، فأما إذا لم يكن مُظهرًا موجودًا ولا مقدرًا في حكم الموجود كان معدومًا من كل وجه، والمعدوم لا يكون عاملًا، وكما يستحيل الفعل باستطاعةٍ معدومةٍ، والمشيُ برجلٍ معدومةٍ، والقطعُ بسيفٍ معدومٍ، والإحراق بنار معدومةٍ، فكذلك يستحيل في هذه الصناعة النصب بعامل معدوم؛ لأن العلل النحوية مشبهة بالعلل

الحسية، والذي يدل على فساد ما ذهب إليه أنه لا نظير له في العربية، ولا يشهد له شاهد من العلل النحوية، فكان فاسدًا، والله أعلم»[1].

قلت: وهذا الرد من المماحلة بين الأقران في تعمد التخطئة، ذلك أن هذا الرد يلزم كلُّه شرح البصرة للجملة نفسها، ثم إن قول المعترض على ثعلب بقوله: (فعل معدوم) ليس صحيحًا بل هو عند ثعلب محذوف لفظًا مفهوم ضمنًا.

الشرح الثالث: شرح البصرة

قالت البصرة: «إنما قلنا إنه ينتصب بعامل مقدر، وذلك لأن الأصل في قولك: (زيد أمامك)... في أمامك..؛ لأن الظرف: كل اسم من أسماء الأمكنة أو الأزمنة يراد فيه معنى «في»، وفي: حرف جرٍّ، وحروف الجر لا بد لها من شيء تتعلق به؛ لأنها دخلت رابطةً تربط الأسماء بالأفعال، كقولك: (عجبت من زيد)... ولو قلت: (من زيد)... لم يجز حتى تقدر لحرف الجر شيئًا يتعلق به، فدلَّ على أن التقدير في قولك: (زيد أمامك)... زيد استقر في أمامك... ثم حذف الحرف فاتصل الفعل بالظرف فنصبه، فالفعل الذي هو (استقر) مقدر مع الظرف، كما هو مقدر مع الحرف»[2].

---

(١) الإنصاف م٢٩، ص ١/ ٢٤٧.

(٢) الإنصاف م٢٩، ص ١/ ٢٤٦.

قلت: ومعنى قول البصرة: إن معنى جملة (زيدٌ أمامك) هو زيدٌ استقر في أمامِك، قولٌ فيه تأويلات إذ قُدِّر حرف الجر ثم قُدِّر الفعل، وهو قول سيجعل طريقة الضبط على النحو الآتي:

- **زيدٌ**: اسم مبتدأ به الكلام حل بعد نية الابتداء.

- **استقر**: فعل فاعله ضمير مستتر تقديره (هو)، فالفعل بمنزلة الوتد، والفاعل بمنزلة الموتود بالوتد.

- في: حرف يفيد الظرفية، أمامك: اسم حل بعد (في)، فالحرف بمنزلة الوتد، والظرف بمنزلة الشيء الموتود بالوتد، ثم إن الفعل (استقر) بمنزلة الوتد، وشبه الجملة (في أمامك) بمنزلة الموتود بالوتد.

قلت: وحقيقة الشروح الثلاثة أنها قصدت كلها إلى تعليم المتعلم كيفية ضبط الهواء في آخر النطق متخذًا المعنى السياقي وسيلة تعليمية، وأمارة استرشادية لتحقيق تلك الغاية.

المبحث التاسع: حيلةٌ لطيفة توضح المقاصد

الحيلة: الفِعْلة الحسنة يُتَوَصَّل بها إلى الغاية، ثم بعد: فلو أنك عدت إلى أقوال النحاة فصغتها صياغة جديدة بحيث تجعل محل ألفاظهم المستخدمة بدلالة (التأثير والمؤثر) ألفاظًا بدلالة الوتد والموتود والإيتاد لانشقت لك كوةٌ من نور العلم على مراد الخليل من (العامل)، وإليك أمثلة على ذلك:

الصياغة الأولى وفيها العامل بدلالة المؤثر على ما جرت به أقلام النحاة	الصياغة الثانية، وفيها مصطلح العامل بدلالة الوتد على مراد الخليل
النص الأول:[1] «ذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ يرفع الخبر والخبر يرفع المبتدأ، فهما يترافعان... وذهب البصريون إلى أن المبتدأ يرتفع بالابتداء، وأما الخبر فاختلفوا فيه: فذهب قوم إلى أنه يرتفع بالابتداء وحده، وذهب آخرون إلى أنه يرتفع بالابتداء والمبتدأ معًا، وذهب آخرون إلى أنه يرتفع بالمبتدأ والمبتدأ يرتفع بالابتداء».	**إعادة الصياغة:** ذهب الكوفيون إلى أن المبتدأ موتودٌ (أي معلّق) بالخبر والخبر موتودٌ بالمبتدأ، فهما يتواتدان... وذهب البصريون إلى أن المبتدأ موتودٌ بنية الابتداء، وأما الخبر فاختلفوا فيه: فذهب قوم إلى أنه موتود بنية الابتداء وحدها، وذهب آخرون إلى أنه موتود بنية الابتداء والمبتدأ معًا، وذهب آخرون إلى أنه موتود بالمبتدأ، والمبتدأ موتود بنية الابتداء.
النص الثاني:[2] «ذهب الكوفيون إلى أن (لولا) ترفع الاسم بعدها نحو: لولا زيدٌ	**إعادة الصياغة:** ذهب الكوفيون إلى أن (لولا) يُوتَد الاسم بعدها بها... وذهب

(١) الإنصاف م ٥، ص ١/ ٤٤.

(٢) الإنصاف م١٠، ص ١/ ٧٠.

لأكرمتك، وذهب البصريون إلى أنه يرتفع بالابتداء».	البصريون إلى أن الاسم موتود بنية الابتداء، و(لولا) حرف مهمل الاعتبار لا يعتد به في تبيين المحل السياقي.
النص الثالث:[1] «ذهب الكوفيون إلى أن العامل في المفعول... الفعل والفاعل جميعًا... وذهب البصريون إلى أن الفعل وحده عمل في الفاعل والمفعول جميعًا».	**إعادة الصياغة:** ذهب الكوفيون إلى أن وتد المفعول هو الفعل والفاعل جميعًا، وذهب البصريون إلى أن الفعل وحده هو وتد الفاعل والمفعول جميعًا.
النص الرابع:[2] «ذهب الكوفيون إلى أن قولهم: زيدًا ضربته، منصوب بالفعل الواقع على الهاء، وذهب البصريون إلى أنه منصوب بفعل مقدر والتقدير فيه: ضربت زيدًا ضربته».	**إعادة الصياغة:** ذهب الكوفيون إلى أن قولهم: زيدًا ضربته موتودٌ بالفعل الموتود به الضمير، وذهب البصريون إلى أنه موتودٌ (أي معلّق) بفعل مقدر...

(١) الإنصاف م١١، ص١/ ٧٨-٧٩.

(٢) الإنصاف م١٢، ص ١/ ٨٢.

النص الخامس[1]	إعادة الصياغة
«ذهب الكوفيون في إعمال الفعلين نحو (أكرمني وأكرمتُ زيدًا) و(أكرمتُ وأكرمني زيدٌ) إلى أن إعمال الفعل الأول أولى، وذهب البصريون إلى أن إعمال الفعل الثاني أولى».	ذهب الكوفيون في إيتاد الفعلين (أي تعلقيهما) إلى أن إيتاد الاسم بالفعل الأول أولى، وذهب البصريون إلى أن إيتاد الاسم بالفعل الثاني أولى.

(١) الإنصاف م١٣، ص١/ ٨٣.

المصادر والمراجع:

١. الإيضاح في علل النحو، أبو القاسم الزجاجي، دار الكتب العلمية، ط٢.

٢. المرشد في علم التجويد، زيدان العقرباوي، دار الفرقان، ط٢، ١٩٩٥.

٣. الاقتراح في علم أصول النحو، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، ط٢، ٢٠٠٦.

٤. المنير في أحكام التجويد، إعداد لجنة التلاوة في جمعية المحافظة على القرآن الكريم.

٥. مراحل تطور الدرس النحوي، عبد الله بن حمد الخثران، ص ٥٥،

٦. دلائل الإعجاز، عبد القاهر الجرجاني، المكتبة التوفيقية.

٧. السيد أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، ١٩٩٤.

٨. لسان العرب، ابن منظور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٩.

٩. جامع الدروس العربية، مصطفى الغلاييني، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت، ط٢، ١٩٩٢..

١٠. نظرية العامل في النحو العربي عرضًا ونقدًا، وليد عاطف الأنصاري، دار الكتاب الثقافي، ط٢، ٢٠٠٦..

١١. الإنصاف في مسائل الخلاف، أبو البركات الأنباري، المكتبة العصرية، صيدا-بيروت، ١٩٨٧.



صيغة «فعالة» في القرآن الكريم: دراسة صرفية دلالية

د. سعد بن سيف المضياني

- من المملكة العربية السعودية.
- دكتوراه في النحو والصرف.
- أستاذ مشارك، في جامعة الحدود الشمالية– كلية العوم والآداب.

الملخّص

تُعنى هذه الدراسة ببحث الكلمات التي وردت في القرآن الكريم على صيغة (فَعالة)، وتدرسها دراسة صرفية دلالية، ومن المعلوم أن فهم الدلالة القرآنية يقوم على فهم دلالة ألفاظه والصيغ التي استعملها، كما أن هذه الدراسات تثري الدراسات اللغوية والقرآنية.

وتتجلى أهمية الدراسة في أنها قامت بحصر الكلمات التي وردت على وزن فَعالة في القرآن، ثم كشف اللثام عن المعاني الدلالية والصرفية لهذه المجموعة من الكلمات، مع إلقاء الضوء على بعض الظواهر اللغوية التي لا تنفك عن مثل هذه الدراسات غالبا، فتلقي الضوء على دور السياق في تحديد الدلالة، ورصد ظاهرة الترادف، والمشترك، وكذلك الإشارة إلى بعض المصاحبات اللغوية.

إضافة إلى ذلك قامت الدراسة ببيان دور القراءات القرآنية في توسيع الدلالة القرآنية، وذلك من خلال دراسة بعض القراءات الواردة في هذه الكلمات.

الكلمات المفتاحية: صيغة فعالة، والمعنى.

Abstract

A morphological and Semantic Study of the Arabic Metrical Unit “fa’aala” in the Holy Quran

This study aims at investigating the Quranic words which are formed using the metrical unit “fa’aala”. It is well-known that understanding semantics in Quran is based upon understanding the connotation of its lexical items in addition to the structures used in it. The current study also enriches the Quranic and linguistic studies.

The significance of this study lies in the fact that it locates the words which are formed using the metrical unit “fa’aala” then reveals the semantic and morphological meanings of this group of words. It also sheds light on some linguistic phenomena that are usually related to such kind of studies. The study throws light on the role of context in determining the semantic meaning, regarding attentively both synonymy and polysemy and referring to some examples of collocation.

Furthermore; the study clarifies the role of the Quranic Qira’at (methods of recitation) in widening the Quranic connotative meaning by studying some of the Qira’at of these words.

Key words: the Arabic Metrical Unit “fa’aala”, meaning

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فقد كان القرآن الكريم –ولا يزال- مجالا خصبا ومهما للدراسات اللغوية، سواء أكان في المستوى النحوي أو الصرفي أو الدلالي، ولذلك فقد تناولت دراسات كثيرة صيغا عديدة في القرآن الكريم، ومنها على سبيل المثال:

- صيغة (فَعِيل) دراسة نحوية صرفية دلالية، للباحث منصور عطيوي منصور، وهي رسالة ماجستير تقدم بها الباحث إلى جامعة أم القرى عام ١٤٠٧هـ.
- صيغة (فَعَل) في القرآن الكريم دراسة صرفية دلالية، وهو عنوان كتاب للدكتورة أحلام ماهر حميد، طبع في بيروت: دار الكتب العلمية ٢٠٠٨م.
- اسم الفاعل في القرآن الكريم دراسة صرفية نحوية دلالية، للباحث سمير محمد عزيز، وهي رسالة ماجستير تقدم بها الباحث إلى جامعة النجاح الوطنية في فلسطين- نابلس عام٢٠٠٤م.

وقد خصصت في هذا البحث صيغة من الصيغ الواردة في القرآن الكريم، وهي صيغة (فَعَالة)، أحصر ألفاظها فيه وأدرسها دراسة صرفية دلالية، وهذا هو الهدف من البحث، ومن هنا تأتي أهميته؛ وذلك لأنه

ألقى الضوء على صيغة قرآنية لم يتطرق إليها أحد بالدراسة من الناحية الصرفية والدلالية بدراسة مستقلة بذاتها.

وأما خطة البحث، فقد كُسِرَتْ على مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

أما المقدمة فقد بينت فيها الهدف من البحث وأهميته، وأشرت إلى الدراسات السابقة في هذا المجال.

وأما المبحث الأول، فهو: صيغة (فعالة) عند الصرفيين.

وقد تحدثت فيه عن آرائهم وأقوالهم في صيغة (فَعَالة) واستعمالاتها في العربية.

وأما المبحث الثاني، فهو: الدراسة الصرفية والدلالية.

وقد كان منهجي في دراسة هذا المبحث كما يلي:

- أولا: حصر الكلمات التي وردت على صيغة (فعالة)، وقد بلغ عددها تسع عشرة كلمة، وذلك بعد استقرائها في القرآن الكريم وقراءاته.

وقد استفدت في حصرها من كتاب (دراسات في أسلوب القرآن الكريم)، للشيخ محمد عبدالخالق عضيمة، فقد جمعها تحت عنوان (المصدر على فَعَالة)، وذكر خمس عشرة كلمة[1].

ومن كتاب (معجم الأوزان الصرفية لكلمات القرآن الكريم)

---

(١) انظر: دراسات في أسلوب القرآن الكريم، لعضيمة ٦/ ١٠٧.

للدكتور حمدي بدر الدين إبراهيم، فقد ذكرها تحت باب: ما ورد على (فَعَال)[1].

- ثانيا: ترتيب هذه الكلمات المحصورة ترتيبا ألفبائيا.
- ثالثا: دراسة كل كلمة دراسة صرفية، وبيان ما قاله اللغويون عن معناها في المعاجم العربية وكتب اللغة، ثم بيان دلالتها في السياق القرآني مستعينا بكتب التفاسير.

وأما المبحث الثالث فهو: أثر اختلاف القراءات القرآنية في صيغة (فَعَالة).

وكان في محورين:

المحور الأول: اختلاف القراءات في الإفراد والجمع.

والمحور الثاني: اختلاف القراءات في فتح فاء (فعالة) وكسرها.

وقد بينت فيها دور القراءات القرآنية في توسيع الدلالة القرآنية للصيغة.

وأما الخاتمة فقد بينت فيها أهم النتائج التي وصل إليها البحث.

(١) انظر: معجم الأوزان الصرفية لكلمات القرآن الكريم، للدكتور حمدي بن بدر الدين إبراهيم ٢٨٩.

المبحث الأول: صيغة (فَعَالة) عند الصرفيين.

لا بد قبل الحديث عن صيغة (فَعَالة) في القرآن الكريم من النظر فيما قاله الصرفيون عن استعمالها.

وما ذكروه عنها يدور في ثلاثة محاور:

المحور الأول: أنها مصدر قياسي للفعل الثلاثي، ولكن بشرطين:

الشرط الأول: أن يكون لازما على وزن (فَعُل).

والشرط الثاني: أن يكون دالا على خصلة في الشيء.

قال سيبويه: «هذا باب أيضا في الخصال التي تكون في الأشياء. أما ما كان حسنا أو قبحا فإنه مما يبنى على فَعُلَ يَفْعُل، ويكون المصدر فَعَالا وفَعَالة وفُعْلا، وذلك قولك: قبح قباحة... وأما الفُعْل من هذه المصادر فنحو: الحسن والقبح، والفَعَالة أكثر... وقالوا: نَظُفَ نَظَافة... وما كان من الصِّغَر والْكِبَر فهو نحو من هذا، قالوا: عَظُم عَظَامة... ونَبُل نَبَالة... وصَغُر صَغَارة... وقالوا: كَثُر كَثَارة»[1].

وقال ابن يعيش: «وأما ما كان مما لا يتعدى مختصا ببناء لا يشركه فيه المتعدي، فهو (فَعُل)، وذلك لما يكون خصلة في الشيء غير عمل ولا علاج، ولمصدره أبنية ثلاثة يكثر فيها، وهي: فَعَال، وفَعَالة، وفُعْل... وفَعَالة أكثر... وربما جاء على (فَعْلَة)، قالوا: كَثُر كثرة، وكَثَارة

(١) الكتاب، لسيبويه ٤/ ٢٨-٣٠.

على القياس»[1].

وقال الرضي: «وفَعُل –وهو لازم لا غير– فَعَالة في الأغلب، نحو: كَرُم كَرَامة»[2].

وما كان خلاف ذلك فهو سماعي يحفظ ولا يقاس عليه[3].

المحور الثاني: أنها تستعمل مصدرا لـ(فَعَل يَفْعَل) الذي أحد حروفه حرف حلق. قال ابن يعيش: «فأما (فَعَل يَفْعَل) مما فيه أحد حروف الحلق، فعلى ثلاثة أبنية منها (فَعَالة)، نحو: نَصَح نَصَاحة»[4].

المحور الثالث: أن يكون أصل المصدر (فعالة) بكسر الفاء، فتفتح الفاء في بعض الكلمات جوازا. قال الرضي: «الغالب في الحرف وشبهها من أي باب كانت الْفِعَالة بالكسر، كالصِّياغة، والْحِياكة، والْخِياطة، والتِّجارة، والْإِمارة، وفتحوا الأول جوازا في بعض ذلك، كالْوَكالة، والدَّلالة، والْوَلاية»[5].

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش ٦/ ٤٦.

(٢) شرح شافية ابن الحاجب، للرضي١/ ١٥٦.

(٣) انظر: شرح المفصل لابن يعيش٦/ ٤٥، وشرح شافية ابن الحاجب، للرضي ١/ ١٦٣، وشذا العرف في فن الصرف٥٨.

(٤) انظر: شرح المفصل لابن يعيش ٦/ ٤٥.

(٥) شرح شافية ابن الحاجب، للرضي ١/ ١٥٣.

هذه هي المحاور الرئيسة التي نص الصرفيون عليها في استعمال صيغة (فعالة)، ومنها ننطلق إلى الدراسة التطبيقية في المبحث الثاني، لنقف على الاستعمال الصرفي والدلالي للكلمات الستة عشرة التي وردت على صيغة فعالة، وذلك عن طريق ما ذكره اللغويون والمفسرون في ذلك.

المبحث الثاني: الدراسة الصرفية الدلالية.

بلغ عدد الكلمات الواردة على صيغة (فَعَالة) -كما سبق أن ذكرته- تسع عشرة كلمة، وهي:

١. أثارة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: «الهمزة والثاء والراء ثلاثة أصول: تقديم الشيء وذكر الشيء ورسم الشيء الباقي... والأثارة البقية من الشيء، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ أَثَـٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾[(١)]»[(٢)].

و(أثارة) مصدر للفعل (أثر)[(٣)]، من باب نَصَر، وتأتي بمعنى علامة، أو ما يؤثر من العلم، أو بقية، من ذلك قولهم: أغضبني فلان على أثارة غضب، أي على أثر غضب كان قبل، ومنه سمنت الإبل على أثارة، أي على بقية شحم قديم[(٤)].

---

(١) الأحقاف: ٤.

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس ٤٣.

(٣) انظر: معاني القرآن للفراء٣/ ٥٠، ومجاز القرآن، لأبي عبيدة ٢/ ١٢، وإعراب القرآن، للنحاس٨٣٨، ولسان العرب، لابن منظور١/ ٦٩.

(٤) انظر: جمهرة اللغة، لابن دريد٢/ ١٠٣٥، وتهذيب اللغة، للأزهري ١/ ١٨، والصحاح، للجوهري٢/ ٥٠١، والمحكم، لابن سيده م٢/ ١١/ ١٥٧، وأساس البلاغة، للزمخشري ١١، ولسان العرب، لابن منظور ١/ ٦٩.

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت هذه الكلمة مرة واحدة في القرآن الكريم عند قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[1].

قال الفراء عن هذه الكلمة في الآية بعد أن أورد القراءات فيها: «والمعنى فيهن... بقية من علم أو شيء مأثور من كتب الأولين»[2].

وكذلك شرحها أبو عبيدة[3]، والراغب الأصفهاني[4]، وأبو المظفر السمعاني[5]، والزمخشري[6]، وابن عطية[7].

وقد زاد ابن كثير على ذلك في الشرح والتوضيح، حيث قال: «﴿أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ﴾[8]، أي: دليل بين على هذا المسلك الذي سلكتموه ﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾[9]، أي: لا دليل لكم نقليا ولا عقليا على ذلك... وقيل:

---

(١) الأحقاف: ٤.

(٢) معاني القرآن، للفراء ٣/ ٥٠.

(٣) انظر: مجاز القرآن ٢/ ٢١٢.

(٤) انظر: مفردات ألفاظ القرآن الكريم٦٢.

(٥) انظر: تفسير القرآن، للسمعاني٣/ ١٤٩.

(٦) انظر: الكشاف، للزمخشري ٥/ ٤٩١.

(٧) انظر: المحرر الوجيز ١٧٠٦.

(٨) الأحقاف: ٤.

(٩) الأحقاف: ٤.

إنها بمعنى بينة من الأمر، وقيل: إنها بمعنى خاصة من علم، وقيل: إنها بمعنى الخط، وقيل: شيء يستخرجه فيثيره، وكل هذه الأقوال متقاربة»[1].

٢. **أمانة.**

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: «الهمزة والميم والنون أصلان متقاربان، أحدهما الأمانة التي ضد الخيانة... والآخر التصديق»[2].

و(أمانة) مصدر (أَمُنَ) بالضم[3]، بمعنى صار أمينا، ومصدر (أَمِن) بمعنى وثق[4]، ثم سمي بها ما يؤمن عليه، فكل ما يؤتمن عليه كأموال وأسرار فهو أمانة[5]. وجاء في اللسان: «والأمانة تقع على الطاعة والعبادة والوديعة والثقة والأمان، وقد جاء في كل منها حديث»[6].

وعلى هذا فـ(أمانة) مصدر قياسي إذا كانت من الفعل (أَمُنَ).

---

(١) تفسير ابن كثير ٧/ ٢٧٤.

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس ٧١.

(٣) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري ١/ ٢٠٩، وشرح شافية ابن الحاجب، للرضي ١/ ١٥٦.

(٤) انظر: الأفعال، لابن القطاع ١/ ٣٢، ولسان العرب، لابن منظور ١/ ٢٢٥.

(٥) انظر: الكليات ١٧٦.

(٦) لسان العرب، لابن منظور ١/ ٢٢٤.

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت كلمة (أمانة) في أكثر من موضع في القرآن الكريم، بصيغة الإفراد وبصيغة الجمع.

قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾[(١)].

ونسب[(٢)] لابن عباس أن المراد بها الطاعة والفرائض، وإلى كون المراد بها الطاعة ذهب الزمخشري[(٣)].

وجاء في مفردات ألفاظ القرآن الكريم للراغب الأصفهاني[(٤)] أن المراد بها كلمة التوحيد، أو العدالة، أو العقل، ورجح الأخير.

كما جاء في المحرر الوجيز: «وقيل المراد بها أمانات المال كالودائع ونحوها أو أنها كل الفرائض وأشدها أمانة المال، أو أنها كل شيء يؤتمن الإنسان عليه من أمر أو نهي أو شأن دين ودنيا، فالشرع كله أمانة»[(٥)].

وقد جاءت هذه المعاني -أيضا- في قوله تعالي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ

---

(١) الأحزاب: ٧٢.

(٢) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٤/ ٢٣٨، وتفسير القرآن، للسمعاني ٢/ ٣١١، وتنوير المقباس من تفسير ابن عباس ٣٥٤.

(٣) انظر: الكشاف، للزمخشري٥/ ١٠٢.

(٤) انظر: ٩٠.

(٥) المحرر الوجيز ١٥٢٦.

لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1]، كما أطلقت الأمانة على الشيء الْمُؤَمَّن عليه، من إطلاق المصدر على المفعول[2]، وذلك في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَمِنَ بَعْضُكُم بَعْضًا فَلْيُؤَدِّ ٱلَّذِى ٱؤْتُمِنَ أَمَٰنَتَهُۥ﴾[3].

وقد بين الطاهر بن عاشور السر في التعبير بلفظ الأمانة في هذه السياق، حيث قال: «وقد أطلق اسم الأمانة على الدين في الذمة وعلى الرهن لتعظيم ذلك الحق؛ لأن اسم الأمانات له مهابة في النفوس، فذلك تحذير من عدم الوفاء به؛ لأنه لما سمي أمانة فعدم أدائه ينعكس خيانة؛ لأنها ضدها»[4].

وقد وردت الأمانة بصيغة الجمع في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّواْ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾[5]، وسر التعبير بالجمع ليعم المعنى كل ما يمكن أن يؤتمن عليه الإنسان[6]، كما وردت بصيغة الجمع في قوله

(١) الأنفال: ٢٧.

(٢) انظر: التحرير والتنوير ٣/ ١٢٢.

(٣) البقرة: ٢٨٢.

(٤) التحرير والتنوير ٣/ ١٢٢.

(٥) النساء: ٥٨.

(٦) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي ٨/ ٤٥٧.

تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمۡ لِأَمَٰنَٰتِهِمۡ وَعَهۡدِهِمۡ رَٰعُونَ﴾[١]، وقد ذكر الماوردي[٢] أن المقصود بالأمانة هنا يمكن أن يكون أحد ثلاثة: الأول: ما ائتمنه الناس عليه، والثاني: الزكاة، والثالث: ما نهي عنه من محظورات.

٣. براءة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: «فأما الباء والراء والهمزة فأصلان إليهما ترجع فروع الباب، أحدهما: الخلق، يقال: بَرَأَ الله الخلق يَبْرَؤُهُم بَرْءًا... والأصل الآخر: التباعد من الشيء ومزايلته... من ذلك البراءة من العيب والمكروه»[٣].

وهي مصدر من الفعل (بَرِئَ) جاء في العين: «والبراءة من العيب والمكروه، ولا يقال إلا بَرِئَ يَبْرَأُ»[٤]. وقال أبو سهل الهروي: «و(برئت) من الرجل بالكسر والهمز (أبرأ براءة) بالمد على (فعالة) بالفتح، أي: تخلصت، فلا أكون منه في شيء»[٥].

وجاء في التهذيب: «برئ: إذا تخلص، وبرئ: إذا تنزه وتباعد، وبرئ:

(١) المؤمنون: ٨.

(٢) انظر: تفسير الماوردي ٦/ ٩٥.

(٣) مقاييس اللغة، لابن فارس ١١١-١١٢.

(٤) العين، للخليل ٦٢.

(٥) إسفار الفصيح، لأبي سهل الهروي ١/ ٣٥٦.

إذا أعذر وأنذر، ومنه قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1]، أي: إعذار وإنذار»[2].

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت كلمة (براءة) في القرآن الكريم مرتين، أولاهما: في قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3]، وتعني قطع الموالاة والعصمة والأمان[4]. قال ابن عطية: «معناها تخلص وتبرؤ من العهود التي بينكم وبين الكفار البادئين بالنقض»[5].

وثانيتهما: في قوله تعالى: ﴿أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ﴾[6]، وتعني النجاة من العذاب[7]، قال ابن عاشور: «والبراءة:

(١) التوبة: ١.

(٢) تهذيب اللغة، للأزهري ١/ ٣٢٤. وانظر أيضا: الصحاح، للجوهري ١/ ١٩، والأفعال، لابن القطاع١/ ٩٩، والمحكم، لابن سيده ج٢/ ١١/ ٢٥٣، والقاموس، للفيروزآبادي ٤٢.

(٣) التوبة: ١.

(٤) انظر: تفسير القرآن، للسمعاني ١/ ٢٨٥، ومفردات ألفاظ القرآن، للراغب الأصفهاني ١٢١، وزاد المسير في علم التفسير ٢/ ٢٢٣، وتفسير السمرقندي ٢/ ٣٧، والتفسير الوسيط، للواحدي ٢/ ٤٧٦.

(٥) المحرر الوجيز، لابن عطية ٨٢٣.

(٦) القمر: ٤٣.

(٧) انظر: تفسير السمرقندي ٣/ ٣٧٥، والتفسير الوسيط، للواحدي ٤/ ٢١٣.

الخلاص والسلامة مما يضر أو يشق أو يكلف كلفة. والمراد هنا: الخلاص من المؤاخذة والمعاقبة»[1].

٤. جهالة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: «الجيم والهاء واللام أصلان، أحدهما: خلاف العلم، والآخر: الخفة وخلاف الطمأنينة»[2].

و(جهالة) مصدر (جَهِل) (يَجْهَل). قال الجوهري: «الجهل خلاف العلم، وقد جَهِل فلان جَهْلًا أو جَهَالة»[3].

وجاء في العين: «الْجَهْل نقيض العلم، تقول: جَهِل فلان حقه، وجَهِل علي، وجَهِل بهذا الأمر. والْجَهَالة أن تفعل فعلا بغير علم»[4].

وجاء في أساس البلاغة: «وهو يجهل على قومه: يتسافه عليهم، قال:

ألا لا يَجْهَلَنْ أحدٌ علينا فنجهلَ فوقَ جهلِ الجاهلينا»[5]

(١) التحرير والتنوير، لابن عاشور ٢٧/ ٢١٠. وانظر أيضا: تفسير الطبري ٢٢/ ٦٠١.

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس ٢١١.

(٣) الصحاح، للجوهري ٤/ ١٣٦٣، وانظر أيضا: لسان العرب لابن منظور ٢/ ٤٠٢.

(٤) العين، للخليل ١٦٢. وانظر أيضا: تهذيب اللغة، للأزهري ١/ ٦٨٠.

(٥) أساس البلاغة، للزمخشري ١٠٧.

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت كلمة (جهالة) في القرآن الكريم في أربعة مواضع، منها ثلاثة مواضع ذهب المفسرون فيها إلى أن (جهالة) فيها لا يراد بها نقيض العلم، وهو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا۟ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا۟ إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾[3].

قال ابن عطية: «(بجهالة) معناه: بسفاهة وقلة تحصيل أدى إلى المعصية، وليس المعنى أن تكون الجهالة أن ذلك الفعل معصية؛ لأن المتعمد للذنوب كان يخرج من التوبة، وهذا فاسد إجماعا»[4].

وقال ابن عاشور: «وليس المراد بالجهالة ما يطلق عليه اسم الجهل، وهو انتفاء العلم بما فعله؛ لأن ذلك لا يسمى جهالة، وإنما هو من معاني لفظ الجهل، ولو عمل أحد معصية وهو غير عالم بأنها معصية لم يكن

(١) النساء: ١٧.

(٢) الأنعام: ٥٤.

(٣) النحل: ١١٩.

(٤) المحرر الوجيز، لابن عطية ٤١٣.

آثما»[1].

والسر في تسمية العاصي جاهلا وإن كان عن علم «أنه اختار اللذة الفانية على اللذة الباقية»[2]، و«لأن ارتكاب القبح مما يدعو إليه السفه والشهوة، لا مما تدعو إليه الحكمة والعقل»[3].

وأما الموضع الرابع فقد وردت فيه بمعنى ضد العلم، وهو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ﴾[4].

قال الزمخشري: «يعني جاهلين بحقيقة الأمر وكنه القصة»[5].

وقد فسرها القرطبي بالخطأ[6].

وأما ابن عاشور فقد بين أنها تحتمل أن تكون بمعنى ضد العلم أو ضد الحلم، حيث قال: «والجهالة: تطلق بمعنى ضد العلم، وتطبق بمعنى ضد الحلم مثل قولهم: جَهِلَ كجَهْلِ السيف، فإن كان الأول فالباء للملابسة، وهو ظرف مستقر في موضع الحال، أي: متلبسين أنتم

(١) التحرير والتنوير ٤/ ٢٧٨، وانظر أيضا: تفسير الألوسي ٢/ ٤٤٧.

(٢) تفسير القرآن، للسمعاني ١/ ٤٠٨.

(٣) الكشاف، للزمخشري ٢/ ٤٢.

(٤) الحُجُرات: ٦.

(٥) الكشاف، للزمخشري ٥/ ٥٦٧.

(٦) انظر: تفسير القرطبي ١٦/ ٣١٢.

بعدم العلم بالواقع لتصديقكم الكاذب»[١].

٥. خصاصة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: «الخاء والصاد أصل مطرد منقاس، وهو يدل على الْفُرْجة والثُّلْمة. فالخصاص: الْفُرَج بين الأثافي. ويقال للقمر: بدا من خصاصة السحاب... والخصاصة: الإملاق، والثُّلْمة في الحال»[٢].

وما ذكره أصحاب المعاجم عن هذه الكلمة أنها اسم بمعنى الحاجة[٣]. قال الأزهري: «والْخَصَاصة: الْخَلَّة والحاجة، وذو الخصاصة: ذو الْخَلَّة والفقر. قال الله عز وجل: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[٤]، وأصل ذلك من الْخَصَاص وكل خَلَل أو خَرْق يكون في مُنْخُل أو باب أو سحاب أو بُرْقُع فهو خَصَاص، والواحدة: خَصَاصة، ويجمع: خَصَاصات»[٥].

ثانيا: في كتب التفسير.

---

(١) التحرير والتنوير ٢٦/ ٢٣٢.

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس ٢٨٥.

(٣) انظر: العين، للخليل ٢٤٧، الصحاح، للجوهري ٣/ ٨٧١، ولسان العرب، لابن منظور ٤/ ١١١.

(٤) الحشر: ٩.

(٥) تهذيب اللغة، للأزهري ١/ ١٠٣٨.

وردت كلمة (خصاصة) مرة واحدة في القرآن الكريم، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾[1]، وقد فسرها المفسرون بالفقر والحاجة[2]، قال ابن عطية: «والخصاصة: الفاقة والحاجة، وهو مأخوذ من خصاص البيت، وهو ما يبقى بين عيدانه من الفروج والفتوح، فكأن حال الفقير هي كذلك يتخللها النقص والاحتياج»[3].

وقد عبر عنها ابن عاشور بأنها شدة الاحتياج[4].

٦. رآفة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: "الراء والهمزة والفاء كلمة واحدة تدل على رقة ورحمة، وهي الرأفة"[5].

و(رآفة) مصدر (رَأَف به يَرْأَف)، و(رَئِف)، و(رَؤُف). قال ابن

---

(١) الحشر: ٩.

(٢) انظر: تفسير الطبري ٢٣/ ٢٨٤، وتفسير القرآن، للسمعاني ٣/ ٤٠١، وتفسير الرازي ٢٩/ ٥٠٨، وتفسير القرطبي ١٨/ ٢٩.

(٣) المحرر الوجيز، لابن عطية ١٨٤٢.

(٤) انظر: التحرير والتنوير ٢٨/ ٩٤.

(٥) مقاييس اللغة، لابن فارس ٤١٥.

فارس: "يقال: رَؤُف يَرْؤُف رَأْفَة ورَآفة، على فَعْلَة وفَعَالة"[1].

وقال ابن منظور: "رَأَف به يَرْأَف ورَئِفَ ورَؤُفَ رَأْفَة ورَآفة"[2].

وعلى هذا فـ(رآفة) مصدر قياسي، إذا كانت من الفعل (رؤف).

ثانيا: في كتب التفسير:

وردت كلمة (رآفة) بدل (رأفة) في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ﴾[3]، في قراءة غير سبعية تنسب لابن كثير، وعاصم، وابن جريج[4].

وذهب المفسرون كمذهب اللغويين في أنها مصدر ومعناها الرحمة والشفقة[5]، لكن منهم من ذهب أن (رأفة) أكثر من (رآفة)[6]، ومنهم من ذهب إلى العكس[7]، وهو الأقرب؛ لأن (فعالة) تكون صيغة قياسية

---

(١) السابق، وانظر أيضا: الصحاح، للجوهري ٣/ ١١٢٤، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي ١٠٤٨.

(٢) لسان العرب، لابن منظور ٥/ ٨٢.

(٣) النور:٢.

(٤) انظر: القراءات وعلل النحويين فيها، للأزهري ٢/ ٤٤٥، والمحرر الوجيز، لابن عطية ١٣٤٣، والدر المصون، للسمين الحلبي ٨/ ٣٨١.

(٥) انظر: معاني القرآن، للفراء ٢/ ٢٤٥، والقراءات وعلل النحويين فيها، للأزهري ٢/ ٤٤٦، والمحرر الوجيز، لابن عطية ١٣٤٤، والكشاف، للزمخشري ٤/ ٢٦١، والدر المصون، للسمين الحلبي ٨/ ٣٨١.

(٦) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية ١٣٤٤، والدر المصون، للسمين الحلبي ٨/ ٣٨١.

(٧) انظر: إعراب القرآن، للنحاس ٥٨٣.

لمصدر الفعل الثلاثي إذا كان على وزن (فعل)، ودالا على خصلة، كما سبق في المبحث الأول، وهو ما يتوافر في (رآفة).

٧. رضاعة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: "الراء والضاد والعين أصل واحد، وهو شرب اللبن من الضرع أو الثدي"(١).

و(رضاعة) مصدر للفعل رَضِعَ يَرْضَعُ، ورَضَعَ يَرْضِعُ، ورَضُعَ يَرْضُعُ(٢). جاء في العين: "رَضِعَ الصبي رِضَاعًا، ورَضَاعة، أي: مص الثدي وشرب... ورَضُعَ الرجل يَرْضُعُ رَضَاعة، فهو رضيع راضع: لئيم، وقوم راضعون ورَضَعَة يقال: لأنه يرضع لبن ناقته من لؤمه"(٣).

وجاء في الصحاح: "رَضِعَ الصبي أمه يَرْضَعُها... وأهل نجد يقولون: رَضَعَ يَرْضِعُ، مثال ضَرَب يَضْرِبُ"(٤).

وقد جاءت (الرضاعة) بفتح الراء وكسرها(٥)، وبالوجهين قرأها قراء

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس ٣٨٦.

(٢) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري ٢/ ١٤١٨، ومقاييس اللغة، لابن فارس ٣٨٦، وكتاب الأفعال، لابن القطاع ٢/ ٤٧، ولسان العرب، لابن منظور ٥/ ٢٣١، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي ٩٣٢.

(٣) العين، للخليل ٣٥٢.

(٤) انظر: الصحاح، للجوهري ٣/ ١٠١٤.

(٥) انظر: معاني القرآن، للأخفش ١/ ١٨٨، وتهذيب اللغة، للأزهري ٢/ ١٤١٩، =

القرآن الكريم[1]، ومجيء (فعالة) بفتح الفاء وكسرها فصيح مشهور في اللغة، وذلك كما في: جنازة، ووزارة، ودلالة، ووصاية، ووقاية، وولاية، ورطانة، وبداوة، وحضارة، وحفاوة[2].

وعلى هذا فـ(رضاعة) مصدر قياسي إذا كانت من الفعل (رَضُعَ).

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت كلمة (رضاعة) في القرآن الكريم مرتين، وذلك في قوله تعالى: ﴿۞وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾[3]، وفي قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَٰتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَٰتُكُمْ وَعَمَّٰتُكُمْ وَخَٰلَٰتُكُمْ وَبَنَاتُ ٱلْأَخِ وَبَنَاتُ ٱلْأُخْتِ وَأُمَّهَٰتُكُمُ ٱلَّٰتِيٓ أَرْضَعْنَكُمْ وَأَخَوَٰتُكُم مِّنَ ٱلرَّضَٰعَةِ﴾[4]. ولم يختلف ما ذكره المفسرون عما ذكره اللغويون عن كلمة (رضاعة) وجواز فتح فائها وكسرها[5]،

=

ومفردات ألفاظ القرآن، للراغب ٣٥٥، ولسان العرب، لابن منظور ٥/ ٢٣١، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي ٩٣٢.

(١) انظر: معاني القرآن، للفراء ١/ ١٤٩، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج ١/ ٣١٢، والكشاف، للزمخشري ١/ ٤٥٥، والمحرر الوجيز، لابن عطية ٢٠٦.

(٢) انظر: المخصص، لابن سيده ٤/ ٤١٣.

(٣) البقرة:٢٣٣.

(٤) النساء:٢٣.

(٥) انظر: معاني القرآن، للفراء ١/ ١٤٩، ومعاني القرآن وإعرابه، للزجاج ١/ ٣١٢، والكشاف، للزمخشري ١/ ٤٥٥، والمحرر الوجيز، لابن عطية ٢٠٦.

غير أن كلمة (رضاعة) في السياق القرآني تخصصت، ولم تعد تعني فقط مص الصبي ثدي أمه. قال الألوسي في تفسيرها: "مص الرضيع من ثدي الآدمية في وقت مخصوص، وأرادوا بذلك وصول اللبن من ثدي المرأة إلى جوف الصغير من فمه أو أنفه في المدة الآتية سواء وجد مص أم لم يوجد، وإنما ذكروا المص؛ لأنه سبب للوصول، فأطلقوا السبب وأرادوا المسبب"(١).

٨. **سفاهة.**

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: "السين والفاء والهاء أصل واحد يدل على خفة وسخافة"(٢).

و(سَفَاهة) مصدر للفعل (سَفِهَ) و(سَفُهَ)(٣). جاء في العين: "السَّفَه، والسَّفَاه، والسَّفَاهَة: نقيض الحلم. وسَفِهَت أحلامهم. وسَفُهَ الرجل: صار سفيها"(٤).

وعلى هذا فـ(سفاهة) مصدر قياسي للفعل (سفه) بضم العين.

---

(١) تفسير الألوسي ٢/ ٤٦١.

(٢) مقاييس اللغة، لابن فارس ٤٦١.

(٣) انظر: الصحاح، للجوهري ٥/ ١٧٨٨،وكتاب الأفعال، لابن القطاع ٢/ ١٤٩، ولسان العرب، لابن منظور ٦/ ٢٨٧.

(٤) العين، للخليل ٤٣٢.

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت كلمة (سفاهة) في القرآن الكريم مرتين، وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي سَفَاهَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦٧﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦٓ إِنَّا لَنَرَىٰكَ فِي سَفَاهَةٖ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ ٦٦﴾[2].

ذهب المفسرون إلى أن (سفاهة) هنا بمعنى الحمق والجهالة، وبمعنى الضلالة عن الحق والصواب[3]، وهي تؤول للمعنى الأول؛ لأنهم يقصدون أن الضلالة عن الحق ضرب من ضروب السفاهة.

٩. شفاعة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: "الشين والفاء والعين أصل صحيح يدل على مقارنة الشيئين"[4].

---

(١) الأعراف:٦٧.

(٢) الأعراف:٦٦.

(٣) انظر: تفسير الطبري ١٢/ ٥٠٣، وتفسير ابن كثير ٣/ ٤٣٤، وتفسير القرآن، للسمعاني ١/ ١٩٢، والمحرر الوجيز ٧١٦، وتفسير البيضاوي ٣/ ١٩، وتفسير النسفي ١/ ٥٧٨.

(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس ٥١٠.

و(شفاعة) مصدر للفعل (شَفَعَ يَشْفَعُ)[1]. جاء في اللسان: "شَفَعَ لي يَشْفَعُ شَفَاعة وتَشَفَّعَ: طلب... وشفع إليه: في معنى طلب إليه"[2].

وتأتي بمعنى الزيادة والوساطة والدعاء. قال الأزهري: "قال الله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾[3]... أي: يزداد عملا إلى عمل. قال: والشفع: الزيادة... وروى أبو عمر عن المبرد وثعلب أنهما قالا في قوله تبارك وتعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾[4]، قالوا: الشفاعة: الدعاء ههنا. والشفاعة: كلام الشفيع للملك في حاجة يسألها لغيره"[5].

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت كلمة (شفاعة) في القرآن الكريم ثلاث عشرة مرة، منها الآيتان آنفتا الذكر، ومنها قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[6]. ولم تختلف أقوال المفسرين كثيرا عما ذكره أصحاب المعاجم في تفسير

---

(١) انظر: دقائق التصريف ٦٢.

(٢) لسان العرب، لابن منظور ٧/ ١٥١.

(٣) النساء:٨٥.

(٤) البقرة:٢٥٥.

(٥) تهذيب اللغة، للأزهري ٢/ ١٨٩٧.

(٦) البقرة:٤٨.

الشفاعة.

قال الزجاج عن الشفاعة في آية الكرسي: "أي: لا يشفع عنده إلا بما أمر به من دعاء بعض المسلمين لبعض ومن تعظيم أمر المسلمين أمر الأنبياء والدعاء لهم"(1).

وقال الطبري عن قوله تعالى: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً﴾(2): "من يصر يا محمد، شفعا لوتر أصحابك، فيشفعهم في جهاد عدوهم وقتالهم في سبيل الله، وهو الشفاعة الحسنة... ومن يشفع وتر أهل الكفر بالله على المؤمنين به، فيقاتلهم معهم، وذلك هو الشفاعة السيئة يكن له كفل منها"(3).

وذكر ابن عطية أن المفسرين مختلفون في معنى الشفاعة في الآية، ثم أورد رأي الطبري السابق، ثم قال بعد إيراده: "وقال الحسن وغيره: الشفاعة الحسنة هي في البر والطاعة، والسيئة هي في المعاصي. وهذا كله قريب بعضه من بعض"(4).

وقد عرف الراغب الأصفهاني الشفاعة بأنها: "الانضمام إلى آخر

---

(1) معاني القرآن وإعرابه، للزجاج 1/ 337.

(2) النساء:85.

(3) تفسير الطبري 8/ 580.

(4) المحرر الوجيز، لابن عطية 461.

ناصرا له وسائلا عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى حرمة ومرتبة إلى من هو أدنى. ومنه الشفاعة يوم القيامة"(١).

وأما ابن عاشور فقد قال: "الشفاعة: السعي والوساطة في حصول نفع أو دفع ضر سواء كانت الوساطة بطلب من المنتفع بها أم كانت بمجرد سعي المتوسط"(٢).

١٠. شقاوة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: "الشين والقاف والحرف المعتل أصل يدل عل المعاناة، وخلاف السهولة والسعادة"(٣).

و(شقاوة) كما في المعاجم ضد السعادة، والشدة، والعسر، وهي مصدر من الفعل (شَقِيَ يَشْقَى)(٤)، ويجوز فيها كسر السين(٥).

ثانيا: في كتب التفسير:

وردت كلمة (شقاوة) بدل (شِقْوَة) في قوله تعالى: ﴿قَالُواْ رَبَّنَا غَلَبَتْ

(١) مفردات ألفاظ القرآن، للراغب ٤٥٧-٤٥٨.

(٢) التحرير والتنوير ١/ ٤٨٦.

(٣) مقاييس اللغة، لابن فارس ٥١٠.

(٤) انظر: تهذيب اللغة، للأزهري ٢/ ١٩٠٨، والصحاح، للجوهري ٥/ ١٩٠٩، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي ١٦٧٧.

(٥) انظر: الصحاح، للجوهري ٥/ ١٩٠٩، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي ١٦٧٧.

عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا﴾[1]، في قراءة حمزة والكسائي[2].

وذهب المفسرون إلى أنهما لغتان[3].

١١. شهادة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: "الشين والهاء والدال أصل يدل على حضور وعلم وإعلام، لا يخرج شيء من فروعه عن الذي ذكرناه. من ذلك الشهادة يجمع الأصول التي ذكرناها من الحضور والعلم والإعلام، يقال: شَهِدَ يَشْهَدُ شهادة"[4].

ومعنى (شهادة) كما في المعاجم -أيضا- الخبر القاطع[5]، وهي مصدر للفعل (شَهِدَ) و(شَهُد). جاء في القاموس: "الشهادة خبر قاطع، وقد شَهِدَ كعَلِمَ وكَرُمَ"[6].

---

(١) المؤمنون:١٠٦.

(٢) انظر: السبعة ٤٤٨، والقراءات وعلل النحويين فيها، للأزهري ٢/ ٤٤١.

(٣) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٤/ ٢٣، وتفسير القرآن، للسمعاني ٢/ ٤٩٢، والمحرر الوجيز، لابن عطية ١٣٤٠.

(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس ٥١٧.

(٥) انظر: لسان العرب، لابن منظور ٧/ ٢٢٣، والقاموس المحيط، للفيروزآبادي ٣٧٣، وتاج العروس، للزبيدي ٨/ ٢٥٢.

(٦) القاموس المحيط، للفيروزآبادي ٣٧٣.

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت كلمة (شهادة) في القرآن الكريم، فوردت فيمن يشهد بالحق على الخلق[1]، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾[2]، وقوله تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا۟ ذَوَىْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا۟ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِ ۚ﴾[3]، ووردت بمعنى الحضور ضد الغَيْبة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۚ﴾[4]. قال الطبري عن ذلك: "والله عالم ما غاب عنكم وعن أبصاركم فلم تروه، وما شاهدتموه فعاينتم بأبصاركم، لا يخفى عليه شيء"[5]، وقال ابن عطية: "و(الغيب والشهادة) معناه: ما غاب عنا وما حضر، وهذا يعم جميع الموجودات"[6].

١٢. ضلالة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: "الضاد واللام أصل صحيح يدل على معنى

(١) انظر: المحرر الوجيز ٢٦٥، وتفسير الرازي ٣٠/ ٦٤٦.

(٢) البقرة:٢٨٢.

(٣) الطلاق:٢.

(٤) الأنعام:٧٣.

(٥) تفسير ابن كثير ١٦/ ٣٦٦.

(٦) المحرر الوجيز، لابن عطية ٦٣٥.

واحد، وهو ضياع الشيء وذهابه في غير حقه"[1].

و(ضلالة) مصدر للفعل (ضَلَّ يَضِلُّ)، و(ضَلَّ يَضَلُّ)، وتأتي بمعنى الضياع، وضد الرشاد والهدى، والعدول عن الحق. جاء في العين: "ضَلَّ يَضِلُّ إذا ضاع، يقال: ضَلَّ يَضِلُّ ويَضَلُّ... وتقول: ضللت مكاني إذا لم تهتد له: وضل إذا جار عن القصد"[2].

وجاء في الصحاح: "ضل الشيء يَضِلُّ ضلالا، أي: ضاع وهلك... والضَّلال والضَّلالة ضد الرشاد"[3].

وجاء في كتاب الأفعال: "ضل يضل ضلالا وضلالة جار عن دين أو طريق"[4].

وجاء في القاموس: "الضلال والضلالة... ضد الهدى"[5].

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت كلمة (ضلالة) في مواضع متعددة من القرآن الكريم، وقد دلت على معنى الكفر وترك الإيمان[6]، كما في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس ٥٧٢.

(٢) العين٥٥١.

(٣) الصحاح، للجوهري ٤/ ١٤٢٧.

(٤) كتاب الأفعال ٢/ ٢٨٠.

(٥) القاموس المحيط، للفيروزآبادي ١٣٢٤.

(٦) انظر: تفسير ابن كثير ١/ ١٨٥، وتفسير القرآن، للسمعاني ١/ ٥١.

ٱشۡتَرَوُاْ ٱلضَّلَٰلَةَ بِٱلۡهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَٰرَتُهُمۡ وَمَا كَانُواْ مُهۡتَدِينَ﴾[1]، ونسب لابن عباس أنه قال في تفسير (الضلالة بالهدى):"الكفر بالإيمان"[2].

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ﴾[3].

وقد فسرت بمعنى العدول عن طريق الحق والصواب في سياق نفي نوح عليه السلام الاتهام الذي وجهه قومه له عند قوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]. قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: قال نوح لقومه مجيبا لهم: ياقوم لم آمركم بما أمرتكم به من إخلاص التوحيد لله وإفراده بالطاعة دون الأنداد والآلهة، زوالا مني عن محجة الحق، وضلالا لسبيل الصواب"[5].

ونسب لابن عباس[6] أنه فسر (ضلالة) في هذه الآية بـ(سفاهة)، وإليه ذهب أبوحيان[7].

(١) البقرة:١٦.

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٨٥.

(٣) الأعراف:٣٠.

(٤) الأعراف:٦١.

(٥) تفسير ابن كثير ١/ ١٨٥.

(٦) انظر: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ١٣٠.

(٧) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان ٥/ ٨٧.

١٣. عداوة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: "العين والدال والحرف المعتل أصل واحد صحيح يرجع إليه... وهو يدل على تجاوز في الشيء وتقدم لما ينبغي أن يقتصر عليه"[١].

و(عداوة) اسم من المعاداة يدل على الكره والتباعد، وضد الصداقة. جاء في تهذيب اللغة: "والعداوة اسم عام من العدو، يقال: عدو بين العداوة"[٢].

وجاء في القاموس: "والعدو ضد الصديق... وقد عاداه، والاسم العداوة"[٣].

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت كلمة (عداوة) في القرآن الكريم عدة مرات، ولم يختلف معناها عند المفسرين عما ورد عند اللغويين من معان لها، وقد وردت كلمة (عداوة) في القرآن الكريم في المواضع التالية[٤]:

- عداوة اليهود للمؤمنين، كما في قوله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس ٧١٩.

(٢) تهذيب اللغة، للأزهري ٣/ ٢٣٤٩.

(٣) القاموس المحيط، للفيروزآبادي ١٦٨٩.

(٤) انظر: بصائر ذوي التمييز، للفيروزآبادي ٤/ ٣٢.

عَدَٰوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ﴾[1].

• عداوة شاربي الخمر فيما بينهم بسبب وسوسة الشيطان، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ﴾[2].

• عداوة بين أصناف النصارى، كما في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَهُمۡ فَنَسُواْ حَظّٗا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ﴾[3].

• عداوة بين المؤمنين والكفار من قوم إبراهيم، كما في قوله تعالى: ﴿وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ﴾[4].

• عداوة تزول بكرم الكرماء، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ٣٤﴾[5].

١٤. علامة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: "العين واللام والميم أصل صحيح واحد، يدل

(١) المائدة:٨٢.

(٢) المائدة:٩١.

(٣) المائدة:١٤.

(٤) الممتحنة:٤.

(٥) فُصِّلَت:٣٤.

على أثر بالشيء يتميز به عن غيره. من ذلك العلامة، وهي معروفة، يقال: عَلَّمْتُ على الشيء علامة"(١).

و(علامة) اسم بمعنى السمة. قال ابن منظور: "والعلامة السمة، والجمع علام، وهو من الجمع الذي لا يفارق واحده إلا بإلقاء الهاء"(٢).

وقال الفيروزآبادي: "العلامة السمة"(٣).

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت كلمة (علامة) مرة واحدة في القرآن الكريم بصيغة الجمع، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾(٤).

وقد اختلف المفسرون(٥) في بيان معنى العلامة في الآية الكريمة، منهم من ذهب إلى أن المقصود بها النجوم، ومنهم من ذهب إلى أن المقصود بها الجبال، ومنهم من ذهب إلى أن المقصود بها الدلالات.

لكن سياق الآية يرجح أن المقصود بها هو ما نسب إلى ابن عباس

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس ٦٦٣.

(٢) لسان العرب، لابن منظور ٩/ ٣٧٢.

(٣) القاموس المحيط، للفيروزآبادي ١٤٧٢.

(٤) النحل:١٦.

(٥) انظر: تفسير الطبري ١٧/ ١٨٥، وتفسير القرآن، للسمعاني ٢/ ١٦٤، والمحرر الوجيز، لابن عطية ١٠٨٨.

من المقصود بها معالم الطرق وأماراتها التي يهتدى بها إلى المستقيم نهارا، هو ما رجحه ابن جرير الطبري معتمدا على السياق، إذ قال: "غير أن الذي هو أولى بتأويل الآية أن تكون العلامات من أدلة النهار، إذ كان الله قد فصل منها أدلة الليل بقوله: ﴿وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾، وإذا كان ذلك أشبه وأولى بتأويل الآية، فالواجب أن يكون القول في ذلك ما قاله ابن عباس، فتأويل الكلام إذن: وجعل لكم أيها الناس علامات تستدلون بها نهارا على طرقكم في أسفاركم، ونجوما تهتدون بها ليلا في سبلكم"[١].

وتابع ابنُ عطية[٢] ابنَ جرير الطبري في ترجيح رأي ابن عباس.

١٥. غيابة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: "الغين والياء والباء أصل صحيح يدل على تستر الشيء عن العيون، ثم يقاس. من ذلك الغيب: ما غاب مما لا يعلمه إلا الله... ووقعنا في غَيْبَة أو غَيَابة، أي: هبطة من الأرض يغاب فيها، قال الله تعالى قصة يوسف عليه السلام: ﴿وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾[٣]"[٤].

و(غيابة) اسم يدل على كل ما غيب عنك شيئا، أو قعر الشيء. جاء

(١) تفسير الطبري ١٧/ ١٨٦.

(٢) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية ١٠٨٨.

(٣) يوسف:١٠.

(٤) مقاييس اللغة، لابن فارس ٧٧٩.

في العين: "كل شيء غيب عنك شيئا فهو غيابة"[١]، وجاء في اللسان: "ووقعنا في غيبة من الأرض، أي: هبطة... وغيابة كل شيء: قعره منه كالْجُبِّ من الوادي وغيرهما"[٢].

ثانيا: في كتب المفسرين.

وردت كلمة (غيابة) مرتين في القرآن الكريم، وذلك في سياق الحديث عن قصة يوسف عليه السلام مع إخوته، الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَأَلْقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾[٣]، والثانية: في قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجْمَعُوٓاْ أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾[٤]، فمن المفسرين من فسرها مكتفيا بالشرح اللغوي لغيابة كالسمعاني حين قال: "كل موضع ستر عنك الشيء وغيبه"[٥]، وكابن عطية حين قال: "ما غاب عنك من الأماكن أو غيب عنك شيئا آخر"[٦].

ومن المفسرين من فسرها بقعر الجب، ومنهم من فسرها بظلماته[٧].

---

(١) العين، للخليل ٧٢٥.

(٢) لسان العرب، لابن منظور ١٠/ ١٥٢.

(٣) يوسف:١٠.

(٤) يوسف:١٥.

(٥) تفسير القرآن، للسمعاني ٢/ ١١.

(٦) المحرر الوجيز ٩٨٠.

(٧) انظر: زاد المسير في علم التفسير ٢/ ٤١٦، وتفسير النسفي ٢/ ٩٧.

وكلا المعنيين يعود إلى الأصل اللغوي للمادة.

١٦. كلالة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

الكلالة في الأصل مصدر ثم سمي به. جاء في المقاييس: "الكلالة هم الرجال الورثة... وهو مصدر من تكلله النسب أي: تعطف عليه، فسموا بالمصدر. والعلماء يقولون في الكلالة أقوالا: متقاربة، قالوا: الكلالة: بنو العم الأباعد... والعرب تقول: لم يرثه كلالة، أي: لم يرثه عن عَرْض، بل عن قرب واستحقاق"[(١)].

وقال ابن منظور بعد أن وضح أصلها: "ثم قد تقع (الكلالة) على العين دون الحدث، فتكون اسما للميت الموروث، وإن كانت في الأصل اسما للحدث"[(٢)].

وقال الفيروزآبادي: "والكلالة من لا ولد له ولا والد... أو من تكلل نسبه بنسبك، كابن العم وشبهه، أو هم الأخوة للأم، أو بنو العم الأباعد، أو ما خلا الوالد والولد"[(٣)].

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت كلمة (كلالة) مرتين في القرآن الكريم، الأولى: في قوله

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس ٨٧٠-٨٧١.

(٢) لسان العرب، لابن منظور ١٢/ ١١٤.

(٣) القاموس المحيط، لابن منظور ١٣٦١.

تعالى: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٌ﴾[1]، والثانية: في قوله تعالى: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ﴾[2].

ونُسب لابن عباس[3] أنه فسرها بأنها اسم لمن عدا الوالد.

ورجح الطبري[4] أن المقصود بها ورثة الميت دون الميت، ممن عدا والده وولده، وتابعه في هذا ابن عطية[5]، ونسبه ابن عاشور[6] للجمهور، مشيرا إلى سياق الآية يرجح ذلك؛ لأن ذكرها بعد ميراث الأولاد والأبوين مؤذن بأنها حالة مخالفة للحالين.

١٧. ندامة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: "النون والدال والميم كلمة تدل على تفكر لشيء قد كان"[7].

والندامة مصدر للفعل (نَدِمَ يَنْدَم). جاء في العين: "الندم والندامة

---

(١) النساء:١٢.

(٢) النساء:١٧٦.

(٣) انظر: مفردات القرآن، للراغب ٧١٩، والمحرر الوجيز، لابن عطية ٤٠٩.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٨/ ٦١.

(٥) انظر: المحرر الوجيز ٤٠٩.

(٦) انظر: التحرير والتنوير ٤/ ٢٦٤.

(٧) مقاييس اللغة، لابن فارس ٩٨٣.

واحد"[١]، وجاء في الصحاح: "نَدِمَ على ما فعل نَدَما ونَدَامة، وتَنَدَّمَ مثله"[٢]، وزاد ابن منظور في اللسان بالنص على أن معناها أسف[٣].

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت كلمة (الندامة) مرتين في القرآن الكريم، الأولى: في قوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[٤]، والثانية: في قوله تعالى: ﴿ووَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَۚ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾[٥]. ويقصد بها في الموضعين التحسر[٦]. قال الراغب: "الندم والندامة: التحسر من تغير رأي في أمر فات"[٧].

١٨. نشاءة.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: "النون والشين والهمزة أصل صحيح يدل على

---

(١) العين، للخليل ٩٥٠.

(٢) الصحاح، للجوهري ٥/ ١٦٥٠.

(٣) لسان العرب، لابن منظور

(٤) يونس:٥٤.

(٥) سبأ:٣٣.

(٦) انظر: تفسير السمرقندي ٣/ ٩٢، وتفسير القرطبي ٨/ ٣٥٢، وعمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ ٤/ ١٥٦.

(٧) ٧٩٦.

ارتفاع في شيء وسمو"[1].

و(نشاءة) مصدر للفعل (نَشَأَ يَنْشَأُ)[2]، و(نَشُؤ يَنْشُؤ)[3]، بمعنى: حَيِيَ، ورَبَا، وشَبَّ، وارتفع[4].

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت كلمة (نَشَاءة) بدل (نَشْأَة) في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأَخِرَةَۚ﴾[5]، في قراءة ابن كثير وأبي عمرو[6].

وذهب المفسرون إلى أنهما لغتان[7].

١٩. ولاية.

أولا: في كتب اللغة والمعاجم.

جاء في المقاييس: "الواو واللام والياء أصل يدل على قرب"[8].

---

(١) مقاييس اللغة، لابن فارس ٩٩٠.

(٢) انظر: العين، للخليل ٩٥٩، ولسان العرب، لابن منظور ١٤/ ١٣٤.

(٣) انظر: القاموس المحيط، للفيروزآبادي ٦٨.

(٤) انظر: المصادر السابقة في الحاشيتين السابقتين.

(٥) العنكبوت:٢٠.

(٦) السبعة ٤٩٨، والقراءات وعلل النحويين فيها، للأزهري ٢/ ٥١١.

(٧) انظر: معاني القرآن للفراء ٢/ ٣١٥، والمحرر الوجيز، لابن عطية ١٤٥٩، والقراءات وعلل النحويين فيها، للأزهري ٢/ ٥١١، والكشاف، للزمخشري ٤/ ٥٤٣.

(٨) مقاييس اللغة، لابن فارس ١٠٦٥.

و(وَلَاية) مصدر (وَلِيَ)، وتكسر فاؤها، فاختلف فيها مفتوحة ومكسورة، فهناك من يرى أن مكسورة الفاء بمعنى الإمارة والسلطان، ومفتوحتها بمعنى النصرة، وهناك من يرى أنه السلطان يعبر عنه بمكسورة الفاء، والنصرة يعبر عنها بالمفتوحة والمكسورة، وهناك من يرى أن مكسورة الفاء اسم، ومفتوحتها مصدر.

قال الفراء: "وكسر الواو في الولاية أعجب إلى من فتحتها؛ لأنها إنما تفتح أكثر من ذلك إذا كانت بمعنى النصرة... ويختارون في (وليته ولاية) الكسر، وقد سمعناهما بالفتح والكسر في معناهما جميعا"(١).

وجاء في التهذيب: "وقال الزجاج(٢)... فمن فتح جعلها من النصرة والنسب... والولاية التي بمنزلة الإمارة مكسورة"(٣).

وجاء في الصحاح: "والولاية بالكسر: السلطان، والوَلاية والوِلاية النصرة. وقال سيبويه(٤): الولاية بالفتح المصدر، والولاية بالكسر الاسم، مثل: الإمارة والنقابة؛ لأنه اسم لما توليته وقمت به، فإذا أرادوا

---

(١) معاني القرآن، للفراء ١/ ٤١٩.

(٢) لم أقف عليه في معاني القرآن وإعرابه للزجاج، وسيأتي في: (ثانيا: في كتب التفسير) نص للزجاج حول هذا المعنى.

(٣) تهذيب اللغة، للأزهري ٤/ ٣٩٥٥-٣٩٥٦.

(٤) لم أقف عليه في كتاب سيبويه.

المصدر فتحوا"[1].

وجاء في القاموس: "ولي الشيء، وعليه وِلاية ووَلاية، أو هي المصدر، وبالكسر: الخطة، والإمارة والسلطان"[2].

ثانيا: في كتب التفسير.

وردت كلمة (ولاية) في القرآن الكريم مرتين، الأولى: في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ﴾[3]، والثانية في قوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ هُوَ خَيۡرٞ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ عُقۡبٗا﴾[4].

وفي الأولى قولان: أحدهما النصرة، والثاني: في الميراث، وأما الثانية فالمراد بها الموالاة والنصرة[5].

---

(١) الصحاح، للجوهري ٥/ ٢٠٠٦.

(٢) القاموس المحيط، للفيروزآبادي ١٧٣٢.

(٣) الأنفال:٧٢.

(٤) الكهف:٤٤.

(٥) انظر: معاني القرآن للفراء ١/ ٤٠٩، والمحرر الوجيز، لابن عطية ٨٨٥، وزاد المسير في علم التفسير ٢/ ٢٢٧، وتفسير النيسابوري ٣/ ٤٤٢.

المبحث الثالث: أثر اختلاف القراءات القرآنية في صيغة (فعالة).

للقراءات القرآنية دور كبير في توسيع الدلالة القرآنية، وفي إظهار جوانب الإعجاز القرآني؛ ولذلك فلا بد من الحديث عن أثر اختلاف القراءات القرآنية في هذه الصيغة للوصول إلى الدلالات والمعاني الجديدة التي أضافتها القراءات؛ فاختلاف القراءة القرآنية قد يثري الدلالة بإضافة معنى جديد لم تفده القراءة الأخرى، وهذا ما أشار إليه ابن عاشور، حين قال: "على أنه لا مانع من أن يكون مجيء ألفاظ القرآن على ما يحتمل تلك الوجوه مرادا لله تعالى؛ ليقرأ القراء بوجوه؛ فتكثر من ذلك المعاني"[1].

وقد جعلت في هذا المبحث الحديث عن القراءات القرآنية في محورين:

المحور الأول: اختلاف القراءات في الإفراد والجمع.

من ذلك المواضع التالية:

الموضع الأول: (أمانة وأمانات).

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ﴾[2]، فقد

---

(١) التحرير والتنوير ١/ ٥٥.

(٢) المؤمنون:٨.

قرأ ابن كثير بالإفراد، وقرأ الباقون بالجمع[1].

ووجه قراءة الإفراد أن (أمانة) مصدر واسم جنس، فيقع على الكثرة، وإن كان مفردا في اللفظ، وأما قراءة الجمع، فـ(أمانات) فيها جمع (أمانة)، و(أمانة) مصدر، ويجوز جمع المصدر إذا اختلفت أنواعه، ومن جمع فلاختلاف الأمانات، وكثرة ضروبها؛ ولهذا يحسن الجمع[2].

وزاد مكي القيسي في تعليقه على قراءة الجمع قائلا: "(أمانة) مصدر، وحق المصدر ألا يجمع؛ لدلالته على القليل والكثير من جنسه، لكنه لما اختلفت أنواع الأمانة؛ لوقوعها على الصلاة والزكاة، والطهر، والحج، وغير ذلك من العبادات، جاز جمعها؛ لأنها لاختلاف أنواعها شابهت المفعول به، فجمعت كما يجمع المفعول"[3].

وبهذا يتضح أنه لا تعارض بين القراءتين، بل إن قراءة الإفراد التي تدل على الكثرة أسهمت في تأكيد قراءة الجمع، وتوسيع دلالة الأمانة؛ لتعم كل ما يمكن أن يؤتمن الإنسان عليه.

---

(١) انظر: السبعة، لابن مجاهد ٤٤٤، والقراءات وعلل النحويين فيها، للأزهري ٢/ ٤٣١، وحجة القراءات، لأبي زرعة ٧٢٤.

(٢) انظر: القراءات وعلل النحويين فيها، للأزهر ٢/ ٤٣١، وحجة القراءات، لأبي زرعة ٧٢٤.

(٣) مشكل إعراب القرآن، لمكي ٢/ ٤٩٦.

الموضع الثاني: (شهادة وشهادات).

وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمۡ قَآئِمُونَ﴾[1]، فقد قرأ عاصم برواية حفص بالجمع، وقرأ الباقون بالإفراد[2].

ووجهت قراءة الإفراد والجمع في (شهادة وشهادات)، كما وجهت في (أمانة وأمانات).

الموضع الثالث: (غيابة وغيابات).

وذلك في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَآئِلٞ مِّنۡهُمۡ لَا تَقۡتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلۡقُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّ﴾[3]، فقد قرأ نافع بالجمع، وقرأ باقي السبعة بالإفراد[4]، وقرأ الأعرج[5] (غيابات) بالجمع وتشديد الياء.

ووجهت قراءة الإفراد بأنهم ألقوه في بئر واحدة في مكان واحد لا في أمكنة[6].

---

(١) المعارج:٣٣.

(٢) انظر: السبعة، لابن مجاهد ٦٥١، والقراءات وعلل النحويين فيها، للأزهري ٢/ ٧١٤، وحجة القراءات، لأبي زرعة ٧٢٤.

(٣) يوسف:١٠.

(٤) انظر: السبعة، لابن مجاهد ٦٥١، وحجة القراءات، لأبي زرعة ٣٥٥.

(٥) انظر: المحرر الوجيز، لابن عطية ٩٨٠، وزاد المسير في علم التفسير، لابن الجوزي ٢/ ٤١٦.

(٦) انظر: حجة القراءات، لأبي زرعة ٣٥٥.

وأما قراءة الجمع فقد وجهت بأنه أراد ظلم البئر ونواحيها؛ لأن البئر لها غيابات، فجعل كل جزء منها غيابة، فجمع على ذلك، أو بأنه جعل الجمع للمبالغة في ماهية الاسم[1]، كقوله تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَـٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾[2]، وهو ما تؤديه قراءة الجمع بتشديد الياء على صيغة المبالغة[3].

وبهذا يظهر أن قراءة الجمع زادت في توضيح حال البئر الذي ألقي فيه يوسف- عليه السلام- وبينت أن هذا البئر واسع، متعدد الأجزاء، له جهات عديدة، وهو ما أشار إليه صاحب حاشية الشهاب على تعليقه على قراءة الجمع، حين قال: "لأن كل جانب منها غيابة، فهو يدل على سعتها"[4].

المحور الثاني: اختلاف القراءات في فتح فاء (فعالة) وكسرها.

قرئت (الرضاعة) و(الولاية) بفتح الفاء وكسرها.

أما (الرضاعة) فالقراءة المشهورة بفتح الفاء، وقرأ أبو حيوة وابن أبي عبلة والجارود بن أبي سبرة، بكسر الراء[5]. وقد ذكر المفسرون بأنها لغتان، لا فرق بينهما في الدلالة، كما في قول أبي حيان: "وهي لغة

---

(١) انظر: التحرير والتنوير ١٢/ ٢٢٥.

(٢) النور: ٤٠.

(٣) انظر: حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي ٥/ ١٥٨.

(٤) السابق.

(٥) انظر: البحر المحيط، لأبي حيان ٨/ ٣٤٩، والدر المصون، للسمين الحلبي ٩/ ١٦.

كالحَضارة والحِضارة"[١]، وقول الألوسي: "والرضاعة بفتح الراء مصدر (رضع) كـ(سمع) و(ضرب)، ومثله الرضاعة بالكسر"[٢].

وكذلك هي عند اللغويين[٣].

وأما (الولاية) فقد اختلف القراء في قراءتها في قوله تعالى: ﴿مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ﴾[٤]، وقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱلۡوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلۡحَقِّۚ﴾[٥]، فقد قرأ ابن كثير، وأبو عمرو، ونافع، وابن عامر، وعاصم، بفتح الواو فيهما، وقرأ حمزة بكسر الواو فيهما، وقرأ الكسائي (ولايتهم) بالفتح، و(الولاية) بالكسر[٦].

قال الفراء عند توجيه الفتح والكسر في آية الأنفال: "يريد من مواريثهم، وكسر الواو في الولاية أعجب لي من فتحها؛ لأنها إنما تفتح أكثر من ذلك إذا كانت في معنى النصرة، وكان الكسائي يفتحها، ويذهب بها إلى النصرة، ولا أراه علم التفسير. ويختارون في (وليته ولاية)

---

(١) البحر المحيط، لأبي حيان ٢/ ٤٩٨.

(٢) تفسير الألوسي ٢/ ٤٦١.

(٣) انظر: معجم ديوان الأدب، للفارابي ١/ ٤٧٢، والمخصص، لابن سيده ٤/ ٤١٣، ولسان العرب، لابن منظور

(٤) الأنفال:٧٢.

(٥) الكهف:٤٤.

(٦) انظر: السبعة، لابن مجاهد ٣٠٩، والقراءات وعلل النحويين فيها، للأزهري ١/ ٢٤٨، وحجة القراءات، لأبي زرعة ٣١٥.

الكسر، وقد سمعناها بالفتح والكسر في معناهما جميعا"[1].

وذهب أبو عبيدة[2] إلى أن المفتوحة مصدر المولى، كقولهم: مولى بين الولاية، فإذا كسرت فهي من الإمارة والسلطان، وإلى هذا ذهب الأخفش[3]، ولكنه حكى الكسر في المعنى الأول.

وذكر الزجاج أن الولاية تقرأ بكسر الواو وفتحها، وأن معناها النصرة[4]، ونقل عنه في التهذيب أنه قال: "فمن فتح جعلها من النصرة والنسب... والولاية التي بمنزلة الإمارة مكسورة"[5].

وكذلك وجهها أبو منصور الأزهري[6]، وأبو زرعة[7]، والزمخشري[8].

ونسب ليونس[9] أن ما كان لله فهو ولاية مفتوح من الولاية في الدين، وما كان من ولاية الأمور فبالكسر.

---

(١) معاني القرآن، للفراء ١/ ٤١٩.

(٢) انظر: مجاز القرآن، لأبي عبيدة ١/ ٢٥١.

(٣) انظر: معاني القرآن، للأخفش ٢/ ٣٢٥.

(٤) انظر: معاني القرآن وإعرابه، للزجاج ٣/ ٢٨٩.

(٥) تهذيب اللغة، للأزهري ٤/ ٣٩٥٥.

(٦) انظر: القراءات وعلل النحويين فيها، للأزهري ١/ ٢٤٨.

(٧) انظر: حجة القراءات، لأبي زرعة ٣١٥.

(٨) انظر: الكشاف، للزمخشري ٣/ ٥٨٩.

(٩) انظر: الحجة، لأبي علي الفارسي ٥/ ١٥٠.

ونسب لسيبويه[1] أن الولاية بالفتح المصدر، وبالكسر الاسم مثل: الإمارة والنقابة.

وذهب أبو علي الفارسي[2] إلى جواز الفتح والكسر فيهما، مع ترجيح الفتح إذا كانت بمعنى الدين، وتابعه في هذا مكي القيسي[3]، ذاكرا أنه هو الاختيار؛ لأن الجماعة عليه.

وبهذا تبين أن اختلاف القراءة أثبت أن فتح الفاء وكسرها في (الولاية) و(الرضاعة) هو لغة جائزة، كما في: الوكالة، والوصاية، وهما بمعنى واحد[4].

---

(١) انظر: الصحاح، للجوهري ٥/ ٢٠٠٦.

(٢) انظر: الحجة، لأبي علي الفارسي ٤/ ١٦٦.

(٣) انظر: الكشف عن وجوه القراءات وعللها، لمكي القيسي ١/ ٤٩٧.

(٤) انظر: الحجة، لأبي علي الفاسي ٥/ ١٥٠.

الخاتمة

الحمد لله الذي وفقني إلى الانتهاء من هذه الدراسة التي أوجز نتائجها فيما يلي:

- أن صيغة (فعالة) عند الصرفيين تدور في ثلاثة محاور، هي: أنها مصدر قياسي للفعل الثلاثي، إذا كان على وزن (فَعُل)، ودالا على خصلة، وأنها تستعمل مصدرا للفعل الذي على وزن (فَعَل) ومضارعه (يَفْعَل) وأحد أحرفه حرف حلق، أن تكون لغة جائزة في المصدر الذي يرد على وزن (فعالة) بكسر الفاء.
- أن الكلمات الواردة على وزن (فعالة) في القرآن الكريم تسع عشرة كلمة، منها ما كانت مصادر قياسية، وهي (أمانة) من (أَمُنَ)، و(رآفة) من (رَؤُف)، (رضاعة) من (رَضُعَ) و(سفاهة) من (سَفُه)، ومنها ما كانت مصادر سماعية، وهي: (أثارة، وبراءة، وجهالة، وشفاعة، وشقاوة، وشهادة، وضلالة، وكلالة، ونشاءة، وندامة)، ومنها ما كان مصدرا وجاز في فائه الفتح والكسر، وهو (ولاية)، ومنها ما سمي به، وهو (خصاصة، وعداوة، وغيابة، وكلالة).
- أن للسياق دورا كبيرا في تحديد دلالة الصيغة القرآنية، وقد كان حاسما في فهم معنى (علامة) و(كلالة).
- أن اختلاف القراءات القرآنية باب من أبواب الثراء الدلالي، كما ظهر في المحور الأول من المبحث الثالث، وباب من أبواب اختلاف اللغات، كما ظهر في المحور الثاني من المبحث نفسه.

المصادر والمراجع

- **أساس البلاغة، للزمخشري** جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، بيروت: دار الفكر، ١٤٠٩هـ.

- **إسفار الفصيح،** للهروي أبي سهل محمد بن علي بن محمد، تحقيق: أحمد بن سعيد بن محمد قشاش، ط١، المملكة العربية السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، ١٤٢٠.

- **أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن،** للشنقيطي محمد الأمين بن محمد المختار بن عبدالقادر، د.ط، بيروت: دار الفكر، ١٤١٥هـ.

- **إعراب القرآن، للنحاس** أبي جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل، تحقيق: د. زهير غازي زاهد، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٢٦هـ.

- **البحر المحيط في التفسير،** لأبي حيان الأندلسي محمد بن يوسف بن علي بن يوسف، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: دار الفكر، ١٤٢٠.

- **بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز،** للفيروزآبادي مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب، تحقيق: محمد بن علي النجار، القاهرة: المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية–لجنة إحياء التراث، ١٩٩٦م.

- **تاج العروس**، لمرتضى الزبيدي محمد بن محمد بن عبدالرزاق الحسيني أبو الفيض، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.

- **التحرير والتنوير**، لابن عاشور محمد الطاهر بن محمد الطاهر التونسي، تونس: الدار التونسية للنشر، ١٩٨٤.

- **تذكرة الأريب في تفسير الغريب**، لابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: طارق فتحي، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤٢٥هـ.

- **تفسير ابن كثير**، لابن كثير سلامة أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي البصري، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، ط٢، دار طيبة للنشر والتوزيع، ١٤٢٠.

- **تفسير الألوسي= روح المعاني**، للألوسي شهاب الدين محمود بن عبدالله الحسيني، تحقيق: علي عبدالباري عطية، ط١، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ.

- **تفسير القرآن**، للسمعاني أبي المظفر منصور بن محمد بن عبدالجبار التميمي المروزي الشافعي السلفي، تحقيق: أبي تميم ياسر بن إبراهيم، ط٢، مدار الوطن للنشر.

- **تفسير الطبري= جامع البيان**، للطبري شاكر محمد بن جرير بن يزيد بن غالب الآملي، تحقيق: أحمد بن محمد شاكر، ط١، مؤسسة

الرسالة، ١٤٢٠هـ.

- **تفسير الماوردي= النكت والعيون،** للماوردي أبو الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، تحقيق: السيد بن عبدالمقصود بن عبدالرحيم، بيروت: دار الكتب العلمية.

- **تنوير المقباس من تفسير ابن عباس،** جمعه: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، لبنان: دار الكتب العلمية.

- **تهذيب اللغة،** للأزهري أبي منصور محمد بن أحمد، تحقيق: د. رياض زكي قاسم، ط١، بيروت: دار المعرفة، ١٤٢٢هـ.

- **جمهرة اللغة،** لابن دريد أبي بكر محمد بن الحسن، حققه وقدم له: د. رمزي منير بعلبكي، ط١، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٨م.

- **حاشية الشهاب على تفسير البيضاوي= عناية القاضي وكفاية الراضي** شهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري الحنفي، بيروت: دار صادر.

- **الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد،** للفارسي أبي علي الحسن بن عبدالغفار، حققه: بدر الدين قهوجي، وبشير جويجاتي، ودققه: عبدالعزيز رباح وأحمد بن يوسف الدقاق، ط١، دمشق: دار المأمون للتراث، ١٤٠٤هـ.

- **حجة القراءات،** لأبي زرعة عبدالرحمن بن محمد بن زنجلة، تحقيق: سعيد الأفغاني، ط٥، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٢٢هـ.

- **دراسات لأسلوب القرآن الكريم،** لعضيمة محمد عبدالخالق، القاهرة: دار الحديث، ١٤٢٥هـ.

- **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون،** للسمين الحلبي أحمد بن يوسف، تحقيق: د. أحمد بن محمد الخراط، ط٢، دمشق: دار القلم، ١٤٢٤هـ.

- **دقائق التصريف،** للمؤدب أبي القاسم بن محمد بن سعيد، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط١، دمشق: دار البشائر، ١٤٢٥هـ.

- **زاد المسير في علم التفسير،** لابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، ط١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٤٢٢هـ.

- **السبعة في القراءات،** لابن مجاهد، تحقيق: شوقي ضيف، ط٢، القاهرة: دار المعارف.

- **شذا العرف في فن الصرف،** للحملاوي أحمد بن محمد، تحقيق: نصر الله عبدالرحمن نصر الله، الرياض: مكتبة الرشد.

- **شرح شافية ابن الحاجب،** للإستراباذي، الشيخ رضي الدين محمد بن الحسن، تحقيق: محمد نور الحسن وزميليه، بيروت: دار

الكتب العلمية، ١٤٠٢هـ.

- **شرح المفصل**، لابن يعيش، القاهرة: مكتبة المتنبي.

- **الصحاح= تاج اللغة وصحاح العربية**، للجوهري أبي نصر إسماعيل بن حماد الفارابي بحواشي عبدالله بن بري، وكتاب الوشاح للتادلي، اعتنى بها: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٠٩هـ.

- **العين**، للفراهيدي الخليل بن أحمد، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤٢١هـ.

- **القاموس المحيط**، للفيروزآبادي مجد الدين محمد بن يعقوب، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٧هـ.

- **القراءات وعلل النحويين فيها المسمى علل القراءات**، للأزهري أبي منصور محمد بن أحمد، دراسة وتحقيق: نوال بنت إبراهيم الحلوة، ط١، ١٤١٢هـ.

- **الكتاب**، لسيبويه، أبي بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، تحقيق: عبد السلام هارون،ط٣، القاهرة: مطبعة الخانجي، ١٤٠٨هـ.

- **كتاب الأفعال**، لابن القطاع علي بن جعفر بن علي السعدي، ط١، عالم الكتب، ١٤٠٣هـ.

- **الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**، للزمخشري جار الله أبي القاسم محمود بن عمر، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، والشيخ علي محمد معوض، ط١، الرياض: مكتبة العبيكان، ١٤١٨هـ.

- **لسان العرب**، لابن منظور، نسقه وعلق عليه ووضع فهارسه: علي شيري، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٨هـ.

- **مجاز القرآن**، لأبي عبيدة معمر بن المثنى التيمي، عارضه بأصوله وعلق عليه: د. محمد فؤاد سزكين، القاهرة: مكتبة الخانجي.

- **المحكم والمحيط الأعظم**، لابن سيده، تحقيق: مجموعة من المحققين، القاهرة: معهد المخطوطات العربية، ١٤٢٤هـ.

- **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، لابن عطية أبي محمد عبدالحق الأندلسي، ط١، بيروت: دار ابن حزم، ١٤٢٣هـ.

- **المخصص**، لابن سيده أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي، قدم له: د. خليل إبراهيم جفال، واعتنى بتصحيحه: مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي، ط١، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ١٤١٧هـ.

- **مقاييس اللغة**، لابن فارس أبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا، اعتنى به: محمد عوض والآنسة فاطمة محمد، ط١، بيروت: دار إحياء

التراث العربي، ١٤٢٢هـ.

- **معاني القرآن**، للفراء، أبي زكرياء يحيى، تحقيق: محمد النجار، وأحمد يوسف نجاتي، ط٣، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٣هـ.

- **معاني القرآن وإعرابه**، للزجاج أبي إسحق إبراهيم بن السري، شرح وتحقيق: د. عبدالجليل عبده شلبي، ط١، بيروت: عالم الكتب، ١٤٠٨هـ.

- **مشكل إعراب القرآن**، للقيسي مكي بن أبي طالب القيرواني، تحقيق: د. حاتم صالح الضامن، ط٢، بيروت: مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ.

- **معجم الأوزان الصرفية لكلمات القرآن الكريم**، للدكتور حمدي بدر الدين إبراهيم، القاهرة: مكتبة ابن تيمية.

- **معجم ديوان الأدب**، للفارابي أبو إبراهيم إسحاق بن إبراهيم بن الحسين، تحقيق: د. أحمد بن مختار عمر، ومراجعة: د. إبراهيم أنيس، القاهرة: مؤسسة دار الشعب للصحافة والطباعة والنشر، ١٤٢٤هـ.

- **المفردات في غريب القرآن**، للراغب الأصفهاني أبو القاسم الحسين بن محمد، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، ط١، دمشق وبيروت: دار القلم، والدار الشامية، ١٤١٢هـ.



نحو لغة عربية مختصة

د. عبدالقادر الحسون

- حاصل على الدكتوراه في اللغة والآداب والحضارة العربية من جامعة منوبة (٢٠٠٦)، وباحث متخصص في قضايا المنهج، وقراءة التراث، ومهتم بالقضايا المصطلحية.
- عمل أستاذا جامعيا في جامعة تونس (٢٠٠٧-٢٠١٢م)، ثم جامعة الملك فيصل (٢٠١٢-٢٠١٥م).
- له بحوث في التخصص شارك بها في مؤتمرات دولية، وله بحوث محكمة منشورة.

الملخّص

مفهوم «اللغة المختصّة» أو «لغة الاختصاص»، مفهوم أصبح متداولا بكثرة في السنوات الأخيرة. ويبدو أنّ انتشاره فرضته حاجات تواصلية ملحّة تولّدت ممّا عرفه العالم بسبب العولمة والرقمنة من تقارب بين الشعوب وتداخل بين التخصّصات وتدفّق سريع للمعلومات والمنتوجات. وقد انتبه الغربيون مبكّرا إلى ما ترتّب على هذه التحوّلات من احتياجات تواصلية متزايدة، فبادروا إلى الرّبط بين اللغة والحياة، وذلك بواسطة ما عرف في الإنجليزية اختصارا بــ (ESP) أو في الفرنسية بــ (FOS)، وهي اختصارات تعني تدريس اللغة لأهداف خاصّة.

وليست اللغة العربية، في اعتقادنا، أقلّ احتياجا لمثل هذا التوجّه، فهي، شأنها شأن سائر اللغات الحيّة، مرتبطة بالحياة يحتاج المتكلمون بها إلى التواصل لأغراض خاصّة ثقافية أو علميّة أو اقتصاديّة. ولكن من الملاحظ أنّ العربيّة ظلّت على المستوى الرسمي والنظامي والأكاديمي تُدرَس وتُدرَّس بوصفها لغة أدبيّة، ولم يلتفت أهلها، مثلما فعل أهل اللغات الأخرى، إلى وظائفها العمليّة والتواصليّة إلّا في القليل النادر مع أنّ إيقاع العصر ومتطلباته تستدعي إعطاء هذا الجانب الأولوية، وتقتضي إيلاءه مزيدا من الأهميّة، فهو شرط أساسي لنجاعة اللغة وضامن لبقائها لغة حيّة تمتلك الكفاءة التواصلية وتحقّق أغراض

المتكلمين بها.

ومن منطلق الوعي بهذه الحاجة الماسّة ورغبة في المساهمة في صياغة مشروع لدراسة اللّغة العربية وتدريسها لأهداف خاصّة كان هذا البحث محاولة ترمي إلى تحقيق ثلاثة أهداف نعدّها بمثابة الأسس التي يمكن أن ينبني عليها هذا المشروع وهي: بلورة مفهوم لغة الاختصاص، والنظر فيما إذا كانت اللّغة العربيّة تستجيب لهذا المفهوم، وتحديد المبادئ الأوّلية لتعلمية لغة عربيّة مختصّة.

- **الكلمات المفاتيح: لغة عربية - لغة الاختصاص - معاجم مختصة - المصطلح - التواصل**

Towards an Arabic Language for Specific Purposes

Abstract

As a result of today's fast communication needs, increasing cultural exchanges, and the interconnectedness between disciplines, the idea of developing languages for specific professional or academic purposes has become commonplace. It was Western scholars who noticed first the increasing communication needs as a result of these social and scientific transformations, and who developed programs, known in English as (**ESP** - English for Specific Purposes) and in French **(FOS** - Français sur objectifs spécifiques).

This study argues that the Arabic language is equally in need of developing specialized linguistic capabilities that allows speakers to communicate for specific professional or academic needs. At the official, academic and professional levels, Arabic is still studied, taught and used mostly as a literary language, its practitioners not paying attention to the scientific and communicative functions of the Arabic language, though the needs of the age demand that this dimension of the language be given priority in order to guarantee the success and the continuous viability of the language and achieve the communicative needs of its speakers.

It is the consciousness of this lack in the Arabic language that motivates this study, and a desire to contribute to the project of studying and teaching Arabic for specific purposes. This study, sets three goals that constitute the foundation that can support

such a project: First, we need to articulate a clear conception of a specialized Arabic language. Second, the capacity of the Arabic language to accommodate such a conception needs to be investigated and tested. Lastly, the ground principles of teaching Arabic for specific purposes need to be articulated

مدخــل

إنّ المتأمّل في المشهد الحضاري العام الذي اتّسم به العالم في نهايات الألفيّة الثانية وبدايات الألفيّة الثالثة تسترعي انتباهه ظاهرتان بارزتان كان لهما التأثير البالغ في توجيه الحياة الإنسانية نحو مسار جديد تجلّت ملامحه الأساسية في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعلميّة. هاتان الظاهرتان كثر الحديث عنهما في جميع الأوساط باعتماد مصطلحين جديدين هما مصطلح العولمة (Mondialisation) ومصطلح الرقمنة (Numérisation)[١].

وبصرف النظر عمّا رافق هذين المصطلحين في انتشارهما الواسع من دلالات كثيفة ومعاني متشعّبة فإنّ ما أسفر عنه الواقع يمكن اختزاله في أنّ مسار التاريخ الإنساني كان يندفع في اتّجاه بناء نظام عالميّ جديد من أبرز ملامحه أنّ العالم أخذ يتحوّل إلى قرية كونيّة صغيرة هي أشبه ما تكون بعالم بلا خرائط. فإذا كانت «العولمة» قد كرّست واقعا اقتصاديا جديدا يقوم على توفير العرض والتشجيع على الاستهلاك بفتح حدود البلدان أمام تدفّق السلع والبضائع فإنّ «الرقمنة» ساعدت على تكريس واقع ثقافي يتميّز بالانسياب السريع للمعطيات

---

(١) يمكن الرجوع في تحديد مصطلحي العولمة والرقمنة إلى «معجم العولمة»:
Dictionnaire de la Mondialisation, sous la direction de Pascal Lorat, ed, Ellipses, 2001.

والمعلومات عبر الوسائط الرقميّة المستحدثة من هواتف وهوائيات وإنترنت.

وممّا هو حريّ بالملاحظة والانتباه أن الواقع الإنساني الجديد «المعولم» و«المرقمن» امتاز بسرعة نسق الاتصال والتواصل بين الأفراد والشعوب واندفاعه إلى مستوى عال من النشاط والحيويّة لم يكن معهودا من قبل. وممّا ساعد على ذلك ومهّد له الطريق الثورة الاتصالية التي استفادت إلى أقصى حدّ من التطوّر التكنولوجي والرّقمي، ووظّفته بطريقة جعلت المسافات المكانيّة لا تمثل أيّ عائق من عوائق الاتصال. ولكن من اللّافت للانتباه أنّه بقدر ما وقع التقارب بين الشعوب وانفتحت سبل التفاعل، أثيرت في الوقت نفسه، مشكلات جديدة تتعلّق بالسبل الكفيلة بتذليل عوائق التواصل والحوار بين الحضارات الراجعة إلى الاختلافات اللغوية والفوارق الثقافية التي تمثّل عقبات حقيقيّة لا يمكن تجاهلها. ومن المعلوم كذلك أنّ خطاب العولمة ولّد خطابا ضديدا يحذّر من هيمنة القطب الواحد ويدعو إلى المحافظة على الهويّة والتشبّث بالخصوصية.

ولعلّه من الأهميّة بمكان أن نشير إلى أنّ ارتفاع نسق الاتصال والتواصل بين الشعوب والأمم إضافة إلى ما تميّز به العصر من تنوّع المعارف وتعدّد الاختصاصات وكثرة التسميات وتدفّق المصطلحات أمور نبّهت دارسي اللغة وعلماء اللّسان إلى أنّ الوضع الإنساني الجديد

يثير حاجات تواصلية مختلفة، فما تعرفه بلدان العالم من تبادل اقتصادي ومعرفي موسّع ومتسارع يدلّ على أنّ مفهوم التواصل لم يعد مثلما كان في السابق مفهوما محليّا يقف عند حدود مجموعة لغويّة موحّدة بل إنّه اتّخذ بعدا إنسانيا شاملا، فلم يعد بإمكان أيّ شعب أن يكتفي بلغته وينغلق على ثقافته. كما أنّ ما تشهده المعرفة الإنسانية من تعدّد وتنوّع وتفرّع يجعل من العسير استخدام نمط لغويّ موحّد للتعبير عن مواضيع لا متناهية وبينها من الفروق والاختلافات ما يتطلّب الكثير من الدقّة والتحرّي.

انطلاقا من هذه التحديّات المعرفيّة والتواصليةّ ظهر مفهوم «لغة الاختصاص»، وتولّد في سياق مستجدّات العولمة والرقمنة، وطرح بوصفه بديلا يمكن أن يساعد على مواجهة هذه التحديات، وذلك بالبحث عن سبل جديدة لتعليم اللغة بحسب الحاجة وعلى نحو عملي وسريع يمكن أن يتماشى مع إيقاع العصر ويستجيب لمتطلباته. ولئن حظي هذا المفهوم في البلدان الغربية باهتمام فائق تنظيرا وممارسة فإنّ العناية به في البلدان العربية ظلّت محدودة ومحتشمة، وبالرغم من الحاجة الماسّة لتطوير اللغة العربية فإنّ الدراسات المخصّصة لهذا المفهوم محدودة وقليلة تنحصر في بحثين أنجزا في السودان، بينهما مدة زمنية تقدّر بعشرين سنة، فالأوّل ظهر سنة ١٩٨٣، والثاني سنة

٢٠٠٣[1]، وأربعة بحوث متأخّرة ظهرت بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا بعد سنة ٢٠٠٧[2]، ومن الملاحظ أنّ اللغة العربية، شأنها شأن اللغات الأخرى، انخرطت في مجريات العصر، وواكبت مستجدّاته، وحاولت مسايرة إيقاعه ومواجهة تحدّياته في واقع الاستعمال، لكنّها

---

(١) أحمد عشتاري، تعليم اللغة العربيّة لأغراض محدّدة، المجلّة العربية للدراسات اللغويّة، المنظمة العربية، معهد الخرطوم الدولي، مج ١، ع٢، فبراير ١٩٨٣.
- طعيمة رشدي، تعليم العربية لأغراض خاصّة، مفاهيمه وأسسه ومناهجه، معهد الخرطوم الدولي، ٢٠٠٣. وهذا البحث منشور في موقع جامعة أمّ القرى منسوبا لرشدي أحمد طعيمة ومحمود كامل الناقة، بعنوان، تعليم اللغة لأغراض خاصة: مفاهيمه ومنهجياته المشكلة ومسوغات الحركة،
http: //uqu. edu. sa/page/ar/

(٢) البحوث المنجزة في ماليزيا هي:
- عبد الرحمان شيك، تعليم اللغة العربية لأغراض خاصّة من التخطيط إلى التنفيذ، ندوة العملية التعليمية والإبداع الفكري في ظلّ ثورة المعلومات اللغة العربية أداء وإبداعا، كوالا لامبور الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٧.
- علي إسلام يسري، منهج متكامل لتعليم اللغة العربية لأغراض ديبلوماسية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالا لامبور، ٢٠٠٨.
- محمد نجيب بن جعفر، تحليل حاجات متخصّص اللغة العربية والاتصالات بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية في تعلم اللغة العربية لأغراض سياحية، منشور إلكترونيا بالموقع: www.researchgate.net/.../255983305
ولنفس الباحث: تعليم اللغة العربية لأغراض دينية عبر مواقع الإنترنيت، والبحث منشور إلكترونيا بالموقع:
http: //www. researchgate. net/publication/255983425

ظلت في واقع التدريس والدراسة وفيّة لمناهج التعليم التقليدية، ولم تنخرط في ما تقتضيه التوجهات المعاصرة من عناية بلغة الاختصاص.

ويمثّل البحث الذي نقترحه في هذا الإطار لبنة أولى في سياق مشروع يهدف إلى بناء مقوّمات لغة عربيّة مختصّة، معاصرة، ملتصقة بالحياة، وتسعى إلى تلبية الاحتياجات التواصلية والمعرفية لقطاعات متنوّعة. وسنحاول معالجة الإشكاليات التي يثيرها «مفهوم لغة الاختصاص» وفق ثلاثة محاور نتدرّج فيها من التناول الاصطلاحي المفهومي إلى البحث في خصوصيات اللغة العربيّة وواقع تعلّمها إلى تقديم بعض المقترحات العمليّة المتعلّقة بتعلّمية لغة الاختصاص.

١-مفهوم لغة الاختصاص

مصطلح لغة الاختصاص من المصطلحات المركّبة، فهو يجمع بين مصطلحين هما مصطلح «اللغة» ومصطلح «الاختصاص». وما من شكّ في أنّ التعرّض لمفهوم المصطلح المركّب يقتضي أوّلا التوقّف عند المصطلحين المفردين المكوّنين له. ولعلّه من الأهميّة بمكان استحضار التعريف اللساني عند التعامل مع مصطلح اللغة وخاصّة ما يتعلّق بالتمييز المهمّ الذي نبّه إليه فردينان دي سوسير في دروسه بين اللغة والكلام، يقول دي سوسير: «إنّ اللغة والكلام عندنا ليسا بشيء واحد. فإنّما هي منه بمثابة قسم معيّن وإن كان أساسيا والحقّ يقال. فهي في الآن نفسه نتاج اجتماعي لملكة الكلام، ومجموعة من المواضعات

يتبنّاها الكيان الاجتماعي ليمكّن الأفراد من ممارسة هذه الملكة. »[١]، ومن المعلوم أنّ هذا التمييز قد أفضى إلى نتائج في غاية الأهميّة ترتّبت عليها قطيعة معرفيّة بين اللسانيات المعاصرة وفقه اللغة التقليدي تجسّدت بصفة بارزة في مظاهر عديدة تتجلّى في تغير موضوع العلم ومنهجه وآلياته. وما يعنينا في هذا السياق بصفة خاصّة أهميّة مصطلح الكلام باعتباره يمثل البعد الفردي الاستعمالي للغة، والعناية بهذا البعد مثّل تحوّلا جوهريّا في الدراسات اللغويّة، فاللسانيات المعاصرة لم تعد تدرس اللغة دراسة معيارية كما كان يقع مع النحو التقليدي، وإنّما أصبح يشغلها بالأساس دراسة الاستعمال، أي أنّ الاهتمام أصبح مركّزا بالدرجة الأولى على اللغة بوصفها مؤسّسة اجتماعيّة تتحدّد وظيفتها الأولى في تحقيق التواصل بين أفراد المجموعة، فهي ليست ماهية ثابتة ومتعالية وإنّما هي ظاهرة تاريخيّة تتطوّر بتطوّر المجتمعات وتساير حركيّتها وتحوّلاتها.

أمّا مصطلح الاختصاص فإنّ المتصوّرات المتعلّقة به تتحدّد في تقابلها مع كلّ ما هو عامّ ومشترك، فالخاصّ ما اتّسم بخصوصيّات لا يشاركه فيها غيره، وتخصّص الشخص إذا مارس عملا خاصّا ومضبوطا ومحدّدا، والمختصّ هو الخبير الذي له معرفة معمّقة بالشيء،

---

(١) فردينان دي سوسير، دروس في الألسنيّة العامّة، تعريب صالح القرمادي–محمد الشاوش–محمد عجينة، طرابلس/ تونس: الدار العربيّة للكتاب، ١٩٨٥، ص٢٩.

والخصوصيّة هي المميّزات التي تجعل الشيء أو الشخصّ خاصّا متفرّدا لا يشبه غيره[1]. والاختصاص في واقع الاستعمال مصطلح تصنيفي يتعلّق بتبويب المعارف وتقسيم الأعمال الإنسانيّة. ولئن كان المصطلح مستخدما لهذه الغاية في المجتمعات القديمة التي ميّزت بين العلوم والمعارف ووضعت سلّما لتبويب الأعمال والمهن فإنّ استخدامه في العصر الحديث اكتسى أهميّة خاصّة وأصبح من الضروريات التي لا يمكن الاستغناء عنها. ويعود هذا التغيّر في وضعيّة المصطلح، في تقديرنا، إلى تغيّر أشمل يتعلّق بوضعيّة المعرفة الإنسانيّة وكيفيّة التعاطي معها بصفة عامّة، فقد كان مفهوم المعرفة في المجتمعات القديمة ينحو منحى الموسوعيّة والأخذ من كلّ شيء بطرف، أمّا في العصر الحديث وبعد أن تطوّرت العلوم وتفرّعت وتولّد بعضها من بعض أصبح من العسير على الإنسان أن يحيط بها، فحلّ بذلك مفهوم التخصّص محلّ مفهوم الموسوعيّة. ولنضرب مثلا على ذلك أنّ علم اللغة قديما لم يكن تخصّصا قائما بذاته بل كان مجرّد وسيلة للعلوم الأخرى. أما في عصرنا فقد تفرّع علم اللغة بدوره إلى تخصّصات كثيرة مثل علم الصوتيات وعلم المعجميّة وعلم المصطلح

---

(١) راجع مثلا معجم «Petit Robert» في شروح الكلمات التالية:
special / spécialisation/spécialiser/ spécialiste/spécialité/ Spécifique.

وعلم التراكيب وعلم الدلالة، بل إنّ لكلّ علم من هذه العلوم تفريعات أخرى بحسب المذاهب والاتجاهات والمدارس المختلفة التي تداولته. وما ينطبق على علم اللغة ينطبق كذلك على غيره من العلوم والمعارف مثل الطبّ والهندسة وعلوم الحياة والأرض.

اعتبارا لكلّ هذا فإنّ ما يتولّد من الاقتران بين مصطلح اللغة ومصطلح الاختصاص متصوّر مؤدّاه أنّ اللّغة لا بدّ أن تساير وضعيّة المعرفة وتعبّر عن واقعها الجديد، فإذا كانت المعرفة قد قطعت مع طور الموسوعيّة وأصبحت متّصفة بالتفرّع والتخصّص فإنّ اللّغة باعتبارها الوسيط الذي يحمل المعارف ويعبّر عنها لم يعد من الممكن أن تكون وسيلة ناجعة في التواصل إلّا إذا راعت مقتضيات التمايز ونحت منحى التخصّص ووفّرت ما يساعد على إبراز الفوارق الدالّة على التباين بين الاختصاصات المختلفة. فلغة الاختصاص إذن هي النتيجة الحتميّة التي يفضي إليها الالتقاء بين البعد الاستعماليّ للّغة بوصفها مؤسّسة اجتماعيّة نشيطة والبعد التخصّصي باعتباره أحد الأركان الأساسيّة المميّزة للمعرفة في عصرنا الحديث. وعلى هذا الأساس فإنّ مفهوم لغة الاختصاص لم ينشأ من فراغ ولم يأت للتعبير عن ترف فكري مجرّد وإنّما كان استجابة ضروريّة للتفاعل الحاصل بين تغيّر الواقع وتنوّع المعارف وتجدّد التفكير اللساني.

وإذا توقّفنا عند أهمّ التعريفات التي قدّمها علماء اللسان

المعاصرون للغة الاختصاص لاحظنا أنهم ألحّوا على ثلاثة مفاهيم أساسيّة هي مفهوم **النظام الجزئيّ** ومفهوم **المصطلح المختصّ** ومفهوم **التواصل**. فقد حدّدت الجمعية الفرنسية للتنميط المعروفة بـ (AFNOR) لغة الاختصاص بأنّها «نظام لغويّ فرعيّ يعتمد مصطلحات ووسائل تعبير تهدف إلى تحقيق التواصل الواضح في مجال مخصوص»[١]، وأكّد ديبوا (Dubois) في «معجم اللسانيات» أنّها «نظام لغويّ فرعيّ يمثّل الخصوصيّة اللغويّة لمجال لغويّ مخصوص، ويعتمد بصفة خاصّة على المصطلح المختصّ»[٢]، أمّا بيار ليرا (Pierre Lerat) فقد نبّه في كتابه «لغات الاختصاص» إلى أنّ مفهوم لغة الاختصاص لا يمكن اختزاله في نظام اصطلاحي فرعيّ فهي لا تقتصر على المصطلح وإنّما تتوخّى في التعبير طرقا مخصوصة ورموزا غير لغويّة فهي إذن نظام فرعي يستخدم اللغة الطبيعيّة للتعبير بطريقة تقنيّة عن معارف مختصّة[٣].

ومِما ينبغي الانتباه إليه أنّ لغة الاختصاص بهذا التحديد هي لغة تطبيقيّة بالدرجة الأولى؛ لأنها تتولّد بالأساس ممّا يظهر في الواقع الاجتماعي من أعمال ومعارف وليس لها أيّ اتّصال بما يحدث من

---

(1) Afnor, Terminologie, Norme ISO, 1087, Paris 1990.
(2) Jean Dubois et coll. Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage, Larousse, Paris, 1994, p440.
(3) Pierre Lerat, Les langues spécialisées, PUF, Paris, 1995, p1.

إبداعات لغويّة في نصوص الأدب والشعر. ولعلّ هذا الاختلاف هو الذي يكمن وراء استخدام مصطلح لغة الاختصاص بكيفيّة تجعله يبدو مقابلا لمصطلح لغة الأدب. ويجد هذا التقابل، في الحقيقة، ما يبرّره من نواح عديدة، فالمقارنة بين لغة الأدب ولغة الاختصاص تفضي إلى تقابل جدوليّ بينهما سواء من جهة الماهية والمفهوم أو من ناحية الخصائص والمميّزات أو من جهة الوظيفة والدور، وهو ما يبيّنه الجدول التالي:

لغة الأدب	لغة الاختصاص
الوظيفة الجمالية: الإمتاع	الوظيفة النفعيّة: الإفادة
لغة مجازيّة: تعبير غير مباشر	لغة حقيقية: تعبير مباشر
الارتباط بالخيال	الارتباط بالواقع
الغموض	الوضوح
التعميم	الدقّة
التفصيل والإطناب	الاختصار والإيجاز
الذاتية	الموضوعية

إنّ التقابل بين لغة الأدب ولغة الاختصاص كما تبيّنه المعطيات الواردة في الجدول يمكن أن يساعدنا على ضبط مفهوم لغة الاختصاص بجملة من الشروط والمقتضيات التي ينبغي أن تتوفّر فيها، وهي تتوزّع على ثلاثة مستويات:

- **المستوى المعجمي**: يعدّ هذا المستوى الركن الأساس الذي تنبني عليه لغة الاختصاص. فالمكوّن الأوّل للغة مختصّة هو توفّر معجم مختصّ يكون عبارة عن جهاز اصطلاحي متكامل. ومن البديهيّ أنّ تكون المصطلحات المتعلّقة باختصاص ما مشتركة في حقل دلاليّ يتعلّق بالمجال المعرفيّ والعملي الذي يدور فيه ذلك الاختصاص. وتشكّل هذه المصطلحات مجتمعة لغة مميّزة، تعبّر عن موضوع الاختصاص وتفاصيله، ويجري بواسطتها التواصل بين المشتغلين به. يكفي أن نستدلّ على ذلك بأنّ مجال القانون مثلا يختصّ بمعجم مميّز يتألّف من مصطلحات عديدة ومتنوّعة بها يقع التعبير عن مضامينه وأحكامه، ومن بين هذه المصطلحات مثلا (مدني/ جنائي/ إداري/ جنحة/ جناية/ جرم/ مخالفة/ محكمة/ ابتداء/ استئناف/ تعقيب...). وممّا يؤكّد الارتباط الوثيق بين هذه المصطلحات والمجال الذي تنتمي إليه أنّ شرحها وتحديد دلالاتها لا يكون بالرجوع إلى معاجم عامّة وإنّما بالاعتماد على معاجم قانونيّة مختصّة.

- **المستوى التركيبي:** تتّضح مميّزات لغة الاختصاص في المستوى التركيبيّ إذا ما نظرنا في مميزات الجمل والنصوص المستخدمة في الوثائق المكتوبة التي يتمّ التعامل بها في مجال من المجالات القائمة على مبدإ التخصّص. ومما قادتنا إليه الملاحظة في هذا الشأن أنّ الجملة في لغة الاختصاص تنحو من الناحية التركيبيّة منحى الاختصار والدقّة، فهي تكتفي في الغالب بالعناصر الأساسية، وتخلو من المتمّمات والوظائف الثانويّة التي تضطلع بوظائف الإطناب والوصف، ويتميّز أسلوب التعبير في لغة الاختصاص بالمباشرة وارتفاع الكفاءة الإعلاميّة، وذلك باعتماد جمل إخباريّة مباشرة يضمحلّ فيها الجانب الذاتي الراجع إلى شخصيّة المتكلّم مقابل حضور بارز للموضوع الذي يدور حوله الكلام. كما تنبني نصوص لغة الاختصاص بطريقة متشابهة، إذ تخضع في الغالب لمبادئ موحّدة من النواحي الشكليّة تجعلها تبدو بمثابة أشكال جاهزة يتغيّر محتواها ولكن لا تتغيّر بنيتها، وهذا ما يجعلها مختلفة مع النصوص الأدبيّة التي تخضع لمبدإ الاختلاف والتغاير لا لمبدإ التشابه والتماثل. وتعدّ الوثائق الإداريّة نموذجا من الوثائق المختصّة تتوفّر على أهمّ المقوّمات التركيبيّة والشكليّة التي أشرنا إليها.[١]

---

(١) انظر كتاب جمال العبيدي، دليلك إلى التحرير الإداري باللغة العربيّة، تونس: دار إسهامات في أدبيات المؤسسة، ط١/ ٢٠٠٥.

- **المستوى الدلالي**: تتميّز لغة الاختصاص من الناحية الدلاليّة بالدقّة والمباشرة وذلك يعود إلى أنّها تقوم، كما سبقت الإشارة، على معجم مختصّ أي على مصطلحات واضحة ومحدّدة المعاني، وهي بذلك تخلو من العناصر المولّدة للغموض مثل الترادف والازدواج والتضادّ، كما أنّها تخلو من أساليب المجاز ومن التعابير الملتوية وتعتمد بشكل مطلق على التعبير التقريريّ المباشر ممّا يجعل الدلالة واضحة ومكشوفة وغير قابلة للتأويل. وما من شكّ في أنّ هذه المميّزات هي التي تجعل من لغة الاختصاص قادرة على تحقيق التواصل بأيسر السبل وأقربها.

تفضي بنا الخصائص المرصودة في المستويات الثلاثة المذكورة إلى أنّ لغة الاختصاص تتحدّد بمقوّمات موضوعيّة متّصلة بالوحدات المعجميّة والخصائص التركيبيّة والدلاليّة. وتؤلّف هذه المقوّمات نظاما نمطيا موحّدا يبدو قابلا للشكلنة ممّا يسمح بالحديث عن لغة الاختصاص في مستوى تجريديّ عامّ، ويبدو هذا النظام في الوقت نفسه مرنا وقابلا للاختلاف والتنوّع بما يؤهّله لاستيعاب المظاهر العديدة التي تتجلّى فيها لغة الاختصاص في واقع الاستعمال.

بناء على كلّ هذا يمكننا أن نخلص إلى تعريف لغة الاختصاص بأنّها نظام فرعيّ من أنظمة اللّغة يختصّ بكونه يمثّل منها جانب المصطلحات وهو جانب يتحقّق به ضرب من ضروب التواصل لا

يتحقّق بواسطة غيره من الجوانب المشكلة للنظام اللغويّ. ويمكننا أن نجسد موقع لغة الاختصاص من نظام اللغة ودورها في بناء عمليّة التواصل في الشكل التالي:

الوحدات المصطلحيّة ← لغة الاختصاص ← تواصل عمليّ

↑ ↑ ↑

اللّغة ← الوحدات المعجميّة ← اللغة العامّة ← تواصل عاديّ ← التواصل

↓ ↓ ↓

الوحدات المجازيّة ← لغة الأدب ← تواصل جماليّ

إنّ أهمّ ما يمكن استنتاجه من خلال هذا الرسم يتمثّل في أنّ التصنيف الداخلي للوحدات التي تتألّف منها اللغة وللأغراض التي يجري إليها التواصل يبيّن لنا أنّ مكوّنات اللغة ومتطلبات التواصل يجعلان للغة الاختصاص موقعا أساسيا ودورا مميّزا، فهي توظّف الوحدات المصطلحيّة المتفرّعة عن الوحدات المعجميّة لتحقيق التواصل العمليّ مثلما يوظف الأدب الوحدات المجازيّة المتولّدة هي الأخرى من الوحدات المعجميّة لتحقيق التواصل الجماليّ، وهذا يعني أنّ الكلام يضحي لغة اختصاص إذا ما كان المصطلح مادّته ويتحوّل إلى أدب إذا ما جعل المجاز عمدته.

المهمّ من كلّ هذا أن مفهوم لغة الاختصاص قد ظهر في البلدان الغربية في نهايات القرن العشرين وتحديدا بداية من سنة ١٩٦٠ وأطلق على اللغة التي تستخدم في التواصل الشفوي أو المكتوب لنقل

معلومات تتصل باختصاص علمي أو بمهنة محدّدة، ففي الألمانية تمّ التعبير عن هذا المفهوم بمصطلح (Fachsprache) ويقصد به، كما في كتابات هوفمان وقريسيانو وفليخ، المعجم المختصّ[١]، وفي اللغة الإنجليزية يعبّر عنه بمصطلح (ESP) أي الإنجليزية لأهداف خصوصيّة (English for specific purposes)[٢]. وفي الفرنسية انتشر مصطلح (COS) أي التواصل لأهداف خاصّة (Communication sur objectifs spécifiques) أو (FOS) أي الفرنسية لأهداف خاصة (Français sur objectifs spécifiques) أو (FA) أي فرنسية الأعمال (Français des affaires)، وقد شاع عند الكتاب الفرنسيين استخدام مصطلحات «لغة الاختصاص» كما عند بيار ليرا أو «الخطاب المختصّ» عند مواركاند أو استعمال اللغة

---

(١) انظر حول لغة الاختصاص بالألمانية:

- Hoffmann, L. (1987). *Kommunikationsmittel Fachsprache*, Akademie-Verlag, Berlin.
- Greciano, G. (1995). «Fachphraseologie» in Metrich, René, Vuillaume, Marcel (eds.), *Rand und Band*, Stauffenburg Verlag, Tübingen,
- Fluck, H-R. (1996), *Fachsprachen, Einführung und Bibliographie*, (=Uni-Ta-schenbücher 483), A. Francke Verlag, Tübingen, Basel.

(٢) من مراجع لغة الاختصاص بالإنجليزية انظر مثلا:

- chritravelu, N, English for special purposes project in ELT Documents107, British council, 1980.
- Tom Hutchinson and Alan Waters, English for Specific purposes A learning- cntred approch. Combridge University Press, 1987.

«لأهداف خاصة» عند مانجيانت وباربات وشانتال[١].

وإذا كان مفهوم لغة الاختصاص قد استقرّ في اللّغات الأجنبيّة باعتباره مفهوما لسانيا وتولّدت عنه برامج تعليميّة وتكوينيّة أصبحت تستقطب العديد من الدارسين وطلاب العلم فإنّ الباحث في واقع التعليم في الجامعات العربيّة يلاحظ أنّ اللغة العربية بقيت معزولة عن تطوّر التعليم الجامعي، فلم تواكب ما طرأ عليه من تنوّع وتفرّع في الشعب والاختصاصات العلميّة الحديثة، وبقيت، في الغالب الأعمّ، تدرّس باعتبارها لغة أدبيّة، وحتّى إذا اعتمدت لتدريس العلوم فإنّ ذلك لم يقع الإعداد له بوضع البرامج المناسبة التي يمكن أن تؤهّل المدرّسين والدارسين بل ظلّ، في الغالب، نشاطا فرديا تلقائيا يخضع للاجتهاد الشخصي ولا تحكمه الضوابط العلمية الدقيقة. وما من شكّ في أنّ مثل هذه الوضعيّة تدعو إلى التساؤل والبحث والاستقصاء، فهل يعود غياب اللغة العربيّة المختصّة إلى عيوب هيكليّة مرتبطة بطبيعة هذه اللغة وخصائصها المميّزة أم أنّه يعزى إلى تقصير إجرائي في تصوّر سبل

---

(١) راجع حول لغة الاختصاص بالفرنسية:

- Lerat, P. (1995). *Les langues spécialisées*, Presses Universitaires de France, Paris.
- Moirqnd, Sophie *et al.*, (dir.), 1994, *Parcours linguistiques de discours spécialisés.* Actes du colloque tenu à la Sorbonne du 23 au 25 septembre 1992, Paris: Peter Lang.
-Mangiante, Jean-Marc, Parpette, Chantal, 2004, *Le français sur objectif spécifique: de l'analyse des besoins à l'élaboration d'un cours*, Paris: Hachette, Coll. FLE.

دراسة اللغة وتدريسها؟

٢-اللغة العربيّة ومسألة الاختصاص

من الأفكار الشائعة اعتبار اللغة العربيّة لغة أدب ووجدان لا لغة علم وعقل، وقد تغذّت هذه الفكرة من مصادر مختلفة، منها أنّ التراث الأدبيّ الضخم لهذه اللغة وجد حظّا كبيرا من العناية يفوق بكثير الحظّ الذي ناله تراثها العلميّ، ومن ذلك أيضا أنّ العرب لمّا تخلفوا عن ركب الحضارة وتوقفوا عن المساهمة البارزة في تطوّر العلوم والمعارف ظنّ الكثير منهم أنّ بعض مواطن الخلل والتقصير تكمن في أنّ اللغة العربيّة ليس لها ما يؤهّلها لتكون لغة علميّة لأنّها لغة وجدانية تعبّر عن العواطف والأحاسيس ولكنّها لا تصلح للتعبير عن الأفكار العقلية المجرّدة. وقد حاول بعض المستشرقين الترويج لهذه الفكرة وترسيخها خدمة لأغراض مختلفة. فقد أكّد المستشرق كارل بروكلمان مثلا أنّ اللّغة العربيّة «تتأجّج بروحانيّة تمكّنها من التعبير عن أرقّ أحاسيس الحبّ» لكنّها «لم تقو على اختراع ألفاظ تعبّر عن المعنويات العامّة والمدارك الكلّية»[١]، وصرّح شار بيلّا بأنّ «اللّغة العربيّة في أساسها لغة شعريّة أي أنّ كلّ لفظ يوحي إلى القارئ أو إلى المستمع بصور خاصّة

(١) كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تعريب عبد الحليم النجّار، القاهرة: دار المعارف، ط٥، د-ت، ج١، ص٤٣.

بها يقصر عنها إدراكنا»[١].

لا يبدو دحض هذه الفكرة الشائعة عن اللغة العربيّة من وجهة نظر لسانيّة أمرا عسيرا. فمن المعلوم أنّ علم اللسانيات قد أكّد بما لا يدع مجالا للشكّ بطلان مبدإ المفاضلة بين اللّغات لأنّ هذا المبدأ يستند إلى مواقف سياسيّة واعتبارات ذاتيّة ولا يمكن تسويغه من الناحية العلميّة. فاللغات جميعا تتساوى، كما يرى اللسانيون المعاصرون، في قيامها على نفس المعطيات الصوتية من حروف وحركات، كما تتساوى في رصيدها المعجميّ وفي إمكانياتها التركيبيّة بما يجعلها جميعا قادرة على التعبير وأداء وظيفة التواصل، فليست هناك لغة جعلت للأدب وأخرى تمحّضت للعلم، وليس للغة أن تتفوّق على أخرى في التعبير الوجداني أو تكون أقلّ حظّا في التعبير العقليّ، وإنّما التفاوت في هذا المضمار يجري بين المتكلمين أنفسهم لا في اللّغة التي يستخدمونها، ولو لم يكن ذلك كذلك لكانت العلوم والآداب والمعارف وقفا على لغات دون أخرى، وهذا ما يفنّده التاريخ ولا يؤيّده العقل. إضافة إلى كلّ ذلك فإنّ المنطق السليم يقضي بأنّ ما يحدث في اللّغة من مصطلحات وما ينبني فيها من مجازات هي من إنتاج المتكلّم الذي يستعمل اللّغة، فهي، كما سبق أن بيّنا، ضروب من تصريف الكلام

(١) شارل بيلاّ، تاريخ اللّغة والآداب العربيّة، تعريب رفيق بن ونّاس وصالح حيزم والطيّب العشاش، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧، ص٢٧٣.

تتباين بتباين مقاصد التواصل وأغراضه.

مهما تكن قيمة هذه الاعتبارات المبدئيّة واللسانيّة فإنّنا لن نكتفي بها وسنحاول أن نستجلي من واقع اللّغة العربيّة قديما وحديثا ما من شأنه أن يبيّن حظّها في أن تكون لغة اختصاص أو عجزها عن ذلك. ويكفي للتدليل على هذا الأمر أن نستحضر مجهودات القدماء والمعاصرين في العناية بالمصطلح ووضع المعاجم المختصّة.

إذا ما عدنا إلى النصوص التراثيّة وجدنا أدلّة كثيرة تؤكّد أنّ القدماء لم يصرفوا عنايتهم كلّها إلى النصوص الأدبيّة وإنّما اهتموا كذلك بالنصوص العلميّة ولم يغفلوا عن التدبّر في خصائصها اللغويّة بل إنّهم كانوا على وعي مبكّر بمسألة الاختصاص وما يترتّب عليها من حاجة ملحّة إلى استخدام المصطلح العلميّ الدقيق.

لقد بدأت عناية القدماء بالمصطلحات بصفة مبكّرة، يدلّ على ذلك أنهّ قد ظهرت عندهم معاجم خاصّة أو ما يعرف بـ«معجم الموضوع الواحد» قبل ظهور المعاجم العامّة، فمنذ القرن الثاني للهجرة وضع علماء اللغة الأوائل العديد من المعاجم المتخصّصة في مواضيع جزئيّة، فقد وضع أبو عبيدة (ت ٢٠٩هـ) معاجم في «الإنسان» و«الزرع» و«الشوارد» وصنف أبو زيد الأنصاري (ت ٢١٥هـ) في «المطر» و«المياه» و«خلق الإنسان» و«الشجر» وجمع الأصمعي (ت ٢١٦هـ)

ألفاظ «الإبل» و«النحل» و«الإنسان» و«النبات» و«الخيل».[(١)]

كما وضع القدماء إلى جانب هذه المعاجم ما يعرف بـ«المعاجم الفنيّة» وهي تلك التي جمعوا فيها مصطلحات المتكلمين والفلاسفة ومصطلحات المتصوفة ومصطلحات الفقهاء أو التي خصّصت لجمع مصطلحات علوم مختلفة مثل كتاب «مفاتيح العلوم» للخوارزمي (ت ٣٨٧هـ) و«التعريفات» للجرجاني (ت ٨١٦هـ) وكتاب «الكليات» لأبي البقاء (ت ١٠٩٤هـ) و«كشاف اصطلاحات الفنون» للتهانوي (ت ١١٥٨هـ). والناظر في هذه المعاجم الفنية المختصّة التي وضعها القدماء يلاحظ أنّ أصحابها كانوا على وعي بأهميّة المصطلح المختصّ ودوره في نقل العلوم والمعارف. يقول التهانوي مثلا في مقدمة كتابه «كشاف اصطلاحات الفنون»: «أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلوم المدوّنة والفنون المروّجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح فإنّ لكلِّ اصطلاح معنى خاصًّا به إذا لم يعلم بذلك لا يتيسّر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلا وإلى انغمامه دليلا»[(٢)].

وما من شكّ في أنّ الوعي بضرورة ضبط المصطلح وتدقيقه يعدّ سببا من الأسباب القويّة لامتلاك المعارف واستيعابها وتعديلها

---

(١) انظر يسري عبد الغني عبد الله، «معجم المعاجم»، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١.

(٢) محمد علي بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون، بيروت: دار صادر ١٨٦١. ص١.

والمساهمة في إنتاجها. فالمعرفة لا يمكن أن تبلغ درجة الوضوح والإحكام ما لم تتصف اللغة المعبّرة عنها بالضبط والتدقيق.

إلى جانب المعاجم الفنيّة اعتنى القدماء بالمعاجم العلميّة المختصّة، ففي المجال الطبيّ، مثلا، يمكن أن نذكر العديد من المعاجم التي خصّصت لأسماء الأدوية والعقاقير والمصطلحات الطبيّة ومن هذه المعاجم ما هو مخطوط لم ينشر بعد مثل كتاب «الاعتماد في الأدوية المفردة» لأبي جعفر أحمد ابن الجزار القيرواني (تـ ٣٦٩هـ)[١]، وكتاب «الأدوية المفردة» لأبي الصلت أمية بن عبد العزيز الداني(تـ ٥٢٩هـ) ومنها ما هو محقّق منشور مثل كتاب التنوير في الاصطلاحات الطبيّة لأبي منصور الحسن بن نوح القمري (تـ ٣٩٠هـ)[٢]، و«الجامع لمفردات الأدوية والأغذية» لأبي محمد عبد الله ابن البيطار (تـ ٦٤٦هـ)[٣].

---

(١) ذكر إبراهيم بن مراد أنّ الكتاب الأوّل مخطوطة في الخزانة العامّة للوثائق بالرباط رقم (ك ١٥٥) والثاني مخطوطة مكتبة آياصوفيا بتركيا ٣٥٦٤، المعجم العلمي العربي المختصّ حتّى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط/ ١، ص١١.

(٢) حقّقه وفاء تقي الدين ونشر تباعا ضمن مجلة مجمع اللغة العربيّة بدمشق: (١) ٦٥/ ٤ (١٩٩٠) ص ص٦٨٩-٧٢٠، (٢) ٦٦/ ١ (١٩٩١) ص ص ٣٢-٦٤، (٣) ٦٦/ ٢ (١٩٩١) ص ص ٢٤٠ - ٢٨٤.

(٣) نشرته مطبعة. بولاق سنة ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م. في ٤ أجزاء وقد ترجمه إلى الفرنسيّة =

أمّا المعاصرون فإنّه لم يغب عنهم ما للمعاجم المختصّة التي ألفها القدماء من أهميّة بالغة رغم أنّ المعاجم اللغويّة العامّة قد فاقتها في الشهرة والانتشار وفي هذا الصدد يقول إبراهيم بن مراد: «لم تحظ المعاجم العربيّة المختصّة بما حظيت به المعاجم اللغويّة العامّة من الشهرة والذكر... فبقيت في البحث اللغويّ بابا غفلا ومبحثا بكرا على أهميّته وطرافة التجربة العربيّة فيه وتفرّده بخصائص وميزات تفيد اللغة العربيّة اليوم إفادة كبيرة»[1].

لقد اعتنى المعاصرون بعلوم المصطلح واجتهدوا هم أيضا في تصنيف المعاجم المختصّة في العلوم والمعارف المعاصرة فأثريت المكتبة العربيّة بالعديد من المعاجم المتضمّنة لمصطلحات العلوم الحديثة ومن هذه المجهودات ما جاء فرديا نذكر منها على سبيل التمثيل لا الحصر «القاموس الاقتصادي» لمحمد بشير علية[2]، و«معجم المصطلحات التجارية والمصرفية» لحسن النجفي وعمر

=

Lucien Leclerc ونشره بباريس في ٣ أجزاء بين سنة ١٨٧٧ و١٨٨٣.

(١) إبراهيم بن مراد، المعجم العلمي العربي المختصّ حتّى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، ص٧.

(٢) صدر ببيروت عن المؤسسة العربية للدراسات والنشر سنة ١٩٨٥. وهو قاموس عربي فرنسي إنجليزي-ألماني يشتمل على أهم المصطلحات الاقتصادية والمالية والمصرفية والتجارية مع شرحها وبيان تطوّر مفاهيمها.

الأيوبي[1]، و«معجم المصطلحات الفقهية والقانونية» لجرجس جرجس.[2]، ومنها ما كان بإشراف مؤسسات عامة مثل «الدليل العربي الموحّد للمصطلحات المالية والضريبية» الصادر عن مجلس الوحدة الاقتصادية العربية (١٩٨٣). أو سلسلة المعاجم الموحدة التي أشرف على إنجازها مكتب تنسيق التعريب بالمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم مثل «المعجم الموحد لمصطلحات التجارة والمحاسبة» (١٩٩٥) أو «المعجم الموحد لمصطلحات الإعلام» (١٩٩٩) أو «المعجم الموحد لمصطلحات الاقتصاد» (٢٠٠٠).

إنّ أهمية هذه المعاجم المختصّة تكمن في أنها تمثّل أدوات عمل تساعد على استخدام المصطلحات التي أجمع عليها أهل الاختصاص وأقرّتها المجامع اللغويّة. وما من شكّ في أنّ المجهودات الكبيرة التي بذلها القدماء والمعاصرون في جمع المصطلحات وتعريفها وتصنيفها لها أهميّة بالغة في إبقاء اللغة العربية لغة حيّة (Living Language) لأنّها تتوفّر على مخزون اصطلاحي معتبر يسهّل عمليّة الاتصال مهما

(١) صدر ببيروت عن دار أكاديميا سنة ١٩٩٤. ويحتوي نحو ٤٠٠٠ مصطلح معرّف من مصطلحات العلوم التجارية والمالية والمصرفية والتأمينات والنقل البحري وهو عربي فرنسي إنجليزي.

(٢) صدر ببيروت عن الشركة العالمية للكتاب سنة ١٩٩٦. ويتضمن تعريفا لـ ٣٢٥ مصطلحا من المصطلحات الفقهية والقانونية.

اختلفت أغراضها أو تباينت مجالاتها. ولكن لا يخفى أيضا أنّ هذه المجهودات تعدّ غير كافية لأنّ ما يميّز لغة الاختصاص ليس مصطلحاتها فحسب وإنّما جميع الخصائص التي تجعلها نظاما لغويا متكاملا وقادرا على تحقيق التواصل الشفوي والمكتوب في مجال معرفي أو عملي محدّد.

وممّا يلفت انتباه الدارس أنّه على الرغم من أهميّة هذا الرصيد المتوفّر للغة العربية من الأعمال المعجميّة المختصّة قديما وحديثا فإنّ لغة الاختصاص لم تنل حظّها من العناية والاهتمام كما سبق أن أشرنا، وقد انحصرت الدراسات حولها في عدد محدود من الأعمال. والمتصفّح لهذه الأعمال يلاحظ أنّها لم تتوصّل بعد إلى بلورة توجّه مميّز لإرساء قواعد لدراسة اللغة العربية وتدريسها بوصفها لغة اختصاص، وقد تضمّنت دراسة رشدي أحمد طعيمة ومحمود كامل الناقة «تعليم اللغة لأغراض خاصة: مفاهيمه ومنهجياته: المشكلة ومسوغات الحركة» مادّة ثريّة حول مفهوم لغة الاختصاص ومناهج تعلّمها مستفادة من المراجع الغربيّة، وخاصّة منها تلك التي تتعلّق بالإنجليزية لأغراض خاصّة (ESP)، ولئن بدت هذه المادّة مفيدة من الناحية النظريّة لتدقيق المفاهيم والمصطلحات الخاصّة بهذا المجال الناشئ فإنّها لم تقدّم إضافة مهمّة على المستوى الإجرائي لأنّه لم يقع ربطها بواقع استعمال اللغة العربيّة وبمتطلبات تدريسها لأغراض

خاصّة، هذا إضافة إلى أنّ التصوّر الذي قام عليه العمل يضيق مفهوم لغة الاختصاص إذ يدرجه في إطار تعليم اللغة لغير الناطقين بها، والحال أنّ هذا المفهوم أوسع وأشمل، ويمكن أن يفيد في تدريس اللغة العربية للناطقين بها والناطقين بغيرها.

أمّا ما كتبه الباحثون في الجامعة الإسلامية حول تعليم اللغة العربية لأغراض خاصّة فهو يتضمّن من الأهداف والتطلعات أكثر ممّا يحقّقه من إنجاز، فقد تناول كلّ من عبد الرحمان شيخ وعلي إسلام يسري ومحجوب التنقازي ومحمد نجيب جعفر موضوع «تعليم اللغة العربية لأغراض خاصّة» من زوايا مختلفة مثل تعليم العربية لأغراض دينية أو سياحية أو ديبلوماسية أو أكاديميّة، وأعلنوا عن طموحات كبيرة تنطلق من حاجات الطلاب والدارسين الماليزيين، لكنّهم في مستوى التنفيذ لم يقدّموا برامج يمكن أن تحقّق الأهداف والتطلعات المرسومة، ولعلّ ذلك يعود إلى محدوديّة رصيد هؤلاء الباحثين من اللغة والثقافة العربيّة مِما جعل طموحاتهم تبدو أكبر من قدراتهم.

وإذا كانت البحوث العلميّة قد أهملت لغة الاختصاص ولم تعرها الاهتمام الكافي فإنّ واقع تدريس اللغة في الجامعات العربيّة مازال بعيدا كلّ البعد عن هذا التوجّه المعاصر، فمن الملاحظ أنّ التوجّه التقليدي مازال مهيمنا على دراسة العربية وتدريسها، فهي تعامل باعتبارها لغة أدب لا بوصفها لغة حياة. وما من شكّ في أنّ هذا التوجّه قد جعل برامج

التدريس تبتعد عن مجالات الاستعمال الحيويّ للغة، وتعتمد لغة رسميّة (Standard Language) تستخدم في الاتصالات الرسميّة وفي الكتابة وفي المدارس. أمّا ما يجري في واقع الحياة فهو استخدام اللهجات العاميّة وخليط من اللغات الأجنبيّة المتداولة مثل الألفاظ الفرنسيّة أو الإنجليزية. ويبدو أنّ تغيير هذه الوضعيّة وإرجاع اللغة العربيّة إلى واقع الحياة لا يمكن أن يتمّ إلّا إذا أدرجت لغة الاختصاص في البرامج التعليميّة وأصبح لها موقع إلى جانب موقع لغة الأدب ولهذا فإنّنا نحاول أن نساهم في هذا الإطار بوضع المبادئ والمقترحات الكفيلة ببلورة تصوّر عامّ لتعلمية لغة الاختصاص.

٣-مبادئ ومقترحات في تعلّميّة لغة الاختصاص.

إنّ العمل على إنجاح التّوجه إلى العناية بلغة الاختصاص وتعليمها لتكون أداة ناجعة للتواصل ولتعميق المعارف وتسريع المعاملات ينبغي أن ينطلق من تصوّر عامّ يستوعب أهمّ مقوّمات لغة الاختصاص وينطلق منها لتحديد الوسائل الملائمة لتعليمها. ويمكننا صياغة هذا التصوّر في شكل مجموعة من المبادئ العامّة والمقترحات العمليّة المتعلّقة بالأهداف والبرامج والمناهج المناسبة.

أ-المبادئ: يمكن اختزالها في أربعة مبادئ أساسية هي التالية:

- **مبدأ التمايز**: ونقصد به أنّ تعلميّة لغة الاختصاص لا يمكن أن تقوم على بعد واحد فهي تتطلب الجمع بين بعدين متمايزين ومتكاملين

يمكن أن نسمّي أحدهما بـ«التخصّص الموضوع» (Discipline-objet) والثاني بالتخصّص الأداة (Discipline -outil)[١]، ويكمن التمايز بين هذين البعدين في أنّ من طبيعة التخصّص الموضوع التغيّر والتنوّع بينما يتّصف التخصّص الأداة بالثبات والاستقرار. فإذا اتّخذنا اللغة العربيّة لغة اختصاص فإنّها تكون تخصّصا أداة أي وسيلة عمل مكتملة في ذاتها، أمّا التخصّصات التي تعبّر عنها فهي مواضيع متجدّدة ومتغيّرة لا يمكن حصرها. وما من شكّ في أنّ هذا المبدأ يستوجب أن يكون القائم بمهمّة التكوين في لغة الاختصاص قادرا على جعل أداته اللغويّة تستوعب التخصّصات المختلفة وتعبّر عنها بدقّة. ويحتاج ذلك إلى البحث عن الملاءمة بين الأداة والموضوع بتطويع أساليب اللغة ومخزونها المصطلحي وخصائصها التركيبة لخدمة محتوى التخصّص المدروس والمساعدة على تبليغه.

- **مبدأ التفاعل**: المقصود بالتفاعل في تعلّمية لغات الاختصاص المرونة في المراوحة بين اللغات من ناحية وبين التخصّصات من ناحية

---

(١) نستعير هذين المصطلحين من Pierre Gréco، وقد استخدمهما في مقال له بعنوان: A. La didactique des disciplines، منشور ضمن دائرة المعارف Universalise. وكذلك Françoise Rope في مقالها «تعلمية الاختصاصات Didactique des disciplines المنشور ضمن مجلة Recherche & Formation، N°8، 1990. ص ١٢٣-١٣٢.

أخرى. فأمّا المراوحة بين اللّغات فالدافع إليها أنّ المعارف والعلوم المتخصّصة ذات طبيعة كونيّة، وهو ما يعني أنّ الاطلاع عليها واستيعابها لا يمكن أن يكون دون معرفة باللّغات الأخرى مع القدرة على نقل المعطيات والمعلومات منها وإليها بسهولة. وأمّا التفاعل بين الاختصاصات فمؤدّاه أنّ التخصّصات تتكامل وتتقاطع ولا يمكن للواحد منها أن يكون كافيا بذاته لأنّ مصالح الناس في الكون متداخلة ينهض بعضها ببعض وأعمالهم متكاملة ومترابطة وبذلك فإنّ التخصّص لا يعني الانغلاق والانحصار داخل دائرة ضيّقة. ويتحقّق التفاعل في مستوى العلاقات بين اللغات بالترجمة وبناء الجداول الاصطلاحية المحكمة بين اللغة المنطلق واللغة العربيّة، أما بين التخصّصات فيحتاج إلى اعتماد المقارنة المصطلحية لإبراز التمايز المفهومي وما يطرأ على المصطلح الواحد من تغيّر مفهومي بانتقاله من اختصاص إلى آخر.

- **مبدأ الواقعيّة:** تكون الواقعيّة في تعليم لغات الاختصاص بالانطلاق من دراسة الحاجات العمليّة ومتطلبات الواقع المعيش والعمل على الاستجابة لها. فما يحتاج إليه متعلّم لغة الاختصاص إنّما هو الدراية بالمصطلحات وأساليب التعبير المستخدمة في الواقع والجارية في المعاملات. ولتكون لغة الاختصاص لغة مطابقة للواقع فإنّ المدوّنة التي تعتمد في تدريسها يفترض أن تعتمد وثائق حيّة مستمدّة من واقع الاتصال الشفوي والمكتوب، فهذه الوثائق هي التي تزخر

بالرصيد المصطلحي والمفهومي وبأساليب التعبير والبنى التركيبية والخصائص الشكلية المميّزة للغة الاختصاص.

- **مبدأ الحرفيّة**: لمّا كانت لغة الاختصاص لغة تطبيقيّة بالأساس أي تتعلّق بالأعمال والمعاملات فإنّ استخدامها أداة للتواصل ينبغي أن يكون متولّدا من مهارات مكتسبة. وهذه المهارات لا تتحقّق إلّا إذا تمكّن المتكلّم من التحكّم في التقنيات والوسائل اللغويّة المساعدة على التعبير والتحرير بلغة مختصّة تخلو من مظاهر الغموض والتعقيد وتتّسم بالدقّة والوضوح. فالتعامل مع اللغة داخل الاختصاص هو إذن تعامل حرفيّ أي أنّها تتّخذ وسيلة وليست غاية في حدّ ذاتها. كما أنّ فاعليتها تقاس بدورها في تحقيق التواصل وإنجاح المعاملات. والفاعليّة هي النتيجة التي يمكن التوصّل إليها عند إتقان اللغة إتقانا وظيفيّا يخدم الأغراض والمصالح الآنية.

انطلاقا من هذه المبادئ العامّة يمكننا صياغة مجموعة من المقترحات العمليّة تتضمّن تحديدا دقيقا للمرتكزات الأساسيّة التي ينبني عليها أيّ تصوّر تعليميّ أي الأهداف المنشودة ومحتوى البرامج المرصودة والآليات والمناهج المساعدة.

ب-الأهداف: يمكن أن تتوزع أهداف تدريس اللغة العربيّة باعتبارها لغة اختصاص على ثلاثة أهداف كبرى تكون بمثابة المقاصد العامّة وتتفرّع منها أهداف نوعيّة تختلف باختلاف الشعب

والاختصاصات العلميّة:

- استخدام لغة عربيّة مختصّة وسليمة: ويستمدّ هذا الهدف أهميّته من كونه يمثّل منطلقا لبناء لغة عربية مختصّة وواقعيّة ولكنّها تراعي قواعد سلامة اللغة بتهذيبها من الأخطاء الشائعة الناتجة عن الترجمة والتأثّر بأساليب التعبير في اللغات الأخرى.

- اكتساب مهارات تساعد على قراءة الكتابة المختصّة وإنتاجها: ويتّجه هذا الهدف إلى الغايات المباشرة من تعليم لغة الاختصاص وهي تتلخّص في اكتساب القدرة على الفهم والتعبير، ويتفرّع هذا الهدف إلى أهداف جزئية عند التنفيذ ترتبط بمستويات تعليم اللغة.

- الاقتدار على توظيف اللغة العربيّة لتحقيق التواصل الناجع في مختلف المجالات: يمثّل هذا الهدف المقصد العام الذي يتّجه إليه تعليم لغة الاختصاص، ولذلك فإنّ تقييم مستوى الدارس للغة الاختصاص ينبغي أن يكون وفق معايير تبيّن مدى كفاءته التواصليّة.

ج-**البرامج**: ما من شكّ في أنّ البرامج التعليميّة التي يمكن أن تجعل من اللغة العربيّة لغة اختصاص ينبغي لها أن تكون منسجمة مع طبيعة الأهداف المرصودة ومؤدية إليها. ولمّا كان المدار في هذه الأهداف على جعل اللغة العربيّة لغة اختصاص وتواصل فإنّنا نتصوّر أن تتوزّع البرامج على ثلاثة عناوين كبرى هي:

- **تقنيات الكتابة المختصّة**

يمكن تحت هذا العنوان صياغة برامج تستهدف تصنيف الكتابات المختصّة والتعريف بأهمّ أنواعها ووظائفها وتعمل على إبراز أهمّ المقوّمات الشكليّة البنائيّة والمضمونيّة التي يتميّز بها كلّ صنف من أصناف الكتابة المختصّة. فلو اتّخذنا مثلا التقرير المختصّ جنسا من الأجناس فإنّ البحث فيه يكون بتحليل نماذج من التقارير المختصّة لإبراز خصائصها العامّة ومظاهر التمايز بينها، وهو ما من شأنه أن يساعد على تصنيفها إلى أنواع تختلف باختلاف الاختصاصات مثل التقرير الإداري والتقرير الاقتصادي والتقرير المالي والتقرير السياسي والتقرير الطبّي...

- **اللّغة والمصطلح**

يخصّص هذا القسم لتناول مسائل لغويّة يتمّ بواسطتها تنمية الرصيد اللغوي والاصطلاحيّ حتّى يساعد ذلك على استخدام اللّغة على نحو سليم ودقيق ومختصّ ويمكن توزيع هذه المسائل على الأبواب التالية:

- باب التركيب: ويتناول مسائل تركيبيّة تتعلّق بشروط بناء الكلام وأساليبه مثل التمييز بين النصّ والجملة وتوضيح مقوّمات الإسناد والأشكال الأساسيّة للجملة في اللغة العربيّة والتعريف بالمركّبات وتصنيفها وتحديد وظائفها والتعرّف على أساليب التعبير الإخباريّة والإنشائيّة، ودراسة التراكيب الإعلامية التي تساعد على تبليغ المعلومة المناسبة والتأكيد عليها.

- باب الاشتقاق: ويتضمّن المسائل الاشتقاقيّة من قبيل التمييز بين الكلمة والجذر والتعرّف إلى أنواع الأفعال وأوزانها وتصريفها، والتعامل مع الأسماء والصفات تصنيفا وتصريفا واشتقاقا. والتركيز على دور الاشتقاق في التعريب ونحت الأسماء والمصطلحات الجديدة.

- باب المصطلح: تثار فيه القضايا الاصطلاحيّة المتعلّقة بوضع المصطلح وترجمته واستخدامه وتطوّره، ويتمّ كذلك التعرّف على أهمّ الجداول الاصطلاحيّة موزّعة على الاختصاصات اعتمادا على المعاجم المختصّة.

- باب الترجمة: يخصّص هذا الباب للبحث في الترجمات الممكنة للمصطلحات الدقيقة المرتبطة بالاختصاص، ويتعرّف الدارس من خلال ذلك على المعايير الأساسية التي تساعد على التعريب والترجمة من اللغة العربية وإليها ليستخدمها عند الحاجة.

- **تقنيات الاتّصال**

تصاغ تحت هذا العنوان البرامج التي من شأنها أن تحوّل المعارف النظريّة المتعلّقة بلغة الاختصاص إلى أدوات عمل إجرائيّة تساعد على تحقيق التواصل وتيسير المعاملات ويمكن أن تتوزّع هذه البرامج على بابين متكاملين:

- باب الاتصال الشفوي: ويتمّ فيه العمل على اكتساب مهارات التواصل الشفوي الناجح أثناء المحاورة أو المحادثة أو المفاوضة.

- باب الاتصال المكتوب: ويخصّص لاكتساب تقنيات تحرير المراسلات والوثائق المكتوبة باعتبارها وسائط اتصاليّة مثل المراسلات الإداريّة والتجاريّة والإلكترونيّة.

د-المناهج: يتطلّب تدريس لغة الاختصاص توظيف مناهج تعليميّة تراعي ما تتّصف به اللغة المختصّة من دقّة في المصطلح وتنوّع في الوظائف. ويستدعي ذلك أن تكون مناهج التدريس قادرة على التحكّم في ظاهرة التنوّع والاختلاف، وذلك باعتماد مقاربة مفاهيميّة وظائفيّة تساعد على الإحاطة بمختلف المصطلحات والتمييز بينها، وهو ما يمكن بلوغه بتصنيف الاختصاصات وتبويبها إلى اختصاصات رئيسيّة وأخرى فرعيّة حتّى يسهل على المتعلّم إدراك ما بينها من وجوه التشابه ووجوه الاختلاف. ولتحقيق هذا المقصد يمكن الاعتماد على الآليات التالية:

- التعامل المباشر مع لغة الاختصاص قراءة واستخداما أي باتخاذ لغة التواصل الشفوي أو المكتوب في واقع الاستعمال موضوعا للاهتمام. ويكون ذلك بجمع مدونات من نصوص الاختصاص تشمل التقارير والمراسلات والوثائق الرسمية.

- المقارنة مع التركيز على إظهار الاختلافات والفوارق بين الجداول الاصطلاحيّة بحسب اختلاف الاختصاصات.

- اعتماد مقاربة تأليفيّة تندمج فيها المكتسبات اللغوية والاصطلاحيّة والتواصلية لتحقيق أهداف خصوصيّة.

في ضوء ما تقدّم من مبادئ ومقترحات متعلّقة بتعلمية لغة الاختصاص نخلص إلى أنّ أهمّ ما يميّز هذا التوجّه إنّما يكمن في القدرة على الاستجابة لمتطلبات العصر والعمل على جعل اللغة العربيّة لغة مؤهّلة لمواكبة المستجدّات العلميّة والتواصليّة حتّى لا تبقى مجرّد لغة تراثيّة تستمدّ مجدها من ماضيها وليس لها دور فعّال في حاضرها، ولعلّ التركيز على هذا الأمر وإعطاءه ما يستحقّ من أهميّة يمكن أن يفتح آفاقا مستقبليّة واعدة في مستوى التدريس والتعلّم بصفة خاصّة وفي المستوى الحضاريّ بصفة أعمّ.

خــاتمة

إنّ أهمّ ما يقودنا إليه التفكير في الآفاق الكبرى لمشروع «اللغة العربية المختصّة»، لو أتيح له أن يطبّق وينتقل من التصوّر النظري إلى الممارسة الفعليّة، يتمثّل في توقّع النتائج التالية:

- يمكن على المدى القريب والمتوسّط أن يكون لهذا المشروع تأثير مباشر في مستوى تصميم برامج التعليم الجامعي، وذلك ببعث مقرّرات تتعلّق بلغة الاختصاص في مختلف الشعب والتخصّصات الدراسية، تضبط أهدافها انطلاقا من طبيعة تلك التخصّصات ومن رصد حاجات الدارسين فيها ونوعيّة التكوين الذي يتلقّونه، ويتمّ الاستعداد لهذا التوجّه بإعداد مدرّسين تكون لهم الكفاءة لتدريس لغة الاختصاص بعد تلقّي دورات تدريبيّة موجّهة للغرض. ومن الضروري أن يشرف على إعداد المشروع ومتابعة تنفيذه لجنة من الخبراء ترسم الأهداف وتحدّد المراحل وتضبط آليات التنفيذ.

- أمّا على المدى البعيد، فمن المتوقّع أن يكون لانتشار لغة الاختصاص انعكاس إيجابي في استخدام اللغة العربيّة وانتشارها وتحوّلها بشكل تدريجي إلى لغة حياة وتواصل، وذلك باعتمادها في المعاملات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية بشكل يومي ومطّرد لا بوصفها لغة رسميّة، بل على أساس أنّها تمثّل لغة حيّة وفاعلة في الواقع، ولا يمكن لمثل هذا التحوّل أن يحدث إلّا بالاعتماد على تراكمات

تعلميّة تقوّي الملكة اللغويّة للمتكلمين وتجعلهم قادرين على التواصل باللغة العربية في المجالات المهنية المختلفة بطريقة ناجعة وفعّالة.

- إذا أتيح للغة العربيّة أن تتحوّل إلى لغة اختصاص وكان لها في الواقع دور يدلّ على كفاءتها الأدائية والتواصلية فمن المتوقّع على مدى أبعد أن يساعد ذلك لا على حسن تمثّل المعارف الحديثة وهضمها فحسب بل على توفير الأرضيّة اللازمة للمساهمة في إنتاجها ونشرها، وما من شكّ في أنّ هذا الدور الحضاري الذي كان للعربيّة في سالف عصورها يمكن أن يستعاد إذا ما توفّرت الإرادة والحرص على مواكبة العصر والانخراط فيه بقوّة خاصّة إذا اقترن ذلك بالعمل وأصبح ممارسة ولم يبق مجرّد رغبة أو شعارات براقة.

قد تبدو هذه الآفاق الرّحبة بعيدة المنال وأقرب إلى الحلم منها إلى الحقيقة، ولكن لا شيء يجعلها مستحيلة، ولا شيء يمنع من التطلّع إليها، فمن ينظر بعمق وتدبّر إلى ما تلقاه بعض اللغات اليوم من رواج وانتشار واسع مع أنّها لا تملك ما تملكه اللغة العربية من رصيد ضخم وتاريخ ممتدّ يدرك أنّ اقتران الإرادة بالعمل يمكن أن يفتح أبواب المستحيل ويوسّع آفاق الأمل.

قائمة المراجع

- **المراجع العربية والمترجمة**

- ابن جعفر (محمد نجيب)، تحليل حاجات متخصّص اللغة العربية والاتصالات بجامعة العلوم الإسلامية الماليزية في تعلم اللغة العربية لأغراض سياحية، منشور إلكترونيا بالموقع:

www. researchgate. net/... /255983305

- ابن جعفر (محمد نجيب)، تعليم اللغة العربية لأغراض دينية عبر مواقع الإنترنيت، منشور إلكترونيا بالموقع:

http: //www. researchgate. net/publication/255983425

- ابن مراد (إبراهيم)، المعجم العلمي العربي المختصّ حتّى منتصف القرن الحادي عشر الهجري، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط/ ١.

- أبو محمد (عبد الله ابن البيطار)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، القاهرة: مطبعة بولاق، ١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م، في ٤ أجزاء، ترجمه إلى الفرنسيّة Lucien Leclerc ونشره بباريس في ٣ أجزاء بين سنة ١٨٧٧ و١٨٨٣.

- أبو منصور (الحسن بن نوح القمري)، التنوير في الاصطلاحات الطبيّة، حقّقه وفاء تقي الدين ونشر تباعا ضمن مجلة مجمع اللغة

العربيّة بدمشق: (١) ٦٥/ ٤ (١٩٩٠) ص ص٦٨٩- ٧٢٠، (٢) ٦٦/ ١ (١٩٩١) ص ٣٢- ٦٤، (٣) ٦٦/ ٢ (١٩٩١) ص ٢٤٠ - ٢٨٤.

- بروكلمان (كارل)، تاريخ الأدب العربي، تعريب عبد الحليم النجّار، ج١، القاهرة: دار المعارف، ط٥، د-ت.

- بيلّا (شارل)، تاريخ اللّغة والآداب العربيّة، تعريب رفيق بن ونّاس وصالح حيزم والطيّب العشاش، بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٩٩٧.

- التنقازي (محمود)، اللغة العربية لأغراض خاصّة: اتجاهات جديدة وتحديات، منشور إلكترونيا بالموقع:

http: //www. attarikh-alarabi. ma/Html/Adad43partie5. htm

- التهانوي (محمد علي بن علي)، كشاف اصطلاحات الفنون، بيروت: دار صادر ١٨٦١.

- جرجس (جرجس)، معجم المصطلحات الفقهية والقانونية، بيروت: الشركة العالمية للكتاب، ١٩٩٦.

- دي سوسير (فردينان)، دروس في الألسنيّة العامّة، تعريب صالح القرمادي- محمد الشاوش- محمد عجينة، طرابلس/ تونس: الدار العربيّة للكتاب، ١٩٨٥، ص٢٩.

- رشدي (أحمد طعيمة)، تعليم العربية لأغراض خاصّة، مفاهيمه

وأسسه ومناهجه، معهد الخرطوم الدولي، ٢٠٠٣. منشور في موقع جامعة أمّ القرى منسوبا لرشدي أحمد طعيمة ومحمود كامل الناقة، بعنوان، تعليم اللغة لأغراض خاصة: مفاهيمه ومنهجياته المشكلة ومسوغات الحركة، منشور إلكترونيا بالموقع:

http: //uqu. edu. sa/page/ar/

- شيك (عبد الرحمان)، تعليم اللغة العربية لأغراض خاصّة من التخطيط إلى التنفيذ، ندوة العملية التعليمية والإبداع الفكري في ظلّ ثورة المعلومات اللغة العربية أداء وإبداعا، كوالا لامبور الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، ٢٠٠٧.

- عبد الله (يسري عبد الغني)، «معجم المعاجم»، بيروت: دار الجيل، ١٩٩١.

- العبيدي (جمال)، دليلك إلى التحرير الإداري باللغة العربيّة، تونس: دار إسهامات في أدبيات المؤسسة، ط١/ ٢٠٠٥.

- عشتاري (أحمد)، تعليم اللغة العربيّة لأغراض محدّدة، المجلّة العربية للدراسات اللغويّة، المنظمة العربية، معهد الخرطوم الدولي، مج ١، ع٢، فبراير ١٩٨٣.

- علية (محمد بشير)، القاموس الاقتصادي، ببيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ١٩٨٥.

- النجفي (حسن) وعمر الأيوبي، معجم المصطلحات التجارية والمصرفية، بيروت: دار أكاديميا، ١٩٩٤.

- يسري (علي إسلام)، منهج متكامل لتعليم اللغة العربية لأغراض ديبلوماسية، رسالة ماجستير غير منشورة، الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا، كوالا لامبور، ٢٠٠٨.

- **المراجع الأجنبية**

- Afnor, Terminologie, Norme ISO, 1087, Paris 1990.
- chritravelu, (N.), English for special purposes project in ELT Documents107, British council, 1980.
- Dubois (jean) et coll. Dictionnaire et des sciences du langage, Larousse, Paris, 1994, p440.
- Fluck, (H-R.), Fachsprachen, Einführung und Bibliographie, (=Uni-Ta-schenbücher 483), A. Francke Verlag, Tübingen Baselm, 1996.
- Greciano, (G.). «Fachphraseologie» in Metrich, René, Vuillaume, Marcel (eds.), Rand und Band, Stauffenburg Verlag, Tübingen, 1995.
- Gréco (Pierre), La didactique des disciplines, l'Encyclopædia Universalise.
- Hoffmann, (L.). Kommunikationsmittel Fachsprache, Akademie-Verlag, Berlin, 1987.
- Lerat (Pierre), Les langues spécialisées, PUF, Paris, 1995.
- Lorat (Pascal), Dictionnaire de la Mondialisation, ed Ellipses, 2001.
- Mangiante, (Jean-Marc) et Parpette, Chantal, Le français sur objectif spécifique: de l’analyse des besoins à l’élaboration d’un cours, Paris: Hachette, Coll. FLE, 2004.

- Moirand, (Sophie) et al., (dir.), Parcours linguistiques de discours spécialisés. Actes du colloque tenu à la Sorbonne du 23 au 25 septembre 1992, Paris: Peter Lang. 1994.
- Rope, Françoise, Didactique des disciplines, In Recherche & Formation, N°8, 1990. PP 123 -132.
- Tom Hutchinson and Alan Waters, English for Specific purposes A learning- cntred approch. Combridge University Press, 1987.



القسم الثالث:



الرُّؤيةُ الدّلاليّة في كتابِ «أسرار البلاغة» لعبدالقاهر الجرجاني، وقوانين المعاني والبيان

-مقاربة لغوية -

أ.د. عبدالرحمن بودرع
جامعة عبد المالك السعدي - المغرب.
(نائب رئيس المجمع)

يُثيرُ العَرْضُ إشكالاتٍ مَنْهَجِيَّةً في الكَشفِ عَنْ بَعْضِ مُقَوِّماتِ النَّصِّ الأَدَبِيِّ. وَوَجْهُ تَطويرِ الإِشْكالاتِ مُحاوَلَةُ إثارَتِها بِأَسْئلَةٍ حَديثَةٍ، أو تَصنيفُ العَناصِرِ المَنْهَجِيَّةِ القَديمَةِ في أَبْوَابٍ حَديثَةٍ، وَجَعْلُها تَنْدَرِجُ تَحتَها. وَيَدخُلُ في هذا مُحَاوَلَةُ تَطْوِيرِ المَفاهِيمِ النَّقْدِيَّةِ العَرَبِيَّةِ، وجَعْلِها قادِرَةً عَلى تَحْلِيلِ النَّصِّ رائِدَةً فيهِ، وذَلِكَ لِكَيْ يَرقَى التَّحْليلُ العَرَبِيُّ إِلَى مُسْتَوَى النَّموذَجِ المَنْشودِ في التَّحليلِ.

ويَنْحَصِرُ هذَا العَرْضُ في محاولَةِ استخراجِ تَصويرِ عبد القاهر الجرجانيِّ للمعنى الشِّعرِيِّ وطَريقةِ تَركيبِه في كِتابِ «أَسْرارِ البَلاغَةِ»، ويُقارِبُ هذا التَّصَوُّرَ بِأَداةٍ لُغَوِيَّةٍ، لِمُحاوَلَةِ صَوْغِ تَصَوُّرٍ عن الرُّؤيَةِ الدَّلَالِيّةِ التي ينْطَلِقُ منْها والأساسِ النَّظَرِيِّ الذي وَضَعَهُ. وينطلقُ من كِتابِ «أسرار البلاغةِ» الذي عدَّه مُحَقِّقُه، إلى جانبِ صنْوِه «دلائل الإعجاز»، أصْلينِ جليليْنِ، أسَّسا قواعِدَ النَّظرِ في علمِ بلاغَةِ الألسِنَةِ

عامَّةً وبلاغَةِ اللِّسانِ العَرَبيِّ المُبينِ خاصَّة[١]، بعدَ أن أَلَـمَّ بالعَرَبيّـةِ مرضُ الوقوفِ عِند ظواهِرِ قوانينِ النَّحوِ ومدلولِ الألفاظِ المُفرَدَةِ والجملِ المُرَكَّبَـة، والانصراف عن معاني الأساليب، ومدلولاتِ التّراكيبِ، ومناحي القولِ في ضُروبِ التَّجوُّز والكِناية[٢]

إنَّ أَبرَزَ قَضِيَّةٍ يُمْكِنُ الحديثُ عَنهَا في إطارِ تَصَوُّرِ عَبدِ القاهرِ لِبنْيَةِ المَعْنَى الشِّعرِيِّ أو الصّورَةِ هِيَ أنَّ لَهُ رُؤيَةً دَلالِيَّةً واضِحةً في وَصْفِهِ لِعَمَلِيَّةِ نَظْمِ الشِّعْرِ. ولَيْسَ المُرادُ بالرُّؤْيَةِ الدَّلَالِيةِ اختزالَ التَّصَوُّرِ إلى قَضِيَّةِ «اللَّفْظِ والمعنَى» التي طالَ الجَدَلُ حَولَها، وَصُنِّفتْ مَذاهِبُ النَّقْدِ العَرَبِيِّ القَديمِ وفْقَهَا، وعُدَّتْ مُجَرَّدَ مَسْأَلَةٍ لُغَوِيَّةٍ لِتَصَوُّرِ صِناعَةِ الشِّعرِ ومسَالِكِ القَوْلِ الأُخْرَى. ولَكِنَّ المَقْصُودَ بِالرُّؤْيَةِ الدَّلالِيَّةِ تِلكَ النَّظرَةُ التي تَرجِعُ مزايا الكَلامِ البَليغِ إلى قِيَمِ المَعنى بِمَراتِبِهِ ومَظاهِرِهِ المُختَلِفَةِ، هذِه القِيَم التي تُحَدِّدُ نَوعَ الصِّياغَةِ اللَّفظِيَّةِ وَطريقَةَ النَّظْمِ والتَّركيبِ المُناسِبَةَ. وَيُمكِنُ أن نَنْعَتَ بَلَاغَةَ عبدِ القاهِرِ في «أسْرارِ

(١) الأستاذ محمود محمّد شاكر، ص: ٣، مطبعة المدني، القاهرة، ط. ١/ ١٤١٢-١٩٩١، ويُنظَر أيضًا ما قاله يحيى ابنُ حمزةَ العلوي في مقدّمة كِتابِه: [كِتاب الطِّراز المُتَضَمّن لأسرارِ البَلاغَةِ وعُلومِ حقائقِ الإعجازِ: ليحيى بن حمزةَ العَلَويّ اليَمَنيّ (ت. ٧٤٩)، مراجعة جماعةٍ من العلماء. دار الكُتب العلميّة، بيروت ١٤٠٢-١٩٨٢] عنْ كِتابَي «أسرار البلاغة» و«دلائل الإعجاز».

(٢) انظر تفصيلَ ذلك في كلام الشّيخ رشيد رضا، في مقدّمة نشره لكتاب «أسرار البلاغة».

البلاغَةِ» بِأنَّها تقعيدٌ لِلْمَعْنَى أو وَضْعُ نحوٍ للمَعْنى الشِّعريِّ، وذلِك لأنَّه يُديرُ كلامَهُ كُلَّهُ على طُرُقِ الإمْساكِ بِأَطرافِ المَعنَى وتقييدِ أوابدِه. وَتتميَّزُ هذِه الرُّؤيةُ الدَّلالِيَةُ بميزَةِ الشُّمولِ والاستِقْطابِ لأنَّها تَسْري في كلِّ أَدواتِ التَّحلِيلِ وتَستَغرِقُ أجزَاءَ الرُّؤْيَةِ وتفاصيلَها. وَأكبَرُ دَليلٍ على تَصَوُّرِهِ المَذكورِ قَوْلُهُ:

«غَرَضي في هَذا الكَلَامِ الذي ابْتَدَأْتُهُ والأساسِ الذي وَضَعتُهُ أنْ أَتَوَصَّلَ إلى بَيَانِ أَمْرِ المَعَاني كَيْفَ تَختَلِف وتَتَّفِقُ، ومِن أَيْنَ تَجْتَمِعُ وَتَفتَرِقُ وأُفَصِّل أَجناسَها وأَنواعَها، وأَتَتَبَّع خاصَّها ومُشاعَها، وأُبَيِّنُ أَحْوالَها في كَرَمِ مَنْصِبِها مِن العَقْلِ وَتَمَكُّنِها في نِصَابِهِ، وَقُرْبِ رَحِمِها مِنهُ أو بُعدِها حينَ تنْسبُ عَنْهُ... وَهَذَا غَرَضٌ [أي بيانُ أمْرِ المَعَاني] لا يُنالُ عَلى وَجْهِهِ، وطَلِبَةٌ لا تُدرَكُ كَما يَنبَغِي إلَّا بَعدَ مُقَدِّماتٍ تُقَدَّمُ وَأصولٍ تُمَهَّدُ وَأَشْياءَ هِيَ كَالأدَواتِ فيهِ حَقُّها أنْ تُجمَعَ». وَقَوْلُهُ: «وَأَوَّلُ ذَلِكَ وأوْلَاهُ، وأَحَقُّه بِأَنْ يَستَوفِيَهُ النَّظَرُ وَيَتَقَصَّاهُ، القَوْلُ على التَّشْبيهِ والتَّمثيلِ والاستِعَارَةِ، فَإِنَّ هَذِهِ أُصُولٌ كبيرَةٌ كأَنَّ جُلَّ مَحاسِنِ الكَلَامِ - إن لَمْ نَقُل كُلَّها - مُتَفَرِّعَةٌ عَنهَا وراجِعَةٌ إِلَيْهَا، وكَأنَّها أَقْطابٌ تَدور عَلَيْها المعاني في مُتَصَرَّفاتِها... »[1]

(١) أسرار البلاغة: ٢٦-٢٧. وأشار الشّيخ رشيد رضا إلى أن عبارة: «الأساس الذي وضعته» نصّ من عبد القاهر على أنه هو الواضع لهذا الفنّ: [هامش (١) ص: ١٩، من طبعة المنار].

هـذا نـصٌّ جامِعٌ يَتَحَدَّثُ فيـهِ عبدُ القاهِرِ عَن أُصُولِ النَّظَرِ في بِنيَـةِ المَعْنَى الشِّعرِيِّ، وسَمَّى أُصولَ النَّظَرِ هذِهِ باسْمٍ جامِعٍ هُوَ «بَيانُ أمرِ المَعَاني»، وهُوَ مُصْطَلَحٌ لِصِناعَةٍ أَوْ فَنٍّ أَوْ عِلْمٍ وَضَعَهُ هُوَ نَفْسُهُ وسُمِّيَ فيما بَعدُ بالبَيانِ، ويُمكِنُ أَن نَقول إنَّهُ أَنشأَ كِتابَ الأسْرَارِ لِتَمحيصِ رُؤيَةٍ وَاضِحَةٍ، مَفَادُهَا أَنَّ قوامَ العَمَلِ الأَدَبِيِّ بِنيَةٌ دَلَالِيَّةٌ مُتَماسِكَةٌ في صُورَتِهَا مُتَحَكِّمَةٌ في طَرِيقَةِ الصِّيَاغَةِ المُعَبِّرَةِ عَنهَا. ومَدارُ تَصَوُّرِ الرَّجُلِ عَلى بَيَانِ أَمْرِ المَعَانِي فِي حالَتَي التَّحلِيلِ وَالتَّرْكِيبِ، وعَلَى مَنْهَجِهِ في مُعَايَنَةِ تَحلِيلِ المَعـانِي وضَـوَابِطِ تَركيبِهَـا، وسَـمّى طَرِيقَتَـهُ فِـي المُعَايَنَـةِ **بِالمُقَدِّمَـةِ وَالأُصُولِ والأَدَواتِ.**

مظاهِرُ الرُّؤيَةِ الدَّلَالِيَّةِ، أَو مَظَاهِرُ النَّظَرِ في المَعْنَى الشِّعْرِيِّ

١- المَظْهَرُ الأَوَّلُ: مَفْهُومُ الخَصَائِصِ الدَّلَالِيَّةِ:

المَقْصُودُ بِالخَصَائِصِ الدَّلَالِيَّةِ مَجْمُوعُ العَناصِرِ الدَّلَالِيَّةِ وَمُقَوِّماتِ المَعْنَى الماثِلَةِ فِي اللَّفْظِ، وَيُمْكِنُ تَقْسيمُها إِلَى مُقَوِّماتٍ أَو خَصَائِصَ نَحْوِيَّةٍ تُحَدِّدُ وَظيفَةَ اللَّفظِ النَّحوِيَّةَ في التَّرِكيب، والمِثالُ عَلَى ذَلكَ قَولُ بَعْضِ النُّحَاةِ في خَصائِصِ الاسْمِ: «الاسمُ تَخُصُّهُ أَشْيَاءُ يُعْتَبَرُ بِهَا... »[1]، ومُقَوِّماتٍ أو خَصَائِصَ مُعْجَمِيَّةٍ تُحَدِّدُ وَظيفَةَ اللَّفظِ الدَّلالِيَةَ، وقد حَاوَلَ عُلَمَاءُ اللُّغَةِ وَأَصحَابُ المَعَاجِمِ أَنْ يَحْصُروها في تَعْرِيفِهِم الشَّيْءَ بِما

(١) الأصول في النّحو لابن السراج: ١/ ٣٧.

يَتَضَمَّنُهُ مِنْ عَناصِرَ مُعْجَمِيَّةٍ، وَمُقَوِّمَاتٍ أَو خَصَائِص بَلَاغِيَةٍ تُحَدِّدُ وَظيفَةَ اللَّفْظِ الشِّعْرِيَةَ، إِلَّا أَنَّ الخَصَائِصَ النَّحْوِيَةَ والخَصَائِصَ المُعْجَمِيَّةَ عَناصِرُ وَمُقَوّمَاتٌ ثَابِتَةٌ فِي اللَّفْظِ تُوجَدُ فِيهِ بِالوَضْعِ والأَصَالَةِ وَبِهَا يَتَحَدَّدُ. أَمَّا الخَصَائِصُ البَلَاغِيَةُ فَهِيَ عَنَاصِرُ تَنتَقِلُ إِلَى الكَلِمَةِ بَعْدَ أَن لَمْ تَكُنْ فِيها، تَنتَقِلُ إِلَيْهَا بِضَرْبٍ مِن النَّقلِ والاسْتِعَارَةِ والتَّجَوُّزِ والتَّشْبِيهِ وَسَائِرِ تِقْنِياتِ تَحْوِيلِ المَعْنَى، وَهِيَ فَرعِيَّةٌ غَيْرُ ثَابِتَةٍ، وَلَا تُدرَكُ إِلَّا مِن خِلَالِ المُقَوِّماتِ الأَصْلِيَّةِ الثَّابِتَةِ، وذَلِكَ للتَّمَكُّنِ مِن إدرَاكِ حَرَكَةِ الانتقَالِ التِي حَصَلَتْ فِي اللَّفْظِ، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَبْدُ القَاهِرِ الجُرْجَانِي:

«اعْلَم أَنَّ كُلَّ لَفْظَةٍ دَخَلَتْهَا الاسْتِعَارَةُ المُفِيدَةُ فَإِنَّهَا لَا تَخْلُو مِنْ أَنْ تكُونَ اسْمًا أَو فِعْلًا، فإِذَا كَانَت اسْمًا فَإِنَّهُ [...] تَنْقُلُهُ (الاسْتِعَارَةُ) عَنْ مُسَمَّاهُ الأَصْلِيِّ إِلَى شَيْءٍ آخَرَ ثَابِتٍ مَعْلُومٍ فَتُجْرِيهِ عَلَيْهِ [...] عَلَى سَبيلِ الاسْتِعَارَةِ وَالمُبَالَغَةِ فِي التَّشْبِيهِ، وَمِثَالُهُ قَوْلُ لَبِيدٍ:

وَغَداةَ رِيحٍ قَدْ كَشَفْتُ وقِرَّةٍ   إِذْ أَصْبَحَتْ بِيَدِ الشَّمَالِ زِمامُهَا[1]

وذَلِكَ أَنَّهُ جَعَلَ للشَّمالِ يَدًا، ومَعْلومٌ أَنَّهُ لَيْسَ هُناكَ مُشَارٌ إِلَيْهِ يُمْكِنُ أَنْ تَجْرِيَ اليَدُ عَلَيْهِ... أمّا الفِعْلُ فَلَا يُتَصَوَّرُ فِيهِ أَنْ يتَنَاوَلَ ذَاتَ شَيْءٍ كَمَا يُتَصَوَّرُ فِي الاسْمِ... وَوَصْفُ الاسْمِ بِأَنَّهُ مُسْتَعَارٌ حُكْمٌ يَرجِعُ إِلَى مَصْدَرِهِ الذي اشتُقَّ مِنْهُ... وَيَكُونُ استِعَارَةً مِنْ جِهَةِ فَاعِلِهِ... وَيَكُونُ

(١) وفي روايَة جمهَرَة أشعار العَرَب لأبي زيد القُرشي: وغَداةَ ريحٍ قَدْ وَزعْتُ... كذا في العُمدَة لابن رَشيق القيرواني.

أُخْرَى اسْتِعَارَةً مِنْ جِهَةِ مَفْعُولِهِ... »[1].

يَظْهَرُ مِنْ هَذَا النَّصّ أَمْرَانِ: أَوَّلُهُمَا: أنَّ تَحلِيلَ الصُّورَةِ خُصُوصًا، وَالنَّصّ الشِّعْرِيِّ عُمُومًا، يَقْتَضِي تَحْلِيلَ الأَلْفَاظِ المُسْتَعْمَلَةِ إِلَى عَناصِرِها ومُقَوِّمَاتِها المُعْجَمِيَّةِ؛ لأَنَّ الخَصَائِصَ المُعْجَمِيَّةَ لِكُلِّ كَلِمَةٍ فِي التَّرْكِيبِ تَأْتَلِفُ وخَصَائِصَ الكَلِمَةِ المُجَاوِرَةِ، وَيَحْصُلُ مِنْ هَذَا الائْتِلَافِ بِنْيَةٌ دَلَالِيَّةٌ تُسْنَدُ إِلَى الجُملَةِ كُلِّهَا.

أَمَّا الأَمْرُ الثَّانِي فَمفَادُهُ أَنَّ الفِعْلَ لَا يَتَضَمَّنُ فِي ذَاتِهِ هَذِهِ المُقَوِّمَاتِ، وَلَكِنَّهُ رَابِطٌ يَربِطُ مَجْمُوعَ مُقَوِّماتِ كُلِّ كَلِمَةٍ بِمَجْموعِ مُقَوِّمَاتِ الكَلِمَةِ المُجَاوِرَةِ لَهَا، لِتَحْصِيلِ البِنْيَةِ الدَّلَالِيَّةِ، فَإِذَا ثَبتَ تَعْلِيقُ المُقَوِّمَاتِ الدَّلَالِيَّةِ بالأَسْمَاءِ دونَ الأَفعَالِ، فإِنَّ وَصْفَ الفِعْلِ بِالاسْتِعَارَةِ أَمْرٌ غَيْرُ رَاجِعٍ إِلَىَ الفِعْلِ فِي ذَاتِهِ، وَلَكِن إِلَى المَصْدَرِ الذِي اشْتُقَّ مِنهُ، وَيكون استِعَارةً مِن جِهَةِ فَاعِلِه أَو مَفْعُولِهِ. وَمَعْلُومٌ أَنَّ المَصْدَرَ وَالفَاعِلَ وَالمَفْعُولَ إِنَّمَا هِيَ أَسْمَاءٌ، وَذَلِكَ نَحْوَ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

جُمِعَ الحَقُّ لَنَا في إمامٍ   قَتَلَ البُخْلَ وأحْيا السَّماحَا

فالفِعْلَانِ «قَتَلَ» و«أَحيَا» إِنَّمَا صَارَا مُسْتَعَارَيْنِ بِأَنْ عُدِّيَا إِلَى البُخْلِ وَالسَّمَاحِ.

---

(١) أسرار البلاغة: ٤٤، ٤٥.

٢- المَظْهَرُ الثَّانِي: بِنْيَة المَعْنَى الشِّعْرِي:

بِنيَة المَعْنَى هِيَ الأَصْلُ فِي توليدِ الشِّعْرِ، وَبِنيَةُ الصِّيَاغَةِ تَابِعَةٌ لِبِنْيَةِ المَعْنَى موافقَة لَهَا، وَيَظْهَرُ هَذَا الحُكْمُ وَاضِحًا فِي عَدِّ المَعْنَى الأَدَبِي جِسْمًا ثَابِتًا مَوضُوعًا يَكْتَشِفُهُ الشُّعَرَاءُ وَيَبْذُلُونَ الجُهْدَ لإخْرَاجِهِ؛ فَالتَّشْبِيهُ - الذِي هُوَ صنعة الرَّبطِ بينَ المُتَبَاعِدَيْنِ - لَا يتَصَور فِي مُطلَقِ التَّأليفِ، ولَكِن هناكَ مذهَبًا يُصابُ فِيهِ الرَّبْطُ بَيْنَهُما. وَالذِي يَدُلُّ عَلَى أنَّ هُنَاكَ مَعْنى عَميقًا ثابِتًا فِي الأَصْلِ يَبْحَثُ عَنْهُ الشُّعَرَاءُ فِي اسْتِنْطَاقِهِم الأَشْيَاءَ المُتبَاعِدَةَ، وَمُحَاوَرَتُهُم لَهَا للرَّبطِ بينَهَا وفقًا لِذَلِكَ المَعْنَى، أَنَّ المُدَقِّقَ فِي المَعَانِي يُشَبَّهُ بِالغائِصِ عَلى الدّرّ؛ يَقُولُ عبدُ القاهر: «استَحْقَقتَ الأُجْرَة عَلى الغَوْصِ لا أنّ الدّرَّ كَان بك»[1]، ويقُولُ: «أَلَا تَرَى أَنَّ التَّشْبِيهَ الصَّريحَ إِذَا وَقَعَ بَيْنَ شَيئَيْنِ مُتَبَاعِدَيْنِ فِي الجِنسِ، ثُمَّ لَطُفَ وَحَسُنَ، لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ اللُّطْفُ وَذَلِكَ الحُسْنُ إِلَّا لاتِّفَاقٍ كَان ثَابِتًا بَيْنَ المُشَبَّهِ وَالمُشَبَّهِ بِهِ مِنَ الجِهَةِ التِي بِهَا شَبَّهْتَ، إِلَّا أَنَّهُ كَانَ خَفِيًّا لَا يَنْجَلِي إِلَّا بَعْدَ التَّأَنُّقِ فِي اسْتِحْضَارِ الصّوَرِ وَتَذَكُّرِها»[2].

الأَقْيِسَةُ وَالصُّوَرُ العَقْلِيَّةُ تَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ العَالَمُ مُنَظَّمًا فِي شَكْلِ مُتَشَابِهَاتٍ وَمُضَارَعَاتٍ، وَالشَّاعِرُ حِينَ يَصِلُ إِلَى الصُّورَةِ فَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ وَضَعَ اليَدَ عَلَى مُشَابَهَةٍ بَيْنَ طَرَفَيْنِ، ثَابِتَةٍ قبلًا، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ بِهَذا

(١) أسرار البلاغة: ١٥٢-١٥٣.

(٢) أسرار البلاغة: ٤.

العَمَلِ يَسْتَجِيبُ لِأَصْلٍ فِي التَّصَوُّرِ البَلَاغِيِّ، هُوَ أَنَّ البَلَاغَةَ طَرِيقَةٌ مِن طُرُقِ النّظرِ والتَّفْكِيرِ والتَّصَوُّرِ وَالإِدْرَاكِ وَطَرِيقَةٌ مِن طُرُقِ تَنْظِيمِ العَالَمِ، فَالمَعْنَى الأَدَبِيُّ جِسْمٌ ثَابِتٌ، وَالصُّورَةُ التِي يَأْتِي بِهَا الشَّاعِرُ طَرِيقَةٌ مِنْ طُرُقِ اقْتِطَاعِ ذَلِكَ المَعْنَى، مِثْلَمَا أَنَّ اللُّغَةَ طَرِيقَةٌ مِنْ طُرُقِ تَقْطِيعِ الوَاقِعِ وَتَنْظِيمِهِ وَإِدْرَاكِهِ. وَيُمْكِنُ أَنْ نَفْهَمَ ثُبُوتَ المَعْنَى بِالنَّظَرِ إِلَى المَعْنَى اللُّغَوِيِّ الأَصْلِيِّ، فَبِهِ يَتَحَدَّدُ أَنَّهُ حَصَلَ انْتِقَالٌ مِنَ المَعْنَى الأَصْلِيِّ، وَتَحَوُّلٌ منه ومَجازٌ، إلى المَعْنَى الفَرْعِيِّ أَوْ مَعْنَى المَعْنَى أَو المَعْنَى الثَّانِي. ويَكونُ تَحْدِيدُ الانْتِقَالِ بِالقِيَاسِ عَلَى أَصْلِ المَعْنَى، ولا يَستقيمُ النَّظَرُ إِلَى الصُّورِ إِلَّا إِذَا رُوجِعَ الأَصْلُ الذِي عَنْهُ انْحَرَفَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ، وَلَكِنَّ مُرَاجَعَةَ الأَصْلِ لَا تَعْدُو أَنْ تَكُونَ إِلْحَاقًا للنَّاقِصِ بِالزَّائِدِ، وَالغَامِضِ بِالأَوْضَحِ، وَقِيَاسًا لِلمَجْهُولِ عَلَى المَعْلُومِ.

٣- مَرَاتِبُ تَحْلِيلِ المَعْنَى الشِّعْرِيِّ:

أ- المُسْتَوَى اللُّغَوِيُّ: وَهُوَ أَهَمُّ المَرَاتِبِ اللُّغَوِيَّةِ التي يُبْنَى عَلَيْهَا المَعْنَى الشِّعْرِيُّ أَوِ الصُّورَةُ، ويُرادُ به العَلَاقَاتُ النَّحْوِيَّةُ أَوِ المَعَانِي النَّحْوِيَّةُ، والمَعاني النحويّةُ عِبَارَةٌ عَنْ وَظَائِفَ تُسْنَدُ إِلَى الأَلْفَاظِ فِي الجُمْلَةِ، فَتُعَلِّقُ بَعْضَهَا بِبَعْضٍ وَتُصَيِّرُهَا دَالَّةً؛ يَقُولُ عَبْدُالقَاهِرِ: «وَالأَلْفَاظُ لَا تُفِيدُ حَتَّى تُؤَلَّفَ ضَرْبًا خَاصًّا مِنَ التَّأْلِيفِ... »[1]. وَ تَتَبَيَّنُ

---

(١) أسرار البلاغة: ٤

أَهَمِّيَةُ التَّعْلِيقِ النَّحْوِيِّ فِي شَرْحِ بَعْضِ الصُّوَرِ الأَدَبِيَّةِ نَحْوَ شَرْحِ عَبدِ القَاهِرِ لِبَيْتِ بَشَّارٍ:

كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ فَوْقَ رُؤُوسِنَا   وأَسْيَافَنَا لَيْلٌ تَهَاوى كَواكِبُهُ

يَلْتَقِي التَّفْسِيرُ البَلَاغِيّ بِالتَّفسيرِ النَّحْوِيِّ لِبَيَانِ وَحْدَةِ الصُّورَةِ وَتَمَاسُكِهَا وَمَجيئِهَا عَلَى شَكْلِ بِنْيَةٍ. وَعَلَيْهِ فَإِنَّ المَقْصُودَ بِالبَيْتِ الهَيْئَةُ الخَاصَّةُ الحَاصِلَةُ مِنْ مُخَالَطَةِ النَّقْعِ للسُّيُوفِ المُتَحَرِّكَةِ وَكَأَنَّهَا مُخَالَطَةُ اللَّيْلِ لِلكَوَاكِبِ المُتَهَاوِيَةِ:

«وَلِذَلِكَ وَجَبَ الْحُكْمُ بِأَنَّ الكَلَامَ إِلَى قَوْلِهِ: «وأَسْيافَنا» فِي حُكْمِ الصِّلَةِ لِلمَصْدَرِ وَجارٍ مَجْرَى الاسْمِ الوَاحِدِ، لِئَلاّ يَقَعَ فِي التَّشْبِيهِ تَفْرِيقٌ وَيُتَوَهَّمَ أَنَّهُ كَقَوْلِنَا «كَأَنَّ مُثَارَ النَّقْعِ لَيْلٌ وَكَأَنَّ السُّيوفَ كَوَاكِبُ»، وَنَصْبُ الأَسْيَافِ لَا يَمْنَعُ مِنْ تَقْدِيرِ الاتِّصَالِ وَلَا يُوجِبُ أَنْ يَكُونَ فِي تَقْدِيرِ الاسْتِئْنَافِ؛ لأَنَّ الوَاوَ فِيهَا بِمَعْنَى مَعَ... »[1].

يَتَبَيَّنُ أَنَّهُ لَمَّا كَانَ الْمَعْنَى الشِّعْرِيُّ -أَوِ الصُّورَةُ- يَقْتضِي الْجَمْعَ بَيْنَ طَرَفَي التَّشْبِيهِ دُونَ التَّفْرِيقِ، تَعَيَّنَ بَيَانُ تَرَابُطِ المَعَانِي النَّحْوِيَّةِ واتِّصَالِهَا. وَيَفْرِضُ مُقْتَضَى المَعْنَى الشِّعْرِيِّ تَقْدِيرَ اتِّصَالٍ نَحْوِيٍّ فِي أَجْزَاءِ الْكَلَامِ لا انْفِصَالٍ مَعَ تَقْدِيرِ اسْتِئْنَافٍ.

وَفِي بِنَاءِ الصُّورَةِ وَتَركِيبِهَا نَجِدُ البِنْيَةَ النَّحْوِيَّةَ تَسْتَجِيبُ لِبِنْيَةِ المَعْنَى

(١) أسرار البلاغة: ١٩٥.

الشِّعْرِيِّ وَتَتَبُّعُهَا، أَمَّا فِي تَفْكِيكِ الصُّورَةِ وَتَحْلِيلِهَا فَنَجِدُ أنّ البِنيَةَ النَّحْوِيَّةَ دَالَّةٌ عَلَى بِنْيَةِ الْمَعْنَى الشِّعْرِيِّ. فَالنَّحْوُ -فِي شَأْنِ تَفْكِيكِ الصُّوَرِ- مَدْخَلٌ إِلَى البَلَاغَةِ، وَإِذَا جَاءَتِ الصِّيَاغَةُ مُعْتَسَفًا فِيهَا وَمُعَقَّدَةً فَإِنَّ النَّحْوَ لَنْ يَهْتَدِيَ إلى إصْلاحِهَا، وَهَذَا أَمْرٌ تَمَيَّزَ بِهِ شِعْرُ أَبِي تَمَّامٍ كَقَوْلِهِ:

ثَانِيهِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَلَمْ يَكُنْ لاثْنَيْنِ ثَانٍ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ[1]

وَمِنَ المَرَاتِبِ اللُّغَوِيَّةِ التِي يَتِمُّ عَلَى أَسَاسِهَا فَهْمُ الصُّورَةِ وَتَحْلِيلُهَا مُسْتَوَى اللُّغَةِ وَالمُعْجَمِ، فَمِنْ خِلَالِ المَعْنَى المُعْجَمِيِّ نَحْكُمُ بِأَنَّ هُنَاكَ صُورَةً شِعْرِيَّةً تَوَلَّدَتْ ثُمَّ انْحَرَفَتْ عَنِ الأَصْلِ اللُّغَوِيِّ المُعْتَادِ، فَمَعْرِفَةُ الأَصْلِ اللُّغَوِيِّ إِذًا شَرْطٌ فِي تَحْدِيدِ حُصُولِ الانْحِرَافِ وَإِدْرَاكِ خَرْقِ المُعْتَادِ؛ لأَنَّ المُخْتَرِقَ مَعْنًى فَرْعِيٌّ ثَانٍ وَالمُخْتَرَقَ مَعْنًى أَوَّلُ ثَابِتٌ. يَظْهَرُ هَذَا الشَّرْطُ فِي قَوْلِ عَبْدِ القَاهِرِ: «اعْلَمْ أَنَّ الاسْتِعَارَةَ فِي الجُمْلَةِ أَنْ يَكُونَ للَّفْظِ أَصْلٌ فِي الوَضْعِ اللُّغَوِيِّ مَعْرُوفٌ، تَدُلُّ الشَّوَاهِدُ عَلَى أَنَّهُ اخْتَصَّ بِهِ حِينَ وُضِعَ[...] ثُمَّ يَسْتَعْمِلُهُ الشَّاعِرُ أَوْ غَيْرُ الشَّاعِرِ فِي غَيْرِ ذَلِكَ الأَصْلِ، وَيَنْقُله إِلَيْهِ نَقْلًا غَيْرَ لَازِمٍ، فَيَكُونُ هُناك كَالعَارِيَّةِ»[2].

فَأَنْتَ تُلَاحِظُ أَنَّهُ لَا تُعَدُّ الصُّورَةُ صُورَةً أَوْ مَعْنًى شِعْرِيًّا إِلَّا إِذَا كَانَ

---

(١) أسرار البلاغة: ١٤٣

(٢) أسرار البلاغة: ٣٠

المُنْطَلَقُ فِي النَّظَرِ إِلَيْهَا الأَصْلَ اللُّغَوِيَّ، أَوْ مَا عَبَّرَ عَنْهُ بالأَصْلِ فِي الوَضْعِ اللُّغَوِيِّ، وبِالمُسَمَّى الأَصْلِيِّ، والمَوْضِعِ الأَصْلِيّ، والحَقِيقَةِ، والصُّورَةِ الأَصْلِيَّةِ، والوُقُوعِ فِي وَضْعِ الوَاضِعِ[1].

ب- المُسْتَوَى غَيْرُ اللُّغَوِيّ: المَقْصُودُ بِالمُسْتَوَى غَيْرِ اللُّغَوِيِّ أَوِ المَرَاتِبِ غَيْرِ اللُّغَوِيَّةِ المُتَكَلِّمُ وَالمُخَاطَبُ وَظُرُوفُ الخِطَابِ، وَهِيَ اعْتِبَارَاتٌ وَأَطْرَافٌ غَيْرُ نَصِّيَةٍ تُسَاعِدُ فِي تَحْلِيلِ النَّصِّ، وَاسْتِخْرَاجِ المَعْنَى الشِّعْرِيِّ:

- المُتَكَلِّمُ: «الْمُتَكَلِّمُ مَنْ وَقَّعَ الكَلَامَ... بِحَسَبِ أَحْوَالِهِ مِنْ قَصْدِهِ وَإِرَادَتِهِ وَاعْتِقَادِهِ وغَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الأُمُورِ الرَّاجِعَةِ إِلَيْهِ حَقِيقَةً أَوْ تَقْدِيرًا»[2]. إِنَّ المُتَكَلِّمَ أَسَاسٌ أَوَّل مِن أُسُسِ بَيَانِ الْمَعْنَى الشِّعْرِيِّ لأَنَّهُ الرُّكنُ المُوَلِّدُ لِلْكَلَامِ، وَتَظْهَرُ عَلَاقَتُهُ بِالمُخَاطَبِ فِي كَونِهِ يَتَّبِعُ قَوَاعِدَ إِخْرَاجِ الشِّعْرِ وَوُضُوحِ الْمَعْنَى الشِّعْرِيِّ وَمُرَاعَاة السَّامِعِ، وَبِاخْتِصَارٍ تَتَجَلَّى أَهَمِّيَتُهُ فِي تَوْلِيدِهِ النَّصَّ وَأَدَائِهِ وَظِيفَةَ التَّعْبِيرِ، «يَجْتَهِدُ المُتَكَلِّمُ فِي تَرتِيبِ اللَّفْظِ وَتَهْذِيبِهِ وَصِيَانَتِهِ مِنْ كُلِّ مَا أَخَلَّ بِالدَّلَالَةِ وَعَاقَ دُونَ الإِبَانَةِ»[3].

من مَظَاهِرِ الاحْتِكَامِ إِلَى المُتَكَلِّمِ فِي بَيَانِ الصُّورَةِ مَعْرِفَةُ مَقَاصِدِهِ وَأَغْرَاضِهِ فِي التَّصْوِيرِ، أَي العِلْمُ بِمَقَاصِدِ صَاحِبِ النَّصِّ، فَقَدْ يَحْضُرُ

(١) أسرار البلاغة: ٣٤-٩٢-٣٠٤

(٢) سر الفصاحة: ٤٤

(٣) المصدر السابق: ١٤٤

طَرَفٌ مِنْ أَطْرَافِ الصُّورَةِ وَيَغِيبُ طَرَفٌ، ولا دَليلَ عَلَيْهِ مِنَ اللُّغَةِ إِلَّا بِالبَحْثِ عَنْ هَذَا الخَبيءِ فِي نَفْسِ المُتَكَلِّمِ: «إِذَا قُلْتَ: عَنَّتْ لَنَا ظَبْيَةٌ... وَأَنْتَ تَعْنِي امْرَأَةً... لَمْ يَكُنْ ذِكْرُكَ [لِلاسْمِ] فِي كَلَامِكَ هَذَا لإِثْبَاتِ الشَّبَهِ المَقْصُودِ الآنَ. وكَيْفَ يُتَصَوَّرُ أَنْ يُقْصَدَ إِلى إِثْبَاتِ الشَّبَهِ... وَأَنْتَ لَمْ تَذْكُر [قَبْلَهُ] شَيْئًا يَنْصَرِفُ إِثْبَاتُ الشَّبَهِ إِلَيْهِ وَإِنَّمَا يَثْبُتُ الشَّبَهُ مِنْ طَرِيقِ الرُّجُوعِ إِلَى الحَالِ وَالبَحْثِ عَنْ خَبِيءٍ فِي نَفْسِ المُتَكَلِّمِ»[1].

فَلَابُدَّ مِن اقْتِرَانِ المَذْكُورِ فِي النَّصِّ بِالوَارِدِ فِي النَّفْسِ أَوِ الحَالِ لِكَيْ يَتَحَدَّدَ قَصْدٌ مُعَيَّنٌ وَهُوَ أَنَّ المُرَادَ مَرْحَلَةٌ ثَانِيَةٌ فِي التَّصْوِيرِ، وَهِيَ إِسْنَادُ فِعْلٍ لِفَاعِلٍ مُسْتَعَارٍ، لا المَرْحَلَةُ الأولى التِي هِيَ إِثْبَاتُ شَبه شَيْءٍ بِشَيْء، وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الصُّورَةَ مُرَكَّبَةٌ وَلَا تُفَكُّ إِلَّا بِعَرْضِهَا عَلَى مَقَاصِدِ المُتَكَلِّمِ.

يَظْهَرُ مِنْ هَذِهِ العَلَاقَةِ أَنَّ ظَاهِرَ النَّصِّ لَا يَكَادُ يَفِي بِالمُرَادِ لأَنَّهُ وُضِعَ هَكَذَا انْتِهَازًا وَاقْتِضَابًا عَلَى المَقْصُودِ فِي الْوَضْعِ اللُّغَوِيِّ، وَيَحْتَاجُ أَمْرُ الفَهْمِ إِلَى أَداة تَنفذُ إِلَى الصُّورَةِ، وَأَدَاة النَّفَاذِ هِيَ مُرَاجَعَةُ قَصْدِ المُتَكَلِّمِ وَتَوسِيطُهُ فِي إِعَادَةِ تَرْكِيبِ الْمَعْنَى، فَقَدْ تُشَبَّهُ غرةُ الفرَسِ بالصبحِ فَيُقَالُ إِنَّهُ وَقَعَ عَلَى أَصْلِهِ لأَنَّهُ شُبّه فَرعٌ بِأَصْل وَلَكِنَّ قَصْدَ المُتَكَلِّمِ أَنَّ التَّشْبِيهَ لَمْ يَقَعْ عَلَى جِهَة المُبَالَغَةِ، كَمَا يُبَيِّن الظَّاهِرُ، وَإِنَّمَا قُصد أَمرٌ آخرٌ: وَهُوَ

---

(١) أسرار البلاغة: ٣٢٧

وُقُوعُ مُنِيرٍ فِي ظُلْمٍ وَحُصُولُ بياضٍ فِي سَوَادٍ، ثُمَّ البَيَاضُ صَغِيرٌ بِالإِضَافَةِ إِلَى السَّوادِ، وَهُوَ مَا يَظْهَرُ فِي قَوْلِ ابن المُعْتَزّ:

والصّبحُ فِي طُرّةِ لَيْلٍ مسفر كَأَنَّهُ غُرّة مُهرٍ أَشْقَر

وَقَدْ يُثَارُ سُؤَالٌ حَوْلَ طَبِيعَةِ المُتَكَلِّمِ أَفَرْدٌ هُوَ مُتَجَلٍّ فِي شَخْصِيَّة الشَّاعِرِ، أَمْ قَوَاعِد أَدَبِيَّةٌ صَاغَهَا النُّقَّادُ وَعَرَضُوهَا عَلَى القَارِئِ لِيَفْهَمَ النَّصَّ مِنْ خِلَالِهَا، أَمْ نِظَامٌ اجْتِمَاعِيٌّ وَأَعْرَافٌ تَوَاطَأَ المُتَكَلِّمُونَ عَلَى الالتِزامِ بِهَا وَالتَّفَاهُمِ بِوَاسِطَتِهَا؟

إِنَّ الجَوابَ عَلَى ذَلِكَ يَجْعَلُنَا نَسْتَحْضِرُ دَوْمًا خُصُوصِيَّاتِ الخِطَابِ الشِّعْرِيِّ القَديمِ وَتَمَيُّزِه عَنِ الحَدِيثِ، فَقَدْ كَانَ النَّصُّ الأَدَبِيُّ فِي عُمُومِهِ خَاضِعًا لِشُرُوطِ التَّدَاوُلِ اللُّغَوِيِّ التي عَلى رَأْسِهَا الصِّفَةُ الاجْتِمَاعِيَةُ، وَالشَّاعِرُ مُحَاوِرٌ يُطْلِعُ قَارِئَهُ أَوْ سَامِعَهُ عَلَى مَا يَعْرِفُ، وَيُطَالِبُهُ بِمُشَارَكَتِه فِي المُعْتَقَدِ وَالمَعْرِفَةِ، وَلَا عِبْرَةَ بِالاعْتِرَاضِ هنَا عَلَى قَاعِدَةِ «الاجْتِمَاعِية فِي التَّدَاوُل» بِأَنَّ بَعْضَ الشُّعَرَاءِ لَمْ يَكُن يُهِمُّهُم إِلَّا التَّعْبِيرُ عَنْ ذَوَاتِهِم سَواء عَلَيْهِم أَفَهِمُوا أَمْ لَمْ يَفْهَمُوا، كَمَا فِي كَثِيرٍ مِنْ أَشْعَارِ أَبِي تَمَّام وَبَعْضِ أَشْعَارِ المُتَنَبِّي، إِذْ يُمكِنُ أَنْ نَتَصَوَّرَ لِهَؤُلَاءِ طَائِفَةً خَاصَّةً مِنَ القُرَّاءِ الذِينَ يُخَاطَبُونَ بِهَذَا الشِّعْرِ.

- المُخَاطَبُ: يشغَل المخاطَب حيزَ الإِفهَام والتَّبلِيغِ، أي تَتَّصِلُ وَظِيفَةُ التَّلَقّي لَدى المُخَاطَبِ بِوَظِيفَةِ التَّعْبيرِ لَدى المُتكَلمِ، وَهُنَا نَجِدُ المُخَاطبَ نَفسَهُ يُحَكِّمُ قَاعِدَةَ «التَّداوُلِ اللُّغَوِيِّ» الاجْتِماعِيَةَ لِفَهْمِ

المَعْنَى. وَيَظْهَرُ اتصَالُ الوَظيفَتَيْنِ فِي بَعْضِ القَوَاعِدِ، وَمِنْهَا:

* قَاعِدَةٌ مِن قَوَاعِدِ الإدرَاكِ وَهِيَ نَقْلُ المُخاطَبِ النَّصَّ «عنِ العَقْلِ إِلَى الإِحْسَاسِ، وَعَمَّا يُعْلَم بِالفِكرِ إِلَى مَا يُعْلَمُ بالاضطرار والطَّبعِ؛ لأَنَّ العِلْمَ المُسْتَفَادَ مِن طُرُقِ الحَوَاسِّ أَو المَرْكُوزِ فيهَا مِنْ جِهَةِ الطَّبْعِ وَعَلَى حَدِّ الضَّرُورَةِ، يَفضُل المستفادَ من جهة النَّظَرِ والفكر فِي القُوَّةِ وَالاستحْكَامِ [...] كما قَالوا: «لَيسَ الخَبَرُ كَالمُعَايَنَةِ» و«لا الظَّنّ كَاليَقِينِ»[1]، وَفِي ذَلِكَ يَقولُ عَبد القَاهِر: «أُنْسُ النُّفُوسِ مَوقُوفٌ عَلَى أن تُخْرِجَهَا من خَفِيٍّ إِلَى جَلِيٍّ وَتَأتِيَها بِصَرِيحٍ بَعد مَكْنيٍّ»[2].

* القاعِدة الثَّانِيَةُ: اشْتِرَاطُ تَكَافُؤ جُهد التَّولِيد وجُهد الإدراكِ: أَي مُطَالَبَةُ المُخَاطَبِ بِأن يَكُونَ تَقْدِيرُهُ للصُّورَةِ بِالقوَّةِ ذاتِها التّي بُنِيَت بِها وَصيغَت: «وإِنْ تَوَقَّفتَ فِي حاجَتِكَ أَيُّها السَّامِعُ لِلمَعْنَى إِلَى الفكْرِ فِي تَحْصِيلِه فَهَل تشُكُّ فِي أَنَّ الشَّاعِرَ الذي أَدّاه إِلَيكَ [...] قَد تَحَمَّل فِيه المَشَقَّةَ الشَّديدَةَ... »[3].

* القاعدةُ الثَّالِثَة: اشتِراطُ التَّفْصِيل فِي قِرَاءَةِ الصُّورَةِ، أَو الإِدْرَاكُ التَّفْصِيلِيُّ بَعْدَ الإدرَاكِ الإِجْمَالِيِّ: يَقُولُ عبد القاهر فِي هَذا المَعنى:

---

(١) أسرار البلاغة: ١٢١.

(٢) أسرار البلاغة: ١٢١.

(٣) نفسه: ١٤٥.

«وَلَكِنَّكَ تَرَى بِالنَّظَرِ الأَوَّلِ الوَصْفَ عَلَى الجُمْلَةِ ثُمَّ تَرَى التَّفْصِيلَ عِنْدَ إِعَادَةِ النَّظَرِ»[1]. وَفَائِدَةُ إِعَادَةِ النَّظَرِ وَتَفْصِيلِ القِرَاءَةِ أَنَّهَا تَكْشِفُ عَنَاصِرَ وَدَقَائِقَ لَم تُدرَكْ بِالقِرَاءَةِ الأُولَى، أَو تَكُونُ هُنَاكَ عَنَاصِرُ غَيْرُ مُرَادَة فَيَلْزَمُ مَعْرِفَتُهَا لِتَنْحِيَتِهَا، فَفِي الصُّورَةِ الآتِيَةِ ما يُفِيدُ هَذَا المَعْنَى: لَهَا حَدَقٌ لم يَتَّصِلْ بِجُفُون - كَأَنَّهَا نَرْجَسَةٌ بِلا وَرَق - سَنَا لَهَبٍ لم يَتَّصِل بدخان... فالقارِئُ يَتْبَعُ الشَّاعِرَ فِي نَظَرِ الإِجْمَالِ فَيُدْرِكُ الجِسْمَ كُلَّهُ (الحدق، النرجسة، اللهب) ثمَّ يَفْصل عُنْصُرًا ما مِنَ الجِسْم (الجفون، الورق، الدخان). وَأَخِيرًا يَتَصَوَّر ذَلِكَ الجسم مَعْزولًا عن مُلازِمِه...

وَهَذِهِ القَوَاعِدُ وَغَيْرُهَا يُمكِن أَن تُؤَلِّفَ لَنا «نِظَام القَارِئِ الاجْتِمَاعِيّ».

- ظُرُوفُ الخِطَاب: المُرَادُ بِظُرُوفِ الخِطَابِ أَوِ السِّيَاق القَرَائِنَ وَالمُلَابَساتِ المُصَاحِبَةَ. وَهِيَ عِبَارَةٌ عَن مَجْمُوعِ الأَحْدَاثِ وَالمُصاحِبات التِي تُرَافِقُ إِنْتَاجَ النَّصِّ وَتُلَابِسُهُ وَتُؤَثِّرُ فِي فَهْمِ المَعَانِي، إِنَّهُ إِنجَازُ الفِعْلِ اللُّغَوِيِّ فِي سِيَاقٍ مُحَدَّدٍ، وَلَيْسَ مُرَادُ عَبْدِ القَاهِرِ مِنْ هَذَا السِّيَاقِ الخَارِجِيِّ تَحْوِيلَ النّصِّ إلى وَثِيقَةٍ أَو شَهَادَةٍ عَلَى التَّارِيخِ، بَلِ المُرَادُ تَفْكِيكُ النَّصّ فِي ضَوْءِ شُرُوطِهِ الخَارِجِيَّةِ لِإِدْرَاكِ طَرِيقَةِ تَرْكِيبِه وَبِنْيَةِ تَرْكِيبِ المَعْنَى بِصُورَةٍ خَاصَّةٍ. أَمَّا السيَاقُ اللُّغَوِيُّ الذِي يُفِيدُ قَرَائِنَ

(١) نفسه: ١٣٨.

الـنَّصِّ الدَّاخِلِيَّـةَ فَهُـوَ أَمْـرٌ وَارِدٌ عِنْـدَ النُّقَّـادِ، وَقَـدِ اصْـطَلَحُوا عَلَيْـهِ بِمُصْطَلَحَاتٍ كَثِيرَةٍ مِثْلَ «دَلِيلِ الحَالِ» و«إِفصَاحِ المَقَالِ بَعْدَ السُّؤَالِ» و«فَحْوَى الكَلَامِ وَمَا يَتْلُوه منَ الأَوصَافِ»[1]. وهوَ دَلِيلٌ يُنْشِئُهُ النَّصُّ مِن تَآلُفِ الخَصَائِصِ الدّلَالِيَّةِ المَاثِلَةِ فِي كُلِّ كَلِمَةٍ، نَحْوَ قَوْلِ الشَّاعِرِ:

تَرَنَّحَ الشَّرْبُ وَاغْتَالَتْ حُلُومَهُم ... شَمْسٌ تَرَجَّلُ فِيهِمْ ثُمَّ تَرْتَحِلُ[2]

وَيُسْتَدَلُّ هُنَا بِذِكْرِ الشَّرْبِ وَاغْتِيَالِ الحُلُومِ وَالارْتِحَالِ أَنَّهُ أَرَادَ قَيْنَةً لَا الشَّمْسَ على وَجْه الحَقِيقَة، فَمَجْمُوعُ الخَصَائِصِ الدّلَالِيَّةِ فِي الشَّرْبِ وَاغْتِيَالِ الحُلُومِ وَالارتِحَالِ يُؤَلِّفُ بِنْيَةً دلَالِيَّةً تتَعَلَّقُ بِأَحْوَالِ النَّاسِ فِي الحَرَكَةِ، وَهَذِهِ البِنْيَةُ تُخَصِّصُ المُرَادَ بِذِكْرِ الشَّمْسِ فِي البَيْتِ الشِّعْرِيِّ.

أَمَّا السِّيَاقُ الخَارِجِيُّ الذِي يُفِيدُ قَرَائِنَ النَّصِّ الخَارِجِيَّةَ، نَحْوَ ظُرُوفِ الخِطَابِ وَزَمَانِهِ وَمَكَانِهِ، فَإِنَّهُ يُعدُّ أَكْبَرَ قَرِينَةٍ مِنْ قَرَائِنِ تَرْكِيبِ النَّصِّ الأَدَبِي وَتَحْلِيلِهِ فِي النَّقْدِ العَرَبِيِّ، إِنَّهُ قَرِينَةُ ارْتبَاطِ الأَقْوَالِ بِالأَحْوَالِ. أَمَّا اخْتِلَافُ النُّحَاةِ فِي تَوْجِيهِ الشَّوَاهِدِ وَالاسْتِدلَالِ بِهَا فَإِنَّهُ رَاجِعٌ إِلَى اسْتِنَادِهِمْ إِلَى ظَاهِرِ النَّصِّ دُونَ مَقَامِهِ.

فَالغُفُولُ عَنْ هَذِهِ القَرِينَةِ يُسْقِطُ فِي الاحْتِمَالِ، حَتَّى إِنَّ ذَلِكَ قَدْ أَدَّى بِبَعْضِ أُصُولِيِّي النُّحَاةِ إِلَى الحُكْمِ عَلَى الدَّلِيلِ بِأَنَّهُ إِذَا احْتَمَلَ سَقَطَ

---

(١) أسرار البلاغة: ٣٢٠.

(٢) نفسه: ٣٢٠.

الاسْتِدْلَالُ بِهِ، وَهُوَ حُكْمٌ تَرَتَّبَ عَلَى عَدَمِ مُرَاعَاةِ سِيَاقِ النَّصِّ وَظُرُوفِ قَوْلِهِ. وَنَجِدُ السِّيَاقَ مِقْيَاسًا عِندَ النُّقَّادِ وَالبَلَاغِيِّينَ عِنْدَمَا عَرَضُوا النُّصُوصَ وَالأَبْيَاتَ فِي إِطَارِ سِيَاقِهَا وَمَقَامِهَا ووَجَّهُوا فَهْمَ القَارِئِ إلى المَعْنى المُرادِ، وَنَجِدُ السِّيَاقَ مِقْيَاسًا عِنْدَ المُفَسِّرِينَ عِنْدَمَا ضَبَطُوهُ بِمَا سُمِّيَ بِعِلمِ أَسْبَابِ النُّزُولِ.

وَمِنَ النَّمَاذِجِ عَلَى ذَلِكَ تَنْبِيهُ عَبدِ القَاهِرِ عَلَى طَرِيقَةِ فَهْمِ الآيَةِ الكَرِيمَةِ:

﴿وَقَالُواْ مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾(1)؛ فقائِلُ هَذَا الاعْتِقَادِ لَمْ يَتكَلَّمْ بِهِ عَلَى أَنَّهُ مُتَأَوِّلٌ فَيُنْعَتَ قَوْلُهُ بِالمَجَازِ، أَيْ إِهْلَاك الدَّهْرِ عَلَى المَجَازِ، وَلَكِنَّهُ أَطْلَقَهُ إِطْلَاقَ مَنْ يَضَعُ الصِّفَةَ فِي مَوْضِعِهَا وَلَا يُعْرَفُ ذَلِكَ إِلَّا بِالرُّجُوعِ إِلَى اعْتِقَادِ القَائِلينَ بِإِهْلَاكِ الدَّهْرِ لِلنَّاسِ عَلَى الحَقِيقَةِ عِنْدَهُمْ، وَلَكِنَّنَا عِنْدَ الاحْتِكَامِ إِلَى مَا وَرَاءَ اللَّفْظِ نَجِدُ أَنَّ الآيَةَ تَخلو منَ الصُّورَةِ الأَدَبِيَّةِ.

أَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَثَلِ رِيحٖ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتۡ حَرۡثَ قَوۡمٖ ظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَأَهۡلَكَتۡهُۚ﴾(2)، فَفِيهِ إِسْنَادُ الإِهْلَاكِ للرِّيحِ عَلَى المَجَازِ، وَذَلِكَ بِاعْتِبَارِ القَائِلِ. فَظَاهِرُ اللَّفْظِ فِي الآيَتَيْنِ مُتَّفِقٌ وَلَكِنَّ

(1) الجاثية: ٢٤.

(2) آل عمران: ١١٧.

أَحْوَالَ الخِطَابِ اخْتَلَفَت فَاخْتَلَفَ المَعْنَى.

وَمِمَّا جَاءَ فِي الشِّعْرِ مِن ذَلِكَ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَشَابَ الصَّغِيرَ وَأَفْنَى الكَبِيـ ـرَ كَرُّ الغَدَاةِ وَمَرُّ العَشِيّ

وَقَوْلُ الشَّاعِرِ:

أَهْلَكَنَا اللَّيْلُ وَالنَّهَار مَعًا وَالدَّهْرُ يَغْدُو مُصَمّمًا جَذعا

وَقَدْ عَلَّقَ عَبدُ القَاهِرِ عَلَى البَيْتَيْنِ بِقَوْلِهِ: «فَإِذَا سمعْنَا [ذَلِكَ] كانَ طَرِيقُ الحكمِ عَلَيْهِ بِالمَجَازِ أَنْ تَعْلَمَ اعْتِقَادَهُم التَّوحِيدَ إِمَّا بِمَعْرِفَةِ أَحْوَالِهِم السَّابِقَةِ أَو بِأَن تَجِدَ فِي كَلَامِهِم من بعدِ إِطلَاقِ هَذَا النَّحوِ، مَا يَكْشِفُ عَن قَصْدِ المَجَازِ فيهِ»(١)، وَفِي كَلَامِهِ هَذَا إِشَارةٌ وَاضِحَةٌ إِلَى السِّيَاقِ الخَارِجِيِّ، فَأَيُّهُمَا أَسْعَف بِالوُصُولِ إِلَى الصُّورَةِ فَهُوَ المُرَادُ بِالسِّيَاقِ.

يَظْهَرُ مِمَّا سَبَقَ أَنَّ بَعْضَ النُّصُوصِ مُغْلَقٌ وَلَا يُفْتَحُ لِلْفَهْمِ إِلَّا بِمَفَاتِيح خَارِجِيَّةٍ، مِثْل مَقَاصِدِ المُتَكَلِّمِ، وَهِيَ الخَبيءُ النَّفْسِيُّ الذِي يُوجَدُ فِي حَيَاةِ صَاحِبِ النَّصِّ وَمُعْتَقَدِهِ وَثَقَافَتِهِ التِي يَشْتَرِكُ مَعَهُ فيها القَارِئُ، فَيَكُونُ القارِئُ مَحْكومًا بِها فِي الفَهْمِ مُلْزَمًا بِأَدَوَاتِها فِي اسْتِخْرَاجِ الصُّورَةِ الشِّعْرِيَّةِ، وهِيَ طُرُقُ العَرَبِ فِي كَلَامِهَا، وَمَذَاهِبُهَا فِي قَوْلِ الشِّعْرِ

(١) أسرار البلاغة: ٣٣٧-٣٣٨.

وَالتَّصْـوِيرِ، وَقَوَاعِـدُهَا فِـي الاسـتِعَارَةِ وَالتَّشْـبِيهِ وَالتَّمثِيـلِ وَالمَجَـازِ وَالكِنَايَةِ، نَحْوَ: «رَأَيْتُ أَسَدًا» وَأَنتَ تَعْنِي شُجَاعًا، وَ «بَحْرًا» تُرِيدُ كَرِيمًا، وَ «بَدْرًا» تُرِيدُ مُضِيءَ الوَجْهِ، و«سَلَلْتُ عَلَى العَدُوِّ سَيْفًا» تُرِيدُ رَجُلًا مَاضِيًا فِي نُصْرَتِكَ... وَقَدْ سَمَّى النُّقَّادُ القَارِئَ للشِّعْرِ العَارِفَ بِثَقَافَتِهِ المُبينَةِ المُلِمَّ بِشُرُوطِ قِرَاءَتِهِ: «بِأَهْلِ العِلْمِ بِالشِّعْرِ» و«أَهْلِ نَقْدِ الشِّعْرِ» و«العَارِفِينَ ذَوْقَ الكَلَامِ» و«المُتَمَهِّرِينَ فِي فَصْلِ جَيِّدِهِ مِن رَدِيئِهِ». وهِيَ مُصْطَلَحَاتٌ ومَفَاهِيمُ يُمكِنُ أَنْ تُحَدِّدَ لَنَا صورةَ «القَارِئِ المُخَاطِبِ» فِي شَكْلٍ مِن أَشْكَالِهِ.

وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نَقْرَأَ النَّصَّ الشِّعْرِيَّ القَدِيمَ فَإِنَّنَا سَنَجِدُ أَنْفُسَنَا مُلْزَمِينَ بِأَن نَدْخُلَ فِي نِظَامِ القَارِئِ المُقَيَّدِ بِقُيُودِ الثَّقَافَةِ التِي تُحيطُ بِذَلِكَ الشِّعْر وتكونُ له بمنزلَةِ المُعجَمِ الكَشّافِ؛ لأَنَّ الشِّعْرَ عِنْدَ العَرَبِ كَانَ عِلْمَ قَوْمٍ لم يَكُنْ لَهُم عِلْمٌ أَصَحّ مِنْهُ. لَابُدَّ مِنَ النَّصِّ عَلَى هَذِه الأُصُولِ المَعْرِفِيَّةِ.

ثمّ لا بُدَّ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّ تَطْبِيقَ المَنَاهِجِ الحَدِيثَة عَلَى نُصُوصِ الشِّعْرِ العَرَبِيِّ القَدِيمِ، مَحْفُوفٌ بِكَثِيرٍ مِنَ المَزَالِقِ وَالمَخَاطِرِ وَالعَقَبَاتِ، إِنْ أَغْفَلَتْ هَذِهِ المَنَاهِجُ سِيَاقَ الشِّعْرِ التَّارِيخِيَّ وَالاجْتِمَاعِيَّ وَقَواعِدَ التَّعْبِيرِ الشِّعْرِيِّ التِّي صِيغَت مِنْهَا عُلُومُ الآلَةِ كَالنَّحْوِ وَالبَلَاغَةِ وَالعَرُوضِ.

لَابُدَّ مِنَ الانْتِبَاهِ إِلَى خَطَرِ النَّصِّ القَدِيمِ؛ لأَنَّهُ جِسْمٌ تَتَفَاعَلُ فِيهِ اللُّغَةُ وَالدَّلَالَةُ وَقِيَمُ النَّفْسِ وَالمُجْتَمَعِ وَالتَّارِيخِ، وَلَهُ طَاقَةٌ عَلَى استِيعَابِ القِيَمِ

اللُّغَوِيَّةِ وَغَيْرِ اللُّغَوِيَّةِ وَعَلَى صَهرِهَا وَتَحْوِيلِهَا ومَنْحِها حَيَاةً وَحَرَكَةً وَامْتِدَادًا، فَيُصْبِحُ مَيدانًا لِحَرَكَةِ اللُّغَةِ وَلِتَفَاعُلِ نُصُوصٍ أُخْرَى دَاخِلَهُ.

٣- أَدَوَاتُ تَحْلِيلِ المَعْنَى الشِّعْرِيِّ وَقُيُودُهَا:

لَقَد انطَلَقَ عَبدُ القَاهِرِ فِي تَحْلِيلِه للنَّصِّ الشِّعْرِيِّ مِن جُملَةٍ مِنَ المَفَاهِيمِ الإِجْرَائِيَّةِ التِي يُمكِنُ عَدُّها آلاتٍ للتَّحْلِيلِ، يُمكِنُ اخْتِصَارُهَا فِي مَفْهُومِ الأَصْلِ وَالفَرعِ، وَمَفْهُومِ النَّقْلِ، وَمَفْهُومِ التَّأَوُّلِ، وَمَفْهُومِ التَّبَايُنِ، وَمَفْهُومِ الانْتِزَاعِ. وَالرَّابِطُ بَيْنَ هَذِهِ المَفَاهِيمِ أَنَّهَا أَدَوَاتٌ نَقْلِيَّةٌ تَرْبِطُ المَعْنَى الشِّعْرِيَّ بِالمَعْنَى المُعْجَمِيِّ وَتُعَيِّنُ طَرِيقَةَ تَحَوُّلِ الثَّانِي عَنِ الأَوَّلِ وَخُرُوجِهِ عَنْهُ. وَيُمْكِنُ الاقْتِصَارُ عَلَى مَفْهُومَيْنِ اثْنَيْنِ هُمَا النَّقْلُ وَالانتِزَاعُ:

١- مَفْهُومُ النَّقْلِ:

وَمَعْنَاهُ نَقْلُ الكَلِمَةِ عَنِ المَعْنَى إِلى المَعْنَى بِسَبَبِ اخْتِصَاصٍ وَضَربٍ مِنَ المُلَابَسَةِ بيْنَهُمَا. وَتَتَجَلَّى شَاعِرِيَّةُ الصُّورَةِ فِي حَرَكَةِ الانتِقَالِ هَذِهِ وَفِي العَلَاقَةِ بَيْنَ المَنْقُولِ مِنْهُ وَالمَنْقُولِ إِلَيْهِ وَفِي طَاقَةِ التَّعْبِيرِ الأَدَبِيِّ عَلَى أَنْ يُتِيحَ لِلْقَارِئِ اخْتِرَاقَ الظَاهِرِ إِلَى المُرَادِ. وَيَتَجَلَّى مَفْهُومُ النَّقْلِ فِي كَثِيرٍ مِن أُصُولِ التَّصْوِير الأَدَبِيِّ، التِي هِيَ التَّشْبِيهُ والتَّمثِيلُ والاسْتِعَارَةُ وَالمَجَازُ... فَمِن ذَلِكَ قَوْلُ عَبدِ القَاهِرِ فِي الاسْتِعَارَةِ: «اعْلَم أَنَّ الاسْتِعَارَةَ فِي الجُمْلَةِ أَن يَكُونَ للفْظِ أَصْلٌ فِي الوَضْعِ اللُّغَوِيِّ مَعرُوفٌ، تَدُلُّ الشوَاهِدُ عَلَى أَنَّهُ اخْتُصَّ بِهِ حِينَ وُضِعَ، ثُمَّ يَسْتَعْمِلُهُ

الشَّاعِرُ[...] فِي غَيْرِ ذَلِكَ الأَصْلِ، وَيَنْقُلُهُ إِلَيْهِ نَقْلًا غَيْرَ لَازِمٍ فَيَكُون هُنَاكَ كَالعَارِيَّةِ»[1]، وَقَوْلُهُ: «الاسْتِعَارَةُ [...] تَنْقُلُ [الاسم] عَن مُسَمَّاهُ الأَصْلِيِّ إِلَى شَيْءٍ آخَر ثَابِتٍ مَعْلُومٍ فَتُجْرِيهِ عَلَيْهِ، وَتَجْعَلُهُ مُتَنَاوِلًا لَهُ تَنَاوُلَ الصفَةِ لِلمَوْصُوفِ»[2]، وَقَوْلُهُ فِي المَجَازِ: «[...] إِذَا عُدِلَ بِاللَّفْظِ عَمَّا يُوجِبُهُ أَصْلُ اللُّغَةِ وُصِفَ بِأَنَّهُ مَجَازٌ [...] ثُمَّ اعْلَم بَعْدُ أَنَّ إِطلَاقَ المَجَازِ عَلَى اللَّفْظِ المَنْقُولِ عَن أَصْلِهِ شَرْط وهُوَ أَنْ يَقَعَ نَقْلُهُ عَلَى وَجْهٍ لَا يَعرى مَعَهُ مِن مُلَاحَظَةِ الأَصْلِ... »[3].

كُلُّ تِلْكَ الوَسَائِلِ عَمَلِيَّاتٌ نَقْلِيَّةٌ يَنْتَقِلُ بِهَا التَّعْبِيرُ عَنْ ظَاهِرِهِ إِلَى صُورَةٍ عَمِيقَةٍ. وَالمُلَاحَظُ أَنَّ وَسَائِلَ التَّعْبِيرِ اللُّغَوِيَّةَ تُسْعَف بِتَحْقِيقِ النَّقْلِ لأَنَّهَا تُسْنِدُ فِعْلًا إِلَى غَيْرِ فَاعِلِهِ فِي الحَقِيقَةِ، أَيْ تُسْنِدُهُ إِلَى فَاعِلٍ مُدَّعًى فِي الخَيَالِ وَالتَّصَوُّرِ. وَيَتَبَيَّنُ أَن وَسَائِلَ التَّصْوِير - التِي تَحَدَّثَ عَنْهَا البَلَاغِيونَ وَحَاوَلَ عَبدُ القاهِر أَن يَضَعَ لَهَا قَوَاعِدَ وَأُسُسًا، والتِي اصْطَلَحُوا عَلَيْهَا بِالتَّشْبِيهِ وَالتَّمثِيلِ وَالاسْتِعَارَةِ وَالمَجَازِ وَغَيرِ ذَلِكَ- يمكِنُ أَن تُجْمَعَ فِي مَفْهُومٍ وَاحِدٍ هُوَ النَّقْلُ، بِاعْتِبَارِ الوَظِيفَةِ التِي تُؤَدِّيهَا تِلكَ الوَسَائِلُ، وَمَدَارُ البَلَاغَةِ عَلَى ضَبْطِ آلَةِ النَّقْلِ الشِّعْرِيِّ [وهو مَا يُعبّرُ

(١) أسرار البلاغة: ٣٠.

(٢) أسرار البلاغة: ٤٤.

(٣) أسرار البلاغة: ٣٩٥.

عَنهُ اليَومَ بالانحِرافِ أو الانزِيَاحِ[1]. وَآلةُ النَّقلِ الأَدَبِيِّ هَذِهِ ليسَت مُطْلَقَةً وَلَكِنَّهَا مُقَيَّدَةٌ بِقُيُودٍ ذَكَرَهَا النُّقَّادُ فِي حُدُودِهِم:

وَأَبْرَزُ قَيْدٍ عَلَى النَّقْلِ مَا سُمِّيَ بِعَدَمِ الاستِئْنَافِ فِي المَجَازِ. فَقَدِ اشْتَرَطَ عَبْدُ القَاهِرِ أَلَّا يَكُونَ المَعْنَى المُدَّعَى مُسْتَمِرًّا فِي غَيْرِ ذَلِكَ المَوْضِعِ الذِي جَازَ بِهِ الشَّاعِرُ. وَالمِثَالُ عَلَى ذَلِكَ أَنَّ لَفْظَ «الأصبع» فِي قَولِهِم عَن رَاعِي الإِبِلِ: «إِنَّ لَهُ عَلَيْهَا أصبعًا» لا يَتَجَاوَزُ مَا وُضِعَ لَه فِي هَذَا السِّيَاقِ وَهُوَ أَنَّ «له عَلَيهَا أَثَرًا حَسَنًا»، وَلَا يُسْتَأنَفُ بِهِ إِلَى سَائِرِ المَوَاضِعِ، فَلَا يُقَالُ «لَهُ أصبعٌ حَسَنَةٌ وأصبعٌ قَبِيحَةٌ» عَلَى معنى «أَثَر حَسَن وَأَثَر قَبيح» لأَنَّ الأَثَرَ لَيْسَ المَعْنَى الأَصلِيَّ الذِي وُضِعَ لَفظُ الأصبعِ حَتى يُستَأنَفَ بِهِ إِلَى سَائِرِ الأَوْضَاعِ اللُّغَوِيَّةِ.

وَالقَيْدُ الثَّانِي فِي المَجَازِ اعْتِبَارُ الادِّعَاءِ فِي النَّقْلِ، وَفِي ذَلِكَ يَرَى عبد القَاهِر أَنَّ إِطلَاقَ المَجَازِ عَلَى اللَّفْظِ مَشْرُوطٌ بِتَصَوُّرِ الأَصْلِ

---

(١) انظر نظرية الانزياح عند 'جان كوهين': structure du langage poétique, J. COHEN, Champs Flammarion, 1966, p: 45-… التي تعني أن الشعرَ هيئةٌ لغوية مخصوصة ذاتُ نَظم مُعيَّن ووظيفة إبْلاغية مخصوصة، تخالف هيئة النظم في النثر وعلاقاتِ الكلم بعضِها ببعضٍ فيه، وتتمثل هذه العلاقات المخصوصةُ في أمرين اثنين: أولهما إيقاع الشعر، والثاني دلالات الشعر، أو ما هو معروف ببلاغة الشعر وصوره، وتتفاعل هذه القيم الشعريةُ جميعُها، فتعرض على هيئة انزياح [Ecart] أو خرق [Violation] لقوانين اللغة المألوفة: [Violation systématique des lois du langage ordinaire].

وَاعْتِبَارِهِ، حَتَّى يَبْقَى مُسْتَحْضَرًا فِي الذِّهْنِ خُروجُ اللَّفْظِ عَن مَوْضِعِهِ، فَالمَجَازُ إِذًا نَقْلٌ إِلَى وَضعٍ مُدَّعىً وَغَيْرِ مُسْتَأْنَفٍ.

٢- مفهُوم الانتِزَاعِ: الانتِزَاع مِن نَزَعَ يَنْزَعُ نَزْعًا، وَقَالَ سِيبَوَيه: انْتَزَعَ اسْتَلَبَ، وَفِي «اللسان»: انتَزَعَ بِالآيَةِ وَالشِّعرِ، تَمَثَّلَ، وَيُقَال لِلرَّجُلِ إِذَا اسْتَنْبَطَ مَعنى آيَةٍ مِن كِتَاب اللهِ عزَّ وَجَلَّ: قَدِ انْتَزَعَ مَعْنىً جَيِّدًا، وَنَزَعَهُ اسْتَخْرَجَهُ(١).

وَالمُرَادُ بِمُصْطَلَحِ «الانْتِزَاعِ» فِي كتاب الأَسْرَار اسْتِنبَاطُ الصُّورَةِ مِنَ الكَلَامِ وَهُوَ أَمْرٌ عَقْلِيٌّ؛ لأَنَّ التَّرِكِيبَ الذِي رُكِّبَت بِه الصُّورَةُ تَرِكِيبٌ عَقْلِيٌّ سَمَّاهُ البَلَاغِيُّونَ التَّشْبِيهَ العَقْلِيَّ وَالاسْتِعَارَةَ العَقْلِيَّةَ وَالمَجَازَ العَقْلِيَّ. لَكِنَّ هَذَا الانْتِزَاعَ لا يَحصلُ إِلَّا بِشُرُوطٍ:

- أَوَّلُها أَنَّ المُنْتَزَعَ مِنهُ مَجْمُوعُ كَلِمَاتٍ أَو جُملَةٌ أَو جُمْلَتَانِ أَو أَكْثَرُ.

- ثانيها أَنَّهُ إِذَا كَان المُنْتَزَعُ مِنهُ جملًا فَلَابُدَّ أَن يُتَصَوَّرَ دخُولُ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ وَامْتِزَاجُ مَعَانيها فِيما بَيْنَهَا حَتَّى تَصِيرَ «نَسَقًا مَخصُوصًا» عَلى اصْطِلَاحِ عَبد القَاهِر.

- ثالِثُها بُطْلَانُ الصُّوَرِ المُفْرَدَةِ المُسْتَخْرَجَةِ مِنَ الكَلِمَاتِ المُفْرَدَةِ.

إِنَّ الصُّورَةَ المُنتَزَعَةَ هِيَ نَتِيجَةُ تَأْلِيفٍ وَاقْتِرَانٍ وَاتِّحَادٍ. تَأَلَّفَت مَجمُوعَةٌ مِنَ الجُمَلِ فَتَأَلَّفَت مَعَانِيهَا وَأَعْطَى المِزَاجُ مَعْنىً أَدبِيًّا كُلِّيًّا

(١) لسان العرب: نزع: ٨/ ٣٥١.

نَاسِخًا المَعَانِيَ الجُزْئِيَّةَ مُبْطِلًا إِيَّاهَا. وَقَد عَبَّرَ عَبدُالقَاهِرِ عَن الانتِزَاعِ بالاسْتِخْرَاجِ أَيْضًا، وعَبَّرَ عَن اجْتِمَاعِ صُوَرِ الجُمَلِ وَمَعانيها بِدُخول بَعْضِها في بَعْضٍ، وَجَمْعِ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ، وَمَزْجِ بَعْضِهَا فِي بَعْضٍ، وَبِالتَّأْلِيفِ، وَالتَّرْتِيبِ، وَالاتِّحَادِ، وَالاقْتِرَانِ، وَعَبَّرَ عَن حُصُولِ الصُّورَةِ المُرَكَّبَةِ بِالنَّسَقِ المَخْصُوصِ، وَمُقْتَضَى المَجْمُوعِ، وَنَتِيجَةِ المؤَلَّفِ.

وَيَبْدُو أَنَّ الانْتِزَاعَ مَفْهُومٌ يَتَعَلَّقُ بِأَدَاةٍ مِن أَدَوَاتِ الكَشْفِ عَنِ المَعْنَى الشِّعْرِيِّ وَاسْتِخْرَاجِهِ وَتَحْلِيلِهِ وَمَعْرِفَةِ مُؤَلِّفَاتِهِ؛ لأَنَّ المَعْنَى الاصْطِلَاحِيَّ هُنَا يَتَّجِهُ إِلَى حَالَةِ التَّرْكِيبِ الدَّلَالِيِّ وَإِبْطَالِ المَعَانِي المُفْرَدَةِ، وَوَظِيفَةُ هَذَا المَفْهُومِ مُزْدَوجَةٌ: فَهُوَ أَدَاةٌ وَصْفِيَّةٌ وَتَحْلِيلِيَّةٌ، وَصْفِيَّةٌ لأَنَّهَا تَصِفُ شَكْلَ الصُّورَةِ، وَتَتَعَلَّقُ بِالقسمِ الدّلاليِّ العَامِّ المُسْتَخْرَجِ مِنَ الكَلَامِ كُلِّهِ، وهِيَ تَحْلِيلِيَّة لأَنَّهَا تَعْنِي طَرِيقَةَ تَرْكِيبِ الصُّورَةِ وَتَفْكِيكِهَا، وَيَصفُ عَبدُ القاهر طَرِيقَةَ التَّرْكِيبِ هَذِهِ بِأَنَّهَا مَزِيجٌ لا مُجَرَّدُ جَمْعٍ، أَي انتِزَاعٌ من عِدَّةِ أُمُورٍ يُجْمَعُ بَعْضُها إلى بَعْضٍ، ثُمَّ اسْتِخْرَاجٌ للصُّورَةِ مِن مَجْمُوعِ هَذِهِ المُفْرَدَاتِ؛ فَيَكُونُ سَبِيلُهُ سَبِيلَ الشَّيْئَيْنِ يُمْزَجُ أَحَدُهُمَا بِالآخَرِ، حتَّى تَحدُثَ صُورَةٌ غَير مَا كَانَ لَهُمَا فِي حَال الإفرَاد، لَا سَبِيلَ الشَّيْئَيْنِ يُجْمَعُ بَيْنَهُمَا وَتُحْفَظُ صُورَتُهُمَا»[1].

فَالقَارِئُ يُرَكِّبُ الصُّورَةَ مِن مُقْتَضَى العَنَاصِرِ اللُّغَوِيَّةِ وَقِيَمِهَا

---

(١) أَسرار البلاغة: ١٠١

المُصَاحِبَةِ وَلَا يُعَلِّقُ تَرْكِيبَ الصُّورَةِ بِمَعْنَى عُنْصُرٍ لُغَوِيٍّ دُونَ آخَرَ؛ لأَنَّ تَرْكِيبَ الصُّورَةِ بِالانْتِزَاعِ يَقْتَضِي أَنْ يَكُونَ نَاسِخًا غَيْرَ المُرَادِ مُبْطِلًا لَهُ. وَالمَقْصُودُ بِالقِيَمِ المُصَاحِبَةِ للعَنَاصِرِ اللُّغَوِيَّةِ أَنَّ طَاقَةَ اللُّغَةِ فِي اسْتِخْرَاجِ الصُّورَةِ مَحْدُودَةٌ، وَيَعْتَمِدُ المُحَلِّلُ عَلَى قَوَاعِدَ تَتَعَلَّقُ بِالمَقَامِ وَالمُتَكَلِّمِ وَالمُخَاطَبِ وَالذَّوقِ، فَإِنَّهَا تُمِدُّهُ بِطُرُقٍ أُخْرَى فِي بَيَانِ الصُّورَةِ: «وَمَتَى وَصَفْنَا بِالمَجَازِ الجُمْلَةَ مِنَ الكَلَامِ كَانَ مَجَازًا مِن طَرِيقِ المَعْقُولِ دُونَ اللُّغَةِ، وَذَلِكَ أَنَّ الأَوْصَافَ اللَّاحِقَةَ لِلْجُمَلِ مِن حَيْثُ هِيَ جُمَلٌ لَا يَصِحُّ رَدُّهَا إِلَى اللُّغَةِ ولا وَجْهَ لِنِسْبَتِهَا إلى واضِعِها... وَذَلِكَ شَيْءٌ يَحْصُلُ بِقَصْدِ المُتَكَلِّمِ»[1].

وَمُقْتَضَى كَلَامِهِ هُنَا أَنَّ الصُّورَةَ المُرَكَّبَةَ بِالقِيَمِ اللُّغَوِيَّة نَسْتَطِيعُ أَنْ نُحَلِّلَهَا بِأَدَوَاتٍ لُغَوِيَّةٍ. وَمِثَالُهُ أَنَّ وَصْفَ الكَلِمَةِ بِالمَجَازِ حُكْمٌ يُبْنَى عَن طَرِيقِ اللُّغَةِ نَفْسِهَا؛ لأَنَّ المُرَادَ أَنَّ المُتَكَلِّمَ قَد بَيَّنَ الصُّورَةَ عَنْ طَرِيقِ نَقْلِ الكَلِمَةِ عَنْ أَصْلِهَا الذِي وُضِعَتْ لَهُ، وَذَلِكَ لِمُلَابَسَةٍ بَيْنَ الطَّرَفَيْنِ.

لَكِنَّ الصُّورَةَ المُرَكَّبَةَ بِقِيمٍ غَيْرِ لُغَوِيَّةٍ تُحَلَّلُ بِأَدَوَاتٍ غَيْرِ لُغَوِيَّةٍ فِي أَصْلِهَا، وَمِثَالُهُ أَنَّ تَرْكِيبَ الصُّورَةِ مِن جُمْلَةٍ أَوْ عِدَّةِ جُمَلٍ تَرْكِيبٌ عَقْلِيٌّ، وَتَحْلِيلُهَا إِنَّمَا يَحصُلُ مِن طَرِيقٍ عَقْلِيٍّ هُوَ قَصْدُ المُتَكَلِّمِ؛ لأَنَّ هَذِهِ الصُّورَةَ مَجَازٌ مِنْ طَرِيقِ المَعْقُولِ دُونَ اللُّغَةِ. وَالمِثَالُ عَلَى الصُّورَةِ

---

(١) أسرار البلاغة: ٤٠٨

المُرَكَّبَةِ قَوْلُ الشَّاعِرِ:

كَمَا أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةٌ   فَلَمَّا رَأَوْهَا أَقْشَعَتْ وَتَجَلَّتِ

وَقَدْ عَلَّقَ عَبْدُ القَاهِرِ عَلَى البَيْتِ بِقَوْلِهِ: «هَذَا مَثَلٌ فِي أَنْ يَظْهَرَ لِلْمُضْطَرِّ إِلَى الشَّيْءِ، الشَّدِيدِ الحَاجَةِ إِلَيْهِ، أَمارَةُ وُجُودِهِ ثُمَّ يَفُوتُهُ وَيَبْقَى لِذَلِكَ بِحَسْرَةٍ وَزِيَادَةِ تَرَحٍ. وَقَدْ يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ إِنَّ قَوْلَكَ: «أَبْرَقَتْ قَوْمًا عِطَاشًا غَمَامَةٌ» تَشْبِيهٌ مُسْتَقِلٌّ بِنَفْسِهِ لَا حَاجَةَ بِهِ إِلَى مَا بَعْدَهُ [...] فِي إِفَادَةِ المَقْصُودِ الذِي هُوَ ظُهُورُ أَمرٍ مُطْمِعٍ لِمَنْ هُوَ شَدِيدُ الحَاجَةِ، إِلَّا أَنَّهُ وَإِنْ كَانَ كَذَلِكَ فَإِنَّ حَقَّنَا فِي أَنْ نَنْظُرَ فِي مَغْزَى المُتَكَلِّمِ فِي تَشْبِيهِهِ [...] [وَهوَ] أَنْ يَصِلَ ابْتِدَاءً مُطْمِعًا بِانتِهَاءٍ مُؤْيِسٍ، وَذَلِكَ يَقْتَضِي وُقُوفَ الجُمْلَةِ الأُولَى عَلَى مَا بَعْدَهَا [...] إِلَّا أَنَّ الغَرَضَ الأَوَّلَ [هُوَ قَوْلُهُ:] أَبْرَقَتْ قَومًا عِطَاشًا غَمَامَةٌ..»[١].

وَمِنَ الأَدِلَّةِ أَيْضًا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا كَمَآءٍ أَنزَلْنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخْتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾﴾[٢]. فَالصُّورَةُ مُنْتَزَعَةٌ مِنْ مَجْمُوعِ الجُمَلِ لَا مِنْ جُمْلَةٍ وَاحِدَةٍ، وَالحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآيَاتِ لَيْسَتْ

---

(١) أسرار البلاغة: ١١٠-...

(٢) يونس: ٢٤.

مُشَبَّهَةً بِمُطْلَقِ المَاءِ، وَلَكِنْ بِمَاءٍ مَخْصُوصٍ مُقَيَّدٍ بِصِفَاتٍ ذَكَرَتْهَا الجُمَلُ اللَّاحِقَةُ.

وَمِنْ ذَلِكَ أَيْضًا آيَاتُ الإِنْفَاقِ: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[1].

فَالحَاجَةُ إِلَى الجُمَلِ وَالتَّرَاكِيبِ الطَّوِيلَةِ حَاصِلَةٌ لأَنَّ اسْتِخْرَاجَ الصُّورَةِ المُرَكَّبَةِ أَمْرٌ عَقْلِيٌّ، وَالتَّشْبِيهُ كُلَّمَا كَانَ أَوْغَلَ فِي كَوْنِهِ عَقْلِيًّا مَحْضًا كَانَتِ الحَاجَةُ إِلى الجُمْلَةِ أَشَدَّ، وَقَدْ ظَهَرَ مِنَ الآيَاتِ السَّابِقَةِ - المُتَعَلِّقَةِ بِتَمْثِيلِ الحَيَاةِ الدُّنْيَا - أَنَّ فِيهَا عَشْرَ جُمَلٍ دَخَلَ بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ حَتَّى كَأَنَّهَا جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ لأَنَّ وَرَاءَهَا نَواةً دَلَالِيَّةً عَقْلِيَّةً تَشُدُّ الجُمَلَ - بِمَا تَحْمِلُهُ مِنْ مَعْنىً - بَعْضَهَا إِلَى بَعْضٍ وَهَذِهِ النَّوَاةُ الدَّلَالِيَّةُ هِيَ الصُّورَةُ المُنْتَزَعَةُ.

وَإِذَا كَانت هَذِهِ المَفَاهِيمُ الإِجْرَائِيَّةُ ضَوابِطَ لاسْتِخْرَاجِ الصُّورَةِ وَتَحْلِيلِ أَجْزَائِهَا وَرَدِّهَا إِلَى أَصْلِهَا، فَإِنَّ ذَلِكَ لَا يَعْنِي أَنْ لَا قِيمَةَ لِبَعْضِ الطُّرُقِ الذَّاتِيةِ فِي فَهْمِ الصُّورَةِ، ذَلِكَ أَنَّ عَبدَ القَاهِرِ قَدْ عَقَدَ فِي كَثِيرٍ مِنْ فُصُولِ الأَسْرَارِ كَلَامًا عَنْ وَسَائِلِ القَارِئِ الخَاصَّةِ فِي تَذَوُّقِ جَمَالِ الصُّورَةِ وَفَهْمِهَا، وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ عَبد القَاهِرِ: «وَاعْلَم أَنَّ هَذِهِ الأُمُورَ

(١) البقرة: ٢٦١.

التي قَصَدْت البَحْثَ عَنْهَا، أُمُورٌ كَأَنَّهَا مَعْرُوفَةٌ مَجْهُولَةٌ، وَذَلِكَ أَنَّهَا مَعْرُوفَةٌ عَلَى الجُمْلَةِ لا يُنْكِرُ قِيَامَهَا فِي نُفُوسِ العَارِفِينَ، ذَوْقُ الكَلَامِ [...]، ومَجْهُولَةٌ مِنْ حَيْثُ لَمْ يتَّفقْ فِيهَا أَوْضَاعٌ تَجْرِي مَجْرَى القَوَانِينِ التِي يُرْجَعُ إِلَيْهَا [...] حَتَّى تُعْلَمَ عِلمَ اليَقِينِ غَيْرِ المَوْهُومِ»[١].

***

فِي خِتَامِ العَرْضِ يبرزُ السؤالُ: هَلْ يُمْكِنُ أَن نَعُدَّ تَصَوُّرَ عَبْدِ القَاهِرِ لِلنَّصِّ الشِّعْرِيِّ نَظَرِيَّةً فِي تَحْلِيلِ النَّصِّ ذَاتَ رُؤْيَةٍ دَلَالِيَّةٍ وَاضِحَةٍ، خَاصَّةً أَنَّهُ سَلَكَ فِي كِتَابِهِ «الأَسْرَار» بِقَوَانِينِ المَعَانِي وَالبَيَانِ مَسْلَكَ العُلُومِ النَّظَرِيَّةِ وَالتَّطْبِيقِيَّةِ عَلَى السَّوَاءِ، فَكَانَ يقْرِنُ فِي كَثِيرٍ مِن مَوَاضِعِ كِتَابِهِ بَيْنَ الصُّوَرِ وَالأَمْثِلَةِ المُفَصَّلَةِ، وَالصُّورَةِ الكُلِّيَّةِ المُجْمَلَةِ؟

١- إِنَّ الجَوَابَ الحَاسِمَ أَمْرٌ صَعْبٌ، وَلَكِنْ يُمْكِنُ إِطْلَاقُ صِفَةِ النَّظَرِيَّةِ عَلَى تَحْلِيلِهِ بِمُرَاعَاةِ اعْتِبَارَاتٍ دُونَ أُخْرَى، إِذْ لَو رُوعِيَتْ كُلُّ الاعْتِبَارَاتِ لَصَعُبَ الإِطْلَاقُ، وَاعْتِبَارَاتُ الإِطْلَاقِ - كَمَا مَرَّ بِنَا - هِيَ وُجُودُ تَصَوُّرٍ عَامٍّ يَسْرِي فِي كَلَامِهِ كُلِّهِ عَنْ صِنَاعَةِ الشِّعْرِ.

٢- وَنَظَرِيَّتُهُ هَاتِهِ نَظَرِيَّةٌ دَلَالِيَّةٌ لأَنَّ مَبْحَثَ المَعْنَى الأَدَبِيِّ هُوَ الغَالِبُ عَلَى كِتَابِ «الأسرَار». وَأَهَمُّ نَصٍّ فِي الكِتَابِ كُلِّهِ، كَاشف عَن مَقَاصِدِ

(١) أسرار البلاغة: ٢٦٠.

الرجلِ، هُوَ مَا عَبَّرَ عَنهُ بِبَيَانِ أَمْرِ المَعَانِي: «اعْلَم أَنَّ غَرَضِي فِي هَذَا الكَلَامِ الذِي ابْتَدَأْتُهُ وَالأَسَاسِ الذِي وَضَعْتُهُ أَن أَتَوَصَّلَ إِلَى بَيَانِ أَمْرِ المَعَانِي كَيْفَ تَتَّفِقُ وَتَخْتَلِفُ وَمِنْ أَيْنَ تَجْتَمِعُ وَتَفْتَرِقُ، وَأفصل أَجْنَاسَهَا وَأَنْوَاعَهَا...».

بَيَانُ أَمْرِ المَعَانِي هَدَفٌ نَظَرِيٌّ بَعِيدٌ يَقْتَضِي مَنْهَجًا وَأَدَوَاتٍ إِجْرَائِيَّةً عَبَّرَ عَنهَا عَبد القَاهِرِ بِقَوْلِهِ فِي بِدَايَةِ كِتَابِهِ: «وَهَذَا غَرَضٌ لَا يُنَالُ عَلَى وَجْهِهِ إِلَّا بَعْدَ مُقَدِّمَاتٍ تقدَّمُ وَأُصُولٍ تُمَهَّدُ وَأَشْيَاءَ هِيَ كَالأَدَوَاتِ فِيهِ حَقُّهَا أَن تُجْمَعَ».

٣- لَقَد بَحَثَ الرَّجُلُ قَضِيَّةَ بَيَانِ أَمْرِ المَعاني، فَبَيَّنَ أَنواعَ المَعَانِي وَطَرِيقَةَ تَحْلِيلِهَا وَتَرْكِيبِهَا وَحُصُولِهَا فِي تَرْكِيبَةٍ عَبَّرَ عَنْهَا بِالبِنْيَةِ وَالصُّورَةِ والهَيْئَةِ، ورَصَدَ لِذَلِكَ أَدَوَاتٍ عَبَّرَ عَنْهَا بِالأَصْلِ وَالفَرْعِ، وَالانتِزَاعِ، وَالتَّبَايُنِ، وَالتَّأَوُّلِ وَغَيْرِ ذَلِكَ. وَبَحَثَ فِي أَطْرَافِ تَحْقِيقِ المَعْنَى فَوَجَدَ شُرُوطًا وَأَرْكَانًا جماعُها: الشَّاعِرُ وَالمُتَلَقِّي وَمَقَامُ قَولِ الشِّعْرِ وَبِنْيَةُ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ، وَغَيرُ ذَلِكَ. وَبَحَثَ فِي أَطْرَافِ تَحقِيقِ المَعْنَى فَوَجَدَ شُرُوطًا وَأَرْكَانًا جماعُها الشَّاعِرُ وَالمُتَلَقِّي وَمَقَامُ قَوْلِ الشِّعْرِ وَبِنْيَةُ النَّصِّ الشِّعْرِيِّ.

٤- وَلَا أَظُنُّ أَنَّهُ مِنَ المُجَازَفَةِ أَن تُدْعَى طَرِيقَتُهُ فِي التَّحْلِيلِ بِنَظَرِيَّةِ عَبدِ القَاهِرِ فِي تَحْلِيلِ النَّصِّ، وَتَأْخُذَ مَكَانَهَا بَيْنَ بَاقِي النَّظَرِيَّاتِ الحَدِيثَةِ،

وَتُطَبَّقَ فِي تَحْلِيلِ بَعْضِ النُّصُوصِ القَدِيمَةِ وَالحَدِيثَةِ، مَعَ مُرَاعَاةِ التَّنَاسُبِ بَيْنَ المَنْهَجِ وَالنَّصِّ وَمُرَاعَاةِ خُصُوصِيَّةِ النُّصُوصِ.

***

مصادِر البَحثِ:

- القُرآن الكَرِيم.

- أَسْرَار البَلَاغَةِ، عَبد القَاهر الجرجاني (ت. ٤٧١)، تح. محمود محمّد شاكر، مط. المدني القاهرة، ط. ١/ ١٤١٢-١٩٩١.

- أَسرَار البَلَاغَة، عبد القاهر الجرجاني، تصـ. محمد رشيد رضا، دار المعرفة بيروت.

- الأُصُولُ فِي النَّحْوِ، لابن السّرّاج (ت. ٣١٦)، تح. د عبد الحسين الفتلي. مؤسسة الرّسالة، ط/ ١، ١٤٠٥-١٩٨٥.

- سِرُّ الفَصَاحَةِ، لابنِ سِنان الخَفاجِي (ت. ٤٦٦)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط. ١/ ١٤٠٢-١٩٨٢.

- الطِّراز المُتَضَمِّن لِأَسرَارِ البَلَاغَةِ وَعُلُومِ الإِعْجَازِ، يحيى بن حمزة العلوي (ت. ٧٤٩)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٢-١٩٨٢.

- لِسَانُ العَرَبِ، لابن منظور، دار صادر، بيروت.

- Structure du langage poétique, J. COHEN, Ed. Champs Flammarion 1966, France.



أسلوبا الأمر والنهي في النظرية اللسانية العربية
-مقاربة تداولية -

د: ليلى كادة
قسم الآداب واللغة العربية
جامعة بسكرة (الجزائر).

الملخص:

يسعى هذا المقال إلى الوقوف على عناية المنظومة اللسانية العربية بالدلالتين الصريحة والمستلزمة متخذا من أسلوبي الأمر والنهي أنموذجا للدراسة، فلم يغفل القدامى عن التمثيل للمعاني الثواني أي ما يقابل عند «جرايس» المعاني المستلزمة، التي تتولد من امتناع إجراء الكلام على الأصل بدليل قرائن الأحوال، فكانت الأغراض الأصلية في المنظومة اللسانية العربية في مقابل الأفعال اللغوية المباشرة، أما الأغراض الفرعية فمقابلا للأفعال اللغوية غير المباشرة أو الاستلزام الحواري. وهذا ما سيتكفل هذا المقال ببيانه.

Résumé

Cet article vise à identifier l'intérêt qu'a donné le système linguistique arabe à la signification explicite et implicite en prenant du type impératif et négatif un modèle d'étude. Les anciens n'ont pas négligé la représentation de secondes significations correspondant selon Grice aux sens implicites, nés de la privation de discuter sur l'origine selon les abstentions de procédure, l'objectif initial du système linguistique arabe est l'ensemble des actes de parole directs,

tandis que les objectifs secondaires sont des actes de parole indirects. Cet article va clarifier ce que nous avons dit .précédemment

اختلف الدارسون في تحديد أقسام الإنشاء الطلبي، وقد فصَّله «السكاكي» إلى خمسة أبواب هي: التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء[1].

وسنقصر النظر -ههنا- على قسمي الأمر والنهي لأنهما موضوع الدراسة:

١. **الأمر**: يعرف الأمر بأنه «صيغة وضعت لطلب فعل، أو طُلب بها فعل، بأداة على وجه الاستعلاء»[2]، ويعرفه «ابن يعيش» بأنه: « طلب الفعل بصيغة مخصوصة وله ولصيغته أسماء بحسب إضافاته، فإن كان من الأعلى إلى من دونه قيل له أمر، وإن كان من النظير إلى النظير قيل له طلب، وإن كان من الأدنى إلى الأعلى قيل له دعاء»[3].

وقد سجل بعض الباحثين جملة من الملاحظات على تعريف «ابن

---

(١) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، (ط٢)، ١٤١١هـ-١٩٩٠م، ص ١٧٢-١٨٢، وقد أضاف بعض المحدثين التحضيض والعرض والترجي، والدعاء، ينظر: تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب- القاهرة، (ط٣)، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨، ص ٢٤٤.

(٢) الجرجاني، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، ص ٩٧ وعبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، (ط١)، ٢٠٠٧، ص ١٨٠.

(٣) شرح المفصل، ٤/ ٢٨٩.

يعيش» نوجزها في الآتي[١]:

- الملاحظ على تعريف «ابن يعيش» نوع من التداخل وعدم الانسجام.

- الأمر عند «ابن يعيش» معناه طلب الفعل، وما دام طلب الفعل قد يأتي على أوجه متباينة فالأمر جنس تندرج تحته أنواع من طلب الفعل.

- يفقد تعريف «ابن يعيش» سلامته إذ يُفرع عن الأمر الأول أمرا ثانيا، فيصبح مصطلح الأمر اسما عامًّا لأنواع طلب الفعل وفي الآن نفسه اسما لأحد هذه الأنواع.

- الراجح أنَّ «ابن يعيش» كان يقصد بعبارة الأمر التي أوردها في مقدمة النص صيغة (لِتفعل، افعل)، وليس الأمر كمفهوم أو كفعل (غرض) لغوي، فكأني به أطلق مصطلح الأمر على الصيغة الصرفية.[٢]

واقترح الباحث المغربي «إدريس سرحان» أن تسمى صيغة (افعل،

---

(١) ينظر: إدريس سرحان، الأمر والنهي كفعلين لغويين إنجازيين في اللغة العربية دراسة دلالية تداولية، ص٩٩.

(٢) وحجة الباحث في ذلك أنَّ «صيغة (افعل، لتفعل) هي التي ترد تبعا للمقامات التداولية التي تستعمل فيها إما للدلالة على الأمر أو الدعاء أو الالتماس أما الأمر كفعل لغوي فإنه لا يقبل التعدد الدلالي، وإنما له دلالة واحدة هي طلب الفعل على وجه الوجوب» نفسه.

ولتفعل) في كتب النحو العربي بأسلوب طلب الفعل، بدل الأمر أو أسلوب الأمر وأن تسمى صيغة (لا تفعل) بأسلوب طلب ترك الفعل بدل النهي أو أسلوب النهي[١].

ولهذا الأسلوب صيغ أربع هي[٢]:

١. فعل الأمر نحو قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[٣].

٢. المضارع المقرون بلام الطلب كقوله تعالى: ﴿فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ﴾[٤].

٣. اسم فعل أمر، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾[٥].

٤. المصدر النائب عن فعل الأمر، كقوله تعالى: ﴿فَضَرْبَ الرِّقَابِ﴾[٦]

١. ٢. **العناصر المكونة لدلالة الأمر**: يمكن تلخيصها فيما يلي[٧]:

---

(١) ينظر: نفسه، ص ٩٩- ١٠٠.

(٢) ينظر: مصطفى الصاوي الجويني، المعاني علم الأسلوب، ص ٢١.

(٣) التوبة/ ٥.

(٤) الحج/ ١٥.

(٥) المائدة/ ١٠٥.

(٦) محمد/ ٤.

(٧) ينظر: حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، ص٤٧- ٦٤.

• **عنصر العلو**: أي أن تكون مكانة الآمر أعلى من مكانة المأمور، كمكانة الخالق بالنسبة للمخلوق، والسيد بالنسبة لخادمه.

• **عنصر الاستعلاء**: هو عنصر مقامي، يتصل بهيئة النطق وطبيعة الأداء الصوتي للآمر، ويشترك العنصران العلو والاستعلاء في تحديد دلالات: الوجوب، والدعاء والالتماس.

• **عنصر الإمكان**: أن يكون المأمور للقيام بالفعل بمقدرته فعله.

• **عنصر الزمان**: ينبغي أن لا يكون الفعل المأمور القيام به حاصلا وقت الطلب، بل في المستقبل؛ لأنّ تخلف عنصر الاستقبال في الأمر يخرجه إلى معانٍ تحويلية أخرى[1].

• **عنصر المصلحة**: الذي يؤدي دورًا مهما في تحديد دلالة صيغة الأمر، فالأصل أن الفعل المأمور القيام به يمثل مصلحة بالنسبة للآمر، كما يؤثر عنصر المصلحة في تحديد دلالة صيغة الأمر.

• **عنصر التفويض**: أي أن يكون تنفيذ الأمر موكولا إلى المأمور وإن كان غير ذلك خرج الأمر إلى دلالات مجازية أخرى.

---

(١) يؤكد سيرل على هذا العنصر التداولي في الطلب عمومًا إذ يقول: «إذا أنا طلبت من غيري تحقيق شيء يبدو لي بوضوح أنه أخذ في إنجازه أو على أهبة الشروع في تحقيقه في استقلال عن طلبي، فإن طلبي هذا سيكون لا محل له، وبالتالي لاغيا»:
j-searle: les actes de language, E. d Hermann, Paris, 1972, p 101

• **عنصر الإرادة**: لتدل صيغة (افعل) على الأمر؛ لأنّ الخطوة الأولى للكشف عن وجود تحويل دلالي هي معرفة عدم إرادة المعنى الحقيقي.

إنَّ الملاحظة التي يمكن أن نسجلها على هذه الشروط أو العناصر المكوِّنة لأسلوب الأمر، أنها كلها شروط تداولية فالاصطلاحات اللغوية هدفها في كل لغة طبيعية أداء وظائف معينة، وتحقيقها لهذه الوظائف يقتضي تداولها، وتنظيم هذا التداول يقتضي وجود قواعد منظمة، ومن القواعد المنظمة لتداول الأمر ضرورة توفر مستعملها على سلطة الأمر وحصول العلم بتلك السلطة لدى المُخَاطَب[1]، و-أيضا- ضرورة أن يكون الفعل الإنجازي مفهوما لديه، يقول أوستين: «إنَّ تحقيق فعل إنجازي يتضمن ضمان كونه مفهومًا من لدن المخاطَب»[2].

٢. النهي: هو «طلب كف عن فعل على جهة الاستعلاء»[3]، فهو كالأمر في الاستعلاء[4]، ومطلوب بالنهي الكف عن إتيان فعل ما في الخارج كقولك للمتحرك: لا تتحرك[5]، وله صيغة واحدة هي المضارع

---

(١) ينظر: إدريس سرحان، الأمر والنهي كفعلين لغويين إنجازيين في اللغة العربية دراسة دلالية تداولية، ص ١٤٤- ١٤٥.

(2) j. Austin, Quand dire c’est faire, p 124.

(٣) عروس الأفراح ١/ ٥٥٨.

(٤) ينظر: عبد النعيم، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، ص١٧٧.

(٥) ينظر: مفتاح العلوم، ص ١٧٠، ومصطفى الصاوي الجويني، المعاني علم الأسلوب، ص ٢٣.

المجزوم بـ «لا» الناهية، كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾(١).

٢-١ العناصر الدلالية المكونة لدلالة النهي: يمكن تلخيص العناصر الدلالية المكوّنة لدلالة النهي في النقاط التالية(٢):

- عنصري العلو والاستعلاء وأهميتهما في التفرقة بين دلالات التحريم والدعاء والالتماس.
- عنصري الزمان والمكان، فينبغي أن يكون طلب الكف متعلقا بالمستقبل.
- أن يكون الانتهاء عن الفعل ممكن الحصول، فيكون في قدرة المخاطب النهي.
- اشتراط الإمكان ليكون النهي على حقيقته، فالمخاطب لا ينهى عما لا يمكن أن يقع منه، سواء كان امتناع الوقوع لعدم استطاعته، أو لأن الفعل لا يُتخيَّل أن يقع مثله.

---

(١) الإسراء/ ٣٢.

(٢) ينظر: حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، ص٨٢- ٨٦.

- يؤدي عنصر الإرادة دورًا مهما في تحديد دلالات صيغة النهي، إذ – ابتداء– يفرق بين الدلالات الطلبية للصيغة والدلالات غير الطلبية لها كالتهديد.

كل هذه العناصر ينبغي أن تتوفر حتى يكون النهي على حقيقته، فإن تخلف أحدها حدث الخروج عن المعنى الأصلي إلى المعنى المستلزم.

وجدير بالذكر أن أسلوبي الأمر والنهي في الدراسات التداولية يُنظر إليهما على أساس كونهما أفعالا إنجازيه؛ فالمخاطب عندما يأمر أو ينهى في مقامات خطابية، فإنه ينجز مباشرة وبواسطة عملية التلفظ ذاتها فعل أمر أو نهي.

ويمكننا عمومًا أن نوجز شروط نجاح المخاطِب في حمل المخاطَب على القيام بالفعل، من الجانب التداولي فيما يلي:(١)

- إن ملفوظات الأمر والنهي ليس لها قدرة ذاتية على حمل المخاطب على فعل المأمور به وترك المنهي عنه، فليس كل أمر مطاعا ولا كل نهي كذلك.

---

(١) ينظر: إدريس سرحان، الأمر والنهي كفعلين لغويين إنجازيين في اللغة العربية دراسة دلالية تداولية، ص ١٠٩– ١١٤– ٢٣٨.

- لا يـدخل في تعريـف الأمـر والنهـي كفعلـين إنجـازيين، قيـام المأمور بالفعل المأمور به، وترك المنهي للمنهي عنه؛ لأنّهما يدخلان في القسم الثالث من الأفعال اللغوية أي الأفعال التأثيرية.

- قد ينجح الآمر وقد يخفق في جعل المأمور يأتمر والمنهي يكف عـن المنهـي عنـه، وإن تـوفرت شـروط الاسـتعلاء والإرادة، والمقـام المناسـب، وتـوافر للمـأمور أو المنهـي شـرط الاسـتطاعة، ومفهـوم العصيان خير شاهد على احتمال تعرض الأوامر والنواهي للإخفاق.

- الأمر يعبر عن إرادة المتكلم ويشهد عليهـا، -إلا أنـه لا يخـبر عنهـا ولا يمثلها كما يفعل الخبر؛ لأنّ ذلك يجعله قابلا للتصديق والتكذيب، وهو في حقيقته لا يخبر عن واقع، بـل هـو في ذاتـه واقع باعتبـار أنـه فعـل Action يمارسه المتكلم على المخاطب.

- أن لا يقترن زمن الشروع في الفعل أو في الكف عنه بـزمن الـتلفظ بـالأمر، أو النهـي، أو يتقـدم عليـه، فكـان لزامًـا أن يكـون زمـن الـتلفظ بأحدهما متقدمًا قدرا من الوقت علـى زمـن شـروع المخاطـب في الفعـل المأمور به أو ترك المنهي عنه.

- إذا جاء الأمر والنهي متأخرًا عن زمن الإنجاز أو مقترنا به، خرج عن دلالة الأمر والنهي.

- يشترط في من يريد مخاطبة قوم أن يكون عالما بلغتهم أولا، وباستعمالاتهم الخاصة داخل تلك اللغة ثانيا، فإذا افترضنا أنَّ مخاطبا وقف اليوم آمرًا مخاطبيه قائلا: اشتروا الدواب.

أو قال ناهيا: لا تؤذوا الدواب

فإن ما ينصرف إلى الذهن عمومًا من لفظ الدواب هو ما يُركب منها خاصة رغم أن أصل الوضع في هذا الاسم يشمل كل ما يدب من الحيوانات سواء في ذلك ما يركب منها وما لا يركب، إلا أنَّ الاسم أخذ عبر التاريخ بمقتضى العرف الاستعمالي دلالة أضيق من دلالته الوضعية وفي هذا الشرط اهتمام صريح بالبعد التداولي وإيلائه العناية على نحو يساعد على تحقيق صيغة الأمر أو النهي.

يتدخل المقام التداولي بكل مكوناته من متكلم ومخاطب وموضوع للخطاب والظرف الزماني والمكاني الذي يقع فيه الخطاب، ودرجة التعارف بين طرفي التواصل ونوع المعارف المشتركة بينهما كقرائن مساعدة لتحقيق الأوامر والنواهي.

يذكر البلاغيون العرب عند حديثهم عن الأغراض التي تخرج إليها معظم الأساليب الإنشائية في اللغة العربية مجموعة من الأفعال اللغوية التي ينعتونها بأنها مجازية أو مولدة يقول السكاكي: « متى امتنع إجراء هذه الأبواب [التمني والاستفهام والأمر والنهي والنداء] على الأصل

تولد منها ما ناسب المقام»[1].

وتخرج معاني الطلب الأصلية الخمسة عن دلالتها الحقيقية حين[2]:

١- يمتنع مقاميا إجراؤها على الأصل إلى معان أخرى كالإنكار والتوبيخ والزجر والتهديد.

٢- في حالة عدم المطابقة المقامية، فيمكن أن يتولد مقاميا عن الاستفهام التمني وعن التمني الاستفهام.

أما عملية الانتقال فتتم عبر مرحلتين متلازمتين[3]:

المرحلة الأول: يؤدي عدم المطابقة إلى خرق أحد شروط إجراء المعنى الأصلي فيمتنع إجراؤه.

المرحلة الثانية: يتولد عن خرق شرط المعنى الأصلي، وبالتالي امتناع إجرائه معنى آخر يناسب المقام.

وحقيق بنا أن نشير إلى أن القدامى قد تنبهوا إلى خروج بعض الأساليب عن دلالتها الحقيقية إلى معان أخرى هذا الخروج الذي تحدث عنه-على سبيل المثال لا الحصر- ابن جني عندما صرح

---

(١) مفتاح العلوم، ص ١٧١.

(٢) ينظر: أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص ٩٨، والعياشي أدواري، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، ص٣٢-٣٣.

(٣) ينظر: أحمد المتوكل: دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، ص ٩٨.

بالوظيفة الاحتجاجية للإخبار عن طريق الاستفهام في شرحه لقوله تعالى: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ حِينٞ مِّنَ ٱلدَّهۡرِ لَمۡ يَكُن شَيۡـٔٗا مَّذۡكُورًا﴾[1]، «هذا كقولك لمن تريد الاحتجاج عليه: بالله هل سألتني فأعطيتك؟ أم هل زرتني فأكرمتك؟ أي فكما أن ذلك كذلك فيجب عليك أن تعرف حقي عليك»[2].

هذا غيض من فيض فالنماذج كثيرة لا يتسع المقام لذكرها جميعا.

٢. ٢. المعاني المستلزمة عن أسلوب الأمر:

تعرضنا سابقا للعناصر الدلالية المكوِّنة للدلالة الحقيقية لصيغة الأمر، وهي تمثل عموما جملة الشروط الواجب توفرها لإجراء الأمر على حقيقته.

وقد اعتبر الدارسون أن دلالته الحقيقية هي الوجوب وقد يحدث أن يخرج هذا الأسلوب إلى دلالات أخرى هذا بيانها[3]:

✓ **الدعاء**: وذلك في مقام يكون المأمور فيه أعلى من الآمر، ويكون الطلب على سبيل التضرع والخضوع ومن أمثلته قوله تعالى:

---

(١) الإنسان/ ٠١.

(٢) ابن جني، الخصائص٢/ ٤٦٢.

(٣) ينظر: مصطفى الصاوي الجويني، المعاني علم الأسلوب، ص ٢١-٢٢، وأمين أبو ليل، علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص ٨٣- ٨٦.

﴿ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾[1]، وقوله: ﴿رَبِّ ٱشْرَحْ لِى صَدْرِى ﴿٢٥﴾ وَيَسِّرْ لِىٓ أَمْرِى ﴿٢٦﴾﴾[2]، وعلى هذا النسق فسر البلاغيون بيت المتنبي وهو يخاطب سيف الدولة الحمداني[3]:

أَزِلْ حَسَدَ الحُسَّادِ عَنِّي بِكَبْتِهِمْ   فَأَنْتَ الَّذي صَيَّرْتَهُمْ لِيَ حُسَّدا

✓ **الإرشاد**: ويكون في مقام النصيحة لا على وجه الإلزام كقوله صلى الله عليه وسلم: «يا عقبة صِل من قطعك، وأعط من حرمك، وأعرض عمن ظلمك»[4].

✓ **التهديد**: ويكون في مقام عدم الرضا بالمأمور به، كقوله تعالى: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾[5]، فهي تتضمن وعيدا مجملا.

✓ **الالتماس**: وذلك في مقام يتساوى فيه الآمر بالمأمور حقيقة أو ادعاء، ويكون بذلك الطلب على سبيل التلطف، ومن شواهده قول امرئ القيس[6]:

---

(١) الإسراء/ ٢٤.

(٢) طه/ ٢٥-٢٦.

(٣) ديوانه، ٢/ ٧١٠.

(٤) أحمد بن حنبل، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، (د. ت)، ٤/ ١٤٨.

(٥) فصلت/ ٤٠.

(٦) امرؤ القيس، ديوانه، حققه وبوّبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته حنا الفاخوري، سلسلة الموارد والمصادر، دار الجيل، بيروت، ص٢٥.

قِفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ   بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ

✓ **الإكرام**: نحو قوله تعالى: ﴿ٱدۡخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ﴾(١)، فليس المراد الأمر بالدخول لحصوله وقتئذ، وإنما الغرض إظهار إكرامهم وأنهم يستحقون هذا النعيم، بما قدَّموا من خير.

✓ **التمني**: وذلك إذا كان المأمور غير عاقل ومن أمثلته قول امرئ القيس(٢):

أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انجَلِي   بِصُبْحٍ وَمَا الإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمْثَلِ

فالمراد هنا ليس طلب الانجلاء من الليل، إذ ليس ذلك في وسعه لكنه يتمنى ذلك تخلصا مما عرض له من هموم وآلام.

✓ **التسوية**: وتكون في مقام يتوهم فيه المخاطب رجحان أحد الأمرين أو الأمور على الآخر كقوله تعالى: ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡ﴾(٣)، وقوله أيضًا: ﴿فَٱصۡبِرُوٓاْ أَوۡ لَا تَصۡبِرُواْ﴾(٤)، وقول المتنبي(٥):

(١) الحجر/ ٤٦.

(٢) ديوانه، ص٤٣.

(٣) التوبة/ ٨٠.

(٤) الطور/ ١٦.

(٥) ديوانه، ١/ ١٣٩.

عِشْ عَزِيـزًا أَوْ مُـتْ وَأَنْـتَ كَـرِيمٌ   بَـيْنَ طَعْـنِ القَنـا وَخَفْـقِ البُنُـودِ

✓ **التعجيز**: ويكون في مقام إظهار عجز المخاطب عن شيء يدعي القدرة عليه كقوله تعالى: ﴿فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ﴾(1)، وهذا تعجيز لعدم قدرة المأمور على الإتيان بسورة من مثله وليس المراد ههنا طلب ذلك منهم بل إظهار عجزهم، وقوله أيضا: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ﴾(2).

✓ **الامتنان**: كقوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا﴾(3)، وقوله: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾(4).

✓ **الإهانة**: وذلك في مقام عدم الاعتداد بشأن المأمور مثال هذا قوله تعالى: ﴿قُلْ كُونُوا۟ حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا﴾(5)، وقوله أيضا: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾(6).

---

(1) البقرة/ ٢٣.

(2) آل عمران/ ١٦٨.

(3) البقرة/ ٣٥.

(4) النحل/ ١١٤.

(5) الإسراء/ ٥٠.

(6) الدخان/ ٤٩.

✓ **التسخير**: ويكون في مقام انقياد المأمور للآمر مع عدم قدرته على الفعل كقوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[1]، ليس باستطاعتهم أن يكونوا كذلك، لكنهم انقادوا لأمر ربهم فنفذ فيهم، وصاروا قردة بمجرد توجيه هذا الخطاب إليهم.

✓ **التخيير**: ويكون في مقام يتوهم فيه المخاطب جواز الجمع بين شيئين فأكثر لا يجمع بينهما كما يقول المتنبي:[2]

عِشْ عَزِيزًا أَوْ مُتْ وَأَنْتَ كَرِيمٌ بَيْنَ طَعْنِ القَنا وَخَفْقِ البُنُودِ

✓ **التهكم**: كقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[3]

فالمعنى المستلزم ههنا هو التهكم، إذ المقصود هو الاستخفاف والإهانة.

✓ **التعجب**: كقوله تعالى: ﴿انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ﴾[4].

✓ **الاعتبار**: كقوله تعالى: ﴿انظُرُوا إِلَىٰ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾[5].

---

(١) البقرة/ ٦٥.

(٢) ديوانه، ١/ ١٣٩.

(٣) الدخان/ ٤٩.

(٤) الإسراء/ ٤٨.

(٥) الأنعام/ ٩٩.

✓ **الدوام**: كقوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[1]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ﴾[2]، فليس الغرض بالأمر الهداية والإيمان؛ لأنّهما حاصلان إنما الغرض الدوام عليهما.

إن الدلالة الحرفية أو الحقيقية مشروطة -كما مر بنا- بوجود مجموعة من العناصر الدلالية المكوِّنة لأسلوب ما، ويُفسر خروج الأمر إلى معان مستلزمة وفق ما يلي:[3]

✓ يسهم عنصر العلو في تحديد عدد من دلالات صيغة الأمر، نحو دلالات: الالتماس، والدعاء، والاقتراح، والتكوين والتسخير.

✓ يشترك العنصران: العلو والاستعلاء في تحديد دلالات الوجوب والدعاء والالتماس، فلو قال العبد لسيده بغلظة: أعتقني، كان أمرا وعُدَّ رده هذا خروجا عن قاعدة مكونة لدلالة الأمر وهي الاستعلاء، فالأصل في الآمر أن يكون أعلى رتبة من المأمور.

✓ يتخلف عنصر الاستعلاء في دلالات النصح.

---

(١) الفاتحة/ ٦.

(٢) النساء/ ١٣٦.

(٣) ينظر: حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، ص ٤٨-٦٤.

- ✓ إذا كان القيام بالفعل المأمور به ليس في قدرة المخاطب تولد عن أسلوب الأمر دلالة التعجيز.
- ✓ أهم الدلالات المستلزمة التي ترتبط بعنصر الإمكان دلالات التكوين، والتسخير، والتعجيز، والتحدي.
- ✓ يميز عنصر الإرادة بين دلالتي التكوين، والتسخير من ناحية ودلالتي التعجيز والتحدي من ناحية ثانية.
- ✓ تخلف عنصر الاستقبال في الأمر يخرجه إلى معنيين تحويليين هما: التشجيع على الفعل والرضا عنه.
- ✓ إذا تخلف عنصر الزمان -أيضا- انتقل الأمر للدلالة على معنى الخبر، فإذا وقع الفعل المأمور به قبل الطلب، ولم يكن المقصود به الاستمرار والتشجيع آل إلى الإخبار، كمن يقول لمن نحر قبل أن يرمي: ارم ولا حرج.
- ✓ إذا تخلف عنصر المصلحة فكان في الأمر ضرر يحيق بالآمر في الظاهر، حدث هناك خروج عن الدلالة الحقيقية للأمر.
- ✓ إذا صدرت صيغة الأمر مقرونة بنغمة الجزم كانت للدلالة على الوجوب، وهذا إذا كان الغاية منها مصلحة المأمور فحسب، فإذا كانت المصلحة دينية فهي للندب وإذا كانت دنيوية فهي للنصح والإرشاد.

✓ تشترك مع دلالة الوجوب في ارتباط المصلحة بالأمر دلالتا: الدعاء، والالتماس، والفارق بين الدلالتين، عنصرا العلو والاستعلاء.

✓ يشير تخلف عنصر المصلحة إلى أن صيغة الأمر قد تحولت للدلالة على: الإرشاد، أو الاقتراح أو الإكرام، أو الإباحة، والفارق في الدلالة بينها عن طريق عنصري العلو والاستعلاء.

✓ في دلالة الاقتراح يكون المأمور أعلى مكانة، رغم كونه صاحب المصلحة في الأمر، وهذا العلو في المكانة هو الذي منع من أن تكون الدلالة هي الإرشاد؛ لأنّ الأصل في تقديم النصح للكبير أن يكون بصيغة العرض لا صيغة الأمر، وإذا كان بالأمر كان مجازا عن العرض أو المشورة والاقتراح.

✓ يتخلف عنصر التفويض تخلفا تاما في دلالتي: التكوين(١)، والتسخير(٢)، والأول أعم من الثاني.

✓ يتخلف عنصر التفويض تخلفا جزئيا في دلالة الإكرام، وهو ما يفرق بينه وبين دلالة الإرشاد، رغم كون القاسم المشترك بينهما في علو مكانة الآمر، وارتباط المصلحة بالمأمور.

---

(١) نحو قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَـٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ هود/ ٤٤.

(٢) نحو قوله تعالى: ﴿قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ﴾، الحجر/ ٣٤.

✓ يكون للآمر دور في تنفيذ الفعل في دلالة الإكرام، ومن ثم ينتفي التكليف وما يرتبط به من المشقة بالنسبة للمأمور، وهو ما يتجسد في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ إِنِّي بِمَا تَعۡمَلُونَ عَلِيمٞ﴾[1].

✓ الخطوة الأولى للكشف عن الدلالات المستلزمة هي معرفة عدم إرادة المعنى الحقيقي.

✓ في دلالة التهديد تنعكس الإرادة، فيدل الأمر بالفعل على الأمر بالامتناع عنه[2].

✓ قد يتخلف عنصر الإرادة لتخلف الإمكان كما في دلالتي التعجيز[3]، والتحدي[4].

✓ تستخدم صيغة افعل للدلالة على غير الطلب دون أن يكون هناك مانع من إرادة الطلب، ويجتمع المعنيان إذا تخلف عنصر الإرادة على طريقة الكناية مثلا ويتحقق ذلك في دلالات: التضجر، والتعجب، والاحتجاج.

إن العناصر المكوِّنة لدلالة الأمر هي بمثابة قوانين شأنها في ذلك

---

(١) المؤمنون/ ٥١.

(٢) كقوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾، فصلت/ ٤٠.

(٣) مثاله قوله تعالى: ﴿فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ﴾، البقرة/ ٢٥٨.

(٤) كقوله تعالى: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾، البقرة ٢٣.

شأن قوانين المحادثة عند «جرايس»، حيث يعد الخروج عن قاعدة من القواعد مرادفا لخروج العبارة من معناها الحرفي إلى معناها المستلزم، إن فكرة «ربط الدلالات التحويلية للطلب بتخلف شرط من شروط إجرائه على الحقيقة فكرة تراثية من شأنها -حين تكتمل بالكشف عن جميع العلاقات المطردة بين تولد دلالة من الدلالات التحويلية لأساليب الطلب وتخلف عنصر من العناصر المكونة لدلالته الحقيقية- أن تُمثِّل نظرية متكاملة قادرة على تفسير ظاهرة التحويل الدلالي»[(١)].

إن المتكلم صاحب سلطة مثلما تكون غايته من استعمال (افعل) أو (لتفعل) في الأمر، قد يقصد إلى الإرشاد أو الالتماس أو الدعاء، ولكي نستطيع أن نقول إن أحد هذه الاحتمالات هو الغرض المقصود، يجب الرجوع إلى المقام التداولي برمته.

إن نجاح المتكلم في أمر مخاطبه يتحقق من وجهة النظر التداولية بتوافر خمسة شروط هي[(٢)]:

١- ضرورة وجود علاقة ما بين المتلفظ بهذا الملفوظ (أغلق الباب) والمخاطب به تسمح للأول بتوجيه الأمر إلى الثاني.

---

(١) حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، ص ٠٧.

(٢) ينظر: Ducrot: Dire et ne pas dire, p48.

٢- ضرورة وجود المخاطب بهذا الملفوظ في وضعية تسمح له بإغلاق الباب.

٣- ضرورة حصول تصور عن باب معينة في ذهن المخاطب، مع وجود قرائن مرجحة تثبت قدرته على التعرف على الباب المقصود إغلاقها.

٤- ضرورة كون الباب المقصود إغلاقها مفتوحة وقت إصدار الأمر بإغلاقها.

٥- ضرورة توافر المتكلم على قصد وإرادة تحقق إغلاق الباب.

٢-٢. **المعاني المستلزمة عن أسلوب النهي:**

رأينا -سابقا- أن أكثر العناصر المكونة لحقيقة النهي هما عنصرا: العلو والاستعلاء، فبتوفرهما يكون النهي على حقيقته، وإذا تخلف أحدهما حدث الاستلزام الدلالي؛ يقول «السكاكي» في هذا الصدد «أصل استعمال لا تفعل أن يكون على سبيل الاستعلاء بالشرط المذكور، فإن صادف ذلك أفاد الوجوب وإلا أفاد طلب الترك فحسب، ثم إن استعمل على سبيل التضرع كقول المبتهل إلى الله: لا تكلني إلى نفسي، سمي دعاء، وإن استعمل في حق المساوي الرتبة لا على سبيل الاستعلاء، سمي التماسا وإن استعمل في حق المستأذن سمي إباحة،

وإن استعمل في مقام تسخط الترك سمي تهديدا»[١]. يحدد هذا النص أهم العناصر المكوِّنة لحقيقة النهي، وهما عنصرا: العلو والاستعلاء، وما لهما من أهمية في التفرقة بين دلالات التحريم والدعاء والالتماس، وهناك إشارة -أيضا- لعنصري الزمان والمكان[٢].

إن توفر العناصر المكوِّنة لأسلوب النهي يجعل هذا الأخير على حقيقته، في حين يعد الخروج[٣]، عن هذه العناصر تحويلا دلاليا ومن هنا « تبرز أهمية فكرة ربط المعاني التحويلية للصيغة بغياب مكونات دلالية بعينها من المكونات التي تمثل شروطا لإجرائها على حقيقتها، ذلك أن من شأن هذه الفكرة أن تقودنا إلى التنبؤ بدلالات مجازية يمكن أن تؤديها الصيغة، وإن كانت غير مستعملة لأدائها»[٤].

ونلخص أهم المعاني التي يخرج إليها النهي فيما يلي:[٥]

---

(١) مفتاح العلوم، ص ١٧٨.

(٢) ينظر: حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، ص ٨٣.

(٣) المراد بالخروج ههنا ما يسميه «جرايس» بالخرق.

(٤) حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، ص ٨٦.

(٥) ينظر: محمد بدري عبد الجليل، تصور المقام في البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية الأزرايطة، مصر، (د، ط)، ٢٠٠٥، ص ٧٤- ٧٦، ونظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، ص ١٨٠-١٨١، وعلوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، ص ٨٧ -٨٩

✓ **الدعاء**: عندما يكون صادرا من الأدنى منزلة إلى الأعلى شأنا نحو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾[١]، وقوله: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾[٢]، يلاحظ خروج النهي ههنا إلى معنى الضراعة والتوسل والدعاء.

✓ **الالتماس**: عندما يكون النهي صادرا من شخص إلى آخر يساويه كخطاب أخ لأخيه، وذلك كقوله تعالى على لسان هارون يخاطب أخاه موسى: ﴿قَالَ يَبْنَؤُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي﴾[٣].

✓ **التمني**: ويكون بطلب الكف عن أمر لا يستطاع الكفُّ عنه، ويكون النهي فيه موجها إلى ما لا يعقل، كقول القائل: يا شمس لا تغربي.

✓ **النصح والإرشاد**: وذلك عندما يكون النهي حاملا بين ثناياه معنى من معاني النصح والإرشاد، فهو موجه من ذوي البصر والخبرة بالأمور إلى من هم في حاجة إليه، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[٤]، أو قول المتنبي[٥]:

(١) آل عمران/ ٠٨

(٢) البقرة/ ٢٨٦

(٣) طه/ ٩٤

(٤) المائدة/ ١٠١.

(٥) ديوانه، ١/ ٤٧٩.

إِذَا غـــامَرْتَ فِي شَـــرَفٍ مَـــرُومِ   فَـــلا تَقْنَـــعْ بِمَـــا دُونَ النُّجُـــومِ

التوبيخ: ويكون حين يراد بالنهي كف المخاطب عن أمر لا يشرف الإنسان ولا يليق أن يصدر عنه نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ﴾[1].

✓ **التحقير**: ويكون حين يراد بالنهي الإزراء بالمخاطب، والتقليل من شأنه ومن قدراته نحو قول المتنبي[2]:

لا تَشْـتَرِ العَبْـدَ إِلَّا وَالعَصَـا مَعَـهُ   إِنَّ العَبِيـــدَ لأَنْجَـــاسٌ مَنَاكِيـــدُ

✓ **التيئيس**: ويكون حين يراد بالنهي كف المخاطب عن محاولة فعل ليس في وسعه ولا في طاقته، ولا هو من أهله فيما يرى المتكلم نحو قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾[3].

✓ **التهديد**: وذلك عندما يقصد المتكلم أن يخوف من هو دونه قدرا ومنزلة عاقبة القيام بفعل لا يرضى عنه المتكلم، كقولك لمن هو دونك: «لا تقلع عن عنادك» أو «لا تكف عن أذى غيرك».

والملاحظ أن الدلالات التي تخرج إليها صيغة النهي أقل من الدلالات الاستلزامية لصيغة الأمر، ولعل ذلك يرجع إلى « الفارق في

(١) الحجرات/ ١١.

(٢) ديوانه، ٢/ ٩٥٨.

(٣) التحريم/ ٠٧.

شيوع الاستعمال بين الصيغتين، وهو فارق قد يعود بدوره إلى طبيعة العلاقة بين الأمر والنهي، وهي طبيعة أدت إلى أن تكون صيغة الأمر مغنية عن النهي في أحيان كثيرة، فالأمر بالشيء نهي عن مقابله»[(١)].

إن توافر العناصر الدلالية المكوِّنة لدلالة النهي، يجعل هذا الأخير على حقيقته، في حين أن الخروج عن أي عنصر من هذه العناصر المكوِّنة له يحوِّله إلى معان مستلزمة -كما مرَّ بنا- ونوجز كيفية التحول إلى المعاني المستلزمة لهذا الأسلوب فيما يلي[(٢)]:

- ✓ ينبغي أن يكون طلب الكف متعلقا بالمستقبل، وإن خرج عن ذلك امتنع طلب ترك الامتثال لكونه حاصلا وتوجه إلى غير حاصل.
- ✓ إذا لم يتوفر شرط الإمكان خرج النهي على حقيقته، فالمخاطب لا ينهى عما لا يمكن أن يقع منه فتخرج الجملة إلى دلالة التحدي أو التعجيز أو السخرية.
- ✓ يفرق عنصر الإرادة بين الدلالات الطلبية للصيغة والدلالات غير الطلبية لها كالتهديد.

---

(١) حسام أحمد قاسم، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، ص ٨٦.

(٢) ينظر: نفسه، ص ٨٢ - ٩٠.

✓ يؤدي مكون الإرادة دورا في التمييز بين بعض الدلالات الطلبية كالتحريم والكراهة.

✓ تتولد دلالة التمني بتعلق الإرادة بغير الممكن.

✓ يتولد التهديد بطلب الممكن غير المراد.

✓ تتولد دلالة الامتنان إذا صدر الأمر من الأعلى مكانة بما فيه مصلحة للمأمور مع تخلف عنصر التفويض جزئيا.

إن عناية القدماء بالمعاني المستلزمة -كما يسميها جرايس- كانت عناية فائقة فالباحث في «النظرية اللغوية العربية يلاحظ أن القدماء سبقوا إلى ظاهرة الاستلزام الحواري، فلم يغفلوا عن التمثيل للمعاني المقامية الثواني التي تخرج عن أصل الوضع، وتتولد من امتناع إجراء الكلام على الأصل بدليل قرائن الأحوال، وهي التي يدعوها عبد القاهر الجرجاني بمعنى المعنى[...] ولعل أبا يعقوب السكاكي، خير من دقق مسألة كيفية الانتقال من المعاني الأوَّل إلى المعاني الثواني»[(١)]، فقد تحدث «السكاكي» عن أقسام الطلب الخمسة الأصول وهي: التمني، والاستفهام، والأمر، والنهي، والنداء، وما يتولد منها متى امتنع إجراؤها على الأصل، من معان أخرى فرعية[(٢)].

---

(١) صلاح الدين ملاوي، التراكيب النحوية العربية في ضوء التحليل الوظيفي، ص ٥٨٦.

(٢) ينظر: مفتاح العلوم، ص ١٧١.

يرى «خالد ميلاد» أن « للتراكيب في جهازها النحوي معاني أُوَلًا أصلية فإذا ما دخلت ساحة الاستعمال دخلت فضاء البلاغة ووجدت لتلك المعاني معاني ثواني على المعنى المقصود الذي يريد المتكلم إثباته أو نفيه أو ما إلى ذلك»[1].

ويضيف الباحث أن تحديد المعاني الثواني يستند إلى قرائن نصية تركيبية في الكلام، تساعد على توضيح المعنى أو توليد معنى من معنى بحسب سياقات الكلام التي أفاض السكاكي وغيره من البلاغيين في الحديث عنها ويوجزها الباحث في الآتي:[2]

- ✓ ما يتصل بموضوع الكلام وسياق الموقف، فمقام التعزية غير مقام المدح.
- ✓ ما يتصل بالمقام النصي للكلام فقد يكون ابتداء أو استخبارا أو إنكارا.
- ✓ ما يتصل بالمخاطب لا من حيث ذكاؤه أو غباؤه فحسب وإنما أيضا من حيث خلو ذهنه أو تحيره أو إنكاره.
- ✓ ما يتصل بتركيب الكلام ذاته فلكل كلمة مع صاحبتها مقام.

(١) خالد ميلاد، «المعنى عند البلاغيين السكاكي نموذجا، صناعة المعنى وتأويل النص»، منشورات كلية الآداب بمنوبة، سلسلة ندوات، ١٩٩٢، المجلد٨، ص ١٦٢.

(٢) ينظر: السابق، ص ١٦-١٦٥.

أما العلاقة التي تربط المعاني الأصلية بالمعاني الثواني فهي علاقة «قائمة في الأساس على تفرع المعنى الثاني عن المعنى الأول، وهذا يعني أن الفرع لا يفهم إلا من خلال الأصل، فلا يمكنه إذا أن يستقل بنفسه، إذ لا يمكن تصور معنى سياقي ما إلا باستحضار المعنى الأصلي الذي خرج منه، ثم خرج عنه، وهذا ما يجعل المعنيين متصلين أحدهما بالآخر، ويجعل الفرع في إثر الأصل»(١).

إن خروج الأمر أو النهي أو غيرها إلى دلالات أخرى محكوم بشروط امتناع إجراء هذه الأغراض على أصولها، فحينها يكون المقام مانعا لإجراء الغرض على الأصل، فينتقل للدلالة على معنى لازم، فالانتقال من غرض إلى غرض آخر يتم في مرحلتين(٢):

أولاهما: أن يؤدي عدم المطابقة المقامية إلى خرق أحد شروط الإجراء على الأصل فيمتنع إجراء المعنى الأصلي.

ثانيتهما: أن يتولد عن خرق شرط المعنى الأصلي وامتناع إجرائه، معنى آخر قد يكون من المعاني الخمسة أو من غيرها.

---

(١) عبد العليم بوفاتح، «دراسة المعنى عند البلاغيين»، مجلة الآداب واللغات كلية الآداب واللغات، جامعة الأغواط، الجزائر، العدد ٠٧، فيفري ٢٠١١، ص ١٠٩-١١٠.

(٢) ينظر: أحمد المتوكل، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، ص ١٨٨-١٨٩.

حاصل النظر فيما مضى مركوز في النقاط الآتية:

- ✓ لكل قسم من أقسام الأمر والنهي عناصر مكوِّنة له، يعد الخروج عن هذه العناصر، خروجا من الدلالة الحرفية إلى الدلالة المستلزمة.
- ✓ إنَّ العناصر المكوِّنة لدلالة الأمر والتي تجعله دالا على قوته الإنجازية الحرفية، هي في حقيقتها شروط تداولية، تُعدّ بمثابة قواعد منظمة لتداول الأمر.
- ✓ إنَّ امتناع ورود الأمر والنهي على أصلهما داخل مقام خطابي معين، يستلزم عنه فعل إنجازي فرعي يكون هو الأنسب مقاميا.
- ✓ لم يغفل القدامى عن التمثيل للمعاني الثواني أي ما يقابل عند «جرايس» المعاني المستلزمة، التي تتولد من امتناع إجراء الكلام على الأصل بدليل قرائن الأحوال.
- ✓ يمكننا المقابلة بين الأغراض الأصلية للأمر والنهي في النظرية اللسانية العربية والأفعال اللغوية المباشرة في الدراسات التداولية اليوم، ونجعل الأغراض الفرعية لهما مقابلا للأفعال اللغوية غير المباشرة أو الاستلزام الحواري.

قائمة المصادر والمراجع المعتمدة:

القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.

- ✓ أدواري (العياشي)، الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصيات النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات الاختلاف الجزائر، والدار العربية للعلوم بيروت، ط١، ١٤٣٢هـ-٢٠١١م.
- ✓ امرؤ القيس (ابن حُجر بن الحارث الكندي)، ديوانه، حققه وبوَّبه وشرحه وضبط بالشكل أبياته حنا الفاخوري، سلسلة الموارد والمصادر، دار الجيل، بيروت.
- ✓ بوفاتح (عبد العليم)، دراسة المعنى عند البلاغيين، مجلة الآداب واللغات كلية الآداب واللغات، جامعة الأغواط، الجزائر، العدد ٠٧، فيفري ٢٠١١.
- ✓ الجرجاني (ركن الدين محمد بن علي بن محمد)، الإشارات والتنبيهات في علم البلاغة، تعليق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، (ط١)، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م.
- ✓ ابن جني (أبو الفتح عثمان)، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ط٢، (د. ت).
- ✓ الجويني (مصطفى الصاوي)، المعاني علم الأسلوب، دار المعرفة الجامعية الإسكندرية، (د. ط)، ١٩٩٣م.

- ✓ حسّان (تمام)، اللغة العربية معناها ومبناها، عالم الكتب- القاهرة، (ط٣)، ١٤١٨هـ- ١٩٩٨.
- ✓ ابن حنبل (أحمد أبو عبد الله الشيباني)، مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، مصر، (د. ت).
- ✓ خليل (عبد النعيم)، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين دراسة لغوية نحوية دلالية، دار الوفاء لدينا الطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، (ط١)، ٢٠٠٧م.
- ✓ السبكي (بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي)، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، عيسى البابي الحلبي، مصر، (د. ت).
- ✓ سرحان (إدريس)، الأمر والنهي كفعلين لغويين إنجازيين في اللغة العربية دراسة دلالية تداولية، رسالة ماجستير مخطوطة، جامعة سيدي محمد بن عبد الله فاس، ١٤٠٧ه-١٩٨٧، ١٩٨٨م.
- ✓ السكاكي (أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي)، مفتاح العلوم، مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، (ط٢)، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.
- ✓ عبد الجليل (محمد بدري)، تصور المقام في البلاغة العربية، دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة، مصر، (د، ط)، ٢٠٠٥.

✓ قاسم (حسام أحمد)، تحويلات الطلب ومحددات الدلالة مدخل إلى تحليل الخطاب النبوي الشريف، دار الآفاق العربية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، ط١، ١٤٢٨هـ-٢٠٠٧م.
✓ أبو ليل (أمين)، علم البلاغة المعاني والبيان والبديع، دار البركة للنشر والتوزيع، الأردن-عمان، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
✓ المتوكل (أحمد): دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة للنشر والتوزيع الدار البيضاء-المغرب، ط١، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
✓ المتوكل (أحمد)، المنحى الوظيفي في الفكر اللغوي العربي الأصول والامتداد، دار الأمان الرباط-المغرب، ط١، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦م.
✓ ملاوي (صلاح الدين)، التراكيب النحوية العربية في ضوء التحليل الوظيفي، رسالة دكتوراه مخطوطة، قسم الآداب جامعة محمد خيضر بسكرة-الجزائر، ١٤٢٧هـ-٢٠٠٦-٢٠٠٧م.
✓ ميلاد (خالد)، المعنى عند البلاغيين السكاكي نموذجا، صناعة المعنى وتأويل النص، منشورات كلية الآداب بمنوبة، سلسلة ندوات، ١٩٩٢، المجلد٨.

✓ ابن يعيش (موفق الدين أبو البقاء يعيش بن علي)، شرح المفصل للزمخشري، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه إميل بديع يعقوب دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

المراجع باللغة الأجنبية:

Austin (**J**hon), **Q**uand dire c’est faire, Cambridge University Press England, 1970.

Searle (**J**hon), **l**es actes de language, ed. Hermann, 1972.

Ducrot (**O**swald), **D**ire et ne pas dire, ed. Hermann, 1980.



الاختزان الحرفيّ في التراث الإسلامي
علم التجويد نموذجًا

أ. صفاء صابر مجيد البياتي
ماجستير من جامعة الموصل

المقدِّمة

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسَّلام على سيدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرَهم إلى يوم الدين.

وبعدُ: فإنَّ المتتبِّع للتراث الإسلاميّ المؤلَّف يلحَظُ ظاهرةً تكادُ العلوم الإسلامية تشتركُ فيها، ألا وهي ظاهرة جمع الحروف المرسَلَة وتنظيمها في كلماتٍ وجملٍ؛ إيجازًا واختصارًا، ارتأينا أن نقف على حدودها وأبعادها مُسمِّين إياها بـ(الاختزان الحرفيّ).

وقد وقع الاختيار على علم التجويد نموذجًا له؛ لأنَّه انماز من غيره في أبوابه ومباحثه في كونه من أكثر العلوم تطبيقًا لهذه الظاهرة، فتعطي دراستُه صورةً متكاملةً عن الموضوع. هذا وقد انتظم البحث فيه في خمسة مطالب، هي: حدوده، نظائره، أنماطه، أبعاده، معجمه. واختُتِم بأبرز النتائج والاقتراحات.

نسأل الله التوفيق في القول والعمل، إنَّه ولي ذلك والقادر عليه.

المطلب الأول: حدُّه

أولًا- الاختزان في دائرة اللغة والاصطلاح

الاختزان مشتقٌّ من الخَزْن، يقال: خَزَنَ الشيء فلان يخزُنُه خَزْنًا إذا أَحرَزَه في خِزانةٍ، واختزَنْتُه لنفسي[1]. واخْتَزَنْتُ طَرِيقًا واختصَرْتُه، وأخذْنَا مخازنَ الطَّرِيق ومخاصِرَها، أَي: أَخَذْنا أَقْرَبها[2]. وخَزَنْتُ المال واخْتَزَنْتُهُ: جعلتُه في الخِزانة. والمَخْزَنُ بفتح الزاي: اسم الموضع الذي يُخزَن فيه الشيءُ[3]. وخزَنَ اللَّحْمُ وخزِنَ وخزُن خَزْنًا وخُزونًا أي: تَغَيَّرَ، فهو خزينٌ[4]. قال طَرَفَة:

ثُمَّ لَا يَخْزَنُ فِينَا لَحْمُها ... إِنَّما يَخْزَنُ لحمُ المُدَّخِرْ[5]

نخلُص ممَّا سبق بيانُه إلى أنَّ للخاء والزاي والعين في اللغة ثلاثةَ معانٍ، هي: الإحراز والحفظ، والاختصار والإيجاز، والتغيير والتبديل.

أمَّا في الاصطلاح فلم نقف له على ذكرٍ في كتب التعاريف والحدود التي اطَّلعنا عليها، غير أنَّه يمكننا أن نَعُدَّ المعنى المحوري الذي أصَّله الدكتور محمد حسن جبل للجذر (خزن) حدًّا اصطلاحيًّا له، وذلك بقوله: «دسُّ شيءٍ في باطن شيءٍ حَريزٍ لمدَّة طويلة»[6].

---

(١) ينظر: العين: ٤/٢٠٩.

(٢) ينظر: تهذيب اللغة: ٧/٩٥، ولسان العرب: ٢/١١٥٤.

(٣) ينظر: الصحاح: ٥/٢١٠٨.

(٤) ينظر: القاموس المحيط: ١١٩٣، وتاج العروس: ٣٤/٤٨٦.

(٥) ديوانه: ٥١.

(٦) المعجم الاشتقاقي المؤصَّل لألفاظ القرآن الكريم: ٢/٥٥٤.

ثانيًا- الحرف في دائرة اللغة والاصطلاح

لا يكاد تخرج معاني الحرف في اللغة عن الطرف والناحية والجانب، قال الجوهريُّ: «حرفُ كلِّ شيءٍ: طرفه وشَفيرُهُ وحَدُّهُ. ومنه حَرْفُ الجبل، وهو أعلاه الـمُحَدَّدُ. والحَرْفُ: واحد حُروفِ التهجّي.

وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖ﴾ [الحج: من الآية ١١]، قالوا: على وَجهٍ واحد، وهو أن يعبُده على السَرَّاء دون الضّراء. والحَرْفُ: الناقةُ الضامرة الصلبة، شُبِّهت بحرف الجبل»(١). وحَرْفُ الشَّيْء: ناحيتُه.

وَفُلَان على حَرْفٍ من أمره: أَي نَاحيَة مِنْهُ، إِذا رأى شَيْئا لَا يُعجبهُ عدَلَ عَنهُ(٢). وحَرْفا الرأْس شِقاه وحرفُ السفينة والجبل جانبُهما والجمع أَحْرُفٌ وحُرُوفٌ(٣).

أمَّا في الاصطلاح فقد عرَّفه ابن جنِّي بأنَّه: «حدُّ مُنقَطَع الصوتِ وغايتُه وطَرَفُهُ»(٤). وهو يُطلَق على الحرف الهجائي- وهو الذي يُعنينا في هذا المقام- كما يُطلَق على قسم من أقسام الكلمة(٥).

---

(١) الصحاح: ٤/١٣٤٢.

(٢) ينظر: المحكم والمحيط الأعظم: ٣/٣٠٧.

(٣) ينظر: لسان العرب: ٢/٨٣٨.

(٤) سر صناعة الإعراب: ١/٢٨.

(٥) ينظر: معجم المصطلحات النحوية والصرفية: ٦٢.

ثالثًا- الاختزان الحرفيّ في دائرة الاقتراح

بعد أن وقفنا على مفرداتِ هذا المصطلح فإنَّه يمكننا أن ننطلق منها إلى أن نقترحَ له بما يحدُّه بأنَّه:

«تنظيمُ حروفٍ مرسَلةٍ في كلمةٍ موضوعةٍ أو كلماتٍ مَعمُولةٍ».

فقولنا: (تنظيم) جنسٌ يشتمل على كلِّ أنواع التنظيم. وقولنا: (حروفٍ) قيدٌ يُخرج تنظيم غير الحروف جنسًا، نحو: تنظيمَ الخِرَز والأحجار ونحو ذلك. ويُخرج غير الحروف نوعًا، نحو: تنظيم الكلمات الذي هو موضوع الكتابة الاختزالية التي تختزل الكلمات والجمل في حروف ورموز. وقولنا: (مرسَلَةٍ) قيدٌ واصفٌ للحروف بأنَّها حروفٌ مطلَقةٌ عن الترتيب فالتشكيل. وقولنا: (كلمة) بيانٌ لأحد نمطي الاختزان، وهو اختزان الحروف في كلمة. ووصفُنا للكلمة بـــ(موضوعة)؛ للدلالة على أنَّ الكلمةَ المختزَن فيها ليستْ جديدةً، فيخرجُ بذلك الوضعُ الأولي للكلمة الذي هو موضوع علمُ الوضع. وقولنا: (كلماتٍ) بيانٌ للنمط الثاني من الاختزان، وهو اختزان الحروف في كلمات.

ووصفُنا للكلماتِ بـــ(معمولة)، أي: مستعملة في كلام العرب، فتكون بذلك معلومةَ المبنى والمعنى؛ ليخرُج كلُّ ما هو غامضٌ ومُبهَمٌ كعلمِ الطلاسم وأسرار الحروف والألغاز والأحاجي ونحو ذلك.

المطلب الثاني: نظائره

لقد تواردتْ في خاطري في مراحل الإعداد للموضوع والتخطيط له نظائرُ أخرى قبل استقرار الموضوع على كلمة الاختزان، وجدناها نظائرَ تُشاركُ الاختزانَ في التمثيل العام للمعنى المقصود، وتتداخل معها في الدلالة بوجه ما، وتجانبُها في وجوه أُخرَ. ومن هذه النظائر:

أولًا- الاختزال: ويأتي سبب إبعاده عن دائرة الاصطلاح به فيما يأتي:

١. لأنَّ فيه اقتطاعًا وحذفًا للمختَزَل[١]. في حين ليس في الموضوع الذي نحنُ بصدده حذفٌ أو اقتطاع من المختزل، بل غاية الأمر فيه تحويل الحروف المبعثرة إلى كلمة أو كلمات منتظمة.

٢. ولأنَّه نظامٌ قائمٌ على استعمال الرموز بدلًا من الكلمات[٢]. فيكون بذلك على العكس تمامًا ممَّا يقوم عليه موضوع بحثنا.

٣. ولأنَّه مصطلحٌ مشتركٌ بين علوم الكتابة والجبر والفيزياء والكيمياء[٣]. وهو ما يخالف شرط المصطلح العلمي الذي ينصُّ على ألَّا يُطلَق المصطلحُ على أمرين أو مفهومين مختلفين أو أكثر[٤].

(١) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ٦٣٨/١.
(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ٦٣٨/١.
(٣) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة: ٦٣٨/١.
(٤) ينظر: الأسس اللغوية لعلم المصطلح: ١٢.

وهـذا يعنـي «الاكتفـاء بلفظـة واحـدة للدلالـة علـى معنـى علمـيّ واحد»[1].

ثانيًا- النحت: وهو استخراج كلمة من كلمتين أو أكثر[2]، وهو مفهومٌ يخرجُ عن الموضوع الذي نروم بحثه؛ لما يأتي:

١. الاختلاف في المفهوم، فالنحت استخراج كلمةٍ من كلمتينِ أو أكثر، في حين أنَّ الاختزان استخراجُ كلمة أو كلماتٍ من حروف.

٢. يُشترَط في النحت الاتفاق في الدلالة بين المنحوت والمنحوت منه[3]. وليس ثمةَ دلالةٌ للمختزَن؛ لأنَّه حروفُ مبانٍ مبعثرةٌ، يُراد تنظيمها وجمعها في كلمةٍ أو كلمات.

أمَّا أسباب إيثار مصطلح (الاختزان) على غيره، فيمكن إجمالها فيما يأتي:

١. مُستوفٍ لشروط المصطلح الآتية[4]:

أ- وحدة الدلالة، أي الاشتراك والمناسبة والمشابهة بين مدلوله اللغوي ومدلوله الاصطلاحي الجديد، فنجد معانيَ الاختزان اللغوية:

(١) في المصطلح النقدي: ٨.

(٢) ينظر: من أسرار اللغة: ٨٦.

(٣) ينظر: فقه اللغة مفهومه وموضوعاته وقضاياه: ٢٧٠.

(٤) ينظر: مقدمة في علم المصطلح: ٥، وفي المصطلح النقدي: ٨.

الإحراز والاختصار والتغيير حاضرةً في الاستعمال الجديد الذي أُطلِق عليه.

الاختزان الاصطلاحي	الاختزان اللغوي
جمع الحروف المبعثرة وتنظيمها في كلمة أو كلمات	إحراز الأشياء المتفرقة وحفظها في الخِزانة
اختصار الحروف وإيجازها في كلمة أو كلمات	اختصَار الطريق، والأخذُ بأَقربه وأخصره
التغيُّر من حروف مبعثرة إلى كلمات منتظمة	خزن اللحم وتغيُّره

ب- وحدة الدَّال، أي ليس له مترادفٌ يُستعمَل معه في الدلالة نفسها.

ت- وحدة المدلول، أي: ليس مشتركًا لفظيًّا يُطلَق على أكثر من مفهوم.

٢. قصيرٌ ومختصَرٌ وموجزٌ.

٣. دقيقٌ في المعنى الموضوع له.

وإتْباعنا إيَّاه- أي: الاختزان- بـ(الحرفيّ)؛ فصلٌ وتمييزٌ له عمَّا يشاركه في جنسه. وإيثارنا للحرف على الصوت؛ لأنَّ الحرف يشتمل

على المعنى، ويمثِّل وحدةً بنائيةً في الكلام واللُّغة، ويحمل جانبَ الكتاب والصوت معًا(1).

المطلب الثالث: أنماطه

يُمكننا أن نصنّف الاختزان الحرفي إلى عدَّة أنماطٍ بحسب ما يأتي:

أولًا- مصدر الاختزان

لا تندُّ الكلماتُ التي اختزَن فيها المؤلِّفون الحروفَ التي أرادوا التعبير عنها، لا تندُّ عن أن يكون مصدرُها قرآنيًّا، أو منظومًا، أو منثورًا، وعلى النحو الآتي:

١. الاختزان الحرفي القرآني: ومثاله حروف المد التي اختزنتْ في كلمة قرآنية، هي: نُوحِيهَا.

٢. الاختزان الحرفي المنظوم: نحو اختزان حروف الإخفاء في أوائل الكلمات في البيت الآتي:

صِفْ ذا ثنا كم جادَ شخصٌ قد سما   دُمْ طيِّبًا زِدْ في تُقى ضَعْ ظالما

٣. الاختزان الحرفي المنثور: وهو النَّمطُ الأكثرُ ورودًا، نحو: أجِدْ قَطٍ بَكَت.

(١) ينظر: المصطلح الصوتي: ٢١٦-٢١٧.

ثانيًا- موضع المختَزَن

١. الاختزان الحرفي المجموع: هو أن تكون الحروف المختزنَة مجموعةً في الكلمة أو الكلمات المختزَن فيها، ابتداءً وحشوًا وانتهاءً. نحو: حَيٌّ طَهُر، ونقصَ عسلكم، ولِن عمر.

٢. الاختزان الحرفي المفروق: هو أن تكون الحروف المختزنَة مفروقةً في بداية الكلمات المختزَن فيها. نحو: أخي هاك علمًا حَازه غير خاسر. أو في الحروف الزوجيَّة من الكلمة، نحو: نُوحِيهَا.

ثالثًا- كميَّة المختزَن فيه

نقصد بالكميَّة طبيعةَ الكلمات المختزَن فيها من حيث البساطة والتركيب، فيُصنَّف الاختزان بحسب ذلك إلى:

١. الاختزان الحرفي البسيط: هو أن يكون المختزَنُ فيه كلمةً واحدةً[1]. نحو: يرمُلون، وينمو.

٢. الاختزان الحرفي المركَّب: هو أن يكون المختزَن فيه كلمتانِ أو أكثر. نحو: قطب جد، وفحَّه شخصٌ سكت. ويأتي المركَّب على الصور الآتية:

أ- المركب الإسنادي

- المركب الإسنادي الفعلي:

(١) نعني بالكلمة هنا الكلمة الإملائية، فلا يُعتدُّ فيها باللواصق والضمائر.

١. ما فعله ماضٍ: نحو: طرَقَ سمعَك النَّصيحة، فرَّ من لُبٍّ.

٢. ما فعله مضارعٌ: نحو: سنقصُّ علمك، يرمُلون.

٣. ما فعله أمرٌ: نحو: أجِد قطٍ بكت، وابغِ حَجَّكَ وخَفْ عقيمَهُ.

- المركب الإسنادي الاسمي: نحو: جمعُك حقٌّ خوفه أغيبُ، وحيٌّ طهُر.

ب- المركب الإضافي: نحو: قُطْب جدٍ.

رابعًا- نسبة المختزَن إلى المختزَن فيه

١. نسبة التساوي: هي أن يتفق المختَزَنُ والمختزَنُ فيه في الحروف، دون زيادة أحدهما على الآخر. نحو: فرَّ من لُبٍّ، فحروف المختزَنِ هي حروف المختزَن فيه نفسُها.

٢. نسبة العموم والخصوص المطلق: هي أن يتفق المختَزَنُ والمختزَنُ فيه في بعض الحروف، ويزيد المختزن فيه على المختزَن في بعضٍ منها، وتكون هذه النسبةُ في الاختزان الحرفي المفروق، نحو: نُوحِيهَا، وأخي هاك علمًا حازَه غيرُ خاسر.

المطلب الرابع: أسبابه

تبيَّن لنا بعد البحث أنَّ ثمَّة سببين رئيسَين في اللجوء إلى الاختزان الحرفي لدى أصحابه، وهما:

أولًا- السبب المعنوي: ونقصد به العامل التعليمي وما يهدف إليه، فطبيعة الاختصار والإيجاز في هذه الكلمات المختزَن فيها تساعد على سهولة الحفظ وسرعة التذكُّر للموضوع، فالحروف المبعثرة بأشكالها المتعددة والمطلَقَة هكذا بتوصيفاتها المختلفة دون انتظام في كلمة أو جملة قد تكون سببًا في تشتيت فكر المتعلم ونسيانه لها ولمرجعيَّة مقصدها؛ لكثرتها وطولها وتداخلها مع الحروف الأخرى، بخلاف هذه الكلمات التي تكون سهلةَ الحفظ والاسترجاع.

ثانيًا- السبب اللفظي: يتمثَّل هذا السبب بالمحافظة على الوزن والقافية في المصنَّفات الشعريَّة في علم التجويد، فيضطرُ الناظم إلى اختزان حروف موضوع ما في كلمة أو جملة؛ ليُسعفه ذلك في نظمه لتلك الحروف في البيت؛ لأنَّ انتظام سرد الحروف كحروف الإدغام مثلًا في البيت الشعري يشكِّل صعوبةً على الناظم لكونه مقيَّدًا بالوزن والقافية، فتُسهلُ هذه الكلماتُ المختزَن فيها هذه الحروف على الناظم نظمَه، لاختصاره وإيجازه وقِصَره.

المطلب الخامس: أبعاده

أولًا- البعد التعليمي

يتمثَّل هذا البعدُ بتسهيل عملية التحمُّل والأداء في التعلُّم، وذلك من خلال طبيعة كلمات الاختزان الموجزة والمختصرة التي تساعد على

إيضاح القواعد والأهداف المراد تقريبها إلى أذهان المتعلمين؛ ممَّا يُسهِّلُ حفظَ واستيعابَ المادَّة العلميَّة أولًا، ويعينُ على تذكُّرها واسترجاعها ثانيةً.

ثانيًا- البعد النفسي

من المعلوم أنَّ النفسَ البشرية مجبولةٌ على السكون والاطمئنان إلى ما هو مختصر والتفاعل معه، والنفور والشعور بالملل ممَّا هو مطوَّلٌ وموسَّعٌ.

ثالثًا- البعد الفقهي

يكمُن هذا البعدُ في تلك الكلمات التي تتضمَّن إشارات موجزة، واقتباسات عابرة إلى بعض المفاهيم الفقهية، والتطبيقات العملية التي تنضوي تحت حقل المعاملات، أو المجال العملي للمسلم في الحياة. نحو: ابغِ حجك وخَفْ عقيمه، ويرمُلون.

رابعًا- البعد التاريخي

يظهر هذا البعدُ جليًّا في لفت نظر المتعلِّم إلى بعض الحقائق والشخصيَّات التاريخيَّة التي سجَّلتْ حضورًا مهمًّا ودورًا كبيرًا في الإسلام ونشره. نحو: لِن عُمر.

خامسًا- البعد الاجتماعي

زرعُ روح التعاون في نفوس المتعلِّمين، وتأكيد آصرة التآلف والتناصح عندهم بما توحيه هذه الكلمات من معاني الأخوة والحث إليها، والدعوة إلى التسامح، والنهي والزجر عن الأوصاف الاجتماعية السلبية. نحو:

طِبْ ثم صِلْ رَحْمًا تفُزْ ضِفْ ذا نِعَمْ   دَعْ سوءَ ظنٍّ زُرْ شريفًا للكَرَمْ

سادسًا- البعد الثقافي

يسعى الاختزان الحرفي إلى تنمية عقل المتعلّم ووعيه ثقافيًّا، وزيادة تجاربه وخبراته في الحياة، من خلال المضامين والمفاهيم التي تحتويها تلك الكلمات، وبما تُثيره من شوقٍ واهتمامٍ لدى المتعلِّم، لاسيَّما ما يرتبط منها بتجاربه، وما هو على صلةٍ وثيقةٍ به. نحو: قُطْب جد.

سابعًا- البعد الأخلاقي

ذلك البعدُ الذي يغرسُ في نفوس المتعلمين ما تهدف إليه التعاليمُ الإسلاميَّة من حُسن السيرة والسلوك، والأخلاق النبيلة، والزهد والورع في الدنيا من خلال تضمين كلمات الاختزان تلك التعاليم والأهداف، وصياغتها في قالَب موجزٍ قصيرٍ يسهُل حفظُه، وبعبارات قريبةٍ مُوحيةٍ بعيدة عن التعقيد والغموض؛ تلك السِّمات التي تصقل فيها- أي: في

هذه الكلمات- دوافعَ القبول فتُيسِّر لدى المتعلِّم وسائلَ تطبيقها على الواقع. نحو: جُزْ غشَّ ساخطٍ صدْ ثقةً إذ وعظُهُ يحضُّك.

المطلب السادس: مُعجمُه

- **ابغِ حَجَّكَ وخَفْ عقيمَهُ**

مركَّبٌ يجمع الحروف القمريَّة[1]. وابغِ: أمرٌ من بَغَى يَبْغِي بُغاءً إذا طلب[2]. وخَفْ: أمرٌ من خاف يخاف، والعقيم: من عقِمَ: أَصْلٌ وَاحِدٌ يَدُلُّ عَلَى غُمُوضٍ وَضِيقٍ وَشِدَّةٍ، وامرأةٌ مَعْقُومَةٌ وعقيمٌ، أي: لَا تَلِدُ[3].

والمعنى: اطلب حجَّك لا رفثَ ولا فسوقَ ولا جدال فيه، واحذر من حجٍّ مقطوع الثواب.

- **أجِدْ قَطٍ بَكَت**

مركَّبٌ يجمع حروف الشدَّة[4]. وأجِدْ: فعل أمرٍ من الإجادة، وقَطٍ إن كان للزمان يُشدَّد غالبًا وقد يُضمُّ ويُخفَّفُ، وإن كان بمعنى حسب وهو الاكتفاء فهي إمَّا مفتوحةٌ ساكنةُ الطاء مثل: عَن، أو منوَّنٌ مجرور والمراد ها هنا هو الأخير كما هو مقتضى الوزن. وبكَت من التبكيت،

---

(١) ينظر: الوافي في كيفيَّة ترتيل القرآن الكريم: ٤٣.

(٢) ينظر: لسان العرب: ٣٢٢/١.

(٣) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٧٥/٤.

(٤) ينظر: الروضة النديَّة: ٢٥، ونهاية القول المفيد: ٦٧.

يقال: بكَّتَه، أي: غلبه بالحُجة[1]. وقيل: كان لبعض العرب محبوبةٌ تسمَّى قَط فسمع بكاءً في بيتها فقال: أجدُ قطٍ بكَتْ[2].

- **أجدُك طبَّقتَ**

مركَّبٌ يجمع حروف الشدَّة أيضًا[3]. أجد: من الوجدان. والطَّاءُ وَالْبَاءُ وَالْقَافُ أَصْلٌ صَحِيحٌ وَاحِدٌ، يَدُلُّ عَلَى وَضْعِ شَيْءٍ مَبْسُوطٍ عَلَى مِثْلِهِ حَتَّى يُغَطِّيَهُ. وَقَوْلُهُمْ: طَبَّقَ الْحَقَّ إِذَا أَصَابَهُ مِنْ هَذَا، وَمَعْنَاهُ: وَافَقَهُ حَتَّى صَارَ مَا أَرَادَهُ وَفْقًا لِلْحَقِّ مُطَابِقًا لَهُ[4].

- **أجدُك قطَّبتَ**

مركَّبٌ آخر يجمع حروف الشدَّة[5]. وقطَّب من القُطُوبُ، والقَطبُ: تزوي ما بين العينين عند العبوس، وقَطَبَ يقطِبُ قَطْبًا وقَطَّبَ يُقطِّبُ تقطيبًا[6]. والمعنى: أجدُكَ عابسًا.

- **أخي هاك علمًا حَازَهُ غيرُ خاسرٍ**

مركَّبٌ يجمع في أوائل كلماته حروف الإظهار[7].

---

(١) ينظر: شرح المقدِّمة الجزريَّة: ٩١-٩٢، ودراسة المخارج والصفات: ١٣٥

(٢) ينظر: نهاية القول المفيد: ٦٧.

(٣) ينظر: فن الترتيل وعلومه: ٥٨٠.

(٤) ينظر: معجم مقاييس اللغة: ٣/٤٤٠.

(٥) ينظر: علم التجويد دراسة صوتية ميسَّرة: ٦٣.

(٦) ينظر: العين: ٥/١٠٧.

(٧) ينظر: علم التجويد للغوثاني: ٢٦.

ومعنـاه: يـا أخـي خُـذْ علمًـا، فـإنَّ مَـن يحـوزه ويحصـل عليـه لـيس بخاسر.

- **انشُر حديثَ علمِك سوف تَجهُر بذا**

مركَّبٌ يجمع حروف الاستفالة[1]. والمعنى: قم بنشر العلـم وتعلُّمـه ليُعينك على إتقان علمك.

- **إن غاب عنّي حبيبي همَّني خبره**

مركَّبٌ يجمع في أوائل كلماته حروف الإظهـار[2]. ومعنـاه واضـحٌ في ترقُّب خبر الحبيب عند غيابه.

- **جُزْ غشَّ ساخطٍ صدْ ثقةً إذ وعظُهُ يحضُّك**

مركَّبٌ يجمع حروف الإصمات. ومعناه: عُد عن غش ساخطٍ للحقِّ واصطد ثقةً فإنَّ وعظَهُ يحضُّك على الخير[3].

- **جمعك حقٌّ خوفُه أغيبُ**

مركَّبٌ يجمع الحروف القمريَّة[4]. ولعلَّ معناه: حُقَّ لي أن أغيب من جمعك وحشدك خوفًا.

---

(١) ينظر: شرح المقدِّمة الجزريَّة: ٨٨.

(٢) ينظر: علم التجويد للغوثاني: ٢٦.

(٣) ينظر: نهاية القول المفيد: ٧٤.

(٤) ينظر: منظومة المفيد: ١٦.

- **حثَّه شخصٌ فسكتَ**

مركَّبٌ يجمع الحروف المهموسة. والحثُّ: الحضُّ[1]، والشخص معروفٌ، وسكَتَ: فعلٌ ماضٍ من السكوت، أُسكنَ آخره للوزن[2]. وقيل: هذه الكلمات وقعت في مجلس بعض الملوك من بعض فصحاء العرب، حيث قال بعضهم: كان فلانٌ يتكلَّمُ كلامَ هُجْرٍ - أي: فُحشٍ- فحثَّه شخصٌ سكت. ولك أن تقول: سكتَ فحثَّه شخصٌ، وهو أحسن ما قيل لاستقامة المعنى؛ لأنَّ إطالة السكوت لغير حاجةٍ من دينٍ أو دنيا مكروهةٌ، أي: سكتَ فحثَّه شخصٌ على الكلام فتكلَّم[3].

- **حَيٌّ طَهُر**

مركَّبٌ يجمع الحروف المقطَّعة في أوائل السور، والتي تمدُّ مدًّا طبيعيًّا. وحيٌّ: ضد ميِّت[4]، وطهُر: خلاف الدَّنَس[5].

- **خُصَّ ضَغطٍ قِظِ**

مركَّبٌ يجمع حروف الاستعلاء. وخُصَّ: فعل ماضٍ مبنيٌّ للمفعول بمعنى اختصَّ، والضغطُ: الزحمة والشدَّة، وقِظ: فعل أمرٍ من قاظَ

---

(١) ينظر: تهذيب اللغة: ٣/٢٥٦.

(٢) ينظر: شرح المقدّمة الجزريَّة: ٩١.

(٣) ينظر: نهاية القول المفيد: ٦٦.

(٤) ينظر: نهاية القول المفيد: ٦٦.

(٥) ينظر: القاموس المحيط: ١٢٧٧.

بالمكان وتقيَّظ به إذا أقام به في الصيف[1]. وقيل: الخُصُّ هو البيتُ من القَصَب. والمعنى: أقم في القيظ وحرارة الصيف في خُصٍّ ذي ضغطٍ وضيقٍ، أي: اقنع من الدنيا بمثل ذلك وما قاربه[2]. وقيل: خُصَّ القبرُ بالضغطة والحصر، وقِظ: تيقَّظ من غفلتك واعمل لآخرتك[3].

- **سكت فحثَّه شخصٌ**

صورة أخرى للحروف المهموسة، تقدَّم معناها في (حثَّه شخصٌ فسكت).

- **سنقصُّ عِلمَك**

مركَّبٌ يجمع الحروف المقطَّعة في أوائل السور، والتي تمدُّ ستَّ حركات، ويسمَّى بالمدِّ اللازم. والمعنى: سنحدِّث علمكم وننقله إلى الآخرين.

- **سنقُصُّ لكم**

صورةٌ أخرى للحروف المقطَّعة في أوائل السور، والتي تمدُّ ستُّ حركات، ويسمَّى بالمدِّ اللازم. والمعنى: سنسرد لكم أو ونتحدَّث إليكم.

---

(١) ينظر: شرح المقدِّمة الجزريَّة: ٩٤.

(٢) ينظر: الروضة النديَّة: ٢٧، ونهاية القول المفيد: ٧١، والوافي في كيفيَّة ترتيل القرآن الكريم: ٨٣.

(٣) ينظر: نهاية القول المفيد: ٧١.

- **صف ذا ثنا كم جاد شخصٌ قد سما * دم طيِّبًا زد في تقى ضع ظالما**

بيتٌ يجمع حروف الإخفاء في أوائل كلماته. والمعنى: صف صاحبَ ثناءٍ بما يستحقُّه من الصفات المحمودة. كم جاد إنسانٌ وتكرَّم على غيره. قد سما ذلك الجواد وعلا قدْرُه وارتفع شأْنُهُ بجوده وكرمه. دم طيِّبًا: أي: كن دائمًا وأبدًا طيِّبًا، أي: طيِّب الأخلاق فاضلها. زد في تقى: أي في تقوى الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه. وضع ظالما: أي: حقِّره ولا تُعظِّمه لظلمه وعدم عدله[1].

- **صِله سُحَيرًا مَن قطَعَك**

مركَّبٌ يجمع الحروف المقطَّعة في أوائل السور[2]. ومعناه: صل من قطعك، وزره في وقت السَّحر وإن كان هذا الوقت غير مناسب للزيارة، لكنَّ المقصود به المبالغة في المبادرة إلى الصلة.

- **طِبْ ثم صِلْ رَحْمًا تفُزْ ضِفْ ذا نِعَم * دَعْ سوءَ ظنٍّ زُرْ شريفًا للكَرَمْ**

بيتٌ يجمع الحروف الشمسيَّة في أوائل كلماته[3].

---

(١) ينظر: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم: ٣٧.

(٢) ينظر: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم: ٣٧.

(٣) ينظر: الوافي في كيفية ترتيل القرآن الكريم: ٤٢.

وطب: أمر بمعنى كن طيِّبًا، ثُمَّ صِلْ رَحِمًا تَفُزْ: كن ذا صلة رحم فستكون فائزًا إن شاء الله، وضِفْ: هو أمر من الضيافة، ذَا نِعَمْ: صاحب المنافع الدينية والدنيوية، دَعْ سُوءَ ظَنٍّ: أمرٌ بترك سوء الظن بالمسلمين، زُرْ شَرِيفًا لِلْكَرَمْ: أمرٌ بزيارة الشريف الذي تنتفع بعلمه أو ببركته.

- **طرَقَ سمعَك النَّصيحة**

مركَّبٌ يجمع الحروف المقطَّعة في أوائل السور[1]. ومعناه: بلغك النَّصيحة.

- **عظم وزن قارئ غضٍّ ذي طلَبٍ جَدْ**

مركَّبٌ يجمع الحروف المجهورة. ومعناه: عظُم ميزان قارئ فتىً اجتهدَ في الطلب[2]. أو رجُح ميزان قارئ ذي غضٍّ للبصر، اجتهد في الطلب[3].

- **فحثَّه شخصٌ سكت**

صورة أخرى للحروف المهموسة، تقدَّم معناها في (حثَّه شخصٌ فسكت).

---

(١) ينظر: نهاية القول المفيد: ١٨٤.

(٢) ينظر: دراسة المخارج والصفات: ١٣٠.

(٣) ينظر: نهاية القول المفيد: ٦٠.

- **فرَّ من لُبٍّ**

مركَّبٌ يجمع الحروف المذلَقَة. وفرَّ: من الفرار، واللُّبُّ: الخالص من كلِّ شيءٍ[1]. وقيل: الأصل: من لُبٍّ: بالتنوين ولكنه حُذف للتخفيف، واللُّبُّ: العقل، والمعنى: هربَ من عقله حيث لم يطق الجور، إذ الفرار ممَّا لا يُطاقُ من سنن المرسلين[2]. وقيل: المعنى: هرب الجاهل من ذي عقلٍ[3]. وقيل: يمكن أن يكون المعنى: فَرَّ من الخلق مَن له عقلٌ به عرف الحقَّ، ففيه إيماءٌ إلى قوله تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾[سورة الذاريات/ الآية٥٠] ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [سورة المزَّمّل/ الآية ٨][4].

- **قُطبُ جَدٍ**

مركَّبٌ يجمع حروف القلقلة. والقُطْبُ: ما يدور عليه الشيءُ كقُطْبِ الرَّحى، ويُطلق ويراد به ما يكون عليه مدار الأمر كما يقال: فلانٌ قطب بني فلانٍ، أي: سيّدهم الذي يدور عليهم أمرهم. والجد: البختُ والعظمةُ خُفِّف للوزن[5].

---

(١) ينظر: شرح المقدِّمة الجزريَّة: ٩٦.

(٢) ينظر: الروضة النديَّة: ٢٧.

(٣) ينظر: دراسة المخارج والصفات: ١٦٣، والوافي في كيفيَّة ترتيل القرآن الكريم: ٨٣.

(٤) ينظر: نهاية القول المفيد: ٧٣.

(٥) ينظر: شرح المقدِّمة الجزريَّة: ٩٨، ونهاية القول المفيد: ٧٨.

وقيل: يجوز أن يكون أصله: قُطبُ جدي، فنُقلتْ كسرة الياء إلى الدَّال بنيَّة الوقف وعُومل معاملة المنقوص فحُذِفت الياء، ففيه إشارةٌ إلى قُطب الجدي، وهو القطب الشمالي الذي بين الجدي والفرقدين، والجدي: هو النجم الذي إلى جانب القطب، تُعرَف به القِبلَة[1].

- **قِظ خُصَّ ضغطٍ**

صورة أخرى للحروف المستعلية، تقدَّم معناها في (خُصَّ ضغطٍ قِظ).

- **كم عسلٍ نقص**

صورةٌ أخرى للحروف المقطَّعة في أوائل السور[2]، والتي تمدُّ ستَّ حركات، ويسمَّى بالمدِّ اللازم. وكم: خبريَّة تفيد التكثير. والمعنى: نقصَ عسلٌ كثيرٌ.

- **لِن عمر**

لِن: فعل أمرٍ من اللين، وعمر: اسمُ رجل[3]. أي: يا عمر، فهو منادى حُذف منه حرف ندائه، والمعنى: استعمل اللِّين في أمورك، ولا تكن ذا عنف وفظاظة[4].

---

(١) ينظر: الروضة النديَّة: ٢٨.

(٢) ينظر: فن الترتيل وعلومه: ٨٢٤.

(٣) ينظر: شرح المقدِّمة الجزريَّة: ٩٤.

(٤) ينظر: الروضة النديَّة: ٢٦.

وقيل: أصل هذه المقالة أنَّ سيدنا عمر بن الخطَّاب ﷺ مرَّ على النبي ﷺ ووراءه جماعةٌ وهو يمشي الهوينى، فقال له النبي ﷺ: لِن عمر، فقال يا رسول الله، واللهِ ما من شخصٍ منهم إلا وله حاجةٌ[1].

- **لم نرعَ**

نرعى: من الفعل: رعى يرعَى رعايةً[2].

- **لم يروِ عنَّا**

روى يروي روايةً[3]، أي: لم ينقل عنَّا.

- **مَن أخذَ وُجْدَ سعةٍ فزكا حقَّ له شُرب غيثٍ**

مركَّبٌ يجمع حروف الانفتاح. والمعنى: من وجدَ سَعةً فأدَّى زكاة ماله كان على الله حقٌّ أن يسقيه من رحمته[4].

- **نصٌّ حكيمٌ له سرٌّ قاطعٌ**

مركَّبٌ يجمع الحروف المقطَّعة في أوائل السور[5]. أي: هذه الحروف سر من أسرار الله في كتابه، معناه معلومٌ في كلام العرب، ولكن نفوِّض المراد منها إلى الله جلَّ وعزَّ.

---

(١) ينظر: نهاية القول المفيد: ٦٨. ولم أجده في كتب الأحاديث والآثار.

(٢) ينظر: القاموس المحيط: ١٢٨٩.

(٣) ينظر: القاموس المحيط: ١٢٩٠.

(٤) ينظر: نهاية القول المفيد: ٧٣.

(٥) ينظر: نهاية القول المفيد: ١٨٤.

- **نقصَ عسلكم**

صورةٌ أخرى للحروف المقطَّعة في أوائل السور التي تمدُّ ستَّ حركات[١]، ويسمَّى بالمدِّ اللازم. والمعنى: قلَّ عسلُكم.

- **نوحيها**

جملةٌ تجمع حروفَ المدِّ في أحرفها الزوجيَّة[٢]. والوَحْيُ: الإشارة، والكتابة، والرسالة، والإلهام، والكلام الخفيّ، وكلُّ ما ألقيته إلى غيرك. يقال: وَحَيْتُ إليه الكلامَ وأوْحَيْتُ، وهو أن تكلِّمه بكلامٍ تخفيه[٣].

- **نولي عُمر**

مركَّبٌ يجمع حروف التوسط بزيادة الواو والياء على رأي بعض العلماء[٤]. والْوَاوُ وَاللَّامُ وَالْيَاءُ: أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى قُرْبٍ. مِنْ ذَلِكَ الْوَلْيُ: الْقُرْبُ. والمعنى: نتخذه وليًّا[٥].

- **وليُّنا عُمر**

صورةٌ أخرى لحروف التوسط بزيادة الألف والواو والياء[٦]. وتقدَّم معناه في (نولي عمر).

---

(١) ينظر: نهاية القول المفيد: ١٨١.
(٢) ينظر: الوافي في كيفيَّة ترتيل القرآن الكريم: ٥٢.
(٣) ينظر: الصحاح: ٦/٢٥٢٠.
(٤) ينظر: نهاية القول المفيد: ٦٨.
(٥) ينظر: مقاييس اللغة: ٦/١٤١.
(٦) ينظر: نهاية القول المفيد: ٦٨.

- **يرمُلون**

جملةٌ تجمع حروف الإدغام[1]. يقال: رَمَل الرَّجُل يَرْمُل رَمَلانًا، إِذا أَسْرع فِي مَشْيه، وَهُوَ فِي ذَلِك يَنْزُو. ويرمُلُ الطائف بالبَيت رَمَلًا اقْتِدَاء بالنبيّ ﷺ، وَذَلِكَ أَنهم رَمَلُوا لِيَعْلَم أهلُ مَكَّة أنّ بهم قُوَّة[2].

- **ينمو**

جملةٌ تجمع حروف الإدغام بغنَّة[3]. من الفعل: نَمَا يَنْمُو نُمُوًّا: أي: زادَ[4].

- **يومن**

صورةٌ أخرى لحروف الإدغام بغنَّة[5]. مضارع آمن يومن – على لغة التسهيل- إيمانًا. ومعناه: التصديق[6].

---

(١) ينظر: نهاية القول المفيد: ١٥٨.
(٢) ينظر: تهذيب اللغة: ١٥/ ١٥٠.
(٣) ينظر: الوافي في كيفيَّة ترتيل القرآن الكريم: ٣١.
(٤) ينظر: القاموس المحيط: ١٣٤٠.
(٥) ينظر: شرح المقدِّمة الجزريَّة: ٢٠٣.
(٦) ينظر: تهذيب اللغة: ١٥/ ٣٦٨.

الخاتمة

أولًا- النتائج

يُمكننا أن نُجمل نتائجَ البحث فيما يلي:

- قدَّم البحثُ مُصطلحًا جديدًا لعلوم التراث الإسلامي، وهو (الاختزان الحرفيّ)، ينصُّ على أنَّه: (تنظيمُ حروفٍ مرسَلةٍ في كلمةٍ موضوعةٍ أو كلماتٍ مَعمُولةٍ).

- تبيَّن لنا أنَّ الاختزان الحرفيّ يكون على أنماطٍ عدَّة، فهو بحسب مصدره قرآنيٌّ أو منظومٌ أو منثورٌ، وبحسب مَوضعه مجموعٌ أو مفروقٌ، وبحسب كميَّته مركَّبٌ أو بسيطٌ، وبحسب النسبة بين المختزَن والمختزَن فيه متساوٍ أو عمومٌ وخصوصٌ مطلق.

- ظهر للبحث أنَّ ثمَّةَ سببين للُّجوء إلى الاختزان، وهما: السبب المعنوي وهو الاختصار والإيجاز، والثاني لفظيٌّ للمحافظة على الوزن أو القافية.

- وجد البحث أنَّ للاختزان آثارًا في المتعلِّم والمعلِّم، تمثَّلت في المجالات التعليميَّة والنفسيَّة والفقهيَّة والاجتماعيَّة والتاريخيَّة والأخلاقية والثقافيَّة.

- قدَّم البحثُ معجمًا مصغَّرًا بأشهر كلمات وجمل الاختزان في كتب علم التجويد، ليكون نواة لدراساتٍ مُناظرةٍ أخرى.

ثانيًا- التوصيات

- دعوة مجمع اللغة العربيَّة على الشبكة العالميَّة بمكة المكرمة لدراسة المصطلَح الذي تبنَّاه البحث، والنظر في التعريف الذي قدَّمه له؛ لإقرارهما على وضعهما الحالي أو بعد التعديل والإضافة.
- دعوة الباحثين لدراسة الموضوع في العلوم الأخرى؛ لِلَمّ شتاته وجمعها في مكان واحد يُعينُ المعلِّمين والمتعلَّمين على تحقيق الأهداف التعليميَّة التي يسعَون إليها، تحمُّلًا وأداءً بأقصر وقتٍ وأقلّ جهدٍ.

ثبت المصادر والمراجع

- الأسس اللغوية لعلم المصطلح: د. محمود فهمي حجازي، مكتبة غريب، ١٩٩٣م.
- تاج العروس من جواهر القاموس: محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني، أبو الفيض، الملقّب بمرتضى، الزَّبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ)، تحقيق: مجموعة من المحققين، دار الهداية.
- تهذيب اللغة: أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري (ت٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ٢٠٠١م
- دراسة المخارج والصفات: جمال بن إبراهيم الفرش، مكتبة طالب العلم- ناشرون، مصر، ط١، ١٤٣٣ه/ ٢٠١٢م.
- ديوان طرَفة بن العبد: اعتنى به: حمدو طمَّاس، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م.
- الروضة النديَّة شرح متن الجزَريَّة: محمود محمد عبد المنعم العبد، صحَّحه وعلَّق عليه: السادات السيد منصور أحمد، المكتبة الأزهريَّة للتراث، ط١، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

- سر صناعة الإعراب: أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي (ت٣٩٢هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- شرح المقدِّمة الجزريَّة: طاش كبري زاده (ت٩٦٨هـ)، تحقيق: د. محمد سيدي محمد الأمين، مكتبة الملك فهد الوطنيَّة، ١٤٢١هـ.
- الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية): إسماعيل بن حماد الجوهري (ت حدود٤٠٠هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين، بيروت، ط٤، ١٩٨٧م.
- علم التجويد أحكام نظريَّة وملاحظات تطبيقيَّة: د. يحيى عبد الرزاق الغوثاني، دار الغوثاني، دمشق، ط١١، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.
- علم التجويد دراسة صوتيَّة ميسَّرة: د. غانم قدوري الحمد، دار عمار، عمان، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت١٧٥هـ)، تحقيق: د. مهدي المخزومي، ود. إبراهيم السامرائي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، دار الرشيد، بغداد، ١٩٨٠/ ١٩٨٥م.
- فقه اللغة مفهومه موضوعاته قضاياه: محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خُزيمة، الرياض، ط١، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.

- فن الترتيل وعلومه: الشيخ أحمد بن أحمد الطويل، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط١، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م.
- في المصطلح النقدي: د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي، بغداد، ١٤٠٣هـ/ ٢٠٠٢م.
- القاموس المحيط: مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط٨، ١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م.
- لسان العرب: محمد بن مكرم ابن منظور الأنصاري (ت٧١١هـ)، تحقيق: عبد الله علي الكبير، ومحمد أحمد حسب الله، وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة.
- المحكم والمحيط الأعظم: أبو الحسن علي بن سيده المرسي (ت٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية / بيروت، ط١، ١٤٢١ه/ ٢٠٠٠م.
- المصطلح الصوتي: عبد العزيز الصيغ، دار الفكر، دمشق، ط١، ٢٠٠م.

- المعجم الاشتقاقي المؤصَّل لألفاظ القرآن الكريم: د. محمد حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠١٠م.
- معجم المصطلحات النحوية والصرفية: محمد سمير نجيب اللبدي، مؤسسة الرسالة، دار الفرقان، ط١، ١٤٠٥ / ١٩٨٥.
- معجم مقاييس اللغة: أحمد بن فارس القزويني الرازي، أبو الحسين (ت٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
- معجم اللغة العربية المعاصرة: د. أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، ط١، ١٤٢٩هـ/ ٢٠٠٨م.
- مقدمة في علم المصطلح: د. علي القاسمي، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٥م.
- من أسرار اللغة: د. إبراهيم أنيس، مكتبة الأنجلو، ط٣، ١٩٦٦م.
- نهاية القول المفيد في علم تجويد القرآن المجيد: الشيخ محمد مكي نصر الجريسي (ت حوالى١٩٠٢م)، مراجعة: الشيخ علي محمد الضبَّاع، مكتبة الآداب، القاهرة، ط٤، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

- الوافي في كيفيَّة ترتيل القرآن الكريم: الوافي في كيفية ترتيل القـرآن الكـريم (شـرح واف لمتنـي الجزريـة وتحفـة الأطفـال): أحمـد محمـود عبـد السـميع الشـافعي الحفيـان، دار الكتـب العلميَّـة، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.



مثل من جناية المشباك على البحث العلمي [1]

بقلم: عباس علي السوسوة

أستاذ اللسانيات

في جامعتي تعز، والملك خالد في أبها

(عضو المجمع)

(١)

المشباك - على وزن مفعال - ترجمة أ. د. إبراهيم عوض للإنترنت. وهو يستعملها في كل ما يكتب، ويستعملها آخرون في الدلالة نفسها، ويرادفون بينها وبين الشابكة.

لسنا نقول سرًّا إن ذكرنا أن للمشباك فوائد عظيمة في البحث العلمي؛ فهو يتيح للباحث الوصول إلى مراكز البحث العلمي ومصادر المعلومات وأوعيتها في مدة وجيزة كلمح البصر، بعد أن كانت تستغرق منه شهورًا. كما أن حوسبة المعاجم والموسوعات اختصرت له الوقت في الوصول إلى ما يريد. ولعل المشباك لو تيسر أيامها للشيخ الدكتور محمد عبد الخالق عضيمة لأخرج معلمته الشهيرة «دراسات لأسلوب

(١) نقد لكتاب د. محمود عكاشة «النظرية البراجماتية اللسانية (التداولية) دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ» القاهرة: مكتبة الآداب ٢٠١٣، في ١٢١ صفحة.

القرآن الكريم» في عامين وليس في ٢٥ عامًا كما حدث. هذا وجه المشباك المشرق.

غير أن للمشباك وجها سيئًا يتفرع عنه سيئات قد لا يدركها إلا من عانى البحث الحقيقي في سبيل الوصول إلى جديد. وهي من وجهة نظرنا ما يأتي:

١- هذه السهولة المفرطة في الوصول إلى المعلومة والمراد توهم الباحث بتكرارها أنه عليم بكل شيء سواء في الموضوع الذي يتصفحه أم في غيره. ويظن أنه بمجرد أن يغمض عينيه يستطيع استعادة كل – أو جل – ما يريد، ويستطيع أن يدبج بحثا أو مقالًا، كما تفعل قدر الضغط بالطبخة في دقائق.

٢- كثير من المواقع المشباكية – من خلال خبرتي المتواضعة – لا خير فيه من الناحية المعرفية؛ إذ هي تتناسخ المقالات والتعليقات والمشاركات، فتنتهي الكثرة المفرطة إلى قلة قليلة في حقيقة الأمر.

٣- بعض الموسوعات المشباكية كويكيبديا –من الناحية العلمية – ليس بالموثوق دائمًا، إذ لا تدري من كاتب المادة؟ وما مبلغه من العلم في هذا التخصص أو ذاك، زد على ذلك أن النسخة العربية – وهي ليست مترجمة لكل المواد في النسخة الإنجليزية وغيرها – أشد النسخ بؤسًا من كل الجوانب المعرفية والمنهجية والصياغية. فانظر كيف توقع المعتمد عليها وحدها في مزالق كثيرة.

٤- يتعلق أو يتفرع عن الأمور الثلاثة السابقة من سهولة وتناسق وعدم ثقة انتقال الفكر والنظر بين الأسماء المتشابهة للأعلام والعناوين وما هو منها بسبيل إلى تضليل القارئ/ الباحث، فينسب لزيد ما هو لعمرو، ولبكر ما هو لخالد. وبإمكاني ضرب أمثلة من ترجمة (الغريزة اللغوية) لستيفن بنكر؛ فالمؤلف يتحدث عن قانون (مندل) في الوراثة، ورأى المترجم وصف جنسيته Austrian أي نمساوي، فاستعجل وقال جورج مندل عالم نبات من أستراليا... إلخ وكرر المترجم الخطأ مرتين بعد ذلك. والصواب: جريجور يوهان مندل... عالم نمساوي. فهو من النمسا = أوستريا، وليس من قارة Australia. وفي موضع آخر جعل ميريل ستريب خطأ مارلين ستريب. ولم يقف الأمر عند الأعلام غير العربية، بل طال الاستعجال الشعر القديم، فأورد البيتين المشهورين (طرقت الباب حتى كلّ متني) وكل جملة فيها تبرأ من أخواتها.

(٢)

مثل هذا كله حدث للدكتور محمود عكاشة في كتابه «النظرية البراجماتية... «الذي أراد به تعريفها للقارئ المتخصص في علوم اللغة، والقارئ المثقف، نشأة ومفهوما ومبادئ، منطلقا من علم المقاصد عند علماء أصول الفقه، ومنتقدا التطبيقات العربية لهذا العلم.

وما ينويه حق مشروع له بل لكل باحث ذي رأي، شريطة أن يكون

متسقًا مع آرائه التي يطرحها، فلا يتبنى رأيًا ثم ينقضه في الصفحة التالية أو المبحث التالي، وعلى أن تكون عباراته واضحة فلا يتناقض بعضها مع بعض في الفقرة الواحدة.

كان لمحمود عكاشة كتاب بعنوان «لغة الخطاب السياسي دراسة لغوية تطبيقية في ضوء نظرية الاتصال - ٢٠٠٥» بدا فيه في أحسن أحواله، أما هذا الكتاب الذي نعرض له فليس في أحسن أحواله.

يجدر بنا أن نبدأ بعرض محتويات الكتاب. بدأ الكتاب بمقدمة (صـ٣-٨) استهلها بمصادرة أن البرجماتية اللسانية linguistic pragmatics، أو التداولية ليست هي نفسها التداولية pragmatics التي شاعت في البحوث العربية!![1]، ويراها (صـ٤) رد فعل على البنيوية بمدارسها كافة، وأن تطبيقاتها على العربية يشوبها اللبس والضعف؛ لأن منهجها غربي في مضمونه وتطبيقه، ويعجز عن استيعاب الأبعاد البلاغية والقصدية في النص. اهـ ملخصًا.

فإذا جاريناه جدلا في رأيه عن ضعف التطبيقات العربية، فلماذا لم يبن لنا ذلك بعرض بعضها وما فيها من قصور، ويذكر لنا الطريقة الأسلم؟ هذا ما لم يفعله.

---

(١) جميع علامات التأثر والاستفهام من وضعنا، اجتزأنا بها عن إبداء تعجبنا واستنكارنا وعدم الموافقة.

ويرى (صـ٥) أن البلاغة العربية نشأت في بيئة إسلامية ذات قيم مختلفة عن القيم الغربية التي نشأ فيها علم الحجاج، فالحجاج أثرت فيه المادية المهتمة بالأسباب والجوانب المنطقية الغالبة عليه، وأنه لا يهتم بالعناصر الجمالية في النص.

ويرى المؤلف أن الأسلوبية بتياراتها المختلفة تأثرت بالمادية، حتى اهتمت بأسلوب النص دون سياقه!! وغالت في ذلك حتى ادعت موت المؤلف!!

قلت: نعم نشأة العلمين في بيئتين مختلفتين يؤثر في النظرة وفي المنهج وفي الإجراءات، فما الجديد في ذلك؟ أما أن الأسلوبية - بكل تياراتها - قد اهتمت بأسلوب النص دون سياقه ففيه نظر من وجهين: الأول أن التركيز في الأسلوبية على الأسلوب أمر طبيعي سواء أكان أسلوب كاتب أم أسلوب نص أم مجموعة نصوص أم أسلوب لغة معينة. والثاني أن ليس كل التيارات لا تنظر في السياق، وإن فعلت فهو طبيعي من حيث المبدأ، فهو مثل تركيز النحوي العربي على أمور لا يركز عليها البلاغي وهما أمام جملة واحدة.

وينتقد المؤلف ترجمة pragmatics إلى العربية بتداولية أو مقاصدية أو علم الذرائع، ويرى (صـ٦) الإبقاء على اللفظ الأجنبي لأنه أدل على معناه!! مثل الفاشية والراديكالية، ويستغفر للزملاء الذين وقفوا جهودهم على العمل بها في العربية، ويرى أن الأولى بهم أن

يتجهوا إلى علم المقاصد عند الأصوليين وينظموه ويطرحوه من جديد في اللغة والبلاغة!! اهـ ملخصًا.

قلت: العجب لا ينقضي من هذه الأفكار؛ فأغلب علماء اللغة والمصطلحيين وأعضاء المجامع وأغلب المتخصصين في العلوم الأخرى مع ترجمة الكلمة الأجنبية بكلمة عربية وليس تعريبها، ولا يرون التعريب إلا في نهاية المطاف لا في أوله. أما دعوته إلى عرض علم المقاصد بطريقة جديدة منظمة وكيف يطبق في الدراسات اللغوية والبلاغية، فأمر مندوب إليه، وليته بدأ بنفسه فخصص لهذه المهمة الجليلة ولو عشر صفحات من كتابه؛ إذن لكان قد أشعل شمعة بدلًا من لعن الظلام كما قال الرفيق ماو تسي تونغ.

ويرى (صـ٧) أن إسقاط بعض أفكار التداولية على أعمال عبد القاهر الجرجاني وحازم القرطاجني أمر سيئ، يترتب عليه اتهام البلاغة العربية بالضيق والعجز!!

قلت: للأمر جانبان: الأول إسقاط بعض مفاهيم أي علم لساني أو غير لساني على تراثنا البلاغي والنقدي، وهذا إن أريد به المطابقة بين الجديد الوافد والقديم الأصيل، لا خير فيه. أما إذا أريد به محاولة الاستفادة في النظر إلى تراثنا وحاضرنا بعين جديدة مختلفة، فأمر مندوب إليه في رأينا، فالكل نتاج عقول بشرية خالقها واحد هو الله جل وعلا. بل إن بعض أنواع هذه الاستفادة تكشف لنا عن جوانب في تراثنا

لم نكن نلتفت لها؛ لطول الإلف والاجترار الذي ران على كتاباتنا. فما الذي يضير السكاكي - مثلا - في جوانب من مفتاحه أن يكون تداوليًّا كما كان بلاغيًّا؟ ثم إن العلماء العظام أمثال سيبويه وعبد القاهر والسكاكي وابن خلدون هم حمالو أوجه كلما نظرنا في أعمالهم بعيون جديدة. فما المشكلة في أن يكون سيبويه مثلا وصفيا، أو تحويليا توليديا، أو تداوليًّا؟

ويرفض المؤلف (صـ٨) القول بأن الحجاج بديل للبلاغة، وأن التداولية بديل للسانيات. ونحن معه في ذلك؛ إذ إن الأفكار في العلوم الإنسانية ليست كالموضة في الجوالات، فيكون جلاكسي٣ أفضل من جلاكسي١. ذلك أن أفكارا لمن ذكرنا من علمائنا قد تكون أفضل بعد الفحص والدرس من آراء قيلت أيامنا هذه.

ويختم المؤلف مقدمته بأن القول بهذه البدائل مثل «الهواس حول البنيوية المزعوم أنها ذروة العقل ثم ذهبت جُفاء وصارت كتبها على الأرصفة!! يعافها القراء!!».

وفي ما ذهب إليه - على بلاغته - نظر؛ فالبنيوية ليست شيئا واحدًا باعترافه هو، فهل خلت المجلات والكتب من البحث البنيوي؟ ثم ما العلاقة العقلية المنطقية بين أن تعرض الكتب على الأرصفة، وأن يعافها القراء؟ فهل كتب البنيوية وغيرها لها مدة صلاحية كالدجاج المجمد مثلًا؟ مع أن الدجاج المجمد ونحوه لا يعرض على الأرصفة بعد انتهاء

صلاحيته، بل الملاحظ أن الأرصفة معرض لكل شيء نادرا كان أو مألوفا، ولكل بضاعة زبائنها.

(٣)

الكتاب يدور حول محورين: مصطلح البرجماتية اللسانية، ومجال البحث البرجماتي. ومن كل واحد منهما يفرع المؤلف ويشقق. وسنعرض لهما كما أراد، فأما المحور الأول فيتحدث فيه عن مفهوم البرجماتية، ونشأة النظرية البرجماتية اللسانية، والقصد عند علماء العربية، ثم علاقة البرجماتية بالعلوم الإنسانية نذكرها بصفحاتها التي استعمل لها حروف أبجد حتى ك (نظرية المعرفة صـ٣٦، الفلسفة التحليلية صـ٤٣، نظرية التقويض صـ٦٢، علم العلامات صـ٦٧، علم الدلالة صـ٦٨، علم اللسان صـ٦٨، علم اللغة الاجتماعي صـ٧٠، علم اللغة النفسي صـ٧٥، تحليل الخطاب صـ٧٧، علم اللسان البرجماتي صـ٧٩، علم الاتصال صـ٨٠) ويلاحظ أن الكلام على بعضها كالمعطف الواحد يغير بأشكال مختلفة في حين أن القماش واحد ومساحة المعطف واحدة.

وأما المحور الثاني فقسمه على: الإشارات البرجماتية اللسانية صـ٨٤، الافتراض السابق صـ٨٥، الاستلزام الحواري صـ٨٦، نظرية أفعال الكلام صـ٩٦، ثم يأتي نقد البرجماتية اللسانية صـ١١٥-١١٧ وبذلك ينتهي الكتاب.

(٤)

بالتأكيد ليس هذا أول كتاب في العربية عن التداولية ومباحثها وما يتعلق بها، فكنا ننتظر جديدا في الأفكار الجزئية أو العامة، لكننا لم نجد إلا آراء فطيرة فيها من التسرع واللهوجة أكثر مما فيها من العلم، ووجدنا المؤلف قد عول على المشباك كثيرا دون تحرز، فأوقعه في أخطاء يتورع عن أمثالها الحصفاء، ووجدنا طريقة جديدة في تأليفه هي أن الهوامش في كثير من الصفحات أصبحت أكبر من المتن، وأن بعض الهوامش يتكرر مضامينها، وأنه ينقل دون تثبت كل ما تقع عليه عيناه من بعض المواقع وهي خطأ صُراح؛ فصار من حق العلم علينا وعليه أن ننبه على صوابها، إضافة إلى أمور أخرى. وسنكتفي بأمثلة دالة.

-صـ٩. الهامش (١) صفحة كاملة تقريبًا، شرق فيها وغرب، وخلط فيها تخليطًا شديدًا، ومنها أن برجماتكس ترجمها الدكتور دنحا طوبيا كوركيس إلى الفائداتية في صدر الستينيات!!

قلت: المشار إليه مولود في ١٩٤٨!! فهل ترجمها وهو في السنة السادسة الابتدائية؟! ولم أجده ضمن أعماله بحسب محرك جوجل الذي أحال للمواقع الكلدانية! ثم وجدت في موقع منتديات بتاريخ ٢٠/ ١١/ ٢٠٠٦ (لا في الستينيات) المقال الذي أغار عليه د محمود عكاشة بأكمله وفرق أشلاءه على صفحات كتابه. وزعم(دنحا) أنه كتب هذا الكلام في عام ١٩٨٥!! والعجيب أن أول سطور دنحا نفسه في

المقالة: «البرغماتية كما وردت في مقدمة ابن خلدون!! أو كما يعربها المحدثون إلى البرغماتية أو برجماتيك... إلخ... والقواميس إلى الذرائعيات والنفعية أو الغائية وهي كلمة يونانية الأصل...»!! فواعجباه من الاثنين!!!

-صـ١٤. الهامش (١) يكرر أن دنحا ترجم المصطلح إلى الفائداتية عام١٩٦٤!! ولم ينشر ترجمته!!.

-صـ١٥. «... وقد ظهرت الترجمة الأخيرة(الفائداتية) في صدر الستينيات!!... ثم ظهرت التداولية وصارت أشهر ترجماته، وقد ظهرت في صدر السبعينيات!!».

قلت: لعله يقصد اشتهار التداولية في غير البحث اللغوي، أما في البحث اللغوي العربي فإنما شاعت في التسعينيات من القرن العشرين. وإلا فليثبت لنا صحة كلامه بعناوين الأبحاث مشفوعة بتواريخ نشرها.

-صـ٢٣. يذكر أن بعض الدراسات التقليدية اهتمت بالأصوات وقواعد اللسان وبعضها اهتم بدراسة اللغات ذات الصبغة الدينية مثل اليونانية والرومية!! واللاتينية... وحدث التطور اللساني الحقيقي في الغرب في القرن التاسع عشر عندما وضعت المناهج البحثية التاريخي والمقارن والوصفي!! اهـ ملخصًا.

قلت: لا أعرف اللغة الرومية التي ذكر، أما المنهج السائد في القرن

التاسع عشر - كما يعلم الجميع - فهو المقارن مرتبطا بالتاريخ.

-صـ٢٥. يزعم أن فردينان دي سوسير متأثر بالنحاة الجدد وأنه على صلة بهم! وتواصل معهم علميًّا!! وأنه استبعد دراسة المعنى من البحث اللساني!! اهـ.

قلت: بل هو واحد منهم عندما كان يدرس في ألمانيا. ولا أدري كيف غفل المؤلف عن مادة (نيوجراماريانز) أو (ينج جراماريانز) في ويكيبيديا الإنجليزية!؟

-صـ٢٧. يذكر السيميائي الأمريكي تشارلز ساندرز بيرس (سبق أن كرره بغير زاي نهائية). ونرى الهامش(١) قد كاد يأخذ الصفحة كلها في الحديث عن أعمال بيرس. يقول المؤلف: «... كتب كثيرًا من المقايل وألف بعض الكتب... وكتب ثلاثة مقايل وهي... وجاءت محاضراته ومقايله التي حملت عنوان...»!!

قلت: زاد على هذه البلاغة إيراد اسم هذا العالم في شكل ثالث في صـ٦٧ هامش(١) شارل سندرس بيرس! مع كلام في تسعة أسطر، مع أن شارلز/ تشارلز في الإنجليزية يقابل شارل في الفرنسية وبرنارد في الإنجليزية هو برنار في الفرنسية وريتشارد في الإنجليزية يقابل ريشار بالفرنسية. وأورد له شكلا رابعا في صـ٣٨ ضمن كلام من ١٨ سطرًا. وانظر صـ٤٠ (هامش ١).

و في هامش Charles price !!!!

-ص٢٩. شغل الهامش(١) نصف الصفحة، ذكر فيه أن علم العلامات عربي قديم، وأن العرب بحكم بيئتهم جعلوه من المعارف الأولية في اقتفاء الأثر ومعرفة الطريق والسفر ليلًا ومعرفة النسب... وعرف صاحبه بالرائد والعراف والمنجم والوارد والمستطلع... بيد أن العرب لم ينظروا ولم يمنهجوا معارفهم الدقيقة!!... وأول من تناول علم العلامات من الغربيين... اهـ ملخصًا. ولا تعليق.

-ص٣٠. يتحدث عن شارلز موريس (١٩٠١-١٩٧٩) Charles w Morris «وتعد التداولية (لاحظ أنه يترجمها ولم يعربها كما أصر في المقدمة) أهم إضافة في جهود موريس، إضافة إلى جانب استحداثه نظام الشفرة!!».

قلت: اختراع الشفرة = الإشارات البرقية كان في الحرب البروسية ١٨٣٢-١٨٤٩ حسبما ذكرت ويكيبيديا الإنجليزية. ولو أنه تأنى وتأمل لوجد أنه أخطأ خطأً فادحًا؛ ذلك أن مخترع الإشارات هو ساميول فينلي بريز مورس (بميم بعدها واو مد فراء وسين ساكنتان). ولد في ماساشوستس عام ١٧٩١ وتوفي عن ٨٠ عامًا في نيويورك عام ١٨٧٢، وحصل على براءة اختراع إشارات البرق عام ١٨٤٥. ولو نظر المؤلف في مادة (صمويل مورس) في ويكبيديا العربية على رداءتها ما تورط هذه الورطة.

بين صفحتي ٣٢-٣٣ يفرق كلام حازم القرطاجني بين الحواشي في

الأولى ثم يرده إلى المتن في الثانية!!

صـ٣٤. يذكر فيها رائد الدراسات السيميائية الفيلسوف ش. بيرس (هكذا!) وهذا شكل سادس له... ويرجع الدور البارز إلى شارل موريس!! إلخ.

-صـ٣٥. يزعم فيها تزعم رونيه ديكارت المذهب العقلاني... بيكون التجربة، مع هامش من ١٤ سطرًا! مع أن رينيه ديكارت رسمه واحد عند العرب. كما يذكر أن الفيلسوف كارناب توسع في دراسة الإشارة ورأى ضرورة أن تكون هناك إشارة إلى مكان الحدث الكلامي وزمانه، وهذه الفكرة نواة نظرية السياق عند فيرث!!

قلت: ذكر أن كارناب ألماني ثم سيذكر في صـ٥٧هـ٢ أنه الفيلسوف الأمريكي رودلف كارناب. وقد رجعت إلى ويكيبيديا الإنجليزية فأفادت أن رودولف كارناب مولود في ألمانيا عام١٨٩١ وتوفي بولاية كاليفورنيا بأمريكا عام ١٩٧١. وذكرت مؤلفاته ونبذا عنها، ولم تذكر له تأثيرًا في فيرث(١٨٩٠-١٩٦٠) كذلك رجعت إلى ترجمة فيرث فلم تذكر له تأثرًا بكارناب.

-صـ٣٩هـ١. يذكر أن بيرس أول من كتب في علم العلامات في الغرب، وهو علم أصيل عند العرب!! (وكرر ما في صـ٢٩) وزاد عليه: «لكنه ضائع بسبب طريقتهم الشمولية!!».

-صـ٦١. المتن ٣ أسطر ونصف فحسب، أما بقية الصفحة فهامشان

ونصـف هـامش مـن واحـد وثلاثـين سـطرًا، هـي التـي سيشـرحها في صفحات قادمة!

-صـ٦٢هـ٤. يقـارن بـين ترجمـات (ديكونستركشـن): التقـويض والتفكيكية والانزلاقية!! ولا ينتهي إلا بعد ٧ أسطر من صـ٦٣!!

-صـــ٦٨. (البنـــد هـــ) علـــم الدلالـــة semiotics!! صـــوابه semantics.

-صـ٦٩هـ١. أحـال علـى جفـري سامسـون «مـدارس اللسـانيات التسابق والتطور» ترجمـة د. محمـد زيـاد كبّـة، وكتـابين عـربيين!! «وقـد بـدأت الدراسـات اللسـانية الحديثـة في الغـرب علـى يـد دي سوسـير بمحاضـراته التـي أسسـت للبنيويـة التـي ازدهـرت علـى يـد بلومفيلـد وتطورت في الولايات المتحدة» أهـ بحروفه!

قلـت: هـذا غيـر مـا جـاء عنـد جفـري سامسـون، إذ يـرى للسـانيات نشأتين: أمريكية على أيـدي الإناسيين الوصـفيين في آخـر القـرن التاسـع عشر أمثال فرانز بـواس وإدوارد سـابير وغيرهمـا، وأخـرى أوروبيـة بعـد نشر محاضرات سوسير في اللسانيات العامة ١٩١٦.

-صـ٧٠. يـذكر أن النحـو لصـيق باللغـة في البحـث العربـي المتقـدم (يقصد القديم) وكتـاب سـيبويه يؤصـل المـنهج الحـديث!! الـذي وسـع مجال البحث اللساني وربط بين القواعد والدلالة والسياق، «وقـد أطلـق

حديثًا على النحو علم التراكيب وعلم نظم الجمل syntax»!!

قلت: رجعت إلى موقع جامعة شيفيلد ٢٠١٥، فأحالني إلى هذا المرجع.

Graffi, G: "200 years of syntax: A Critical Survey, studies in the History of the language sciences" Amsterdam; Binjamins 2001

أي (مئتا عام من النحو، مسح نقدي للدراسات في تاريخ علوم اللغة)، فكان همبولت (١٨٣٥-١٧٦٧) أول من استعمل هذا المصطلح، كذلك استعمله سوسير في محاضراته، فهل يوصف ذلك بأنه حديث؟!!.

-ص٧٥هـ١س٩. جامعة الملك محمد بن سعود!

-ص٧٩هـ١. ذكر في ثمانية أسطر أنه تبنى اتجاها يجمع بين منهج المتقدمين والمحدثين في تحليل الخطاب لكن بحثه نشر مبتورا في صحيفة لحزب السلطة، لذلك فهو يتبرأ منه!!

قلت: هذا من حقك. وكان أمامك نشره في هذا الكتاب لنرى المصداقية.

-ص٨٥هـ١. يضم ١٧ سطرًا عن الافتراض السابق ببنط أصغر من المتن وفيه كلمات أكثر وذكر لقصة سيدنا موسى مع النبي شعيب وبنتيه المذكورة قبل!

-صـ٩٢. فيها هوامش سبقت في ٩٠ و٩١ إلا كلمات يسيرة!!

-صـ١١٨و١١٩. يكرر مرجعًا واحدًا لمسعود صحراوي، وفي صـ١٢١ يكرر مرجعًا لمحمد الصغير بناني!!

والعجيب أن ليس في الكتاب قائمة مراجع أجنبية مع أنه طرز بها بعض هوامش الكتاب كثيرًا. والحمد لله على هذا فأكثرها مكتوب خطأ.

ختامًا هذا مثل من جناية المشباك على التأليف العلمي من باحث بدا واعدا بالخير في أول كتبه، ويقيني أنه لو استمر في الاعتماد التام على المشباك لقضى على نفسه. نسأل الله لنا وله الهداية ونسأله أن يغفر لنا زلات أقلامنا وألسنتنا. آمين.



قرأت لك من إنجازات علماء فلسطين

كتاب «التفكير الصوتي عند سيبويه في ضوء علم اللغة الحديث»

أ. د. صادق عبدالله أبو سليمان

أستاذ العلوم اللغوية/ جامعة الأزهر- غزة.

(عضو المجمع)

صدر هذا الكتاب في صدر هذا العام(١٤٣٧هـ = ٢٠١٦م) عن «دار الجندي للنشر والتوزيع -القدس»، ومؤلفه قطبٌ من أقطابِ علماء اللسانيات في عالَمنا العربي المعاصر، وأحدُ رادةِ هذا المجال العلمي في فلسطين؛ إنه **الأستاذ الدكتور محمد جواد النوري**، أستاذ العلوم اللغوية في جامعة النجاح الوطنية، وهو من مواليد عام ١٩٤٣م في مدينة نابلس(جبل النار) في فلسطين التي نشأ فيها وترعرع، وتعلّم تعليمه الأول في مدارسها العامرة، وأكملَ تعليمه العالي في أرض الكنانة؛ فهو «دَرْعَمِيّ»، حيث احتضنته- بدايةً- كلية دار العلوم-جامعة القاهرة، ومنحته في عام ١٩٦٦م- عن جدارة واقتدار- درجة الليسانس في «اللغة العربية والعلوم الإسلامية» بتقدير عام «جيد جدًّا مع مرتبة الشرف»، وفي عام ١٩٧٩م منحته درجة الماجستير في «علم اللغة والدراسات السامية والشرقية» بتقدير «ممتاز». وهو «عَيْشَمِيّ» حيث منحته كلية الآداب في جامعة «عين شمس» في عام ١٩٨٢م درجة الدكتوراه في العلوم اللغوية،

بتقدير «ممتاز مع مرتبة الشرف الأولى»؛ و«عَيْشَمِيّ» نَحَتُّها من التركيب الإضافي «عين شمس» على غرار «دَرْعميّ» و«عَبْشَمِي» نسبةً إلى «عَبْدِ شمس».

عمل منذ تخرجه في جامعة النجاح الوطنية، وأسهم في تأسيس قسم اللغة العربية فيها، وكان أولَ منسقٍ- رئيس- له، وشارك أيضًا في تأسيس قسم اللغة العربية في جامعة وسكنسن/ ملواكي في الولايات المتحدة الأمريكية، وقام فيه بوصفه أستاذًا زائرًا بتدريس مساقَي اللغة العربية، والعلوم اللغوية في عام ١٩٨٨م، وقامَ بزياراتٍ علميةٍ لبعضِ جامعات ألمانيا في صيفي عام ١٩٩١م وعام ١٩٩٦م، وجامعة مانشستر في بريطانيا في صيف عام ١٩٩٣م.

وهكذا غدا الدكتور النوري علمًا لغويًّا جَمَعَ بين الحصيلتين العربية والغربية في علوم اللسانيات؛ الأمر الذي نراه قد انعكس في فكره اللغوي وما نتج عنه في مجالات البحثِ والتصنيفِ اللساني العربي الحديث؛ حيث قدَّمَ في فلسطينَ وخارجِها دراساتٍ ومصنفاتٍ لغويةً جادةً تنوعت مجالاتها، أَهَّلَتْهُ للارتقاءِ العلمي والحصول على رُتَبِ الأستاذيةِ جميعِها.

ومن دلائل حصيلتهِ الدراسيةِ والبحثيةِ المتنوعةِ تعمقه في مجالات دراسيّةٍ جمع فيها بين القَدامةِ تراثًا مكتوبًا والحَداثةِ بل المعاصرةِ لغةً ومعملًا لغويًّا، وبروزه في مباحثَ ومؤلفاتٍ منها: «علم الأصوات

الأكوستيكي» (١٩٨٩م)، و«في التطور الصوتي» (١٩٩٠م)، و«من العوامل الصوتية في تشكل البنية العربية» (١٩٩٢م)، وفصول في علم الأصوات» (١٩٩١م)، و«التفكير الصوتي عند سيبويه» (١٩٩٣م)، و«علم أصوات العربية» (١٩٩٦م)... إلخ.

وله أيضًا في مجالاتِ التنبيهاتِ والاستدراكات والتصحيحات مباحثُ كثيرةٌ منها ما تكرر عنوانه بتكرر أجزاءِ المصنفِ مجالِ الدراسة، شملت **دواوين الشعر**، مثل: «ديوان امرئ القيس»، و«ديوان أبي الطيب المتنبي، بشرح أبي البقاء العكبري»، و«ديوان البحتري»؛ **وكتب اللغة**، مثل: «كتاب الزهرة» لأبي بكر الأصبهاني، و«العشرات في غريب اللغة» لأبي عمر الزاهد؛ **والمعجمات**، مثل: «العين» للخليل بن أحمد، و«الجيم» لأبي عمرو الشيباني، و«البارع في اللغة» لأبي علي القالي، و«مقاييس اللغة»، و«مجمل اللغة» لابن فارس، و«ديوان الأدب» لإسحق بن إبراهيم الفارابي، و«تاج اللغة وصحاح العربية» للجوهري، و«أساس البلاغة» للزمخشري، و«التكملة والذيل والصلة» للصاغاني، و«معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضيع» لأبي عبيد البكري، و«المعجم الوسيط» و«المعجم الكبير» لمجمع اللغة العربية(مصر)... إلخ.

وفي التأليف في العمل المعجمي والمصادر العربية جادت مَلَكةُ الدكتور محمد جواد العلمية بمباحثَ ومصنفاتٍ عدةٍ، مثل: «المعجم

العربي بين الواقع والطموح»، و«دراسات في المعاجم العربية»، و«دراسات في المكتبة العربية»، و«محاضرات في المصادر الأدبية والمعاجم اللغوية»، و«المصادر العربية في النحو الصرف والأصوات والعروض» وهلمَّ جَرّا.

وله كتابان ترجمهما إلى العربيةِ من اللغة الإنجليزية قيد النشر، جاء الأول بعنوان: «The Arabic Language Today»، «اللغة العربية الفصحى المعاصرة»، والآخَر عنوانه: « Introduction To Tagemic Analysis»، «مدخل إلى علم التحليل القالبي».

أقول:

قدمتُ بهذه التقدمة- التي جاءت من ثمرة قراءتي لسيرة هذا العالمِ المحققِ التي استقيتها من صفحة جامعة النجاح الوطنية، واطِّلاعي على بعضِ مباحثِهِ-؛ لتكون مؤشرًا جامعًا يكشفُ عن أسرارِ منهج عالمنا الجليل في درسِهِ اللسانيِّ الذي جاء نتاجًا لتضلعهِ من الفكر اللغوي العربي التراثي، والدرس اللساني الحديث الجامع فيه بين الفكر العربي الحديث؛ فهو درعميٌّ وعيشمي- كما أشرنا- والفكر اللغوي الغربي ولاسيما الصوتي، حيث سافر إلى الولايات المتحدة الأمريكية وألمانيا، واطّلع هناك على جوانب من الدراسات الصوتية الحديثة، وعمل في معاملها. وإنَّ لنا في تحقيقاتهِ واستدراكاته في مصنفات اللغة المستمدة من اطلاعاته المتعمقة تفحصًا وتدبرًا دلالاتٍ واضحةً على تعمقهِ في

فهمِ الفكرِ اللغوي العربي القديم والحديث، وتألقه في نقدهِ على أسسٍ منهجيةٍ ولغويةٍ علمية.

وإذا ما انتقلنا إلى كتاب «التفكير الصوتي عند سيبويه في ضوء علم اللغة الحديث» الذي بين أيدينا فسنجد أن العَلّامةَ الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب(١٩٣٠- ٢٠٠١م)- رحمه الله- قد قدّم له بمقدمةٍ ماتعةٍ أثنى فيها على الكتابِ، وجهدِ تلميذه صاحبِ الكتاب.

جاء **هذا الكتابُ** في ثلاثمائةٍ وأربعينَ صحيفةً من القطع المتوسط، وفيه نقفُ على منهجِ المؤلفِ المطّرد، ومذهبِهِ في عرض مضامين مباحثه التي لا تخلو من الجمع بين الفكرين القديم والمعاصر؛ وقد عبّر عنوانُهُ المعبّر عمّا في متنه من مضامينَ جمعَت ووازنت في عرضها بين القدامة والحداثة.

يأتي هذا الكتاب ليقدمَ للقارئ العربي جوانبَ قويةً رائدةً في الفكر الصوتي العربي، وهو يهدف- كما أفهم- إلى بيان أهمية توعية ناشئة أبناء العربية، وتعميق ثقافتهم بأسرارِ خصائصِ أنظمة لغتهم، وتوضيحِ عمقِ ما قدمه العلماءُ الأسلافُ من دراساتٍ لغويةٍ كاشفةٍ لها، وكذلك تقديم الدليل على استمرار علومِها قادرةً على المنافسة، وصالحةً للحِفاظِ على لغة الضاد والقرآن الكريم.

إن ما قدمه المُحْدَثونَ وما زالوا يقدمونه- أراه- لم يستطعْ مبدعوه تقويضَ أركانِ أصالةِ تراثِ الماضي، أو خلخلتِه، فقد وجدناهم

يدورون في فلكه، واقفين- في الأغلب الأعمّ- عند حدود الشرح والتوضيح، وما إضافاتُهم إليهِ نراها لا تبتعد- في الغالب- عن كونها توضيحًا ومقارنةً، ووصلًا له بمضامين علوم اللغات الأخرى ومصطلحاتها.

وقد نراهم يسعون إلى عقد الصلة بين قديمٍ طوى الزمنُ أصحابَهُ، وعلمٍ مستوردٍ قامَ على لغاتٍ لها أنظمةٌ قد تختلف في كثيرٍ من خصائصها عن عربيتنا، ولأهلها من دراساتِهم لها متطلباتٌ وأهدافٌ قد تختلف في كثيرٍ منها عَمّا سعى إلى تحقيقه علماءُ لغة القرآنِ قديمًا وحديثا.

أقول:

وانطلاقًا من فكرنا اللغوي المتفق مع فكر عالمِنا الجليل الدكتور محمد جواد النوري فنحن لسنا ضد الاستفادة من غيرنا، وبالعكس فإننا ندعو دومًا إلى أن نستفيد من دراساتهِ ما يتناسبُ وخصائصَ لغتنا، ويحققُ أهدافَنا في خدمةِ لغتنا، والحفاظِ على بقائها سليمةً على ألسنتنا، وفي كتاباتنا ومؤلفاتنا، أمّا ما نراه من نقلٍ وترجماتٍ وزجٍّ بمصطلحاتٍ وترجماتٍ لو كان واضعوها على وعيٍ بمصطلحاتِ علومِ لغتِهم التراثيةِ لَما أرهقوا أنفسهم في البحث أو التفكير في وضع مصطلحاتٍ جديدةٍ غيرِها، ولَما أوقعوا أمتهم في مآسي نتائجِ فوضى المصطلح، وكثرةِ مرادفاتهِ وغموضه.

إننا ندعو في هذا السياق إلى تخطيطٍ عربيٍّ واعٍ مخططوهُ بخطورة انغماسِ ناشئتِنا في ثقافةِ غيرنا قبل تحصينِهم بأصولِ علوم لغتهم العربية وأدبِها وفكر أجدادهم، وتوعيتِهم بأهمية تراثهم في المحافظة على هويتهم الأم، وأنَّ العدولَ عنه والانزلاقَ أو الانزياحَ إلى فكر الغريب سيجعلهم يفقدون هويتهم وعواملَ الربط بينهم بل يفرقهم ويوقعهم في مهاوي الرّدى.

إن ما نسعى إلى تحقيقه في هذا السياق يتمثل في ضرورة الربط بين الجديد والقديم مضمونًا ومصطلحًا بدون تحيزٍ غيرِ علميّ؛ وعليه فإن عرْض الوافد إلينا على ما نملكه من بضاعةٍ وَرِثْناها بعقولٍ مفتوحةٍ محصنةٍ بوعيٍ تراثِ الأسلافِ لَيشكّل- عندنا- مطلبًا ملحًّا، وأساسًا للبناء والارتقاء. ولعل هذا هو الهدف الأول لكل المستنيرين من أبنائنا العاملين لصالح أمتهم العربية ولغتها، وهو الهدف الذي أرى الدكتور محمد جواد النوري قد سعى إلى تحقيقه في هذا الكتاب بل في مجمل أعماله.

إن المتفحص لقائمة مصادر هذا الكتاب ومراجعه لَيراها قد جمعت بدون تحيز بين القديم والحديث، وكذلك فإنَّ المُطّلعَ على متنِهِ لَيراهُ يثبت هذه الحقيقةَ العلمية، حيث وجدناه يعرضُ فيه لأسس الدرس الصوتي كما أقامها سيبويه، مستفيدًا في بعضِها مما جاء عن سابقيه ولاحقيه ولاسيما الخليل بن أحمد الفراهيدي في مقدمةِ معجمه

«العين»، وإنْ خالفه في بعض ترتيب مخارج الأصوات، كعدم تصديرِ سيبويه لمَخرج العين على ما سواه من المخارج، وتقديمِه الكافَ على القاف، وجعلِه الألفَ المخرجَ الثاني... إلخ. وذلك بخلاف سيبويه الذي صدّر مخارجه بالهمزة فالألف فالهاء فالعين والحاء... إلخ؛ فقد جاء ترتيب الخليل على هذا النحو: (ع، ح، هـ، **خ، غ**، - **ق، ك** - ج، **ش، ض**، - ص، س، ز - ط، د، ت - ظ، ث، ذ - ر، ل، ن - ف، ب، م - و، ا، ي). أما ترتيب سيبويهِ فهو(**الهمزة والألف والهاء والعين** والحاء، و**الغين والخاء**، و**الكاف والقاف**، و**الضاد** والجيم والشين، و**الياء**، واللام والراء والنون والطاء والدال والتاء والصاد والزاي والسين والطاء والذال والثاء والفاء والباء والميم **والواو**).

لقد صَدَّرَ الدكتور النوري موضوعات كتابه بمقدمةٍ نَوّهَ فيها ببراعةِ العربِ في دراساتِهم الصوتية، وحققوا فيها نتائجَ علميةً استخلصوها من تدبرهم في نطقِ العربيةِ على ألسنةِ الفصحاء، معتمدين في وصفِهم وتعريفِهم وتقعيدِهم على ما سمعته أذنهم، ولاحظتهُ أعينهم، ومحاكاةُ ألسنتِهم، واتسمت نتائجهُمُ الوصفيةُ والتقعيديةُ والتعريفيةُ بعلْميةِ المنهج، وسلامة الوصف، ودقةِ التعريف؛ الأمر الذي شهد لهم في السّبقِ والتفوقِ والبراعةِ علماءُ اللغات الأخرى.

إن تفوقَ العرب في هذا المجال، وشهادةَ غيرنا لهم بطول الباعِ فيه يجعلنا نفاخرُ بما جاء عن أسلافنا الأوائل، ويدفعنا إلى أخذه أساسًا قويًّا

معتمدًا لنا نحن العربَ المعاصرين، ننطلق منه أساسًا قويًّا في مجال المقارنةِ بينَه وبين إنتاجِ غيرِنا في مجاله العلمي، فما وافقه يُطَمْئِنُنا ونَطْمئنُّ إليه، وما خالفه نناقشُهُ بقوةِ تاريخنا العلميِّ وإنجازاتِ أسلافِنا في هذا المجال، ونبينُ لغيرنا ما يعينهم على التصويب، لا أنْ نتأول أو نأخذَ عن غيرنا دون وعي، ونسعى إلى فرضهِ أو إعمامه؛ إيمانًا بالمقولةِ المتوارثة «كل إفرنجي إبْرنجي».

فمثلًا هناك لغات تمتلك نظامًا نبريًّا يعتمد عليه أهلُها في التمييز بين المعاني، وأخرى غير نبرية، أو أن النبر فيها لا يشكّل نظامًا مطردًا؛ وفي هذا السياقِ ومثلِهِ أقول: إنه ليس من عيبٍ أو ظلمٍ أن يدرس أهل اللغاتِ غير النبريةِ هذه الظاهرةَ أو غيرَها؛ لحاجتهم إلى التَّعَرُّفِ على ما عندَ غيرهم، ولكن العيب أن يتعسفوا فيفرضوا على لغتهم قوانينَ ظواهرَ لغويةٍ ليست فيها.

وباختصار فإننا من خلال دراستنا لهذا الكتاب وما جاء في متنه ومنهجه نوجه رسالةً مضمونُها: أنه يتوجب علينا- نحن العربَ- أن نعتزَّ بتراثنا الذي أثبت نجاعته، وألّا نهملَهُ انبهارًا بمستوردٍ لسنا متأكدين من جدواه لنا ولمتطلباتنا وطبيعة لغتنا؛ وكما قال ذوو الخبرةِ والرأي من قبلنا: «إنَّ أمةً بلا ماضٍ ليست بذي حاضرٍ ولا مستقبل»، وتراثُنا شهدَ لقيمته وكفاءته غيرُنا، وأدركنا- نحن-نجاحَ لغتنا في التعبير عن إنتاج الأسلاف، وقدرتَنا على الحفاظِ عليها نُعبِّرُ بها عن ماضينا وحاضرِنا؛ لذا

فإنه يتوجب علينا أن نجعلَ ما ورثناه أساسًا ومنهجًا نعتمد عليه، وألّا نحاكمَه في ضوء نظرياتٍ أو مُستجدّاتٍ قد لا نكون بحاجةٍ إليها، أو نحتاجُ في تطبيقِها إلى تأويلٍ أو تعمّلٍ لا جدوى منه.

وفي هذا السياق قال: «رائد المدرسة الرمضانية» الأستاذ الدكتور رمضان عبد التواب في تقديمه للكتاب الذي نسلط الضوء عليه في هذه المقالة اللغوية: «إن كتاب سيبويه مَعين لا ينضب، بالنسبة للدراسات اللغوية العربية، وإنه على الرغم من مرور اثني عشر قرنًا على تأليفه، فإنّ جدّته لا تبلى على الزمن، وآراءه التي تموج بها صفحاته وسطوره، لَتقف شامخةً أمام أحدث النظريات اللغوية في كثير من الأحيان. وهذه الحقيقة يجهلها أو يتجاهلها بعض الجاهلين أو الحاقدين، ممن يعملون في ميدان الدراسات اللغوية في العصر الحاضر، وقد اتصل بعضهم بشيء من النظريات اللغوية الحديثة عند علماء الغرب، ولم يكونوا قبل ذلك قد تحصنوا بزاد وفير من التراث اللغوي عند العرب؛ فبهرتهم أضواء النظريات الحديثة، وخطف بريقها أبصارهم، فضلّوا وأضلّوا، وما زالوا ينشرون سمومهم وأحقادهم في كلِّ مكان يَحلّون فيه، مفترين على التراث اللغوي عند العرب، يَدّعون أنه تراثٌ عَفّى عليه الزمن، وتجاوزَهُ العلم اللغوي المعاصر، وهم لم يقرأوا منه حرفًا، وإنْ قرأوا لم يفهموا، وَلَوَوا أعناق النص على هواهم، ووفق أغراضهم الدنيئة».

وإذا كان هذا في زمن العالِم الجليل فماذا سيكون قولهُ لو كان حيًّا

بيننا ورأى تبجح جهلاءَ بمصطلحاتٍ لها مقابلاتٌ عربيةٌ عربيةٌ موجودة نظرًا وتطبيقًا، ولكن جهلهم بالتراث، ورغبتهم في التفرنج زعمًا منهم أنهم يكشفون بما أَتوا به عن جديدٍ لا عهد للعرب به، وما دَروا أنهم يكشفون بجديدهم الذي زعموا عن جهلٍ بتراثٍ أصيلٍ لم يصل إليهم خَبَرُه، بل جهلٍ رانَ على قلوبهم فأعماهم عن فهمِه.

وعليه فإن عناية الدكتور النوري بالكتابةِ عن سيبويه وتقديم دراسة مجملة لمضمون كتابه؛ لِينطلقَ منها إلى موضوع دراسته الرئيس وهو المستوى الصوتي وموضوعاته العربية ليقارنها بما جدَّ في الدراساتِ اللغويةِ العربيةِ الحديثةِ من مضامينَ ومصطلحاتٍ تجيءُ لِتعيدَ الحقَّ إلى نصابه؛ الأمر الذي لفت إليه الدكتور رمضان عبد التواب في تقديمه للكتاب حين قال: «وكتاب أخي وصديقي وتلميذي النابه الدكتور محمد جواد النوري، الذي أقدمه هنا اليوم، إحدى ثمار هذا الاتفاق. وأحسب أنه وُفِّقَ في كتابه هذا في الكشفِ عن كُنوزِ كتاب سيبويه في الدرسِ الصوتي، غايةَ التوفيق، فقد أنصف الباحثين العرب القدماء الذين وصفوا أصوات العربية، معتمدين على الملاحظة الذاتية، والتجربة الشخصية في النطق والسماع، في وقت لم تكن فيه المعامل الصوتية معروفة في ذلك الزمان المبكر».

هذا وقد تصدّر الكتاب بمقدمة الدكتور رمضان مطبوعةً وبخطِّ يدِهِ- رحمه الله-، تلاها جدولُ الكتابة الصوتية، ومقدمةٌ للمؤلفِ

تحدث فيها عن منهجه ومضامينِ كتابه؛ فتمهيدٌ تحدث فيه عن سيبويه وكتابه، وتبع هذه التصديرات متن الكتاب الذي جاء في أبواب ثلاثة، كان عنوان أولها: «**حروف العربية**»، وفيه ثلاثة فصول جاء أولها بعنوان: «**حروف العربية من حيث العدد**» تحدث فيه عن «الحروف العربية الأصول»، وهي الحروف الفصيحة، و«الحروف العربية الفروع المستحسنة» و«الحروف العربية الفروع غير المستحسنة». وجاء الفصل الثاني بعنوان: «**حروف العربية من حيث المخارج**»، والثالث «**حروف العربية من حيث الصفات**»، والرابع «**التطور التاريخي لبعض أصوات العربية**».

أما الباب الثاني فجاء بعنوان «**الإدغام**»، وجاء في تمهيد وفصلين، خرج أولهما بعنوان: «**الإدغام في الحرفين المثلين**»، والثاني بـ«**الإدغام في الحرفين غير المثلين**»، **وجاء** الباب الثالث بعنوان: «**الإدغام في حروف طرف اللسان والثنايا**»، وقد تألف من تمهيد وثلاثة فصول، جاء أولها بعنوان: «**إدغام حروف طرف اللسان والثنايا في حالة الانفصال**» والثاني «**إدغام حروف طرف اللسان والثنايا في حالة الاتصال**» والثالث «**ظواهر صوتية خاصة في المماثلة والتخفيف**»، وختم بخاتمةٍ فالمصادر والمراجع.

سيلمس قارئ هذا الكتاب أن مؤلفه قد أحاط بما جاء عن سيبويه في وقفاتٍ دقيقةٍ متأنيةٍ بدون أن يغفل الوقوف عند ما أصاب بعض أصوات

الفصيحة المعاصرة من بعضٍ تغّيرٍ نطقيٍّ على ألسنة أهل العربية المعاصرين، وعند ما جدَّ من مصطلحات صوتية تتشابه مضامينها وما جاء عن القدماء كمصطلحات الانفجار والاحتكاك، وما أضافه المحدثون من إضافاتٍ تزيد في توضيح بعض ما جاء عن القدماء.

وفي سياق وصف جهد الدكتور محمد جواد النوري في كتابه وجدنا الدكتور رمضان عبد التواب يقول: «والمؤلف في كل هذه الأبواب المختلفة، يعرض المقارنة بين الفكر الصوتي عند سيبويه، وعند المحدثين من علماء الأصوات في الشرق والغرب. وقد وُفِّقَ كثيرًا في محاولته إزالة الغموض الذي يكتنف عبارات سيبويه في كثير من الأحيان، وساعده على ذلك زاد وفير من التراث العربي والدرس اللغوي الحديث»، وأنه توقف «أمام كثير من مشكلات الدرس الصوتي عند سيبويه، كمشكلة تعريف الجهر والهمس من جانب، وتعريف الشدة والرخاوة من جانبٍ آخر، وحاول أن يضع بعض التصورات المفيدة في هذا الموضوع، وكان التوفيق حليفه في هذا الجانب الشائك من جوانب الدرس اللغوي في العربية».

وهكذا تفحّصَ كتاب «التفكير الصوتي عند سيبويه في ضوء علم اللغة الحديث» مضامين علمي القدماء والمحدثين، وعالج ما فيهما من وصفٍ لأصوات العربية ومصطلحاتٍ علميةٍ دالةٍ خصائصها في وقفات دراسية متمعنة نحن بحاجةٍ ماسةٍ إلى أمثالها في دراسات تأصيليةٍ ممتدةٍ

إلى يومها تربط بين ما قدمه السابقون والمعاصرون في وطنها وبلدان العالم الأخرى.



القسم الرابع:

الملحقات

طائفة من أخبار المجمع

الخبر الأول:

مشاركة نائب رئيس المجمع أ.د. عبدالرحمن بودرع في الندوة العلمية الدولية «مناهج البحث في بلاغة القرآن الكريم»

شارك نائب رئيس المجمع أ.د. عبدالرحمن بودرع ببحث في الندوة العلمية الدولية «مناهج البحث في بلاغة القرآن الكريم» التي أقيمت بجامعة الإمام محمد بن سعود في الرياض، وعنوان الورقة التي شارك بها أ.د. عبدالرحمن بودرع هو «مَنْهجُ لسانيّاتِ النَّصّ وتَكامُل المستَوَيات في بَيان البَلاغَة القُرآنية».

الخبر الثاني:

«التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية في سورة طه» محاضرة بمقر المجمع بالتعاون مع كلية الآداب بينبع

في مساء السبت الرابع من ربيع الأول لعام ١٤٣٨هـ، الموافق الثالث من ديسمبر لعام ٢٠١٦م، وفي مبنى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية نُظمت أمسيةٌ علميةٌ قدم فيها الدكتور السيد حمدان السيد سعد، الأستاذ المساعد بقسم اللغة العربية، في كلية الآداب بجامعة طنطا، وجامعة طيبة- فرع ينبع ورقةً علميةً بعنوان «التوجيه البلاغي للقراءات القرآنية في سورة طه».

الخبر الثالث:

مشاركة المجمع في معرض جدة الدولي للكتاب في دورته الثانية

شارك مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بعدد من منشوراته ومطبوعاته في معرض جدة الدولي للكتاب في دورته الثانية، التي أقيمت بين يومي السادس عشر والسادس والعشرين من ربيع الأول لعام ١٤٣٨هـ، الموافق لما بين يومي الخامس عشر والخامس والعشرين من ديسمبر لعام ٢٠١٦م. وكان موقعه بالجناح رقم (١٠٢٢).

الخبر الرابع:

مجلس أمانة جائزة الشيخ صالح ابن حميد لخدمة اللغة العربية يعقد اجتماعه الثاني بمقر المجمع

عقَد مجلس أمانة جائزة الشيخ صالح ابن حميد لخدمة اللغة العربية اجتماعَه الثاني برئاسة الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الحربي، وذلك مساء يوم الاثنين الثالث عشر من ربيع الأول لعام ١٤٣٨هـ، بمقر مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية؛ وناقش المجلس طائفة من شؤون الجائزة، كاللائحة والموازنة وتوزيع المهام والتحضير للإعلان عن الجائزة، واطلع على سير أعمال اللجنة التنفيذية وما أنجزته منذ إنشائها، وأقرَّ لائحة الجائزة بعد تعديلها، ووافق على التحضير لإعلانها مزامنة مع اليوم العالمي للغة العربية، واعتمد خطة تنظيمية لتوزيع المهام والمسؤوليات.

وقد حضر الاجتماع كل من:

- أ.د. عبدالعزيز بن علي الحربي، رئيس مجلس الأمانة.
- أ.د. حامد الربيعي، عضو المجلس
- د. ياسر بن عبدالله شوشو، عضو المجلس.
- أ. محمد مهدي الحارثي، عضو المجلس.
- أ. فيصل بن دبيس الحارثي، عضو المجلس.

هذا، ويتكون مجلس أمانة الجائزة من الأستاذ الدكتور عبدالعزيز الحربي رئيسًا، والأستاذ سليمان الزايدي نائبًا، والمذكورين أعلاه أعضاءً.

يذكر أن مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية هو من أنشأ هذه الجائزة السنوية، وأطلقها لخدمة اللغة العربية، من خلال تخصيصها بأربعة فروع، وهي:

الفرع الأول: المعلم المتميز في اللغة العربية في التعليم العام (ذكورًا وإناثًا).

الفرع الثاني: المتعلم المتميز في اللغة العربية في التعليم العام (ذكورًا وإناثًا).

الفرع الثالث: أفضل كتاب في تيسير اللغة العربية للناطقين بها أو بغيرها.

الفرع الرابع: أفضل عمل إبداعي في خدمة اللغة العربية.

الخبر الخامس:

«نحو ثقافة لغوية في يوم العربية» محاضرة لعضو المجمع أ.د. رياض الخوام احتفاءً باليوم العالمي للغة العربية

احتفاءً باليوم العالمي للغة العربية نظم مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بالتعاون مع المعهد الثانوي الصناعي بمكة المكرمة صباح اليوم محاضرة بمقر المعهد استقبل فيها الأستاذُ عبدالله القرشي رئيسُ العلاقات العامة والمراسم بالمعهد الأستاذَ الدكتور رياض الخوام عضو مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، وعضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى، وقدم له الضيافة اللازمة بحضور مدير المعهد م. سفر الغامدي، ووكيل المعهد للتدريب م. فواز المطرفي، ووكيل خدمات المتدربين م. محمد شرف آل الهادي، ورئيس الجودة م. بريك الحربي.

ثم توجه أ.د. رياض لإلقاء محاضرته بعنوان «نحو ثقافة لغوية في يوم العربية».

وقد حضر المحاضرة، واستفاد منها أكثر من ثلاثمئة (٣٠٠) من منسوبي المعهد الصناعي بمكة.

وبعد المحاضرة سلم مديرُ المعهد درعًا تذكاريًّا للضيف الأستاذ الدكتور رياض الخوام، شاكرًا له حسنَ تعاونه ومقدرًا له ذلك.

الخبر السادس:

أدبي مكّة ينظم ندوة عن: «آفاق البحث اللغوي في العربية» بالتعاون مع مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية

احتفاءً باللغة العربية في يومها العالمي نظم نادي مكة الثقافي الأدبي بالتعاون مع مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية، حوارًا عن: «آفاق البحث اللغوي في العربية» شارك فيه:

- أ.د. عبدالعزيز الحربي (رئيس المجمع)
- أ.د. أحمد حسن صبرة
- د. حصة بنت زيد الرشود

وأدار الندوة:

- أ.د. عبدالله بن ناصر القرني (عضو المجمع)

أقيمت الندوة عند الساعة الثامنة والنصف من مساء الأحد ١٩/٠٣/١٤٣٨ هـ بمقر نادي مكة الأدبي - حي الزاهر (مبنى المكتبة العامة)، وحضرها جمع غفير.

الخبر السابع:

#العام_الخامس لـ #مجمع_اللغة_العربية_على_الشبكة_العالمية: إنجازاتٌ وأرقام..!!



الخبر الثامن:

عضو المجمع أ.د. عباس السوسوة يرأس مناقشة رسالة ماجستير في اللغويات بجامعة الملك خالد

برئاسة عضو المجمع أ.د.عباس بن علي السوسوة، في رحاب كلية العلوم الإنسانية – جامعة الملك خالد في أبها، نوقش الطالب حمد إبراهيم حسن الويني في رسالته «الألفاظ اليمانية في جمهرة اللغة لابن دريد (ت٣٢١هـ) وامتدادها في الاستعمالات المعاصرة – دراسة لغوية تاريخية»، وبعد نقاش علني صباح الأحد الرابع والعشرين من ربيع الآخر، استمر ساعتين إلا ربعًا، قررت لجنة الحُكم برئاسة المشرف وعضوية الأستاذين المشاركين: د. مسلم عبد الفتاح حسن و د.مفلح بن زابن القحطاني، قبول الرسالة ومنح الطالب درجة الماجستير في اللغويات.

حضر المناقشة سعادة الدكتور قاسم أحمد قاسم وكيل الكلية لشئون الدراسات العليا، وبعض دكاترة القسم، وزملاء الطالب.

الخبر التاسع:

فريقُ البحث الأدبي والسيميائي بكلية آداب تطوان ينظم دورةً تدريبية في موضوع «مَنْهجيّة البَحث في قَضايا النّص وتَحْليل الخِطاب» بالتعاون مع المجمع

بمناسبَة افتتاح الدورة السنوية لتكوين طلاب الدكتوراه التابعين لوحدة التكوين والبَحث: لسانيات تواصل تَرجمَة الموسم الجامعي ٢٠١٦-٢٠١٧

يُنظمُ فريقُ البحث الأدبي والسيميائي بكلية آداب تطوان، بتعاون مع مركز ابن أبي الربيع السبتي للدراسات اللغوية التابع للرابطة المحمدية للعلماء، ومجمع اللغة العربية على الشبكَة العالَمية بمكة المكرمة. يومًا تدريبيا للباحثين في سلك الدكتوراه

بناءً على اتفاقية التعاون الثقافي والعلمي التي تربط الكلية بمركز ابن أبي الربيع السبتي، وتربط الكلية بالمَجمَع، وتربط المركز بالمَجْمَع.

الخبر العاشر:

«الخليل بن أحمد، رائد المصطلحات الكوفية» محاضرة لـ د. حمّاد الثمالي بمقر المجمع

في مساء السبت السابع من جمادى الأولى عام ١٤٣٨هـ، نظم مجمع اللغة العربية بمكة المكرمة أمسية علمية بعد صلاة العشاء في مقره بحي الزايدي بمكة، وتلك سُنَّةٌ درج عليها المجمع في أول سبت من كل شهر هجري.

وتوافد الحضور من أهل العلم والثقافة لشهود الأمسية حتى غصّ بهم المكان، ثم بدأت فقرات الأمسية بكلمة افتتاحية للأستاذ الدكتور عبدالعزيز بن علي الحربي رئيس المجمع، رحب بها بالمحاضر والحاضرين، ثم ألقى جوابًا للمجمع عن آخر سؤال تفسيري لغوي، وردَ إلى المجمع عن معنى الأولية في قوله تعالى في سورة الأنعام: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾، وتضمن الجواب نصيحةً لطالب العلم أن لا يتصدى للمناظرة والجدال مع المخالفين، إلا وهو مسلح بسلاح العلم

والدراية، ثم ذكر الدكتور عبدالعزيز الحربيُّ أقوالَ أهل العلم والتفسير في معنى الأولية في الآية الكريمة.

ثم شرع المحاضر في تقديم ورقته، وهي بعنوان «الخليل بن أحمد، رائد المصطلحات الكوفية»، وعرض فيها لصلة الخليل بالمصطلحات النحوية الكوفية، انتهى فيها إلى أن كثير من هذه المصطلحات تعود في نشأتها إلى الخليل، من خلال كتابه العين.

الخبر الحادي عشر:

مشاركة أ.د. سعد الغامدي ببحث عن المجمع في مؤتمر «اللغة العربية والنص الأدبي على الشبكة العالمية»

شارك عضو المجمع أ.د. سعد بن حمدان الغامدي ببحث عنوانه «مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية بمكة المكرمة – تحديات وإنجازات» في مؤتمر «اللغة العربية والنص الأدبي على الشبكة العالمية»، الذي أقيم بين يومي السابع عشر والتاسع عشر من جمادى الأولى لعام ١٤٣٨هـ، الموافق لما بين يومي الرابع عشر والسادس عشر من فبراير لعام ٢٠١٧م، في جامعة الملك خالد – أبها.

الخبر الثاني عشر:

جامعة الملك خالد تكرم مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية في مؤتمرها الدولي للغة العربية والنص الأدبي على الشبكة العالمية.

كرم معالي مدير جامعة الملك خالد بأبها مجمعَ اللغة العربية على الشبكة العالمية لقاء جهوده في خدمة اللغة العربية، وذلك في أثناء افتتاح

المؤتمر الدولي للغة العربية والنص الأدبي على الشبكة العالمية، الذي أقامته الجامعة يومي السابع عشر والثامن عشر من جمادى الأولى لعام ١٤٣٨هـ. وقد شارك في المؤتمر مديرُ تحرير مجلة المجمع الأستاذ الدكتور سعد بن حمدان الغامدي بورقة عن المجمع وإنجازاته وتحدياته.

الخبر الثالث عشر:

«من اتجاهات قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة» محاضرة للدكتور ياسين أبو الهيجاء في مقر المجمع

في مساء السبت الخامس من جمادى الآخرة لعام ١٤٣٨هـ، الموافق للرابع من مارس لعام ٢٠١٧م، وفي مبنى مجمع اللغة العربية على الشبكة العالمية أقيمت أمسيةٌ علميةٌ ألقى فيها الدكتور ياسين أبو الهيجاء، عضو هيئة التدريس بجامعة أم القرى محاضرة بعنوان «من اتجاهات قرارات مجمع اللغة العربية في القاهرة»، تناولت آلية وضع القرارات في المجمع، منذ تأسيسه إلى اليوم.



اللغة.. الشمس.

القصيدة الفائزة بالمرتبة الثانية في مسابقة المجمع الشعرية للعام ١٤٣٧هـ

شعر: محمد أحمد مصطفى المعصراني[١]

مِـــلْءَ الـــدُّنَا لَـــمْ تَـــزَلْ مَنَازِلُـهَـــا

وَمِـــلْءَ هَـــذِي الرُّبَـــا قَوَافِلُهَـــا

عَلَـــى جَبِـــينِ الْقُـــرُونِ جَالِسَـــةٌ

وَفِـــي عُيُـــونِ الْـــمَدَى جَدَائِلُهَـــا

كَـــمْ لَـــذَّ فِـــي سَـــمْعِنَا ضَمَائِرُهَـــا

وَلَـــــذَّ مَفْعُولُـهَـــــا وَفَاعِلُهَـــــا

حُرُوفُهَـــا طِيلَـــةَ الزَّمَـــانِ حَدِيـــ

ـــــقَةٌ وَأَنْفَاسُـــــنَا مَشَـــــاتِلُهَا

كَـــمْ فُصِّـــلَتْ مِـــنْ غُصُـــونِ أَيْكَتِهَـــا

وَمِـــنْ عَبِيـــرِ النَّـــدَى غَلَائِلُهَـــا

---

(١) من مصر، مولود سنة ١٩٧٥م، عضو اتحاد كتاب مصر، له ترجمة في معجم البابطين، حاصل على دبلوم في علم المخطوطات. له تحقيقات وبحوث ومشاركات علمية متعددة. حصل على جوائز وشهادات في بعض المسابقات والمحافل الأدبية. صدر له عدة دواوين منها "أنات بلا ضفاف"، و"عذابات مهمّش"، و"أروى وأخواتها"، و"أنا ذلك الهشيم"، وغيرها.

هَــــا هِــــيَ ذِي وَالْعَبِيــــرُ يَغْمُرُهَــــا

وَتَسْــــتَحِثُّ الْـخُطَـــــى رَوَاحِلُهَــــــا

تَنْسِــجُ فِــي الــرُّوحِ أَلْــفَ مَـمْلَكَــةٍ

بِالْـحُــــبِّ مَعْقُـــــودَةٌ خَـمَائِلُهَـــــا

***

اللُّغَـــــةُ الشَّــــمْسُ هَــــذِهِ يَــــدُهَا

هَــــــذِي أَمَانِيُّهَـــــا وَآمِلُهَـــــــا

هَــــذِي مَـحَارِيبُهَــــا مُقَدَّسَــــــةٌ

وَهَــــــذِهِ جَـمَّـــــــةٌ مَدَاخِلُهَـــــــا

وَهَــــذِهِ سَاحُهَــــا وَكَرْمَتُهَــــــا

وَهَــــــذِهِ.. هَــــــذِهِ سَنَابِلُهَـــــــا

كُـــلُّ نُجُـــومِ السَّمَــــاءِ ذَاهِلَــــةٌ

لَـــــمْ تَسْـــــتَفِقْ لَـحْظَــــةً ذَوَاهِلُهَـــــا

يَــا لُغَـــةً فِــي كُــلِّ الْـمَدَائِــنِ لَــمْ

يَنُــــؤْ بِنَقْــــلِ الْعُلُــــومِ كَاهِلُهَــــا

***

يَــــا لُغَــــةً فِــــي الزَّمَـــانِ خَالِـــدَةً

الْقَلْـــبُ – لَـــيْسَ الزَّمَـــانَ – حَامِلُهَــــا

كَرَّمَهَـــــا رَبُّهَـــــا وَشَرَّفَهَـــــا

فَاعْتَـــــزَّ بَـــيْنَ الْأَنَـــامِ قَائِلُهَـــــا

اللهُ - دُونَ الْأَنَـــــامِ - حَافِظُهَـــــا

واللهُ - دُونَ الْأَنَـــــامِ - كَافِلُهَـــــا

وَعَلَّــــــــمَ اللهُ آدَمَ الْكَلِمَـــــــا

تِ كُلَّهَـــــا فَازْدَهَـــــتْ هَوَادِلُهَـــــا

مِـــنْ بَـــدْأَةِ الْـــخَلْقِ وَهْـــيَ سَـــيِّدَةٌ

سَـــــادَتْ بِهَـــــا بَكْرُهَـــــا وَوَائِلُهَـــــا

كَـــــمْ لُغَـــــةٍ قَبْـــــلُ دَالَ دَائِلُهَـــــا

وَكَـــــانَ مِـــــنْ أَهْلِهَـــــا مَقَاتِلُهَـــــا

كَيْـــفَ تَـــمُوتُ اللُّغَـــاتُ سَيِّدَتِـــي؟

كَأَنَّمَـــــا زُلْزِلَـــــتْ زَلَازِلُهَـــــا

كَـــــمْ لُغَـــــةٍ لَا تَـــــزَالُ مَيِّتَـــــةً

قَـــــدِ امَّحَـــــتْ بَيْنَنَـــــا هَيَاكِلُهَـــــا

وَأَنْـــتِ مَـــا أَنْـــتِ.. أَنْـــتِ آنِسَـــةٌ

فَاتِنَـــــةٌ لَـــــمْ نَـــــزَلْ نُغَازِلُهَـــــا

غَانِيَـــــةً لَـــــمْ تَـــــزَلْ مَفَاتِنُهَـــــا

رَقِيقَـــــةً لَـــــمْ تَـــــزَلْ أَنَامِلُهَـــــا

***

يَــا لُغَــةً هَامَــتِ الْقُلُــوبُ بِهَــا

وَجَــلَّ مَوْصُولُـهَــا وَوَاصِلُهَــا

سَيِّدَتِــي أَنْــتِ.. أَنْــتِ مَمْلَكَــةٌ

مَــا سَــكَتَتْ لَحْظَــةً بَلَابِلُهَــا

وَأَنْــتِ أُمُّ اللُّغَــاتِ سَيِّدَتِــي

إِلَــى لِقَــاكِ اشْــتَاقَتْ عَقَائِلُهَــا

سَــيِّدَةُ الْحَــرْفِ أَنْــتِ يَــا لُغَــةً

فِــي الــرُّوحِ لَا تَنْطَفِــي مَشَاعِلُهَــا

كَــمْ نَتَغَنَّــى بِهَــا الْغَــدَاةَ وَكَــمْ

تَجْــرِي بِأَرْوَاحِنَــا جَدَاوِلُهَــا

يَــا لُغَــةً لَا تَــزَالُ شَــاعِرَةً

وَلَــمْ تَــزَلْ حَيَّــةً مَحَافِلُهَــا

حُرُوفُهَــا كُــلُّ الْكَــوْنِ يَعْشَــقُهَا

وَتَسْتَبِــي قَلْبَــهُ أَصَائِلُهَــا

وَتَزْحَــمُ الْعَالَــمِينَ عِزَّتُهَــا

حُرُوفُهَــا.. سِــحْرُهَا.. فَوَاصِلُهَــا

***

يَــا لُغَــةً لَــمْ تَــزَلْ مُقَدَّسَــةً

وَلَــمْ تَــزَلْ فِــي الْــوَغَى صَوَاهِلُهَــا

لَكَـــمْ سَـــكَتْنَا عَمَّـــا يُـــرَادُ بِهَـــا
وَبَعْـــضُ هَـــذَا السُّـــكُوتِ قَاتِلُهَـــا
لَكِنَّهَـــــا هَـــــذِهِ مَجَامِعُهَـــــا
كُـــلُّ صَـــفَاءِ الْحُـــرُوفِ شَاغِلُهَـــا
تَزْهُـــــو بِأَعْضَـــائِهَا مَجَامِعُهَـــا
تَقُـــولُ: "جِئْنِـــي بِمَـــنْ يُطَاوِلُهَـــا"
فِـــي مَجْمَـــعِ الْخَالِدِيـــنَ مَعْقِلُهَـــا
وَفِـــي جَبِـــينِ الـــرُّؤَى سَوَاحِلُهَـــا
وَفِـــي عِـــرَاقِ الشُّـــمُوخِ مَجْمَعُهَـــا
يَرْوِيـــــهِ بَغْـــــدَادُهَا وَبَابِلُهَـــا
وَفِـــي دِمَشْـــقَ الْفَيْحَـــاءِ مَجْمَعُهَـــا
يَزْهُـــو بِـــهِ بَحْرُهَـــا وَسَاحِلُهَـــا
فِـــي مَكَّـــةَ النُّـــورِ ضَـــاءَ مَجْمَعُهَـــا
وَضَـــاءَ مِـــنْ نُـــورِهِ مَعَاقِلُهَـــا
الْمَجْمَـــعُ الْعَالَمِـــيُّ فِـــي الْبَلَـــدِ الْـــ
أَمِـــينِ تَسْـــمُو بِـــهِ جَلَائِلُهَـــا
هَـــذِي سَمَـــاوَاتُ الْمَجْمَـــعِ الشَّبَكِيـــْ
ـــي فِـــي رُبَاهَـــا سَـــمَتْ بَوَاسِلُهَـــا

هَــــــذِي فَضَاءَاتُــــــهُ مُفَتَّحَــــــةٌ

تَنْهَــــلُّ مِــــنْ أُفْقِهَـــا هَوَاطِلُهَـــا

هَـــــذِي مَقَالَاتُـــــهُ مُــــوَرَّدَةُ الْـــــ

أَبْهَـــاءِ تَغْنَـــى بِهَـــا فَضَـــائِلُهَا

هَـــــذِي فَرَادِيسُــــــهُ مُمَــــرَّدَةٌ

تَـمْتَـــاحُ مِــــنْ نَبْعِهَـــا جَحَافِلُهَـــا

طَـــابَ شَـــذَاهَا وَطَـــابَ حَامِلُهَـــا

وَطَـــــابَ مَأْهُولُـهَـــــا وَآهِلُهَـــــا

***

يَـــا لُغَـــةَ الضَّـــادِ، أَنْـــتِ مَمْلَكَتِـــي

وَأَنْـــــتِ مَــــنْ لَا يَــــزُولُ زَائِلُهَـــا

يَـــا لُغَـــةً يَجْـــرِي فِـــي دَمِـــي دَمُهَـــا

وَفِــــي عُيُـــونِ الضُّـــحَى نَوَاسِلُهَـــا

وَحْـــــيٌ مِــــنَ اللهِ أَنْـــــتِ فَـــانْطَلِقِي

دَاخِـــلَ رُوحِـــي.. هَـــذِي مَنَازِلُهَـــا

كُونِـــي عَـــرُوسَ اللُّغَـــاتِ لَا تَتَهَيَّـــ

ـــبِي فَرُوحِـــي إِلَيْـــكِ بَاذِلُهَـــا

يَلَـــذُّ لِـــي أَنْ أَقُـــولَ: "إِنَّ وُجُـــو

دِي لُغَــــةٌ ثَــــرَّةٌ شَمَائِلُهَـــــا"

يَلَــــذُّ لِـــــي أَنْ أَقُـــولَ: "إِنَّ وُجُـــو

دِي لُغَـــــةٌ ثَـــــرَّةٌ شَمَائِلُهَـــــــا"

يَلَــــذُّ لِـــي أَنْ أَقُـــولَ: "يَـــا لُغَتِـــي"

فَمُهْجَتِـــــي لَا تَنِـــــي تُشَـــــاغِلُهَا

تَنْسَـــــابُ فِـــي خَافِقِـــي مَحَبَّتُهَـــا

كَأَنَّهَـــا السُّـــحْبُ سَـــالَ وَابِلُهَـــا

كَـــمْ تَـحْتَفِـــي بِـــي وَكَـــمْ تُسَائِلُنِـــي

عَـــنْ كَلِمَاتِـــي، وَكَـــمْ أُسَائِلُهَـــا

تَـحْمِلُنِـــي فَـــوْقَ رِيـــشِ سُنْدُسِهَـــا

يَأْسِرُنِــــي غَزْلُهَـــــا وَغَازِلُهَـــــا

لِـــي لُغَـــةُ الْيَاسَـمِينِ، لِـــي لُغَـــةُ الشـــ

ـــشُرُوقِ، فِـــي مُهْجَتِـــي دَلَائِلُهَـــا

لِـــي لُغَـــةُ الْـــحُبِّ وَالصَّـــبَابَةِ وَالْـــ

ـحَنِيـــــنِ، تَـحْتَلُّنِـــــي رَسَائِلُهَــــا

لِـــي لُغَـــةُ الْعِلْـــمِ فِـــي مَلَاحِمِـــهِ

لَا تَنْتَهِـــي فِـــي دَمِـــي شَوَاغِلُهَـــا

لِــــي لُغَـــــةٌ سِـــــيبَوَيْهِ شَـــــاهِدُهَا

وَالْـجَاحِـــظُ الْبَحْـــرُ كَـــمْ يُوَاصِلُهَـــا

يَـــا قَـــوْمُ يَـــا قَـــوْمُ هَـــذِهِ لُغَتِـــي

طَابَـــتْ لِكُـــلِّ الـــدُّنَا مَنَاهِلُهَـــا

يَـــا سَـــيِّدِي، إِنَّ نَبْضَـــنَا لُغَـــةٌ

يَـجِـــلُّ مَفْضُولُـــهَا وَفَاضِلُهَـــا

جِئْنِـــي بِكُـــلِّ اللُّغَـــاتِ، هَـــلْ لُغَـــةٌ

فِـــي الْأَرْضِ أَوْ فِـــي الـــدُّنَا تُشَـــاكِلُهَا؟

هَـــذِي الْقَوَافِـــي - وَهَـــذِهِ لُغَتِـــي

يَـــا قَلْـــبُ - فِـــي حُبِّهَـــا نُحَاوِلُـهَـــا

القاهرة ٢ شعبان ١٤٣٧هـ

